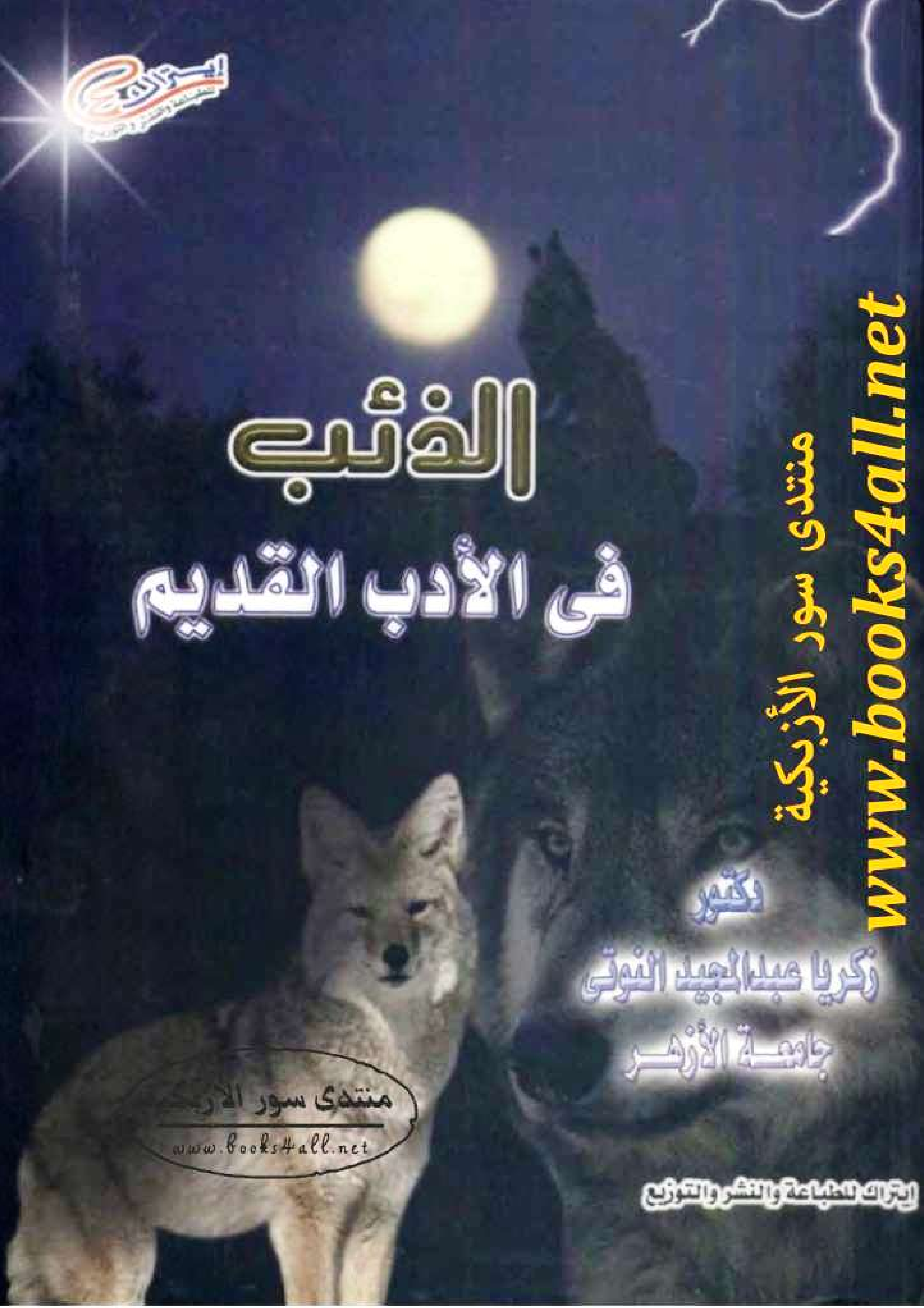


الذئب في الأدب القديم

دكتور
زكريا عبدالمجيد النوتي
جامعة الأزهر

إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع

الذئب في الأدب القديم

دكتــور

زكريا عبد المجيد النوتي

جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بالقاهرة

حقوق النشر	رقم الإيداع
الطبعة الأولى ٢٠٠٤	١٦٧٥٥
جميع الحقوق محفوظة للناشر	الترقيم الدولى I.S.B.N.
	977-5723-97-3

ايتـــراك للنشـــر والتـــوزيع

طريق غرب مطار ألماظة عمارة (١٢) شقة (٢) ص.ب : ٥٦٦٢

هليوبوليس غرب – مصر الجديدة

القاهرة ت : ٤١٧٢٧٤٩ فاكس : ٤١٧٢٧٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

قـــال تعالى : ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾

(سورة الأنعام : الآية ٣٨)

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: يخرج آخِرَ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَخْتِلُون الدنْيا بالدين، يَلْبَسُونَ للناس جُلُودَ الضأْن من اللّين، أَلْسِنَتُهُمْ أحلَى من السكر، وقلوبُهم قلوبُ الذئاب. يقول الله ﷻ: أبى يَغْتَرّون؟ أم علىَّ يجترئون؟ فَبِى حلَفْتُ لأبْعَثَنَّ علَى أولئك فِتْنَةً تَدَعُ الحليمَ منهم حيْرَان.

(سنن أبى داود ٣/٢٠٠١).

وَرَاعِـي الشَّـاةَ يَحْمِي الذِّئْبَ عَنْها   فكَـيفَ إِذَا الذِّئَـابُ لهـا رُعاةُ ؟

"مَنْ لَمْ يكُنْ ذئبًا أكَلَتْهُ الذئاب"

الإهداء

* إلى كل مسلم عزيزِ النفس، عالى الهمة.

- يرفض أن يكون من سقط المتاع، هملا فى دنيا الناس.
- ليس بالخِبّ، ولكن الخب لا يخدعه.
- يأبى الذل والضيم والهوان.

* وإلى كل مؤمن يتمتع بالفراسة الصادقة.

- كيس، فطن، يقظ، حذر.
- لا ينخدع بالترهات والأباطيل.
- يدرك مسئوليته فى الحياة

دكتور

زكريا عبد المجيد النوتى

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذى الجلال والإكرام، والطَّول والإنعام، والصلاة والسلام على خير الأنام، وعلى آله وصحبه الكرام، ومن اقتفى أثرهم، وسلك سبيلهم إلى يوم الدين. وبعد...

فشِعر الحيوان من أجمل الشِعر العربى القديم وأمتعه، إذ يُطْلعنا على عادات وطبائع مخلوقات من حولنا، ويكشف أسرارها وخباياها...

وهو - من جهة أخرى - يثبت ثراء اللغة، وتمكن الشعراء، ووفرة أدواتهم، حيث يصفون شيئاً واحداً، و يختلف كل واحد منهم عن غيره فى التناول، فتجد حيواناً مختلفاً لدى كل شاعر، وإن كان الإطار واحداً... وفى ذلك تكمن عبقرية الشاعر العربى القديم.

إن هذا الشِعر كنز ثمين، لا يزال عامراً بالأسرار والعجائب، زاخراً بالنوادر والطرائف، ومن ثم فهو فى حاجة إلى دراسات، تسبر أغواره، وتفك غوامضه، وتحلّ رموزه.

* * * * *

وها هو كتابى الثانى فى (عالم الحيوان الشعرى القديم)، إذ سبقه بحث بعنوان (صورة حمار الوحش بين لبيد وأبى ذؤيب وبشار).

وموضوع كتابنا هذا الذئب، ذلك الحيوان الوحش، الذى اهتم به العربى القديم اهتماماً بالغاً، فجاءت لغته زاخرة بأسمائه، وكان منها المذموم والمحمود:

- فهم يجعلون المصائب ذئاباً، فى حين يقولون: فلان فى الذوائب لا الذنائب... وذؤابة القوم: رئيسهم وشريفهم.

- ويطلقــون على الكسوب النشيط اسماً من أسماء الذئب، بينما يكنون عــن الرجال الخبثاء الزناة بالذئاب، وكذا الأعداء، واللصوص، والمنافقون، والغادرون... إلخ.

وجــاء شــعرهم زاخراً بالحديث عن الذئب، حتى إننا لنعجب إذ نجد الذئــب يحظى بهذا الكمّ الهائل من الشعر العربى، والأمثال أيضاً، فيفوق ما لسائر الوحوش منه، بما فيها الأسد.

ولعــل ذلك لأنه من الحيوانات التى تعيش بالقرب من الديار العامرة، كما أن فيه رصيداً ضخماً يلجأ إليه الشاعر فى حالتى المدح والذم:

- يجد فيه الغدر، والخيانة، والخبث، والظلم، والمراوغة، والتلصص، والتربص.

- كمــا يجد فيه السفاهة، إذ يضيع ما يكسب. ويجد فيه رمزاً للإنسان الجافى، الغليظ، الجلف. ثم هو الحذر، اليقظ، الذى ينام بإحدى مُقْلَتَيْه، ويتقى بأخرى المنايا، فهو يقظان هاجع.

- وهو الكسوب، الذى لا يكلّ ولا يملّ، حتى ضُرب به المثل فى ذلك.

- ثم هو الأَنِف الذى لا يتطفل على موائد الآخرين، إذ لا يأكل إلا من كسب يده. وهو الخفيف السريع...

والشــعر القديــم صور ذلك كله تصويراً دقيقاً، متكاملاً، فلم يغادر من خَلْــق الذئب وخُلُقه شيئاً إلا رَسَمَه بكل تفاصيله. صورّه فى صغره وكبره، فــى لونه وهيئته، وتقاسيم وجهه، وعينه، وأنفه.. وجوعه، وأكله، وشربه، ونومــه، وجلسته، ومشيته.. وصوته، وشمه، وكسبه، وإلحاحه، وافتراسه، وحذره وتربصه، وغدره وعقوقه....

وجد الشاعر القديم فى الذئب ضالته وهو يصور هذه الصفات كلها...

وبدهى أن تتباين أدوات الشعراء فى صورهم، ومواقفهم، ومنطلقاتهم، فبيْنَا تجد شاعراً يتذأب له، وآخر يكمن ويتربص، من منطلق " إذا لَمْ تَتَذَأَب أَكَلَتْك الذئاب "، تجد آخر يأسى لحاله حين يراه يتضوّر جوعاً، فيعطف عليه ويكرمه، ويأنس له ويحدثه.. بل ويبالغ أحدهم – حيناً – فيبادر بدعوته إلى الطعام، ويَقُدُّ الزاد بينه وبينه بالسوية.

كما تجد شاعراً يصف الذئب من الداخل، وصف خبير، مشاهد، معاين، وآخر يصفه من الخارج، وشتان بين هذا وذاك. لكن أخبر الناس بالذئاب هم الصعاليك ولذا فهم يصفونه من الداخل.

ويتميز الصعاليك من بين سائر الشعراء فى تناولهم للذئب، فهم (ذؤبان العــرب) الذين تألّفوا وتوحّدوا مع (الذئاب الوحشية) بحيث يمكننا أن نضع شعرهم تحت عنوان: [أنْسَنَة الذئب وتذؤب الإنسان]..

وكان ذلك مفروضاً عليهم، بعد أن استبدلوا عالم الوحش بعالم الإنسان، واتخذوه أهلاً لهم.

كما يختلف تناول الجاهليين عن غيرهم، فحياتهم تعرضهم كثيراً لرؤية هذه الذئاب، بخلاف من بعدهم.

ففـــى العصـــر الأموى الزاخر بالاضطرابات السياسية، وتعدد الفِرَق، والمذاهب، استخدم الشاعر الذئب استخداماً مواكباً لهذه المتغيرات، وأضحى الذئب رمزاً للغدر، ومعادلاً موضوعيًا للولاة والعمال القساة، الذين مارسوا كل أساليب العنف والقسوة والطغيان مع الرعية، ويصرح شاعرهم بذلك – أحياناً – كالراعى النميرى والكميت ... وغيرهما.

وشـــعراء الخوارج يلحّون على مبدأ [إذا لَمْ تَتَذَأَب أَكَلَتْك الذئاب] فلابدّ من الحذر واليقظة، والسعى الدائب.. وكذا صعاليك العصر..

والعجيـــب أن تجد شعراء البلاط كالأخطل يستخدم الذئب رمزاً للتعبير عما بداخله مما لا يستطيع البوح به، بل ويضيف إلى الذئب "الغراب" كرمز للظلام والسواد والكآبة والقلق..

وآخـــر يصـــف الذئب في رجليه شكال وقيود، رامزاً بذلك إلى تكميم الأفواه، وكبت الحريات، والضغط الذى تمارسه السلطة على الرعية.

ويـــأتى العصـــر العباســـى الـــذى كـــان - كما يقول العقاد - عصر التناقضات، فهو عصر الحكمة والجهالة، واليقين والإيمان، كان أوانٍ النور وأوان الظلام... كانت الدولة أشبه بالمرج الأخضر، ينمو فيه الحَب والفاكهة والشوك والعشب المسموم...

واخـــتلط الأعـــاجم بالعرب، وكثرت القينات، وانتشر الفساد... وتنكَّر الصديق لصديقه، مما أفسح المجال للذئب (الإنسان)، ليزاحم الذئب (الوحش) فلـــم يـــترك له مكانـــاً هـــناك.. واتخـــذ الشاعر العباسى من الذئب معادلاً موضـــوعياً لذلك القريب، أو الصديق، أو ابن العم الذى يتمنى القضاء على ابن عمه، والأكل من كبده، شافياً غيظه وحقده عليه.

وتجـــد الشاعر حيناً آخر يتخذ من الذئب معادلاً له فى صفاته الطيبة، ومعادلاً لخصمه فى الغدر والمخاتلة وما إلى ذلك..

ولا يزال الذئب إلى يومنا هذا مادة خصبة يستخدمها الشعراء وغيرهم رمزاً للصفات الخبيثة الدنيئة.. كما نجده فى القصة على لسان الحيوان عند شـــوقى وغيره، كمجال ثرى ينطلق الشاعر من خلاله ليبوح بمشاعره، آمناً من العواقب التى تنتظره لو سلك طريق الإفصاح المباشر بنقد السلطة.

* * * * *

ونتج عن اهتمام العرب بهذا الحيوان أن كثرت أسماؤه حتى نيَّفَتْ على المائتيـــن، ولم يكن إطلاق هذه الأسماء عشوائياً، بل تجد وراء كل اسم منها أسراراً وعلاقات بين الإنسان والذئب، أو بين الطبيعة والذئب:

فهـــو الأطلح، أى الفاسد، ومعروف أن الطلاح نقيض الصلاح... وهو الخِمْــع، ويقـــال للّصّ خِمْع... وهو الأطلس، ويقال للأغبر الممزق الثياب أطلس...

ويشـــارك الإنســـان الذئب فى أسماء كثيرة، مما يدل على مراقبتهم له ورصدهم حياته...

وضرب العرب الأمثال بالذئب كثيراً، تارة بصفة طيبة، وأخرى بصفة خبيثة، فجاءت الأمثال مواكبةً للغة وللشعر.. وكانت الأمثال الشعرية رائعة، من مثل قول شاعرهم:

وَأَنْــتَ كَذِئْــبِ السُّــوءِ إِذْ قَــالَ مَــرَّةً ... لَعَمْرُوسَـــةٍ وَالذِّئْـــبُ غَـــرْثَانُ مُـــرْمِلُ

أَأَنْــتِ الــتى مِــنْ غَــيْرِ ذَنْبٍ شَتَمْتِنى ... فَقَالَــتْ: مَــتى ذا ؟ قَــالَ ذَاكَ عَامُ أَوَّل

فَقالَــتْ: وُلِــدتُ العَــامَ، بَلْ رُمْتَ غَدْرَةً ... فَدُونَـــكَ كُلْـــنِى لا هَـــنَا لَـــكَ مَـــأكَلُ

أليس ذلك واقعاً نعيشه ؟!، لله در الشاعر، الذى قال ذلك قديماً، ماذا لو عاش إلى يومنا ؟!.

إنهـــا النـــية المبيتة للظلم والغدر، ولكنه يحاول تبرير عدوانه وظلمه بطريقة غبية.

* * * *

لقـــد اقتضـــت طبـــيعة البحث الرجوع إلى أنواع مختلفة من المراجع، ككتـــب الحيوان، واللغة، والأنساب، والأمثال، ودوائر المعارف، والمعاجم

اللغويـــة، ومعـــاجم البلدان، فضلاً عن استقصاء الدواوين الشعرية للأفراد، والمجموعات الشعرية... وغيرها.

وقد جاء الكتاب فى قسمين:

القســم الأول: جعلــته للذئب فى القرآن، والسنة، واللغة، والشعر القديم من الجاهلية حتى العصر العباسى والأندلسى. فأوردت النصوص وحلّلــتها. وجاء ذلك فى بابين. ثم أتبعتهما بباب ثالث للدراسة الفنية لشعر الذئب.

أمـــا القســم الثانى: فهو معجم للذئب، تناولت فيه: أسماءه، وكناه، وألقابه، وأمثال العرب نثراً ونظماً، ثم تحدثت عن الذئب خَلْقاً وخُلُقاً..

* * * * *

وبعد... فقد قال ابن سيرين: العلم أكثر من أن يحاط به، فخذوا من كل شئ أحسنه. وفيما بين ذلك سقط الرأى وزلل القول، ولكل عالم هفوة، ولكل جواد كبوة، ولكل صارم نبوة.

وقـــيل للعتابى: هل تعلم أحداً لا عيب فيه ؟ قال: الذى لا عيب فيه لا يموت أبداً.

ولســـنا ندعـــى الكمال، إنْ هذا إلا جهد بشرى يعتريه خطأ أو نقص.. وحسبنا أننا بذلنا ما وسعنا من جهد، وأخلصنا القصد. والتوفيق من الله، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

دكتور / زكريا عبدالمجيد النوتى

الطائف – السعودية

القسم الأول

الذئب فى الشعر القديم

الباب الأول

الذئب فى القرآن والسنة واللغة

الفصل الأول

الذئب فى القرآن والسنة

الذئب فى القرآن والسنة

١ـ فى القرآن الكريم

ورد الذئب في القرآن الكريم في سورة يوسف ﷺ فقط، وذلك على لسان يعقوب ﷺ حين عرض إخوة يوسف على أبيهم أن يأخذوا معهم أخاهم يرتع ويلعب، وتعهدوا بأن يحافظوا عليه، فأجابهم ﴿قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِى أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (الآية: ١٣) فأجابوه ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ﴾ (الآية:١٤)

ولما عادوا بعد أن رموه فى الجُب ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ (الآية: ١٧)

فلماذا الذئب ؟ لماذا لم يكن وحشاً غيره ؟

يقول الفخر الرازى: [١]

إن يعقوب ﷺ رأى فى النوم كأنه على رأس جبل، ويوسف فى صحراء، فهجم عليهم أحد عشر ذئباً، فغاب يوسف بينهم، ولذا حذرهم من أكل الذئب. وكأن يعقوب ﷺ قد لقنهم الحجة، وفى أمثالهم: " البلاءُ موكّلٌ بالمنطق " [٢] وقيل: الذئاب كانت فى أراضيهم كثيرة.

وقال القشيرى: [٣]

---

١) التفسير الكبير: جـ ٧٨/١٨ ط دار الكتب العلمية – بيروت، وانظر: تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للبروسوى – اختصار الصابونى جـ ٢٠٨/٢ ط دار القلم.

(٢) مجمع الأمثال للميدانى ١٧/١ برقم ٣٥ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد.

(٣) لطائف الإشارات ١٧٢/٢ ط ثانية – تحقيق د./ إبراهيم بسيونى ط هيئة الكتاب.

يقـــال: لمـــا خاف عليه من الذئب امتُحِن بحديث الذئب، ففى الخبر ما معناه: إنما يُسلَّط على ابن آدم ما يخافه " وكان من حقه أن يقول: أخاف الله لا الذئب.

وقال القرطبى: (١)

" إنـــه أرادهم بالذئب، فخوفه إنما كان من قتلهم له، فكنى عنهم بالذئب مساترةً لهم. قال ابن عباس: فسماهم ذئاباً ".

وهذا الذئب – ذئب يوسف – يضرب به المثل لمن يُرمَى بذنب غيره، فيقال: فلان برئ من كذا براءة الذئب من دم يوسف.

وقد ذكر " القرطبى " فى تفسير هذه الآيات قصة عجيبة وهى:

" أن إخوة يوسف اصطادوا ذئباً، ولطخوه بالدم، وأوثقوه بالحبال ليقنعوا أبـــاهم بأن الذئب هو الذى أكله، فجاءوا به يعقوب، وقالوا: يا أبانا، إن هذا الذئـــب يحـــل بأغنامنا ويفترسها، ولعله هو الذى أفجعنا بأخينا لا نشك فيه، وهـــذا دمـــه عليه. فقال يعقوب: أطلقوه، فأطلقوه، وتبصّص له الذئب فأقبل يدنـــو مـــنه، ويعقوب يقول له: ادن، ادن، حتى التصق خده بفخذه، فقال له يعقـــوب: أيهـــا الذئب: لم فجعتنى بولدى؟ وأورثتنى حزناً طويلاً؟! ثم قال: اللهم أنطقه.

فأنطقه الله تعالى فقال: والذى اصطفاك نبيًّا، ما أكلت لحمه، ولا مزقت جلده، ولا نتفت شعرة من شعراته، ووالله ما لى بولدك عهد، وإنما أنا ذئب غريب، أقبلت من نواحى مصر فى طلب أخ لى فُقد، فلا أدرى أحيٌّ هو أم ميت ؟ فاصطادنى أولادك، وأوثقونى، وإن لحوم الأنبياء حُرمت علىّ وعلى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن – تفسير سورة يوسف جـ ٩ ١٤٠، ١٤١

جميع الوحوش، وتالله لا أقمت فى بلاد يكذب فيها أولاد الأنبياء على الوحوش.

فأطلقه يعقوب، وقال: والله لقد أتيتم بالحجة على أنفسكم، هذا ذئب بهيم خرج يتبع ذمام أخيه، وأنتم ضيعتم أخاكم، وقد علمتُ أن الذئب برئ مما جئتم به ".

وقال " الشيخ الطاهر بن عاشور " فى تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ... الآية ﴾ (١)

أظهر لهم سبب امتناعه من خروج يوسف ﷺ معهم إلى الريف بأنه يحزنه لبعده عنه أياماً، وبأنه يخشى عليه الذئاب إذ كان يوسف حينئذ غلاماً، وكان قد ربّى فى دعة، فلم يكن مرناً بمقاومة الوحوش، والذئاب تجترئ على الذى تحس منه ضعفاً فى دفاعها.

قال الربيع بن ضبع الفزارى يشكو ضعف الشيخوخة:

والذئبُ أخشاهُ إن مَررتُ به وحدى وأخشَى الرِّيَاحَ والمَطَرا

وذئاب بادية الشام كانت أشد خبثاً من بقية الذئاب، ولعلها كانت كذئاب بلاد الروس. والعرب يقولون: إن الذئب إذا حورب ودافع عن نفسه حتى عض الإنسان فأسال دمه أنه يضرى حين يرى الدم فيستأسد على الإنسان، كما قيل: (٢)

وكُنْتَ كذئبِ السُوءِ لمَّا رأى دَمًا بصَاحِبِه يَوْمًا أحَالَ عَلَى الدَّمِ

* * * *

(١) التحرير والتنوير / تفسير سورة يوسف.

(٢) الحماسة ١٢٠/١، التمثيل والمحاضرة ٣٥٢.

٢ـ في السنة النبوية:

حين تنظر مادة " ذأب " في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث تفاجأ بكمّ هائل من الأحاديث الواردة فى الذئب، منها:

* عــن أبى هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينما راعٍ فى غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاةً، فطلبه الراعى، فالتفت الذئب فقال: من لها يوم السَّبْع (الافتراس) يوم ليس لها راع غيرى. وبينما رجل يسوقُ بقَرةً قــد حَمَلَ عليها فالتفتت إليه وكلمته، فقالت: إنى لم أُخلَقْ لهذا ولكنى خُلقتُ للحــرث، فقــال الناس: سبحان الله !! ذئب يتكلم وبقرة تتكلم ؟! فقال ﷺ " آمنتُ بذلك أنا وأبوبكر وعمر ". [1]

قال ابن الأعرابى: السَّبْع – بسكون الباء – الموضع الذى عنده المحشر يوم القيامة، أراد: من لها يوم القيامة ؟

وقيل: هذا التفسير يفسد بقول الذئب فى تمام الحديث " يوم لا راعى لها غيرى " والذئب لا يكون راعياً لها يوم القيامة.

وقيل: أراد من لها يوم الفتن حين يتركها الناس هملاً لا راعى لها نهبة للســباع والذئــاب. فجعــل السبع لها راعياً إذ هو منفرد بها، ويكون حينئذ "السَبُع" بضم الباء.

(١) رواه الــبخارى ومســلم وأحمد والحاكم، وزاد: فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب منى ؟! هذا رسول الله ﷺ بين الحرّتين يخبر الناس بأنْبَاء ما قد سبق، فزوى الراوى شياهه إلى زاويةٍ من زوايا المدينة، ثم أتى النبى ﷺ فأخبره، فخرج رسول الله ﷺ فقال: " صدق والذى نفسى بيده ".

وفــى روايــة: أن ذلك الرجل الذى كلمه الذئب اسمه " أهْبَان بن أوس " ﷺ، ولذا تقول العرب: هو كذئب أهبان.

وفيه إنذار بما يكون من الشدائد والفتن التى تأتى حتى يهمل الناس فيها مواشيهم، وتتمكن منها السباع بلا مانع.

وقال أبوعبيدة معمر بن المثنى: " يوم السبع " عيدٌ كان لهم فى الجاهلية يشتغلون فيه بلهوهم ولعبهم وأكلهم، فيجئ الذئب فيأخذها، وليس هو بالسبع الذى يفترس الناس. (١)

* وقال ﷺ: " إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والنائية ". (٢)

* وقال ﷺ فيما رواه كعب بن مالك الأنصارى: " ما ذئبان جائعان أُرسِلا فى غنم بأفْسَدَ لها من حِرْص المرء على المال والشرف لدينه " (٣)

وفى رواية البزار عن ابن عمر عن النبى ﷺ: " ما ذئبان ضاريان فى حظيرة يأكلان ويفسدان بأضَرّ فيها من حب الشرف وحب المال فى دين المرء المسلم ".

وللحديث روايات أخرى عن ابن عباس، وأبى هريرة، وأسامة بن زيد، وجابر، وأبى سعيد الخدرى، وعاصم بن عدى الأنصارى. (٤)

قال ابن رجب: فهذا مثل عظيم جداً ضربه النبى ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف فى الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين باتا فى الغنم قد غاب عنها رعاؤها ليلاً،

---

(١) حياة الحيوان للدميرى ٣٦٢/١.

(٢) رواه أحمد والطبرانى بإسناد جيد.

(٣) أخرجه الترمذى ٢٣٧٦ واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة والبيهقى وقال: صحيح حسن، وكذا المنذرى فى الترغيب والترهيب ٥٤٠/٢، وهو فى المشكاة ١٤٣١/٣، وغيرهم.

(٤) راجع هذه الروايات فى كتاب [شرح وبيان ما ذئبان جائعان] لابن رجب. تحقيق / محمد حلاق.

فهما يأكلان فى الغنم ويفترسان فيها، ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل. فأخبر النبى ﷺ أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم، بل إما أن يكون مساوياً، وإما أكثر. يشير إلى أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل. فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف فى الدنيا. (1)

* وروى الإمام أحمد وأبويعلى الموصلى وعبدالباقى بن قانع: (2)

أن الأعشى الشاعر المازنى الحرمازى – واسمه: عبدالله بن الأعور – كانت عنده امرأة يقال لها معاذة، فخرج فى شهر رجب يمير أهله من هجر، فهربت امرأته ناشزة عليه، فعادت برجل منهم يقال له " مطرف بن نهصل بن كعب بن قميع بن دلف بن أهصم بن عبدالله بن الحرماز " فجعلها خلف ظهره فلما قدم لم يجدها فى بيته، فأخبر بخبرها، فطلبها منه فلم يدفعها إليه، وكان مطرف أعز منه فى قومه فأتى النبى ﷺ فعاذ به، وأنشأ يقول:

يَا سَيِّدَ النَّاس وَدَيَّانَ العَرَبْ ... أشْكُو إلَيكَ ذِرْبَةً مِن الذِّرَبْ
كالذِّئبةِ الغَبْشَاء فى ظِلِّ السَّرَبْ ... خَرَجْتُ أبغيها الطعامَ فى رجَبْ
فَخَالَفَتْنى بِنِزَاعٍ وهَرَبْ ... وقَذَفَتْنى بين عِيصٍ ومؤتشب
أخْلَفَتِ العَهْدَ ولطَّتْ بالذَّنَبْ ... وهُنَّ شرُّ غالبٍ لمَنْ غَلَبْ

(1) نفسه ٢١ ، ٢٢

(2) الاستيعاب ٢/٢٥٦، وزهر الأكم فى الأمثال والحكم – للحسن اليوسى ١/٢٤٦ ط المغرب، والفصول والغايات / للمعرى ٣٥٢، وفيهما [يا واحد الناس]
ونقله الدميرى فى حياة الحيوان ١/٣٥٩. ذربة من الذرب: داهية من الدواهى. العيص: أصل الشجر. المؤتشب: الملتف. لطت بالذنب: أى منعته بضعها، فشبهها بالناقة حين تسد فرجها، ممتنعة من الفحل عن طريق الذنب، وقيل: أراد توارت وأخفت شخصها عنه.

فقال النبى ﷺ عند ذلك: " وهن شر غالب لمن غلب " كنى عن فسادها وخيانتها بالذربة، وأصله: من ذرب المعدة، وهو فسادها. وقيل: أراد سلاطة لسانها وفساد منطقها، يقال: فلان ذرب اللسان، أى طويلُه.

فكتـــب الرســـول ﷺ إلى مطرف: "انظر إلى امرأة هذا معاذة فادفعها إليه"، فأتاه بكتاب النبى، فقُرِئ عليه، فقال لها: يا معاذة، هذا كتاب النبى ﷺ فـــيكِ، وأنـــا دافعك إليه. فقالت: خذ لى العهد والميثاق وذمة النبى ﷺ أن لا يعاقبنى فيما صنعت، فأخذ لها ذلك ودفعها له.

* وروى السهيلى فى الكلام على غزوة أحد، فى حديث مسند: (١)

أنـــه لمـــا ولد " عبدالله بن الزبير " نظر إليه النبى ﷺ وقال: " هو هو ورب الكعـــبة "، فلما سمعت أمه أسماء ذلك أمسكت عن إرضاعه، فقال لها النبى ﷺ: " أرضعيه ولو بماء عينيكِ، كبْشٌ بَيْن ذئاب، عليْها ثِيَابٌ، ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه ".

والأحاديث – كما أسلفت – فى الذئاب كثيرة.

• • • •

(١) حياة الحيوان للدميرى ١/٣٦١.

الفصل الثانى

الذئب واللغة

١- اللغة والحيوان

٢- اللغة والذئب

١ـ اللغة والحيوان

يقول الدكتور لطفى عبدالبديع: [(١)]

" إذا كانــت الحياة تقتنص فى شئ من ألفاظ اللغة عند العرب فهى إنما تقتــنص فى لفظ الحيوان الذى يطلق على جنس الحى، وهو والحياة – وإن كانــا بمعنى واحد – فإن فى بنائه زيادة معنى ليست فى بناء الحياة، فمجيئه على (فَعَلان) مبالغة فى معناها، وفى بناء (فَعَلان) ما فيه كالنَّزَوَان وما إليه، وفــى الحيوان الحياة الدائمة، حتى لقد سَمَّى الله ﷻ الآخرة حيواناً من أجل ذلــك، فقال تعالى ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [سورة العنكبوت: الآية ٦٤]، لأن من صار إلى الآخرة لم يمت، ودام حياً فيها لا يموت...

" وأسماء أجناس الحيوان مأخوذة من الاضطراب والحركة التى تظهر علــى أوضــاع شتى، تتبعتها العربية كما تتبعت غيرها من مظاهر الحياة فأثبتــتها، فكانــت هــذه الأســماء كاللحظات المستقرة فى سيل الصيرورة احتضــنت جزءاً من كيان الإنسان ودلّت على تاريخه فى الأعصر الأولى وهــو يجاور النافر والطائر، والصاهل والحامل، والسانح والسائح، يروعه منها الناب، ويروقه منها ما كان موشّى الإهاب... "

لقد عنى العرب القدماء بالحيوان عناية فائقة، بلغت حد التقديس أحياناً، كما هو الحال فى الناقة، والثور...[(٢)]

---

(١) عــبقرية العربــية.. فــى رؤيــة الإنسان والحيوان والسماء والكواكب ص ٢٠٣، ٢٠٤ د./ لطفى عبدالبديع – كتاب النادى الأدبى الثقافى – جدة – ط ثانية ١٤٠٦/١٩٨٦.

(٢) راجع كتابنا : ثور الوحش بين النابغة وذى الرمة.

ولا غرو، حين نجد هذا الكم الهائل من حديثهم عنه فى أشعارهم، حيث احتل مساحة ضخمة على خريطة الشعر القديم. وبالتالى أصبحت الدراسات التى تتناول الحيوان من أهم الموضوعات.

والحيوان فى الشعر الجاهلى ينقسم إلى " نمطين أساسيين: الحيوان الأليف المدجن، والحيوان البرى الموحش. وقد يكون ثمة ما يتوسط بينهما، الأول هو جزء من كينونة الشاعر الداخلية، والثانى ينتمى إلى كون خارجى هو الطبيعة. الأول – بهذا المعنى – مرتبط وجودياً بالشاعر، والثانى منفصم وجودياً عنه ".(١)

ومن مظاهر اهتمام العربى بالحيوان تسمية أبنائه بأسمائه، فكان من ذلك: كلب، وكلاب، أسد، ثور، ذئب، ذؤيب، تَولب، نمر، عجل، ثعلب، بكر، ضب، ليث... إلخ.

لقد رأى العربى فى كل حيوان مزية – على الأقل فى نظرهم – كالوفاء فى الكلب، والكسب فى الذئب، وشدة الاحتيال، والإباء، والأنفة، وغير ذلك، والشجاعة فى الأسد... إلخ.

يقول ابن دريد: (٢)

" وأعلم أن للعرب مذاهب فى تسمية أبنائها... ومنها ما سمى بالسباع ترهيباً لأعدائهم، نحو أسد، وليث، وفرّاس، وذئب، وسِيد، وعَمَلّس، وضرغام، وما أشبه ذلك ".

---

(١) الرؤى المقنعة ٣٣٩ د./ كمال أبوديب.

(٢) الاشتقاق ص٥ تحقيق وشرح عبدالسلام هارون – ط الخانجى – الثالثة.

وقال الجاحظ: (١)

"... وكان الرجل إذا ولد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والفأل، فإن سمع إنساناً يقول حجرًا، أو رأى حجرًا سمى ابنه... وكذلك إن سمع إنساناً يقول ذئباً، أو رأى ذئباً تأول فيه الفطنة والخبث والمكر والكسب... " ولا زالت دول الخليج تسمى أبناءها بذلك، فنجد (ذيب، وحنش، وثعبان، ونمر، وسِرحان... الخ).

" وإذا كانت صورة الظباء والمها مرتبطة في الشعر الجاهلي بالمرأة، فإن صورة الوحوش الضواري ترتبط بالرجل، فالأسد يشبه به البطل حياً، والذئب والضبعان يعبثان بجثته ميتاً " (٢)

* * * *

(١) الحيوان ٣٢٤/١ وراجع: أدب التسمية في البيان النبوي ص١٦ د./ السعيد عبادة، دار مصر للطباعة – ط أولى ١٤٠٣/١٩٨٣.

(٢) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص٨٤.

٢ـ اللغة والذئب (*)

الذئب حيوان من الفصيلة الكلبية ورتبة اللواحم، ويسميه اللغويون: كلب البر، قال ابن فارس:

الذال والهمزة والباء أصل واحد يدل على قلة استقرار، وألا يكون للشئ فى حركته جهة واحدة، من ذلك الذئب، سمى بذلك لتذؤبه من غير جهة واحدة..

ويقال: تذأبت الريح: أتت من كل جانب.

وتَـذَاءَبَ للناقة: استَخْفَى لها متشبهًا بالذئب ليعطفَها على غير ولدها. وتذاءبَـتْ الناقَةَ تذاؤبًا – على تفاعلت – إذ ظأرتَها على ولدها فتشبَّهْتَ لها بالذئب ليكونَ أرْأَمَ لها عليه.

والمتذائبُ: المضطرب. والمذْؤوبُ: الفَزِع. وذُئِب الرجلُ: إذا وقع فى غنمه الذئبُ، قال أبو دؤاد الإيادى يصف فرسه: (١)

فَلِلْتُ أخفضُه كَأنَّه رَجُلٌ دَامِى اليَدَيْنِ عَلَى عَلْيَاءَ مَسْلُوب
أوْ هَيْبَانَ نَخِيبٌ نَامَ عَنْ غَنَمٍ مُسْتَوهِلٌ فى سَوَادِ اللَّيلِ مَذْؤوب

(*) راجع: المخصص لابن سيده – المجلد الثانى – السفر الثامن ٦٥ وما بعدها – تحقيق لجنة إحياء التراث العربى – دار الآفاق الجديدة – بيروت، واللسان/ذأب، معجم مقاييس اللغة لابن فارس – تحقيق هارون – ط دار الكتب العلمية – إيران ٣٦٨/٢، الصحاح للجوهرى – تحقيق أحمد عبدالغفور عطار – دار العلم للملايين ١٢٥/١، تاج العروس للزبيدى – تحقيق على هلالى – ط الكويت ٢/ ٤١١، أساس البلاغة للزمخشرى، القاموس المحيط للفيروزابادى، المعجم الوسيط ٣٠٧/١، ٣٠٨، حياة الحيوان للدميرى ٩٧/١، ٣١٨، ٣٣٠، ١٧/٢، نهاية الأرب للنويرى ٢٧١/٩، المصايد ١٠٣، ١٠٤.

(١) ديوانه القصيدة ٢٩٦/٨. أخفضه: أسكنه. مسلوب: منزوع ثيابه. هيبان: جبان. نخيب: ضعيف القلب. مذؤوب: وقع الذئب فى غنمه. مستوهل: أصابه الوهل.

وتذأبَته الجنُ: أفزعته.

وذؤب الـرجل يَـذؤُبُ ذآبةً، وذئبَ وتَذأَّب: خَبُث وصار كالذئب خبثاً ودهـاءً. وذأبَ فلان ذأبًا: فعَل فعل الذئب، إذا حذِرَ من وجه جاء من وجه آخر.

وقال قوم: الإذئاب: الفرار، وأنشد:

إنّـى إذا مـا لَيـثُ قَـومٍ أذأبـا ... وسـقطَت نخوتُـه وهَـربَا

والذِّئَبُ: عيدان الرّحل، الواحدة: ذئبة، وهى مقدم ملتقى الحنوين، وهو الـذى يعـض على منسج الدابة، أو هى فرجة ما بين دفتى الرّحل والسرج والغبيط، قال حميد بن ثور: [1]

لـه ذِئَـبٌ للـرّيح بَيْـن فُـرُوجه ... مَزَامِـيرُ يَنْفُخْـنَ الكَسِـيرَ المهَـزَّما

- وأكلهم الذئب: أى السنة، وسَنَةُ الذئب على الوصف، أنشد النضر:

وقـد سـاق قَـبلَى مـن مَعَـدٍّ وطَئٍ ... إلـى الشـام حَوْجـاتُ السِّنين وذئبُها

والعرب تسمى السنة: الضبع والذئب، قال جرير:

من سَاقَت السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ والذِّيبُ [2]

- ويطلق الذئب على اللسان، أنشد ثعلب: [3]

هـاعٍ بمقلّعـنى ويُصْـبحُ سـادرًا ... سـدكًا بلَحْمِـى ذِئْـبُهُ لا يَشْـبَع

- وجعلوا المصائب كالذئاب فقال قائلهم: [4]

---

(١) ديوانه - صنعة عبدالعزيز الميمنى ص١٥ - دار الكتب المصرية. مزامير: أصوات. ينفخن: يُطرِن. الكسير: ما انكسر من النبات، ومثله المهزّم.

(٢) رفع الحجب المستورة ١/ ٢٥٢ ، ديوان جرير ٣٤.

(٣) النوادر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى ص ٢٢٧ وروايته [هاعٍ بمضْغتى......... ما يشبع].

(٤) خزانة الأدب ٢/١١٥ ط الخانجى.

أرِضًا وذُؤبانُ الخُطُوب تَنُوشُنى

والإضافة هنا من قبيل لُجَيْن الماء، أى المصائب التى كالذئاب.

– وإذا كان العرب قد أطلقوا كلمة (الذئب) ومشتقاتها، وسائر ما يؤخذ منها من أسماء على ما يبغضونه ويسيئهم، فإنهم أطلقوا هذه المادة ومشتقاتها أسماءً على ما يحبّون من الشريف والعظيم... وذلك لِمَا رأوا فيه من صفات طيبة، وخِلال حميدة.

– فأطلقوا على الرأس: الذؤابة، وذؤابة الرأس: هى ما أحاطت بالدوّارة من الشعر.

ويقال: هم ذؤابة قومهم، وذؤابهم، أى المقدّمين فيهم، السادة والرؤوس الأشراف، قال طفيل: (١)

فأقْلَعَتِ الأيَّامُ عنَّا ذؤابةً ... بموقِعِنَا فى مَخْرَبٍ بَعْدَ مَخْرَبِ

أى: أقلعت ونحن ذؤابة، بسبب وقوعنا فى محاربة بعد محاربة، وما عرف من بلائنا فيها.

وفلان من الذنائب، لا من الذوائب، ونار ساطعة الذوائب.

قال الجعدى: (٢)

أعجَلَها أقدحِىُ الضَّحَاءِ ضُحًى ... وهى تُناصى ذوائبَ السَّلَم

– والذوائب: الأغصان، قال صخر الغى: (٣)

---

(١) ديوانه / القصيدة الأولى ص١٩.

(٢) ديوانه ١٥٧ ط المكتب الإسلامى – سورية – ط أولى ١٩٦٤. الضحاء – ممدودة – للإبل بمنزلة الغداء. قال ابن قتيبة فى المعانى الكبير: أعجلها أقدحى: فردت عن الضحاء ليضرب عليها بالقداح. تناصى: تجاذب. ذوائب السلم: أغصانها العلا.

(٣) شرح أشعار الهذليين ٢٤٨/١. عليه: أى على الوعل. بشام: شجر. أيكة: غيضة. نشاة فروع: ما طال منه. مرثعن: مسترخى. الذوائب: الأغصان.

تَدَلَّـى عَلَيْهِ مِنْ بَشَـامٍ وأيْكَـةٍ نَشَـاةُ فُـرُوعٍ مُرْثَعِنّ الذَّوَائِبِ

وذؤاب السماء: أعلاها، قال أبوذؤيب: (١)

بِـأرْىِ الـتى تَأْرِى اليَعَاسِيبُ أصْبَحَتْ إلـى شـاهقٍ دُونَ السَّـماءِ ذُؤَابُهَـا

– واشـتق العرب من مادة (ذأب) أسماء خلعوها على أبنائهم وقبائلهم: فبنو الذئب: بطن من الأزد منهم سطيح الكاهن، وذئاب الغضا: بنو كعب بن مالك بن حنظلة، سُمُّوا بذلك لخبثهم، لأن ذئاب الغضا أخبث الذئاب.

وذؤيبة: قبيلة من هذيل، وابن الذئبة: ربيعة بن عبد ياليل بن سالم الثقفى، وابن أبى ذئب: أبو الحرث محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة بن الحرث، واسمه: هشام بن شعبة بن عبدالله القرشى.

ومن الصحابة – رضوان الله عليهم – ذؤيب بن حارثة، وذؤيب بن شعثم، وذؤيب بن كليب...

وهذا أبو ذؤيب الهذلى الشاعر الفحل المعروف، وأبو ذؤيب السعدى، أبو النبى ﷺ من الرضاع، وأبو ذؤيب قبيصة بن طلحة الأسدى.

وسُؤْر الذئب: شاعر، قال ابن حبيب: وسؤر الذئب لقبٌ غلب على اسمه، فليس يُعْرَف إلا به، وهو أخو بنى مالك بن كعب بن سعد. (٢)

وأبوذؤاب: ربيعة بن ذؤاب بن ربيعة الأسدى، شاعر من الأبطال.

والذئبة: أم ربيعة الشاعر. ومحمد بن ذؤيب العمانى، شاعر... إلخ.

كما أطلقوها على المواضع والديار، مثل:

---

(١) نفسه ٤٨/١. تأرى اليعاسيب: أى تسوسه النحل وتعمله وهو العسل. يقول: بالعسل الذى عملته النحل. اليعسوب: أمير النحل. الشاهق: الجبل العالى. ذؤابها: أعلاها.

(٢) راجع الفصوص لأبى العلاء صاعد البغدادى ١١٠/٥ تحقيق د./ عبدالوهاب التازى سعود. المملكة المغربية – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. وانظر: ألقاب الشعراء لابن حبيب ٣٠٥

دارة الذئب، [1] موضع بنجد لبنى أبى بكر بن كلاب من هوازن، قال عمرو بن براقة الهمْدانى: [2]

وهُمْ يَكُدُّون وأىّ كدٍّ   مِنْ دَارَة الذئب بمُجْرَهِدّ

ومنية الذئب: قرية بمصر.

والذئبان: كوكبان أبيضان بين العوائذ والفرقدين.

– وسموا الذئاب باسم حركتها " العُسّل "، وصوروها فى حلكة الليل وهى " تعسل على أطراف الماء " تبحث عن فرائسها. [3]

– وشبهوا الريح بها فقالوا: " تَذَاءَبَتِ الريح " أى جاءت من هاهنا مرة ومن هاهنا أخرى. قال طرفة يصف صهره مشبهاً إياه بالريح اللعوب: [4]

وأنْتَ عَلَى الأَقْصَى صَبَا غَيْرُ قَرَّةٍ   تَذَاءبُ منها مُرزِغٌ ومُسِيلُ

وقال ذو الرمة فى معرض حديثه عن الثور الوحشى وقلقه وتوتره: [5]

---

(1) معجم البلدان ٢/٤٢٧، اللسان ٤/٢٩٦.

(2) الفصوص ٢/٥١، معجم ما استعجم ٥٣٤ تحقيق مصطفى السقا / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧م. والمُجْرَهِدّ: السير الجاد الماضى.

(3) الصورة الفنية فى الشعر الجاهلى د./ نصرت عبدالرحمن ٨٤.

(4) ديوانه ١١٩. الأقصى: البعيد النسب وغيره. الصبا: ريح محمودة عندهم، وهى ريح المطر. قرة: باردة. تذاءب: تجئ من هنا مرة ومن هاهنا مرة أخرى. المرزغ: قليل المطر. المسيل: الذى يجئ بالسيل.

(5) ديوانه / تحقيق د./ أبو صالح ١/٨٨ – ٩١. يغشى الكناس: أى الثور يحمل روقيه أى قرنيه على كناس فيهدم الكناس. منقاض من الرمل: ما انهال من الرمل وتناثر وسقط. منكثب: ما سال وسقط من الرمل. انكناساً: دخولاً فى كناسه. عنّ: عرض له. دون الأرومة: العروق، شبهها بالأطناب حين منعته، ولا يكون الكناس إلا تحت شجرة. توجس ركزا: أى تسمع صوتاً خفياً. مقفر: أخو قفرة، يريد الثور. قال الأصمعى: المقفر أيضاً الذى لا يأكل اللحم من حين، يريد الصائد. ندس: فطن. النبأة: الصوت الخفى. يشلزه: يقلقه. الثأد: الندى والقر. تذاؤب الريح: مجيئها من كل جانب. الوسواس: أن يسمع وساوس. الهضب: المطر. وراجع كتابنا : ثور الوحش بين النابغة وذى الرمة

يَغْشَى الكِنَاسَ بِرَوْقَيْه ويَهْدِمُه ... مِن هَائِلِ الرَّمْلِ مُنْقَاضٌ ومُنْكَثِبُ
إذَا أرَادَ اكْتِنَاسًا فِيهِ عَنَّ لَهُ ... دُونَ الأرُومَةِ مِن أطْنَابِهَا طُنُبُ
وقَد تَوَجَّسَ رِكْزًا مُقْفِرٌ نَدِسٌ ... بِنَبْأةِ الصَّوتِ مَا فِى سَمْعِه كَذِبُ
فَبَاتَ يُشْئِزُه ثَأْدٌ ويُسْهِدُه ... تَذَاؤبُ الرِّيحِ والوَسْوَاسُ والهَضَبُ

فكأن الريح قد أصبح لها فى تلك الليلة المنذرة طبع الذئب، فلا عجب أن ثارت الوساوس فى نفس الثور، وسمع نبأة الصوت قبل الصياد وكلابه بزمن طويل. (١)

وقال ذو الرمة أيضاً يصف سحاباً: (٢)

إذا ما اسْتَدَرَّتْه الصَّبا أو تَذَأَّبَتْ ... يَمَانِيَةٌ أمْرى الذهاب المنائحُ

وقد " وقع لسيبويه وهو فى حلقته بمسجد البصرة وقد هبت ريح فأطارت الورق، فقال لبعض أهل الحلقة: انظر أى ريح هى ؟ وكان على منارة المسجد تمثال فرس، فنظر ثم عاد فقال: ما ثبتت على حال.

فقال سيبويه: " العرب تقول فى مثل هذا: (تذاءبَت الريح وتَذَأَّبَتْ)، أى فعلت فعل الذئب، وذلك أنه يجئ من هاهنا وههنا ليخيل فيتوهم الناظر أنه عدة ذئاب " (٣)

(١) فى الشعر الإسلامى والأموى د./ عبدالقادر القط ٤٢٠.

(٢) ديوانه ص ٨٧١. استدرته: استحلبته. أمرى الذهاب: أى صارت مريًا. وأمرى الذهاب المنائح: أى هذه الأمطار منائح من الله أعطاها إيانا. والواحدة منيحة. والمعنى: إذا ما استدرت الصبا السحاب أو تذأبت يمانية يعنى ريح الجنوب.

(٣) عبقرية العربية – د./ لطفى عبدالبديع – ص ٣١، ٣٢ نقلاً عن نزهة الألباء ص ٧٦.

" وسيبويه لم يكن يتلهّى بذلك ليونق الأسماع، بل كان يدفع بالذئبية الريح التى تغدر بأوراقه جرياً على سنن العرب فى كلامها، وتنبيهًا للسامعين على ذلك " (١)

والأصمعى عكَسَ الأمر، فقال: " إنما سمى ذئباً لتذوبه وهو مجيئه من كل وجه، أخذ من تذوّب الريح وهو مجيئها من كل وجه.. " (٢)

وكلام سيبويه أدق، ففِعل الريح هو المأخوذ من اسم الذئب، وليس العكس.

والمجئ من كل وجه – بشكل عام – هو تذاوب، قال ذو الرمة يصف ثوراً: (٣)

غَدَا كَأَنَّ بِهِ جِنًّا تَذَاءَبُهُ ... مِنْ كُلِّ أَقْطَارِهِ يَخْشَى وَيَرْتَقِبُ

– وأخذ العرب من الذئب أوصافاً كثيرة، تارة يصفون بها إبلهم، وأخرى يصفون خيولهم، فمن أوصاف الإبل المأخوذة من الذئب:

الشامذ، النَّسول، العَمَلَّس، العَنس، السلقم، الشَّيْذمانه، العَسْبرة، العسبورة. (٤)

– "ولقد حفلت اللغة بالمزج بين حركة الذئب، وتلونه، وحركة الموجودات حوله..... فأحياناً نجد العربى يأخذ من الذئب اسمًا، أو يشتق وصفاً، وسواء أكان ذلك فى شر أو شجاعة أو حسن تصرف: فيقال للمرأة

---

(١) نفسه ٣٢.

(٢) شرح المفضليات لابن الأنبارى ٧٣٩/٧٤٠.

(٣) ديوانه ص ٩٥ أى كأن الثور به جنون يأتيه من كل وجه وناحية. وراجع كتابنا: (ثور الوحش بين النابغة وذى الرمة).

(٤) راجع اللسان فى هذه المواد. والإبل فى الشعر الجاهلى د./ أنور أبو سويلم ٨١/١.

التى تسوى مركبها: " ما أحسن ما ذأبته "، ويقال: ذَؤُب الرجلُ يَذْؤُب ذآبة، وذُئِبَ، وتذأب: خبث وصار كالذئب خبثًا ودهاء.

وتَـذَأَبَ الـناقة، وتذأب لها: إذا استخفى لها ليعطفها على غير ولدها. ومن أسماء الذئب " الأطلس " قال ابن شميل: الأطلس اللص يُشْبه الذئب ".

والأمعط والأمرط كذلك، ويطلقان على الذئب حين يتمّعط شعره، وعلى اللـص " احتسـابا لمـا يسقطه الإنسان عن نفسه من لباس الاحترام، وما تقتضيه العلاقة الإنسانية، فيكون كالذئب الذى انسلخ عنه شعره فيتجرد حينئذ للخبث والاعتداء على أخيه الإنسان " (١)

- ويكنون بالذئب عن الرجال الخبثاء الزناة، قال الشاعر:

قـد أرْسَـلُونى فـى الكَوَاعِـبِ رَاعيًا ... فَقَـدْ وأبـى رَاعِى الكَوَاعِبِ أفْرسُ (٢)

أتَـته ذئـابٌ لا يُبَالِيـن رَاعِـيًا ... وكـنَّ ذئابًـا تَشْـتَهى أنْ تُفَرَسَـا

قال صاحب اللسان:

أى كانـت هـذه النساء مشتهيات للتفريس، فجعلهنّ كالسوام، إلا أنهن خالفـن السوام، لأنه السوام لا تشتهى أن تفرّس، إذ فى ذلك حتفها، والنساء يشتهين ذلك.

(١) العلاقـة بيـن الإنسان والذئب فى الشعر القديم. د./ عالى القرشى - بحث بمجلة كلية دار العلوم - جامعـة القاهـرة - العدد ١٨/١٩٩٥. وانظر اللسان / طلس، معط، مرط، وراجع مبحث " تشبيهات الذئب " من هذا الكتاب

(٢) هكذا وردت مضمومة السين فى البيت الأول، مفتوحة فى البيت الثانى، ويبدو أنه الإصراف. وقوله: أفرسُ، موضوع موضع فَرَست كأنه قال: فقد فَرَسْتُ.

أتـــته ذئاب لا يبالين راعياً: أى رجال سوء فجار، لا يبالون من رَعَى هؤلاء النساء، فنالوا منهن إرادتهم وهواهم، ونِلْنَ منهم مثل ذلك، وإنما كنّى بالذئاب عن الرجال، لأن الزناة خبثاء، كما أن الذئاب خبيثة.

" وذئبية النساء إنما نشأت من ذئبية الرجال التى طرأت على السائمية، فَجنَحَتْ بها إلى المغالبة التى ما كان لها أن تتأتى إلا بهذا الفعل دون سواه، وكما استدعت السوائم الرجال، استدعت الذئاب الرجال الذئاب النساء ".[1]

– ومجـــنون ليلى يضع الذئب مكان (ورد) الذى زوجوه (ليلى) قسراً يقول:[2]

أبَـــى اللَّـــهُ أنْ تَـــبْقَى لحَـــىٍّ بَشَاشَـــةٌ ... فصَـــبْرًا علـــى ما شَاءَهُ اللّهُ لى صَبْرَا

رَأَيْــتُ غَــزَالاً يَــرتَعى وَسْــطَ رَوْضَةٍ ... فقُلْــتُ: أرَى لَـــيْلَى تَـــراءَتْ لَنَا ظُهْرَا

فَـــيَا ظَـــبْىُ ، كُلْ رَغْدًا هَنيئًا، ولا تَخَفْ ... فَـــإنّك لـــى جَـــارٌ، ولا تَرْهَـــبِ الدَّهْرَا

فَعِـــنْدى لكُـــمْ حِصْـــنٌ حصـــينٌ وَصَارِمٌ ... حُسَـــامٌ إذَا أعْمَلْـــتُه أحْسَـــنَ الهَـــبْرَا

فَمَـــا راعَـــنى إلاّ وَذِئـــبٌ قَـــدِ انْـــتَحَى ... فَـــأعْلَق فـــى أحْشَـــائه النّابَ والظُّفْرَا

فَفَوّقْـــتُ سَـــهْمى فـــى كَـــتُومٍ غَمَزْتُهَا ... فَخَـــالَطَ سَـــهْمى مُهْجَةَ الذِّئْبِ والنَّحْرَا

فَأَذْهَـــبَ غَـــيْظى قَـــتْلُه، وشَـــفَى جَوًى ... بِصَـــدْرِى، إن الحُـــرَّ قَـــد يُدْرِك الوَتْرَا

يقول الدكتور على البطل: [3]

---

(١) عبقرية العربية ٣١٤، ٣١٥.

(٢) الأغـــانى (دار) ٢/٧٤ وما بعدها. الهَبْر: القطع. انتحى: اعترض. فوّق السهم: جعله فى الفوق وهو موضع السهم من الوتر. الكتوم من القسى: التى لا ترن إذا أنبضت وتحركت. النحر: الرئة والكبد.

(٣) مجلـــة فصـــول / المجلد الرابع – العدد الثانى ١٨٦، ١٨٧، مقال بعنوان: الغزل العذرى واضطراب الواقع، وانظر: الشعر العربى المعاصر، د./ عز الدين إسماعيل – دار الكاتب العربى ١٩٦٧.

وما قَتْلُ المجنون للذئب إلا رغبة مكبوتة في أن يقتل غريمه البشرى، وقد وجدت هذه الرغبة تنفيسها المشروع في قتل الذئب الذى افترس الغزال، كما افترس (ورد) (ليلى)، فهو يستحق القتل من وجهة نظر المجنون، ولكنه لا يستطيع ذلك، فكان قتل الذئب انتقاماً في عقله الباطن ".

إن هذا الذئب "ليس هو وحش الصحراء، ولكنه - لا شعورياً - (ورد) غريمه الذى افترس أعزّ أمانيه، وترك في نفسه وتراً لا يشفى يتطلع أبد الدهر إلى إدراكه. ولهذا يجد قيس الراحة بقتل الحيوان، وبرؤية سهمه يغوص في مهجته وقلبه، ففى النكال به شفاء جوى حبيس يتجاوز مجرد ذئب في الصحراء... " [1]

وقد ذكر الأصفهاني: أن قيسًا بعد أن قتل الذئب بسهمه، بقر بطنه، وأحرق أشلاءه، تشفيا منه.

وقال خداش بن زهير: [2]

فَلَمَّا دَنَوْنَا للقِبَابِ وأَهْلِهَا ... أُتِيحَ لَنَا ذِئْبٌ مَعَ اللَّيْلِ فَاجِرُ

فشبه رجلاً بالذئب.

- **ويكنون عن الأعداء بالذئاب**، قال زيادة الحارثي: [3]

كَرِيمٌ أَصَابَتْهُ ذِئَابٌ كَثِيرةٌ ... فَلَمْ يَدْرِ حَتَّى جِئْنَ من كُلِّ مَدْخَلِ

قال التبريزى: أراد بالذئاب: الأعداء.

وقال أسير في بنى تميم في رسالة بعث بها إلى قومه: [4]

---

(١) النقد الأدبى الحديث. د/ محمد غنيمى هلال ٤٢٨-٤٢٩ ط دار العودة - بيروت - ط أولى ١٩٨٢.

(٢) المعانى الكبير - المجلد الأول ١٨٨. وقيل: البيت لعوف بن الأحوص. انظر: شرح المفضليات لابن الأنبارى ٧١٥.

(٣) الحماسة / شرح التبريزى ١/١٣١، ١٣٢.

(٤) دراسات فنية في الأدب العربى ٢٦٧، ٢٦٨ عبدالكريم اليافى ط أولى.

حلّوا عن النّاقة الحمراء أرْضكمُ والبازل الأصهب المعقول فاصطنعوا
إنّ الذئابَ قد اخضَرتْ بَرَاثِنُها والنّاسُ كلُّهُمُ بكرٌ إذا شَبِعُوا

وقال المتنبى لسيف الدولة: (١)

بغَيْرِك راعِيًا عَبِثَ الذّئابُ وَغَيْرِك صَارِمًا ثلمَ الضّرابُ

فأطلق على الثائرين ضد سيف الدولة اسم الذئاب.

– وامرؤ القيس يشبه الإنسان المتجرئ على الآثام بالذئاب فيقول:(٢)

أرَانَا مُوضَعِينَ لأمْرِ غَيْبٍ ونُسْحَرُ بالطّعَام وبالشّرَابِ
عَصَافيرٌ وذِبّانٌ ودودٌ وأجْرأ مِن مُجَلّحَةِ الذّئَابِ

– وشبهوا المنافقين بالذئاب، قال طرفة فى حديثه عنهم:

قُلوبُ الذّئَابِ الضّاريَاتِ قُلوبُهُمْ وألْسُنُهُمْ أحلَى الذى أنتَ ذائقُه

فهؤلاء المنافقون يضمرون خلاف ما يبطنون، قلوبهم كقلوب الذئاب الضاريات تتمنى افتراسك والتهامك، ولكن ألسنتهم تنطق لك بكلمات وعبارات أحلى من العسل، أقوالهم حلوة جميلة، وقلوبهم سوداء مريرة.(٣)

– وشبهوا الغادرين بالذئاب، قال الفرزدق هاجياً: (٤)

رَأتْهُ مَعَ القَتلَى وغيْرُ بَعْلَها عَلَيْهَا تُرَابٌ فى دم قَدْ تَعَفّرا
أرَاحُوهُ مِنْ رَأسٍ وَعَيْنَيْنِ كانتا بعينَيْنِ طَرْقا بالخِيَانَةِ أخْزَرَا
مِنَ النّاكثِين العهدَ مِنْ سَبَئيةٍ وإمّا زُبَيْرِىّ مِن الذّئبِ أغْدَرَا

– وشبه أحد الشعراء: امرأته بالذئبة قائلاً: (٥)

(١) ديوانه ١/٢٠٤ بشرح البرقوقى – دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان.

(٢) ديوانه ٩٧ – مجلحة الذئاب: المصممة على الشئ، التى لا ترجع عما تريد.

(٣) الديوان ص ٢٢٣.

(٤) ديوانه ١/٢٤٢.

(٥) المعانى الكبير ١/١٨٥.

إنّــي رأيــتُكَ كالورقــاء يُوحِشُــها　　　قُــربُ الأليـف وتَغْشَــاه إذا نُحِــرا

فهــي تنفر منه حينما يكون سليماً صحيحاً، وحين يدمى تقترب منه، لا لتداويه وتطبّبه، بل لتأكله كالذئبة حين تهجم على الذئب إذا دمى.

- وفــي معــرض قصــة الثور الوحشى والحمار يشبهون " الكلاّب " بالذئب، قال الأعشى يصف ناقته مشبها إياها بحمار الوحش: (١)

فلمّـا عفَاهَـا ظـن أنْ لَـيْسَ شَارِبًا　　　مِــنَ المــاء إلا بَعْـدَ طُــولِ تَحَــرُّم

وَصَــادَفَ مِــثْلَ الذِّئب في جَوْفِ قُترةٍ　　　فلمّـا رَآهَـا قَـالَ: يـا خَـيْرَ مطْعَـمِ

وقال الأخطل: (٢)

طَــاوٍ أزلّ كسِــرْحَانِ الفَــلاَةِ إذَا　　　لَـمْ تُؤنِـسِ الوَحْـشُ مِـنْهُ نَبْأةً خَتَلا

وقال: (٣)

ظَـلَّ الـرُّمَاةُ قُعُـودًا فـي مَرَاصِدِهم　　　للصَّــيْد كُــلَّ صَـبَاحٍ عِـنْدَهُمْ عِــيد

مِــثْلَ الذِّئـاب إذَا مَـا أوْجَسُوا قَنصًا　　　كَانَـتْ لَهُـمْ سَـكْتَةٌ مصــغٍ وملــبود

يشبه الرماة وهم كامنون فى المراقب يترصدون الوحوش بالذئاب التى تكتم أنفاسها حتى لا تشعر بها الفريسة.

- والعمــال والــولاة الظــالمون ذئــاب كذلــك، قال كعب بن معدان الأشقرى: (٤)

إن كُنْــتَ تَحفَــظُ مَـا يَلِـيكَ فإنّمَــا　　　عُمّــالُ أرْضِــكَ بالــبلادِ ذِئَــابُ

لَــنْ يَسْــتَجِيبُوا لِلّــذي تدْعــو لَــهُ　　　حَــتّى تُجَلّــد بالسُّــيُوف رِقَــابُ

بِــأكُفِّ مُنْصَــلِتِينَ أهْــلِ بَصَــائِرٍ　　　فــي وقْعِهِــنّ مَزَاجِــرٌ وعِقَــابٌ

(١) ديوانه / القصيدة ١٥ ص ١٢١ مثل الذئب: أى الصياد. القترة: ناموس الصائد.

(٢) شرح ديوان الأخطل ٣٤٥. الأزل: الخفيف. النبأة: الصوت. ختل: تخفى. تؤنس: تحس.

(٣) نفسه.

(٤) البيان والتبيين ٣/٣٥٨، ٣٥٩.

وقال أحد الشعراء: (١)

إنَ الذئبـــنَ بَعَثْـــتَ فــــى أقطارهـــا ... نَـــبذُوا كِـــتَابَكَ واسْـــتُحِلَّ المَحْـــرَمُ
طُلْـــسُ الثِّـــياب عَلـــى مـــنابر أرضِنَا ... كَـــلٌّ يَجُـــورُ وكلُّهُـــمْ يَـــتَظَلَّمُ
وأردتَ أن يلـــــى الأمانـــــة مـــــنهمُ ... عـــدلٌ، وهَـــيْهَاتَ الأمـــينُ المســـلمُ

وحـــتى الفجـــر الكـــاذب أطلقوا عليه (ذنب السرحان)، قال ابن قتيبة: والفجـــر فجران، يقال للأول منهما ذنب السرحان، وهو الفجر الكاذب، شبه بذنـــب الســـرحان لأنه مستدق صاعد فى غير اعتراض والفجر الثانى هو الفجر الصادق.(٢)

- وأطلقوا على صعاليك العرب اسم " الذؤبان "، قال المعجميون:

وذؤبـــان العـــرب: لصوصهم وصعاليكهم وشطارهم الذين يتلصصون ويتصـــعلكون، لأنهـــم كالذئـــاب، قال سليمان بن عياش اللص يصف طول انتظاره وتربصه بالقوافل: (٣)

يَقَـــرُّ لعَيْـــنى أنْ تُـــرَى بَيْـــنَ عُصْـــبَةٍ ... عِرَاقـــيَّةٍ قَـــدْ جُـــزَّ عـــنها كـــتابُها
وأنْ أســـمعَ الطُّـــرَّاقَ يَلْقَـــونَ رِفْقَـــةً ... مُخَـــيِّمَةً بالسِّـــىِّ ضَـــاعَتْ رِكَابُهَـــا
أُتِـــيحَ لَهَـــا بالصَّـــحْنِ بَيْـــنَ عُنَـــيْزَةٍ ... وبِســـيانَ أطْـــلاَسٌ جَـــرودٌ ثـــيابُها
ذِئَـــابٌ تَعَـــاوَتْ مِـــنْ سُـــلَيْمٍ وعَامِـــرٍ ... وَعَـــبْسٍ وَمَـــا يُلْقَـــى هـــناك ذئابُهـــا

فأمنية الشاعر أن يغير مع ذئاب سليم وعامر، وعبس على قافلة عراقية بين البصرة ومكة.

---

(١) السابق.

(٢) أدب الكاتب ٩٠

(٣) معجـــم البلدان ١٨٣/٢ مطبعة السعادة – مصر ١٩٠٦، والشعراء الصعاليك فى العصر الأموى د./ حســـين عطـــوان ص ١٠٤، ١٠٥. الأطلاس: الثياب البالية. عنيزة وبسيان: موضعان. العياب: جمع عيبة وهو ما تخلط منه الثياب الغالية.

وخلط بعضهم بين أغربة العرب وذؤباتهم، قال الثعالبي النيسابوري:[1]

أغربة العرب وذؤبان العرب سادتها، وهم أربعة سودان شجعان، فمنهم عنترة، وخفاف، والسليك، وعبدالله بن حازم السلمي.

ويبدو أنه يقصد (الذوائب) – جمع ذؤابة – فهؤلاء كانوا في المقدمة.

* * * *

(١) ثمار القلوب ١٥٩، ١٦٠، ٢٣٤، ٢٣٥، والشعراء السود د./ عبده بدوى ٢٢.

الباب الثانى

الذئب فى الشعر

الفصل الأول

الذئب فى الشعر الجاهلى

١- الذئب فى ديوان الشعر العربى

٢- الذئب فى الشعر الجاهلى.

الذئب فى ديوان الشعر العربى

عـندما أراد الأديب الناقد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أن يؤلف كتاباً جامعاً فى علم الحيوان، ويكشف عن طبع الحيوان وخصائصه، ويعنى بدقائقـه وغرائزه وأحواله وعاداته، اعتمد على الشعر العربى أكثر اعتماد، خاصـة الـبدوى منه، فوجد العرب يتحدثون عنه حديثاً طويلاً "تحدثوا عن الأنـيس منه، ولم يهملوا الوحشى، تحدثوا عن الإبل وأسهبوا، وتحدثوا عن نعوتها فلم يذروا دقيقة من دقائقها... ولا تكاد تجد قصيدة معدودة للعرب إلا وللحيوان الأنيس فيها شأن.

" أمـا الوحشـيات فلـم يغفلوها، فنطق شعرهم بالأسد والنمر والذئب والثعلب وغيرها... " (١)

يقول الجاحظ (٢)

" وقـلَّ معنًى سمعناه فى باب معرفة الحيوان من الفلاسفة، وقرأناه فى كتـب الأطباء والمتكلمين إلا ونحن وجدناه، أو قريباً منه فى أشعار العرب والأعراب وفى معرفة أهل لغتنا وملّتنا ".

وللذئب فى ديوان الشعر العربى لوحات فريدة متعددة، بعضها ممحض لـتأمل عالمـه الخـاص، وبعضها متوجه إلى لون من ألوان المقارنة بين أخلاقـياته وأخلاق البشر، وبعضها يجئ فى تضاعيف عمل شعرى معين،

---

(١) مقدمة تهذيب الحيوان / عبدالسلام هارون ٨، الأصول الفنية للشعر الجاهلى د./ سعد شلبى – مكتبة غريب ص ٦١.

(٢) الحيوان ٣/٢٦٨.

كأنه جملة معترضة يلقى بها الشاعر ليضئ رقعة على مساحة الرؤية الفنية فى القصيدة.

واللوحـــات الشعرية التى تتأمل عالم الذئب فى الشعر العربى تدل على حقيقة نفسية، وعلى حقيقة أخرى فنية:

أما الحقيقة النفسية فهى ارتعاب الإنسان العربى من الغدر كخيانة فاجعة لنقاء فطرتنا الطبيعية.

وأما الحقيقة الفنية فهى عملية الإسقاط التى يقوم بها الشاعر حيث يجسد أحـــزانه ووساوسه من خلال إسقاطها على الذئب بحيث يحس المتلقى وهو يـــتأمل صور طبائع الغدر الذئبى، أنه يعيش محنة الشاعر المطعون بالغدر والخـــيانة والفقد وعذابات الضياع، أو هى تجسيد معادل موضوعى للغادر الإنسان من خلال الغادر الذئب، بحيث يحس المتلقى وهو يعيش واقع الغدر فـــى الذئب أنه يعيش واقع الغدر فى الكائن البشرى، دون أن يفصح الشاعر أو يومئ إلى وضيعة الغدر فى طبيعة الكائن البشرى ".(١)

لقد توحد الشاعر الجاهلى " مع الوحش، وحده الاستلاب الذى تمارسه الطبـــيعة علـــى كلـــيهما، ولهذا فهو لا ينشد ليتوامم مع الوحش ويكيفه مع (الأنسنة) والحياة... بل ليتصالح هو والوحش على السواء مع طبيعة أصابها اليبس ".(٢)

إن " العلاقة بين الشاعر العربى والذئب شريفة وغريبة، تتمثل طرافتها فـــى رغـــبة الاثنين فى السلام، وتبدو غرابتها فى هذه الضيافة التى يقدمها

(١) البعد الآخر فى الإبداع الشعرى. د./ محمد أحمد العزب ص ١٦٨-١٦٩ - مطبعة رفاعى ١٩٨٤.
(٢) مقالات فى الشعر الجاهلى - يوسف اليوسف ٢٠، ٢١.

الشـــاعر لزائره، وفى حديثه إليه حديث العقل والتأمل والرغبة فى التعايش بعـــيداً عـــن جـــو الخصومات والصراع، فى حين كان المفروض أن نشهد معـــركة صـــيد عنيفة يهاجم فيها الذئب بكل ضراوة، ويدافع الشاعر ببسالة نادرة تصور رجولته وشجاعته ". [1]

* * * *

(١) شـــعر الطـــرد عند العرب / عبد القادر حسن أمين ص ٢٦١ على أن كلامه هذا لا يعمّم على سائر الشعراء، بل سنجد بالفعل معارك ضارية عند البحترى والشريف الرضى وربما غيرهما.

٢ـ الذئب فى الشعر الجاهلى

- امرؤ القيس (كالخليع المعيل)
- المرقش الأكبر (وذئب قانع شاكر)
- الذئب وذؤبان العرب

الشنفرى ولاميته (... ذئاب مجتمعة متكاتفة، وأناسى مختلفة متنافرة)

- أبو كبير الهذلى (الذئب يتبع ظله)
- عمرو ذو الكلب (أُوَيْسٌ عاث فى الغنم)

امرؤ القيس

كالخليع المعَيَّلِ

" لعل أول شاعر فتح الباب لأدب الذئب فى شعرنا القديم هو امرؤ القيس، وليس من المبالغة أن قيل قديماً: " إنه حامل لواء الشعراء - إلى النار بالطبع - نعم، لقد فتح امرؤ القيس هذا الباب بأبياته المعروفة فى معلقته " [1]، يقول: [2]

(٤٩) وَقِرْبَةِ أَقْوَامٍ جَعَلْتُ عِصَامَهَا ... على كَاهِلٍ مِنِّى ذَلُولٍ مُرَحَّلِ
(٥٠) ووادٍ كجَوفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُه ... بِهِ الذئبُ يَعْوِى كالخليعِ المُعَيَّلِ [3]
(٥١) فقلتُ له لما عَوَى: إن شأنَنَا ... قليلُ الغنى إنْ كنْتَ لما تموَّلِ
(٥٢) كِلانَا إذا ما نالَ شيئًا أفاتَهُ ... ومَنْ يَحْتَرِثْ حرثى وحَرْثَك يهزِلِ
(٥٣)كلانا طَوَى كشْحًا عن الحى بعدما ... دَخَلْنَا على كلابهم كُلَّ مدخَلِ
(٥٤) طَرَحْتُ لَهُ نَعْلاً من السِّبْتِ طلة ... خلاف ندى من آخر الليل مخضل
(٥٥) فَوَلَّى بها جَذْلانَ يَنْفُضُ رأسه ... كَصَاحِبِ غُنْمٍ ظَافِرٍ بالتَّمَوُّلِ

---

(١) قراءة جديدة لشعرنا القديم - صلاح عبدالصبور - دار العودة - بيروت - ط ثالثة ص ٥٨.

(٢) الأبيات ٤٩-٥٢ فى شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنبارى ص ٨٠، ٨١، وفى الديوان ص ٣٧٢، والبيت الثانى فى المعانى الكبير ٢٠٨/١ منسوباً إلى تأبط شراً، وكذا فى الفصوص ١٦٤/٣.

(٣) قول: العَيْر هنا رجل من العمالقة، كان له بنون وواد خصب، وكان حسن الطريقة، فسافر بنوه فى بعض أسفارهم فأصابتهم صاعقة فأحرقتهم، فكفر بالله ﷻ، وقال: لا أعبد ربًا أحرق بَنِيَّ، وأخذ يعبد الأصنام، فسلط الله على ذلك الوادى ناراً فأحرقته، فما بقى منه شئ، ويضرب به المثل فى كل ما لا بقية له.

والعَيْر: حمار وحشى، وجوفه لا يُنتفع منه بشئ. الخليع: المقامر، وقيل: هو الذى خلق عذاره فليس يبالى ما ارتكب. وقيل: الذى خلعه أهله لجنايته. وقال أبوالعلاء البغدادى: والخليع: الشاطر، والخليع الصياد، سمى بذلك لانفراده، وذكر البيت. والمُعَيَّل: كثير العيال، وقيل: الذى تُرك يذهب ويجئ حيث شاء.

والبيت الأخير قريب جداً من قول المرقش: (١)

فـآض بهـا جَـذلان يـنفُضُ رأسَـهُ كمـا آب بالنَّهـب الكمـيُّ المخـالِسُ

وفي نسبة الأبيات إلى امرئ القيس خلاف:

فابـن قتيبة ينسبها إلى تأبط شرا (٢)، وأبوعبيدة والأصمعي لا يرويان الأبيات ضمن المعلقة. (٣)

وذهـب الأخفش وأبوعبيدة والأصمعي (٤) إلى أن هذه الأبيات معمولة على امرئ القيس، وتروى لتأبط شرا.

وقال البغدادي (٥): هي إلى كلام صعلوك أقرب منه إلى كلام ملوك.

وإنما دفع إلى الشك في نسبتها إلى امرئ القيس:

* كون امرئ القيس يستقي الماء ويحمل القربة على ظهره، لا ليسقي نفسـه، وإنما لأقوام (وقربة أقوام)، وهذا أمر مستبعد منه، فهو الأمير سليل الملوك، يُخْدم ولا يَخدم، يَأمر ولا يؤمر.

* قطْعه واديا كجوف العَيْر وحده، ومعلوم أن الأمراء يكونون بين خدم وحشم وحراس وحاشية... إلخ.

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) المعـاني الكبـير ٢٠٩/١، وديـوان تـأبط شـرا ١٨٣-١٨٥ تحقيق ذوالفقار شاكر - دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٨٤. ويرويها:

وقلتُ له لما عَوَى إنْ ثابتًا قليلُ الغنى.........

(٣) ابـن الأنـباري ٨٠-٨٢، جمهـرة أشعار العرب ٩٧، التبريزي ٢١، الشعراء الصعاليك د./ يوسف خليف ١٧٣-١٧٤.

(٤) السابق.

(٥) الخزانة ٩٣/١ (الشاهد رقم ١٥).

وبذلــك يكون تعارض المعنى المطروق فى الأبيات، مع مكانة الشاعر الاجتماعــية هو الذى أدى إلى رفض نسبتها إليه، فى حين تنسب إلى شاعر آخر تنسجم مع ظروفه وتساير طبيعة حياته.

غــير أن المــتأمل فى حياة امرئ القيس وأطوارها يجد أنه قد قضى طــوراً منها مع الصعاليك، فكان صعلوكاً مثلهم، وحياة الصعاليك لا يتميز فــيها واحــد عن الآخرين، كل صعلوك يخدم نفسه والآخرين، فهو مخدوم وخادم.

وهؤلاء الصعاليك فضّلوا الفيافى والمفاوز والقفار، وعاشوا فيها بالقرب من ديار العرب كالذئاب، وخبروا حيوان الوحش، فوصفوه وصف خبير.

وامرؤ القيس يصف وادياً يشبه جوفه – فى سعته – بسعة جوف حمار الوحش، والذئب فيه يعوى كما يعوى الإنسان الخليع الذى طرده أهله وتخلى عنه ذووه.

لقد اتخذ من الذئب معادلاً موضوعياً، وعلى الرغم من أن العواء للذئب أصــلاً، إلا أن الشــاعر جعلــه للإنسان، وصار الذئب يشبه الإنسان وليس العكس.

إن كلــيهما طريد، جائع، ضائع، وكلاهما يستحق ما نزل به من سحق وهوان، إذ إنه لم يوفر لغده، ولذا قال له: لا ينفع واحد منا نفسه بله الآخر، ومثلى ومثلك سوف يموت بسبب الجوع والهزال، وهذه نتيجة طبيعية.

" ونستطيع أن نلمس فى هذه الأبيات إحدى الحالات النفسية، وذلك حين مات أبوه وخلّفه مضيّعا يلتمس ثأره، ويطلب العون من وجوه العرب، حتى إذا أخفق فى طلبته طلب العون عند ملك الروم.

" إنهـا حـال رجل مضيَّع كأنه خليع خلعَتْه قبيلته، وأعلنت أن الولاء المعقـود بينه وبينها قد انحلّت عُراه، وأن ما جنى من ذنب فهو عليه، وما ارتكـب من جريرة فإثمها من نصيبه وحده، فضرب ضائعا في الصحراء، متوحدا كأنه ذئب شرس يطلب قليل الطعام أو قليل الإنصاف والانتقام (١)

والشاعر والذئب كلاهما يصرخ، ولكن صرخة الذئب تجد استجابة عند بني جنسه، أما صرخة الشاعر فهي في واد " ليس لها من سامع، والمهم أنه يصرخ، والفرق بين صراخه هنا وصراخه في الأبيات السابقة – عن الليل والمـوج – أنـه هـناك لم يكن معه أطفال صغار أبرياء، ولكنْ هنا أطفال يعانون من الجوع مثلما يعاني الذئب والإنسان جميعاً " (٢)

وفـي الأبيات إشارةٌ تُحقِّقُ نسبتها إلى امرئ القيس، ذلك ما أشار إليه الشـاعر من أنه عرف الغنى، وأنه يستحق ما نزل به لأنه لم يعرف كيف يصون النعمة ويحفظها.

يقول د./ كمال أبو ديب: (٣)

"الشـاعر والذئـب كلاهما نحيل وضعيف، وكلاهما يضيع ما كان قد حققـه، كلاهمـا عـرف زمن الامتلاء والتحقق، ولكنهما معرضان لطبيعة الزمـن الـزائلة، وهكذا فإنهما يفقدان زمن الامتلاء، وينتهيان صفر اليدين، ويظهـر الذئـب هـنا بوصفه مرآة لدخيلة الشاعر، وتجسيداً حقيقياً للبطل الخاسر، إنه يعوى في الخلاء، في وادي الخواء. ويتردد صدى هذه الصورة

---

(١) قراءة جديدة لشعرنا القديم (مرجع سابق) ص ٥٨، ٥٩.

(٢) صوت الشاعر القديم د./ مصطفى ناصف ص ١٨.

(٣) الرؤى المقنعة ص١٤٦، مجلة فصول – المجلد الرابع – العدد الثاني ص١٠٦ مقال بعنوان " معلقة امرئ القيس – الرؤية الشبقية ".

حـــاملاً إحساساً هائلاً باليأس، وسواء قصد بجوف العَيْر المعنى الحرفى أو المعـــنى الأسطورى، فإن التعبير يدل على اليأس، وهو يأس أبعد غوْرًا لو أخذناه بمعناه الأسطورى...".

* * * *

ويشبه امرؤ القيس الربئ الذى يربأ للقوم وينظر للصيد من مكان عال ساتراً نفسه لئلا يذعر الصيد، يشبهه بذئب الغضا وهو أخبث الذئاب، وذلك لأنه يمشى مختفياً مستتراً بالأشجار حتى لا تشعر به فريسته يقول:(١)

بَعَثْـــنَا ربيـــئًا قَـــبلَ ذلـــك مُخْمِـــلاً كذِئْـــبِ الغَضَـــا يمشـــى الضَّرَاءَ ويَتَّقى

وفى المعلقة يشبه حصانه – فى مشيه – بالذئب:

لَـــهُ أيْطَـــلاَ ظَـــبْيٍ وَسَـــاقَا نَعامَـــةٍ وإرخَـــاءُ سِـــرْحَانٍ وتَقْرِيـــبُ تَـــتْفُلِ

وقد ذكرنا له بيتين فى المقدمة.

* * * *

(١) ديوانه بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ص١٧٢ دار المعارف ط ثالثة. والربئ الذى يربأ للقوم أى ينظر الصيد من مكان مرتفع. مخملا: يعنى يخمل نفسه أى يسترها. الضّراء: هى مشية فيها اختيال وتبختر وراجع المثل (هو يمشى – أو يدب – له الضراء) فى باب الأمثال.

المرقش الأكبر (١) (نحو ٧٥ ق.هـ.)
وذئب قانع شاكر

قال: (٢)

١- أمِـنْ آلِ أسْمَاء الطُّلُولُ الدَّوَارِسُ ... يُخَطِّطُ فيها الطَّيْرُ قَفْرٌ بَسَابِس

٢- ذَكَرْتُ بها أسْمَاءَ لَوْ أنَّ وَلْيَها ... قَرِيبٌ ولكِنْ حَبَّسَتْنِى الحوابِس

٣- ومَنْزِلِ ضَنْكٍ لاَ أُرِيدُ مَبِيتَهُ ... كَأنِّى بِهِ مِنْ شِدَّةِ الرَّوْعِ آنِسُ

٤- لِتُبْصِرَ عَيْنِى أنْ رَأَتْنِى مَكَانَهَا ... وفى النَّفْسِ إنْ خَلَّى الطَّرِيقُ الكَوَادِسُ

---

(١) المرقش الأكبر: عمرو بن سعد – وقيل: ربيعة، وقيل: عوف بن سعيد – بن مالك بين ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة... من بنى بكر بن وائل. شاعر جاهلى، فارس صنديد، عاصر المهلهل، وشهد حرب البسوس. وهو أحد عشاق العرب المشهورين، قيل إنه مات بسبب الحيلولة بينه وبين ابنة عمه أسماء. وهو عم المرقش الأصغر، والأصغر عم طرفة بن العبد. والمرقش أحد أصحاب المنتقيات، ولقب بـ " المرقش " لقوله:

الدار وحشٌ والرُّسُوم كَمَا ... رَقَّشَ فى ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَمْ

[راجع ترجمته فى: الشعر والشعراء – ٢١٠ برقم ١١، والأغانى ١٢٧/٦ وما بعدها، معجم الشعراء ٢٠١، المؤتلف والمختلف ٢٨١، المفضليات بشرح ابن الأنبارى – ط الآباء اليسوعيين ١٩٢٠، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ٣٣٢. وغيرها]

(٢) القصيدة فى المفضليات ٤٦٢-٤٦٧، منتهى الطلب من أشعار العرب – تحقيق د./ محمد نبيل طريفى برقم ١٨٩ جـ٥١/٤. طـ دار صادر بيروت ١٩٩٩، وديوان المرقشين ص٥٥ وما بعدها تحقيق كارين صادر – دار صادر – بيروت – ط أولى ١٩٩٨م.

(ب١) الطلول: ما شخص من أسماء الديار. الرسوم: ما انخفض من آثارها. البسابس: الخالية المقفرة، واحدها بسبس.

(ب٢) الولّى: حيث نزلوا وذهبوا. وولْيُها: ناحيتها وما يليها من الأرض، وقيل: ذهابها.

(ب٣) ضنك: ضيق وشدة. من شدة الروع آنس: يقول: أنست بهذا المنزل حين نزلت به من شدة ما بى من الروع، فرميت نفسى فيه، كأنى آنس ٌ وإن كان ضيقاً ليس بموضع نزول ولست أريد النزول به.

(ب٤) الكوادس: ما يتطير منه ويتشاءم.

٥- وَجِـيفًا وإبساسًـا ونَقْـرًا وهِـزَّةً ... إلـى أنْ تكِـلَّ العِـيسُ والمرْءُ حادسُ
٦- ودَوِيَّـةٍ غَـبْرَاءَ قَـدْ طَـالَ عَهْدُهَا ... تَهَـالَكُ فـيها الـوِرْدُ والمـرءُ نَاعِسُ
٧- قَطَعْـتُ إلـى مَعْـروفِها مُـنْكَرَاتِها ... بعَـيْهامةٍ تَنْسَـلُّ واللَّـيلُ دامِـسُ
٨- تَركْـتُ بهـا لَـيْلاً طَويـلاً ومَـنْزِلاً ... ومُوقَـدَ نَـارٍ لـم تَـرُمْه القوابِـسُ
٩- وتَسْـمَعُ تَـزْقَاءً مِـن الـبُوم حوْلَنا ... كَمـا ضُـرِبَتْ بَعْـدَ الهُـدُوءِ النَّواقِسُ
١٠- فَيُصْـبِحُ مُلْقَى رَحْلِها حَيْثُ عَرَّسَتْ ... مِـن الأرْضِ قَـدْ دبَّتْ عَلَيْه الروامس
١١- وتُصْـبِحُ كَـالدَّوْدَاة نَـاطَ زِمَامَها ... إلـى شُـعَبٍ فـيها الجَوَارِى العَوَانِسُ
١٢- ولمَّـا أضَـأْنَا الـنَّارَ عنْد شِوَائنَا ... عَـرَانا علَـيْهَا أطْلَـسُ اللَّـوْنِ بائس
١٣- نَـبَذْتُ إلَـيْه حُـزَّةً مِـن شِـوَائنَا ... حَـيَاءً ومَـا فُحْشِـى عَلَى مَنْ أُجَالس

(ب٥) الوجـيف: مـن سـير الإبل والخيل وهو سير سريع، والإبساس دونه، والنَّقْر فوقه. حادس: رامٍ بنفسه على غير هداية، ومنه: الحدس أى القول بغير علم. رواية الديوان [وجيفٌ وإبساسٌ].

(ب٦) دوِّية: منسوبة إلى الدَّو، وهى القفر التى يدوى فيها الصوت لخلائها. تهالك: تسرع السير. الوِرْد: المراد بها هنا الإبل الواردة.

(ب٧) أى قطعـت ما لا يعرف من هذه الدوية حتى صرت إلى ما يُعرف. وخص سير الليل لأنه أشد من سـير الـنهار. العَـيْهامة والعيهمة: القوية الجريئة. تنسل: تنفذ نفاذاً حثيثاً، فكأنها تنسل من جلدها. الدامس: المظلم شديد السواد.

(ب٨) القوابـس: جمـع قابسـة، أى لم يكن فيه أحد يقتبس ناراً، وذلك لأنه كان وحده، لا أنيس له إلا الوحـش. وقوله: تركت بها: أى قطعتها وقد بقيت من الليل بقية. قال المرزوقى: " إنما قال تركت بها ليلاً... ومنزلا، لأنه قطعهما، فقد خلفهما وتركهما بظهر ".

(ب٩) الزقاء: صوت البوم، والتزقاء: تفعال منه.

(ب١٠) الـتعريس: الـنزول عند الصبح. الروامس: جمع رامسة وهى الريح التى تدفن الآثار، يعنى: أنه نزل من المفازة كان ملقى رحلها بهذه الصفة.

(ب١١) الـدَّوادة: ملعب الصبيان، وقيل هى الأرجوحة. ناط: علق. الشعب: شعب الجبال. العوانس: جمع عـانس وهو الرجل يأتى عليه وقت التزويج وكذا المرأة. وقيل: العوانس: اللاتى قد حُبِسْن فى بيوت أهلهن لم يتزوجن.

(ب١٢) عرانا: أتانا طالباً معروفنا. أطلس اللون: وسخ اللون وهو الذئب.

(ب١٣) فى منتهى الطلب [نبذنا إليه حزة... وما فُحْشى...].

١٤- فـأضَ بهـا جَـذْلانَ ينفُضُ راسَه ... كمـا آبَ بالنَّهْـب الكَمِـيُّ المُحَـالسُ
١٥- واعـرَضَ أعـلامٌ كَـأنَّ رُؤُوسَهَا ... رُؤُوسُ جـبالٍ فـى خلـيجٍ تَغَـامَسُ
١٦- إذَا عَلَـمٌ خَلَّفْـتُه يُهْـتَدى بِـهِ ... بَـدَا عَلَـمٌ فـى الآلِ أغـبرُ طـامِس
١٧- تعاللْـتُها ولَـيْس طِـبِّى بدَرِّهـا ... وكَـيْفَ الـتماسُ الدَّرِّ والضَّرْعُ يابِس
١٨- باسـمرَ عـارٍ صـدْرُه من جِلازِه ... وسـائرُه مـن العَلاقَـة نـائِسُ

يقـف المـرقش على أطلال " أسماء "، تلك التى كانت سبباً فى موته، حين حيل بينهما – كما هو شائع –. (١)

ويصـف منزلاً أُجبر على النزول فيه، وكان مرتاعاً أشد الروع، وقد أحاطـت بـه الهموم من كل جانب، فليصرّمها فى تلك الدوّية الغبراء التى تهلـك فيها الإبل القوية المعروفة بالتحمل والصبر. ويبدو أن المرقش رأى

(ب١٤) آض: رجـع وعـاد. الجذلان: الفرح النشيط. الكمى: الشجاع الذى يكمى بشجاعته أى يسترها. المحـالس: المخاشـن، وقـيل: الشـديد الذى لا يبرح مكانه فى الحرب. وفى رواية [المخالس]، من الاختلاس. النهب: الغنيمة.

(ب١٥) أعـرض: بدا وظهر. الجبال: الخليج ههنا من السراب، شبهه بالماء، فالجبال تطفو تارة وتغرق أخرى. وفى رواية [رؤوس رجال]. تغامس: تنغمس.

(ب١٦) الآل: سراب الضحى. طسم وطمس واحد. والطامس: الدارس الممحو.

(ب١٧) تعاللـتُها: أخذت علالتها، يريد: سيّرها مرة بعد مرة، أى ساعة يرفق بها وساعة يجهدها. طِبّى: دركى وطلبى، أى ليس طلبى درها.

(ب١٨) الأسمر: يعنى السوط. والجلْز: الفتل. علاقته: سيره الذى يعلّق به. نائس: متدلٍّ

(١) قال طرفة يذكر ذلك:

وقَـدْ ذَهَبَـت سَـلْمَى بعقلـك كلِّـه ... فهـل غَـيْرُ صَـيْدٍ أحْـرَزَتْهُ حَـبائلُه
كمـا أحْـرَزَتْ أسْـماءُ قَلْـبَ مُـرَقِّش ... بُحـبٍّ كلَمْـعِ الـبَرْقِ لاَ حَـتْ مَخَايِلُـه
وأنكـحَ أسْـماءَ المُـرادِىَّ يَبْـتَغى ... بذلـك عـوفٌ أن تصـاب مقاتلـه

ديوانه – بتحقيق الدكتور على الجندى ص١٢٧.

هـــذه الدويـــة أفضل من حيّ كان أهله سبباً فى الحيلولة بينه وبين ابنة عمه التى أحبها.

وهكـــذا يريك المرقش أنه سيئ الحظ حيث ينتقل من أطلال بالية تثير فيه الأحزان والأوجاع، إلى منزل ضنك شديد الضيق، إلى دوية مهلكة.

وأمـــا الـــزمان فليس بأقل إفزاعاً وإيحاشاً من المكان، ويزداد الرعب والفـــزع مع سماع صوت البوم المشئوم الذى يرنّ كأنه قرع نواقيس. فماذا يفعل المرقش وصحبه ؟

لقد أضاعوا النار لتحقيق ثلاثة أهداف: الأنس، والدفء، وشيّ الطعام.

وهنا تجذب النار عليهم ذئباً، بائس الحال، أطلس اللون، خميص البطن، فماذا يفعل المرقش ؟

لقـــد استبدّ به الكرم، فتخيل الذئب ضيفاً من الضيفان، فألقى إليه قطعة من الشواء، وربما دفعه إلى هذا خشيتُه من أن يرميه رفقاؤه بالبخل.

وقـــنع الذئب بما أُعْطِى، وعاد راضيًا، والدليل على ذلك أنه أخذ يهز رأســـه، وكأنـــه يعبر بذلك عن الشكر للقوم الكرام، وربما كانت سعادته بما حقـــق من هدف نتيجة لشدة بأسه، اعتقاداً منه أن القوم ما أعطوه إلا خوفاً منه، فكان كالفارس المنتشى بنصره.

"والشاعر – بحكم انتمائه إلى بيئة عربية بدوية صار الكرم فيها مظهراً اجتماعـــياً حتَّمَـــتْه طبيعةُ الصحراء القاحلة الجرداء – يأبى على نفسه، بل يرفض بإباء أن ينهر هذا الذئب الزائر فيحرمه من الزاد... " (١)

---

(١) د./ عناد إسماعيل / قراءة عصرية فى أدب الذئب عند العرب / مجلة المورد العراقية. المجلد الثامن – العدد الأول ١٩٧٩ ص ٨١-١٠٣.

وتشعر هنا بالفرق الشديد الواضح بين غلظة الذئب ورقة قلب المرقش، فقـد استجابت نفس المرقش لبؤس الذئب، وإن كان الذئب خبيث النفس سئ الطويـة، غـير أن كلاً منهما قد حقّق مأربه، فالذئب حقق سعادته بحصوله على القوت، وما ذلك إلا لما اشتهر به من البأس، فكان كالفارس المنتصر. والشـاعر كان سعيداً بما قام به من حق الضيافة، وكيف لا وهو ينتمى إلى بيئة تتغنى بالكرم ؟!.

" وقـد آثـر الشـاعر المعجـم الحربى أو الفروسى الذى يتناسب مع فروسـيته فـى صوغ صوره وتشبيهاته حتى فى وصف حالة ذئب جائع، فانظـر كـيف تحـول الذئـب من عدوّ يكرهه الجبان، إلى صديق يكرمه الشجاع"(١)

" وعناصـر الصـورة هـذه تكاد تكون مقومات كل صورة، رسمها الشـعراء للذئب، فطلسة اللون، والنار، والشواء، تتردد بكثرة، وبدلاً من أن نجـد الشـاعر يشتبك فى معركة مع الذئب نجد تعاطفاً قل نظيره. والشاعر بذلك يقدم لنا فكرة الكرم الأصيل الذى يقدم للضيف مهما كان جنسه..." (٢)

ويبدو لى أن هناك علاقة بين تصرف المرقش مع الذئب، وتصرف عم المرقش وآله إزاء زواجه من ابنة عمه.

فكأنه يقول: أنا كريم جواد، لست بخيلاً، (وما فحشى على من أجالس). ولسان حاله يقول: لماذا أُحرم ممن أحب ؟ ما الجناية التى ارتكبتها ؟...

* * * *

(١) نفسه.

(٢) الحوار فى القصيدة العربية ص ٢٣٥.

الذئب وذؤبان العرب

حظـــى الحيوان بنصيب كبير من شعر الصعاليك الجاهليين، إذ لا تكاد قصيدة تخلو من ذكر له أو إشارة إليه.

ويـــتكرر فى شعرهم الأنس بالوحش، والاطمئنان إليه، فهم لا يخشون بأسه، ولا يخافون خطره، فهذا تأبط شرا يقول: (١)

يَبِيــتُ بمَغْــنَى الوَحْــشِ حَــتَّى أَلِفْنَه ... ويُصْــبِحُ لا يَحْمــى لهــا الدَّهْرَ مَرْتَعا
رَأَيْــنَ فــتًى لا صَــيْدُ وحْــشٍ يُهِمُّــه ... فَلَــوْ صَــافَحَتْ إنسًــا لصَــافَحْنَه مَعا
ولكــنْ أَرْبَــابَ المَخَــاضِ يُشِــقُّهم ... إذا افْــــتَقَدُوه أَوْ رَأَوْه مُشَــــيَّعا

لقد صار أليفاً للوحش، فى حين أن الآدميين يخشونه، ويحذرونه، ذلك أن الصـــعلوك استبدل الوحش بالإنسان، إذ وجد فيه صفات افتقدها فى أهله وذويه، ووصل الأمر إلى أن أقيم بينهما ما يشبه الحلف: (٢)

وحَالَفْــــتُ الوُحُــــوشَ وحَالَفَتْــــنى ... بقُــــربِ عُهُودِهِــــنَّ وبالــــبِعَادِ
وأَمْسَــى الذِّئْــبُ يَرْصُــدُنى مخشًّــا ... لخِفَّــــةِ ضَــــرْبَتى ولضَــــعْفِ آدى

وقال الشنفرى: (٣)

ولِــى دُونَكُــمْ أَهْلُــونَ: سِــيدٌ عَمَلَّسٌ ... وَأَرْقَــطُ زُهْلُــولٌ وعَــرْفَاءُ جَــيْأَلُ
هُــمُ الأَهْــلُ، لاَ مُسْــتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ ... لَدَيْهِــم ولاَ الجَــانى بمَــا جَــرَّ يُخْذَلُ

إنها " فروسية (اللا انتماء)، أو رفض رابطة الدم من أجل إقامة رابطة مـــن نوع آخر قد تكون النواة الأولى للرابطة الطبقية... وهى لا تستند إلى

---

(١) الأغـــانى _دار) ٢١/١٤٥، شـــعر تـــأبط شرا ص٩٧ تحقيق سلمان داود القرة غولى وجبار تعبان الجاسم – العراق. وراجع تحليلا لهذه القصيدة فى كتابنا (من الأدب الجاهلى)

(٢) الحيوان للجاحظ ٦/١٥٩.

(٣) لامية العرب / ص٤١.

شـــعور بالواجب، بل إلى الفردية التى تحس إحساساً طاغياً أنها قادرة على هدم قانون الضرورة، وتحقيق ما يعتبره العقل مستحيلاً"(١)

والصـــعاليك هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم "ذؤبان العرب" إذ وجدوا أن هناك أوجه شبه كثيرة بينهم وبين ذئاب الوحش، ها هو الشنفرى يخرج فى فتية من "فهم" يصفهم فيقول: (٢)

خَرَجْـنَا فَلَـمْ نَعْهَـد وقلَّـت وصـاتُنَا   ثمانـــية مـــا بَعْدهـــا مُتَعَتَّـــبُ
سَـــرَاحِينُ فِتْـــيَان كَـــأنَّ وُجُوهَهُـــمْ   مَصَـــابيحُ أَوْ لَـــوْنٌ مـــن المَاءِ مذهبُ

لقد جمع بينهم:

* الجوع، فهو أمر طبيعى فى تلك الصحراء، ومن ثم عوّدوا أنفسهم عليه حتى قال الشنفرى: (٣)

أديـــمُ مطَـــالَ الجُـــوع حَـــتَّى أُميـــتَه   وَأَضْـــرِبُ عَـــنْهُ الذِّكْـــرَ صَـــفْحًا فَأُذْهَلُ
وَأطْوِى عَلَى الخُمْصِ الحوايا كما انْطَوَتْ   خُـــيُوطَةُ مَـــاوِىٍّ تُغَـــارُ وتُفْـــتَلُ

* عدم ادخار الزاد، قال تأبط شرا: (٤)

قَلِـــيلُ ادِّخَـــارِ الـــزَّاد إلاَّ تَعِلَّـــةً   فَقَـــدْ نَشَـــزَ الشُّرْسُوفُ والتصق المِعَى

وقال امرؤ القيس مخاطباً الذئب: (٥)

كِلانَـــا إذَا مـــا نَـــالَ شَـــيْئًا أَفَاتَـــه   ومِـــنْ يَحْـــتَرِثْ حَـــرْثى وحَرْثَك يهْزَل

إلى غير ذلك مما سيأتى.

---

(١) مقدمة للشعر العربى ص ١٩.

(٢) الأغانى ١٨/٢١٥، ٢١٦ ، الطرائف الأدبية ٣٢. والسراحين: الذئاب.

(٣) لامية العرب / نشيد الصحراء لشاعر الأزد الشنفرى ص ٥٧.

(٤) قصيدة (أليف الوحش) أشرنا إليها سابقاً.

(٥) سبق.

* سرعة العَدْو، وهى فى الذئب معروفة (وسيأتى الحديث عنها)، واشتهر بها الصعاليك، حيث كانت سلاحاً أساسياً للصعاليك، فكان تأبط شرا - مثلاً - أعدى ذى رجلين، وذى ساقين، يقول: [1]

لا شئَ أسرَعُ منّى غيْر ذى عُذَرٍ   أوْ ذِى جَنَاحٍ بِجَنْبِ الرَّيْدِ خَفَّاقِ

وبالغوا فى الحديث عن سرعته فقالوا: كان إذا جاع لم تقم له قائمة، ينظر إلى الظباء، فينتقى أسمنها، ثم يجرى خلفه فيذبحه بسيفه، ثم يشويه فيأكله.[2]

وأياً ما كان الأمر فإن موهبة هؤلاء العدّائين من الصعاليك كانت فوق الطاقة والمقدرة العادية بكثير... وهذه الصفة العجيبة البارعة فى الصعاليك كانت من عوامل لفت أنظار المجتمع إليهم وتناقله لأخبارهم هذه فى تعجب وغرابة. [3]

* كلاهما ابن ليل، أسود، مقطوع من الليل ثوبه - على حد قول الشريف الرضى [4] -، أو لابس الليل - على حد قول تأبط شرا -.

فالذئب - كما هو معروف - يطرق عادة مع الليل، ونشاط الصعاليك كذلك بالليل، يقول إيليا الحاوى عن الشنفرى:

" وإنما كان الدافع المضمر - أى للعزلة - أنه كان ابن الظلام، ابن السواد وللسواد طباعه، وهو ربيب الضباع، تصول وتجول فيه، وتقيم وترحل، إنها تتوارى غالباً فى النهار، وتعود فى الليل فتظهر، وكأن مملكتها

(١) المفضليات ٢٣، الجمهرة ٢٦٧/١.

(٢) الأغانى جـ ١٢٨/٢١ والمفضليات ٩.

(٣) راجع / شاعر الصعاليك الشنفرى - د./ عبدالحليم حفنى ٥٦.

(٤) سيأتى ضمن قصيدة له.

هـــى من عالم السواد، فتلك الوحوش هى أشبه بأقران له، السواد الذى يرين علـــى وجهه، ويطبع نفسه، ويلج إلى قاع ضميره المظلم إنما كان يوحد بين مصـــيره ومصير تلك البهائم.. كان لابد من أن يعايش الوحوش وهى مثله تأنس بالظلام وتركن إليه، وتتجول فى قلبه بطمأنينة وكأنه عالمها الوحيد"(١)

يقول الشنفرى واصفاً إحدى غاراته الليلية:

وَلَـيْلَة نَحْـسٍ يَصْـطَلِى القَوْسَ رَبُّها ... وأقْـــطُعه اللاتــــى بهـــا يَتَنَـــبَّلُ
دَعَسْــتُ على غطش وبَغْش وصُحْبَتِى ... ســـعار وإرزيـــزٌ وَوَجْـــرٌ وأفكـــل
فأيَّمْـــتُ نِسْـــوَانًا، وأيْتَمْـــتُ ولـــدَةً ... وَعُـــدْتُ كَمَـــا أبْـــدأتُ واللَّـــيلُ ألْـــيَلُ
وأصْـــبَحَ عَـــى بالغُمَيْصَـــاء جَالِسًـــا ... فَـــرِيقان مَسْـــئُولٌ وأخَـــرُ يَسْـــألُ
فَقَـــالُوا: لقَـــد هَـــرّتْ بِلَـــيْلٍ كلابُـــنَا ... فَقُلْـــنا: أذئـــبٌ عَـــسّ ؟ أم عَسّ فُرْعُلُ
فلـــم تَـــكُ إلاّ نَـــبْأةٌ ثُـــمّ هَوّمَـــتْ ... فَقُلْـــنَا قَطَـــاةٌ رِيـــعَ أم رِيـــعَ فُـــرْعُلُ
فَـــإنْ يَـــكُ مـــن جـــنٌ لأبـــرحَ طارِقًا ... وإن يـــك إنسًـــا مـــا كهـــا الإنس يفعل

ويقول تأبط شرا: (٢)

فلـــم تَـــرَ مـــنْ رَأى فتـــيلاً وحَـــاذَرَتْ ... تَأيُّمَهَـــا مـــن لابـــس اللـــيل أروعـــا

* **النوم اليقظ**، وقد ضرب المثل بالذئب فى ذلك، إذ ينام بإحدى عينيه – كمـــا سيأتى –. أما الصعاليك فلأنهم واترون وموتورون وجب عليهم أن يكونوا حذرين يقظين، يقول تأبط شرا: (٣)

قَلِـــيلُ غِـــرَارِ الـــنَّوْمِ أكْـــبَرُ هَمِّـــه ... دَمُ الـــثَّأرِ أوْ يَلْقَـــى كمـــيًّا مُقَـــنَّعَا

---

(١) فى النقد والأدب ١/٣٧٠.

(٢) مـــن قصيدة (أليف الوحش) وهى فى ديوان تأبط شرا ص١١٣ جمع وتحقيق ذو الفقار شاكر – دار الغرب الإسلامى – ط أولى ١٩٨٤.

(٣) نفسه.

ويقول: (١)

إذا خَـاطَ عَيْنَـيْه كَـرَى الـنَّوم لم يزل لــه كالــئٌ مــن قَلْــب شَـيْحَان فاتك
وَيَجْعَــلُ عَيْنَيْــه رَبِيــئةَ قَلْبِــه إلَــى سَـلَّةٍ مــن حَــدّ أخضَـر بــاتك

* **التشــرد والضياع والمصير المشترك**، ولذا قال امرؤ القيس – حين تصعلك –: (٢)

وواد كَجَــوْف العَـيْرِ قَفْـرٍ قَطَعْـتُهُ بِــه الذِّئْــبُ يَعْــوى كالخَلِــيع المُعَيَّل
فَقُلْــتُ لَــهُ لَمَّــا عَــوَى إنَّ شَــأْنَنَا قَلِــيلُ الغِــنَى إن كنــتَ لمَّــا تمــول
كلانَــا إذَا مَــا نَــالَ شَــيْئًا أفَاتَــه ومَــن يَحْــتَرِثْ حَــرْثى وحرثك يهزل

* **ضــآلة الأجسام**، بسبب قلة الزاد، ولأن العَدْوَ يستلزم ذلك.. فالذئب دائماً هزيل ضعيف، وكثير من أسمائه تدل على خفته، وكذلك الصعلوك..

إلى غير ذلك من صفات وعادات تجمع بين الذئاب والذؤبان.

ومن هنا كان من الطبيعى أن يكون الصعاليك أولى وأحق بالحديث عن الذئــاب وإلــيهم، كيف لا وقد عايشوها، وخبروا حالها، ورصدوا حركاتها وسكناتها، ونومها ويقظتها ؟!.

---

(١) نفســه ١٥٢. والبيت الثانى ذكره المحقق وقال: هى إحدى روايتين للبيت الثامن. كرى النوم: غلبة النوم. الكالئ: الحفيظ الذى يكلأ الخطر ويدفعه. والشيحان: الحذر الحازم. الفاتك: الشديد.

(٢) سبقت.

الشنفرى (*)

ذئاب مجتمعة متكاتفة، وأناسيُّ مختلفة متنافرة

قال فى لاميته:

٥- ولِــى دُونَكُــمْ أهلُونَ: سِيدٌ عَمَلَّسٌ   وأرقَــطُ زُهلُــولٌ وَعَــرْفَاءُ جَــيْأَلُ

٦- هُــمُ الأهْلُ، لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذائعٌ   لديْهِــم، ولا الجَــانِى بِمَــا جَــرَّ يُخْذَلِ

إلى أن يقول:

٢٦- وأغْــدُو على القُوتِ الزَّهيدِ كَمَا غَدَا   أزَلُّ تَهَــادَاه التَّــنَائِفُ أطْحَــلُ

٢٧- غَــدَا طاوِيًــا يَسْتَعْرِضُ الرِّيحَ هافياً   يَخُــوتُ بأذْنَــابِ الشِّــعَابِ وَيَعْسِــلُ

(*) الشــنفرى: هــو ثابــت بن أوس، أو الشنفرى بن الأواس. أحد صعاليك العصر الجاهلى وأشهرهم، ينتهى نســبه إلى قبيلة أزد بوجه عام، وبنى سلامان بوجه خاص.. صاحب اللامية المشهورة التى منها هذه الأبيات.

الـنص والـترجمة فى: الأغانى ٢١/١٧٩-١٩٥، سمط اللآلى ٤١٣، بلوغ الأرب فى شرح لامية العرب ص١٢٩ ومــا بعدهــا، ط دار الحديث – القاهرة، نهاية الأرب فى شرح لامية العرب / ابن عطاء الله المصــرى الأزهرى – تحقيق الدكتور عبدالله الغزالى – حوليات كلية الآداب – الكويت، مختارات ابن الشجرى ١٨-٢٥ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ثانية ١٩٨٠ – تحقيق محمود حسن زناتى... وغيرها.

(ب٥) السِّـيد: اســم للذئب. عملَّس: خفيف فى الجرى. أرقط: نمر. زهلول: أملس خفيف. عرفاء: ضبع طويلة العرف. جيأل: اسم للضبع.

(ب٢٦) أعــدو: أجِــدّ، وأصل العدو: شدة السير، وهناك رواية أخرى بالغين المعجمة [أغدو] من الغدو، وبالــتالى تكــون رواية البيت التالى [غدا طاويا]. القوت الزهيد: الرزق القليل اليسير الذى من شأنه أن يــزهد فــيه ويرغب عنه لقلته. وقيل: هو ما يمسك الرمق. الأزل: الذئب الجائع، وقيل: هو خفيف الوركيــن والمســمع. تهاداه: تترامى به. التنائف: جمع تنوفة وهى المفازة. أطحل: لونه أحمر يضرب إلى السواد، وقيل: لونه بين الغبرة والبياض.

(ب٢٧) غــدا: أى الأزل. طاويــا: أى صــابراً علــى الجوع، كأنه طوى أحشاءه على الجوع. يستعرض الــريح: أى يســير جهة هبوبها، وهو أصعب السير لوجود عائق. وفى رواية: (يعارض). هافيا: أى

٢٨- فلمـا لَـواهُ القُـوتُ من حَيْثُ أَمَّهُ دَعَـا فأَجَابَتْـه نَظَائِـرُ نُحَّـلُ
٢٩- مهلَّلَـةٌ شِـيبُ الوُجـوه كأنَّهَـا قِـدَاحٌ بكفَّـىْ ياسـرٍ تَـتَقَلْقَلُ
٣٠- أو الخَشْـرمُ المَـبْعُوثُ حثْحَثَ دَبْرَه محابيـض أرسـاهن سـام مُعسِّـلُ
٣١- مُهَـرتَّةٌ فُـوهٌ كَـأنَّ شُـدُوقَهَا شُـقُوقُ العِصِـىِّ كالحـاتٌ وبُسَّـلُ
٣٢- فَضَـجَّ وَضَـجَّتْ بالـبَرَاحِ كأنَّهـا وإيـاه نُـوحٌ فَـوْقَ علـياءَ ثُكَّـلُ
٣٣- وَأَغْضَى وأَغْضَتْ وابْتَسى وابْتَسَتْ به مَرَامِـيلُ عَـزَّاهَا وعَـزَّتْهُ مُـرْمِلُ

يذهب مسرعاً يميناً وشمالاً من شدة الجوع. يخوت: أى يُسمع صوتُ انقضاضه. بأذناب الشعاب: أى أواخرها. والشعب: الطريق فى الجبل. ويعسل: أى يمر مرا سريعاً.

(ب٢٨) لـواه القـوت: دفعه. من حيث أمه: أى من المكان الذى قصده فيه. نظائر نحل: أى ذئاب مثله ضوامر مهازيل، أى: أنه لما عز عليه القوت طلبه عند غيره فوجد حاله كحاله فى الهزال من الجوع.

(ب٢٩) مهللة: أى دقيقة الجسم كأنها أهلّة . وفى رواية (مهلهلة) . شيب الوجوه: يقال: إن وجوه الذئاب ترى كأنها شيب سيّما فى حالة الجوع. قداح: جمع قدح، والمراد قداح الميسر. ياسر: ضارب القداح. تتقلقل: أى تضطرب وتتحرك. والمعنى: لما دعا الأزل أجابته النظائر على هذا الحال، فلشدة حالها تمشى مضطربة.

(ب٣٠) الخشرم: رئيس النحل. المبعوث: المهاج والمنبعث فى السير. حثحث: أى حث وحضّ. دَبْرَه: جماعة النحل، أو هى واحدة النحل كتمر وتمرة. محابيض: جمع محبض، وقيل: جمع محابض. والمحبض: خشبة يستخرج المشتار بها العسل من كوته. وقيل: عود يكون مع مشتار العسل يثير به النحل. أرساهن: أثبتهن. سام: مرتفع، لأن من شأن النحل أن يعسل بمكان سام ممتنع. معسل: طالب العسل.

(ب٣١) مهرتة فوه: أى مشقوقة الفم شقا واسعاً فهى مفتوحة الأفواه. شدوقها: أفواهها، وخص شقوق العصى لأنها فى غاية الاتساع. كالحات: عابسات. بسّل: كريهات المنظر.

(ب٣٢) فضج: أى ضجر ذلك الأزل. وضجت: أى نظائره من الذئاب. بالبراح: أى بالمفازة الواسعة، أو الأرض الواسعة التى لا زرع فيها ولا شجر. نوح: جمع نائح ونائحة، ويجوز أن تكون مصدراً وصف به للمبالغة. علياء: مرتفعة. ثكل: جمع ثكلى، وهى المرأة الحزينة على فقد ولدها أو زوجها.

(ب٣٣) أغضى: أى الأزل. وأغضت: أى النظائر، أى صبر كل منهما على فقد القوت صبراً جميلاً بعد كمال الجد فى تحصيله. ابتسى وابتست به، وفى رواية: (ائتسى وائتست به) وفى رواية (وانتسى

٣٤- شَكَا وشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ ... ولَلصَّبْرُ إنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أجْمَلُ

٣٥- وَفَاءَ وفَاءَتْ بَادِرَاتٍ وَكُلُّهَا ... عَلَى نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ

* * *

لقد ضاق الشنفرى ذرعا بالإنس، فاستبدل بهم هذه الطوائف من الوحوش (النمر – الذئب – الضبع)، ولما فقد أهله فى عالم الإنس يمّم وجهه نحو عالم الوحش الذين لا يفشون سراً، ولا يخذلون جانياً بجريرة ارتكبها، إنه مجتمع جديد اختاره الشاعر.

ولى دُونَكُمْ أهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وأرْقَطُ زُهْلُولٌ وعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ ... لديهم ولا الجانى بما جَرَّ يُخْذَلُ

لقد جمع " الجوع " و " البؤس " بين طائفة الصعاليك – ذؤبان العرب – وذئاب الوحش.

والصعاليك حين يصفون الحيوان عموماً يصفونه وصف خبير مشاهد، راء، معاين وليس سامعا. يصفونه من الداخل وليس من الخارج.

فالذئب الموصوف هنا معادل موضوعى للشنفرى، وبقية الذئاب تعادل سائر الصعاليك، لقد ألحّ الجوع عليهما، وبات مفروضاً أن يغدو كل منهما على القوت الزهيد فى تلك المفازة.

والتست به) وكلاهما بمعنى، أى تأسى كل منهما بالآخر، الأزل والنظائر فى الصبر على المجاعة عند فقد القوت. مراميل: جمع مرملة، وهى فى الأصل: المرأة التى لا زاد معها، وأراد بها تلك النظائر التى لا قوت لها. عزاها: أى حمل تلك النظائر المراميل على الصبر.

(ب٣٤) شكا: أى الذئب للذئاب عند اجتماعهم ما يجده من الجوع والخيبة فى الطلب، وشكت هى ذلك. ثم ارعوى أى رجع عن الشكوى.

(ب٣٥) فاء: أى رجع ذلك الأزل إلى مأواه بعد أن لم يجد قوتا. بادرات: سريعات. وكلها: أى كل فريق من فريقى الأزل والنظائر. نكظ: شدة الجوع. مما يكاتم: أى يكتم ويخفى. مجمل: آت بصبر جميل

٢٦- وأغـدُو على القُوتِ الزّهيد كَمَا غَدَا أزَلُّ تَهَــادَاه التَّـــنَائِفُ أطْحَـــلُ

إن الجوع في الصحراء أمر طبيعي، والشنفرى يحاول أن يضع فلسفة خاصــة له يقــيمها علــى قاعدة أخلاقية، فهو لا يريد أن يُذم، ولا يريد أن يحصــل على القوت بسفح ماء الوجه، إذ لو فعل لتوافر المأكل والمشرب، وكأن النتيجة الطبيعية لما هو فيه من بلوى أن يتأسى بالذئب، فرسم صورة للذئاب رسم خبير، عارف بها، وبخفايا حياتها... " [1]

والشــنفرى إذ يشبه نفسه بهذا الذئب الباحث عن الطعام لم يكن متخيّلاً ولا متكلّفاً ولا مبعداً عن الحقيقة، لأنه يبحث عن حيوان يأكله، كما أن الذئب هو الآخر يبحث عن حيوان يأكله.. [2]

٢٧- غَـدَا طاويَـا يَسْتَعْرِضُ الرِّيحَ هافياً يَخُــوتُ بأذْنَــابِ الشِّــعَابِ وَيَعْسِـــلُ

هــاهو الذئــب يستعرض الريح، مكلفاً نفسه عناء ومشقة، كل ذلك في سبيل الحصول على القوت. وهذا يدل على " خبرة الشنفرى بالبيئة، فالذئب يمشي عكس الريح " يعارض الريح " لأنه متميز بحاسة الشم... والريح تأتي معهــا بــرائحة الفريسة إن وجدت، فيمشي عكسها بخلاف ما لو مشى في اتجاهها ". [3]

وكان الذئب (طاويا) والطوى أعلا مراتب الجوع بعد الغَرْث، والسغب، فهما دونه.

---

(١) شعر الطرد عند العرب / عبدالقادر حسن أمين ط بغداد ١٩٧٢.

(٢) الشنفرى الصعلوك د./ عبدالحليم حفني ص١٥٦ وما بعدها.

(٣) نفسه ١٣١.

وتأمل قوله (يستعرض) أى يمشى عكس اتجاه الريح، إنها "المعارضة" الــتى يعيشــها – أو عاشــها – الشنفرى نفسه، مع الواقع المؤلم فى قومه، فرفض المجتمع بما فيه ومن فيه.

وبذلــك تكــون معارضـــة الذئـــب للريح رمزًا لمعارضة الواقع عند الصعاليك عموماً، والشنفرى بوجه خاص.

" وتقــوم قــوة اللغـــة فى هذا البيت على الإكثار من ألفاظ تشير إلى الحـــركة، وعلى وجه الخصوص إلى التسارع والتباطؤ المتلاحقين، بحيث جاءت الصورة وكأنها " غَلْى مِرْجَل " على حد تعبير امرئ القيس... " (١)

لقــد كان الذئب خفيفاً لهزاله وضمور جسده، بسبب تتابع الجوع عليه، حتى صارت الريح تطيّره.

والذئب الذى " يخوت بأذناب الشعاب ويعسل " هو رغبة أو دافع يخوت ويعسل فى داخل الشاعر.

" فالذئـــب هو الشاعر نفسه، ذاب فيه واندمج وإياه فى كيفية واحدة، أو هو النائب والممثل لمشاعره وبنيانه الداخلى...".

" وفـــى هـــذه اللوحـــة نجـــد الشاعر يسحب السحق من المجتمع على الطبيعة، لقد هرب الشنفرى من المجتمع القاهر إلى الطبيعة، فماذا وجد ؟

وجـــد سحقاً أشد ضرواة ، يصوره البيتان التاسع والعشرون والحادى والـــثلاثون. فالوحوش تتعرض لقمع الطبيعة كما تعرض هو لقمع المجتمع.

---

(١) مقالات فى الشعر الجاهلى/ يوسف اليوسف ص٢٥٥.

إنهــا الفجــيعة فى كل مكان، وإزاء هذه الفجيعة الكلية الحضور لم يكن فى وسع الشاعر إلا أن يضج... " (١)

وإذا ما تصورنا حالة الذئب وهو يحاول الانقضاض ثم الارتداد أدركنا ســر " يعســل " التى ختم بها البيت، فالذئب ليس فى حالة انقضاض دائمة، وإنما هو يناور، مرة يبطئ وأخرى يسرع منقضاً... (٢)

٢٨- فَلَمَّــا لَــوَاهُ القُــوتُ من حَيْثُ أَمَّهُ دَعَــا فَأَجَابَــتْهُ نَظَائِــرُ نُحَّــلُ

تــأمل لفــظ (لــواه)، الذى يوحى بالقهر والسحق اللذين أصابا الذئب والشنفرى معاً، فالشاعر يرى صورته هو، وسحقه هو، ومعاناته هو..

الفــرق بين الذئب والشنفرى: أن الشنفرى استغاث فلم يعبأ به أحد، أما الذئــب فــبمجرد أن دعا وجد الاستجابة الفورية من (النظائر النحّل).. هذا التجاوب السريع فى عالم الوحش هو الذى جعل الشنفرى يلجأ إليه، ويؤثره على عالم الإنس..

فــى عــالم الوحش " يجد معنى النسق الجماعى الحقيقى، ويجد وحدة الإيقــاع التى تتحقق من ناحية فى نموذج لوحة الذئاب الجائعة الباحثة عن الطعام تحت إمرة رئيسها. ومن ناحية ثانية يجدها فى لغة الشعر التى تعبر عــن تــناغم أجزاء الفعل المتلاحقة تناغماً تتحقق فيه أقصى درجات القيد والحرية فى آن واحد ". (٣)

---

(١) نفسه.

(٢) أحمد موسى الجاسم ١٩٦.

(٣) متعة تذوق الشعر د./ أحمد درويش ص١٦ دار غريب.

والشاعر هنا يعمد إلى تجسيد موقف السغب، فأتى بذئاب كثيرة، أقبلت وشاركت هذا المتوحد فى ضياعه، وفى نفس الوقت دل الشاعر هنا على نوع من القيادة أو التبعية، تبعية القطيع لقائد ما، وهذا - أيضاً - يدل على تأثير عادات الحيوان وخصائصه وصلته بأخواته، وينم عن مراقبة شديدة له، بالإضافة إلى المعاناة والمشاركة، ومع أن الجوع هو الداعى لتجمع هذه الذئاب إلا أن الدافع الأعمق من هذا هو حرص الشاعر على بيان تجمع القطيع... " [1] هذا التجمع الذى افتقده هناك، فى القبيلة.

٢٩- مهلَّلَةٌ شِيبُ الوُجُوه كأنَّهَا قِدَاحٌ بكفَّيْ ياسِرٍ تَتَقَلْقَلُ

وفى رواية " مهلهلة " وهى فى رأيى أفضل، وتتفق مع " شيب الوجوه" أى صارت هذه الوجوه مشقوقة مع الشيب لكثرة همومها، وشدة معاناتها.

لقد أضحت ناحلة هزيلة مثل أولئك المسنّين الضعاف الذين لا يثبتون فى سيرهم، أو هى مثل قداح الميسر بكف ضارب القداح تضطرب وتتحرك.

" ولفظة القافية هنا هى ارتداد على اللفظة الأولى للبيت، إذ إن ما هى "مهلهلة" لابد لها من أن "تتقلقل"، أو هى - على الأقل - تحمل قابلية التقلقل، نظراً لرقتها ووهنها، لقد صور النحول والهزال بهاتين اللفظتين تصويراً يستهدف التأثير على مشاعرنا أو استمالتنا إلى وحوشه واستدرار عطفنا عليها.

---

(١) الزمان والمكان وأثرهما فى حياة الشاعر الجاهلى وشعره د./ صلاح عبد الحافظ جـ٢/١٤٦.

" وهكــذا جــاءت لفظــة " تتقلقل " لتغنى المعنى وتعمقه، ولترتبط فى الوقت نفسه بالمضمون العام ارتباطاً وثيقاً " (١)

٣٠- أو الخَشْـرَمُ المَـبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَه ... محابِـيض أرســاهن ســام مُعَسِّــلُ
٣١- مُهَــرَّتَةٌ فُــوهٌ كَــأنّ شُــدُوقَهَا ... شُــقُوقُ العِصِــىِّ كالحــاتٌ وبُسَّــلُ
٣٢- فَضَــجَّ وَضَــجَّتْ بالــبَرَاحِ كَأنّهــا ... وإيــاه نُــوحٌ فَــوقَ عَلْــيَاءَ ثُكّــلُ
٣٣- وَأغْضَى وأغْضَتْ واتَّسَى واتَّسَتْ به ... مَرَامِــيلُ عَــزّاهَا وعَــزَّتْهُ مُــرْمِلُ
٣٤- شَكَا وشَكَتْ ثُمّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ ... وَلَلصَّــبْرُ إنْ لَــم يَــنْفَعِ الشَّــكْوُ أجْمَلُ
٣٥- وَفَــاءَ وفَــاءَتْ بَــادِرَاتٍ وكُلُّهــا ... عَلَــى نَكَــظٍ مِمّــا يُكَــاتِمُ مُجْمِــلُ

هــنا يصف جماعة من النحل مروّعة بفقد خلاياها "بيوتها" إذ إن جامع العســل لم يكتف بأخذ العسل ليستفيد منه، بل إنه كان عدوانياً انتقامياً، حيث قام بهدم البيوت، وبذلك دخل النحل ضمن المقهورين الذين وقع عليهم سحق الطبــيعة، مــع أن الذى قام بالهدم والسحق أفاد من هذا النحل، وكان واجباً عليه أن يبادل بالإحسان إحسانا لكنه قابل الإحسان بإساءة.. وكأنى بالشنفرى يتخذ من هذا الرجل العدوانى نموذجاً للظلم والتعدى، فهو مثل رؤساء القبائل الذين يجورون ويظلمون، يأكلون أبناء القبيلة لحماً ويرمونهم عظما..

لما رأى النّحل بيوته وقد هدمت أصابته دهشة شديدة، صار من جرائها فاتحاً أفواهه.

وأقــام الــنحل مأتمــا يبكى بيوته المهدّمة التى صارت أطلالاً، وكان "الخشــرم" قــائداً لجماعــة النحل فى ذلك المأتم، فصارت مثل نساء ثكالى نائحات.

---

(١) يوسف اليوسف / مرجع سابق ص٢٦٩.

وبعد مدة من النواح أدرك النحل عدم جدوى البكاء، فلن يعود ما ضاع، والمخرج الوحيد هو إعادة البناء. (فما فائدة البكاء على اللبن المسكوب).

لم يكن الشنفرى دقيقاً فى وصف الذئب فحسب، بل فى وصف جماعة النحل.. وكأنه كان مصطحباً معه عدسة مكبّرة أخذ يسلطها على وجه النحل واحدة واحدة، ومن هنا استطاع أن يرصد الانفعالات البادية على وجوهها، فـرأى أفواههـا المشـقفة والتى توحى بكراهية المنظر. إنها قمة الدقة فى الملاحظة.

وقد يكون الحديث عن الذئاب التى اتخذت لها قائداً وصارت هى تابعة لـه مـن خلفه (فضج وضجت، وأغضى وأغضت، وابتَسَى وابتَسَتْ به، شكا وشكت، ارعوى وارعوت، فاء وفاءت).

والذئاب هنا منظرها بشع، أفواهها مشققة، كأن جوانبها عصى مشقوقة.

وقولـه (فضجَّ) التى تتصدر البيت (٣٢) هى إفصاح جاهر عن حالة الانفجـار الـتى أصيب بها الشاعر، وإن كان فاعلها الشكلى هو الذئب، لا الشاعر.

ولفظـة (ثكّل) التى ختم بها البيت تعمق المأساة، تلك التى اكتملت بلفظ (نوّح) الواقعة فى ثناياه، وتكمل اللوحة التراجيدية التى تسيطر على المتلقى.

وتوزيع الألفاظ على ذلك النحو (الهندسى): استهلال، وقلب، وختام هو الذى يضفى طابع الحزن العميق على الصورة.

ولكـن حالة الانفجار هذه بما لها من قدرة امتصاصية، يعقبها انصياع تمليه الضرورة الخانقة، فجاءت ألفاظ البيت الثانى بتواتراتها الثنائية، معبرة خير تعبير عن هذه النزعة الامتثالية:

(فَأغْضَـــى وأغْضَـــتْ) بعدمـــا (شَكَا وشَكَتْ)، ثم ما لبث أن (ارْعَوَى وَارْعَوَتْ).

إنه الانفراج من خلال النكوص، وفى كل هذا نلمس أثر العامل النفسى على اللغة وتناسجها. (١)

" إن وحـــدة النســـق بيـــن الجماعة والقائد، وانسجام البنية اللغوية مع الموقف تبلغ درجة رفيعة فى هذا المقطع الأخير، حيث تشكل (حزمة) الفعل ورد الفعل من خلال ستة أفعال متتالية: ضج، أغضى، اتسى، شكا، ارعوى، فـــاء، وفـــى مرات ورودها الست يأتى صوت القائد أولاً عالياً ومطلقا، من خـــلال اعتماده على حركة الفتح الطويلة أو القصيرة فى نهاية الفعل، يتبعه صـــوت الجماعة ملتزماً ومقيداً من خلال مجيئه تالياً دائماً وملتزماً بسكون تاء الفعل... " (٢)

لقد تآزرت "الجمل الفعلية فى تحقيق صفة المساواة التى افتقدها الشاعر فـــى قومـــه، ورآهـــا تتجلى فى مجتمعه الجديد، حيث يخضع أفراده لقانون واحـــد، وتقـــوم العلاقـــة بينهم على التكافؤ سلباً وإيجاباً، فإذا جاعوا جاعوا جمـــيعا، وإذا شـــبعوا شبعوا جميعا، وإذا تألموا تألموا جميعا. وتقوم الجمل الفعلية المترادفة بتحقيق ذلك التماثل والتماهى الدقيق بصورة مدهشة، حيث تتعاقب الأفعال بهيئتها وصورتها ودلالتها تأكيداً للمساواة فى كل شىء".

---

(١) يوسف اليوسف ٢٥٨ (بإيجاز وتصرف).

(٢) متعة تذوق الشعر ١٨.

وذلك فى الأفعال (فضجَّ وضجتْ، وأغضى وأغضت، وابسى وابست، شكا وشكت. إلخ) [1]

وهكــذا تــبدّت الذئاب فى اللامية كاشفة عن وحدة الشاعر، وغربته، وحاجته إلى نظائر.

وكشفت القصيدة عن قلق الشاعر، وتوزع نفسه بين المضى فى التمرد، والاستمرار فى حياة الصعلكة – رغم معاناته – والتفكير – ولو للحظات – فى التراجع والاستسلام والعودة إلى الانتماء.

فالألفاظ توحى بذلك، وتحمل معنى العودة والرجوع، والارتداد.

لقد أحسن الشنفرى تصوير تلك الذئاب و "جعله واضحاً مشخصاً، فاتناً، يقســر القــارئ على مشاركته العطف على هذه الجماعة وحالها، والجزع لفقدانها الصيد، وإن كان الصيد عدواناً.

"وهــذا التمثــيل البديع لحال الذئاب الجائعة يُشعر بمدى إلف الشاعر للوحــش واندماجه فيه، وبراعته فى إسباغ الصفات الإنسانية عليه من نظام الجماعة والجزع، والتأسى والصبر".[2]

إنهــا لوحــة شعرية فريدة، وهى نموذج لشعر الصعاليك الذى يصور الحيوان كما ألفوه..

إن الملاحظــة الدقــيقة فــى التصوير، والتركيز على جوانب قد تبدو صغيرة وهامشية – ولكنها فى الحقيقة غير ذلك – " لا تتاح للمشاهد العابر،

(١) النص الشعرى وآليات القراءة ص ١٨٠ د/ فوزى عيسى – منشأة المعارف – إسكندرية ١٩٩٧

(٢) شعر الطبيعة ٦٩ د./ سيد نوفل.

وإنمـــا تــتاح لشـــخص مـــلازم للبيـــئة، خبـــير بها وبحياة مخلوقاتها فيها كالصعاليك".[1]

وهـــناك فـــرق كبير بين الذئاب فى شعر ذؤبان العرب، وذئاب سائر الشـــعراء، فالصعلوك يعد نفسه ذئباً بين الذئاب الوحشية، يجتمعان فى أمور كثيرة أشرنا إليها.

فالفروق تلاشت بين الذئب والصعلوك، وأصبحا لكثرة ما يجمعهما شيئاً واحـــداً، فقـــد جمعهمـــا مكان موحش، وسحقتهما الطبيعة، وبات عليهما أن يتصبرا.

والشـــنفرى إذ يقدم لنا هذه الصورة للذئاب "ينفى ما شاع عنها فى عالم الإنسان، يقدمها فى جانبها الخفى، فى ضعفها وهزالها، وشكايتها، وتذرعها بالصبر، وتشبثها بالحياة، وكأنه يريد أن يؤكد أن هذه الذئاب ليست عدوانية بطبيعتها، بل إنها تشبه الإنسان فى ضعفه وعجزه" [2]

* وقال الشنفرى يرثى تأبط شرا خاله: [3]

تَضْـــحَكُ الضَّـــبُعُ لقَـــتْلَى هُذَيْـــلٍ ... وتَـــرَى الذِيـــبَ لهـــا يَسْـــتَهِلُّ

• • • •

---

(1) شعر الصعاليك ٣٥٦ د./ عبدالحليم حفنى.

(2) النص الشعرى وآليات القراءة ١٦٧

(3) اللصـــوص ٥/٨٩ برقم ٦١٥، وهناك خلاف فى نسبة هذه القصيدة، فقيل هى لخلف الأحمر، والبيت فى شرح المرزوقى ٨٣٧، تضحك: قيل تحيض، والأصح أنها تكشر إذا رأت القتلى، وقيل: تضحك أى تستبشر بالقتلى إذا أكلتهم، فَيَهِرّ بعضها على بعض، فجعل هريرها ضحكاً. ويستهل: يصيح فيستدعى الذئاب.

أبو كبير الهذلى (*)
الذئب يتبع ظله

(١) قال يرثى رجلاً، وقيل يخاطب امرأة اسمها زهيرة: (١)

١- أزهيرُ هَلْ عَنْ شيبَةٍ مِنْ مَصرِف ... أمْ لاَ خُلُودَ لِبَاذِلٍ مُتَكَلِّف

٢- أزهيرُ إنْ أخًا لَنَا ذَا مِرَّةٍ ... جَلْدَ القُوى فى كُلِّ سَاعةِ مَحْرَفِ

٣- فَارَقْتُه يوماً بجانب نَخْلَةٍ ... سَبَقَ الحِمَامُ بِه زهيرُ تلهفى

٤- ولَقَدْ وَرَدْتُ المَاءَ لَم يَشْرَبْ به ... زَمَنَ الرَّبِيعِ إلى شُهُورِ الصَّيِّفِ

٥- إلا عَوَاسِلُ كالمِرَاطِ مُعِيدةٌ ... باللَّيلِ مَوْرِدَ أيِّمٍ مَتَغَضِّفِ

(*) أبو كبير الهذلى: عامر بن الحليس، أحد بنى سعد بن هذيل، ثم أحد بنى حُريب، جاهلى، فحل، من شعراء الحماسة. معظم شعره فى وصف حياة الفروسية. أدرك الإسلام فى بداية ظهوره فأسلم.

ترجمته فى (معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين د./ عفيف عبدالرحمن ٢٩٣، موسوعة شعراء العرب ١/١٥٧ د./ يحيى شامى) . الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/٣٤١ تحقيق د./ مفيد محمد قميحة - دار الكتب العلمية - بيروت ط أولى ١٩٨١.

(١) الأبيات فى شرح أشعار الهذليين للسكرى ٣/١٠٨٤ وما بعدها، ومن ٤ إلخ فى المعانى الكبير ١/ ١٨٥، ١٨٦، الحيوان ٤/٢٥٥.

(ب١) أى هل لهذه الشيبة مصرف عنى، أم لا خلود لباذل ماله، يتكلف إذا لم يكن عنده شئ.

(ب٢) ذا مرة: أى ذا قوة. فى كل ساعة محرف: يقول: يحترف ويتقلب ويتصرف.

(ب٣) يقول: إنه كان مريضاً، وكان يتلهف عليه، فسبقه به الحمام، أى غلبه القدر عليه، ونخلة: موضع.

(ب٤) قال محقق الحيوان: (وردتُ) بالفتح - يخاطب رجلاً رثاه من قومه. الصيف: مطر الصيف.

(ب٥) عواسل: ذئاب تعسل أى تمر مرًا خفيفاً - يريد وصفها بالشجاعة. وروى (عواسر) أى ذئاب ترفع أذنابها. المراط: السهام أو النبال التى قد تمرّط ريشها. معيدة: معاودة للورد مرة بعد مرة. الأيم: الحية. متغضف: منطو: متثن.

٦- يَنْسِلْنَ فى طُرقٍ سَبَاسِبَ حَوْلَه ... كقِداحِ نبلٍ مُحَبّرٍ لم ترصف

٧- تَعْوى الذِّئَابُ من المَخَافَةِ حَوْلَهُ ... إهْلالَ ركْبِ اليَامِنِ المُتَطَوِّف

٨- زَقَبٌ يَظَلُّ الذئبُ يَتْبَعُ ظِلَّه ... من ضِيقِ مَوْرِدِه اسْتِنَانَ الأخْلَف

* * *

يتحدث "أبوكبير" عن ماء، لا يردُه سوى الذئاب النحيلة، الخفيفة، السريعة، التى تشبه النبل، وهى تريد الشرب من ذلك الماء كما شربت الأفاعى.

كانت تلك الذئاب تقطع المسافات البعيدة التى كان يقطعها " خالد " – على رواية (وردتَ) – بفتح التاء، أو أن أبا كبير نفسه هو الذى ورد هذا المورد.

وأيا كان هذا الوارد فإنه يحمل قلباً به من الشجاعة والجرأة والإقدام ما به، ذلك أن الذئب يكون فى غاية الشراسة عند وروده الماء عطشانا.

وهذا المكان ضيق لا يحتمل مع الذئب أحدا، فهو غاية فى الضيق، فإما الذئب وإما هذا الوارد، بل إن الذئب يرد هذا الماء وهو مائل على شقه، فما بالك بالإنسان ؟ إنه مكان زاخر بالرعب والفزع، ففيه عواء الذئاب الجائعة،

(ب٦) ينسلن: نسل الذئب وعسل سواء. السبلسب: الأرض المستوية البعيدة، واحدها سبسب، ومثله البسبس. المحبّر: المحسّن للشئ المزيّن له. لم ترصف: من الرصاف وهو العقب الذى فوق الرعظ، والرعظ: مدخل سنخ النصل فى القدح.

(ب٧) فى رواية: (تعوى الذئاب من المجاعة..)، اليامن: الذى يجئ من اليمن، وقيل: من اليمين.

(ب٨) الزقب: الضيق، أى يمر الذئب مائلاً على شقه من ضيقه. الأخلف: الذى يمشى على أحد شقيه كأن به عسرا. الاستنان: العَدْو.

أو الخائفة – روايتان – وبذلك أثبت الشاعر لنفسه بطولة نادرة، وقدرة على الورود هائلة، حتى إنه فاق الذئاب..

والشاعر يشبّه مشى الذئب فى هذا المكان الضيق بمشى الأخلف، الذى يمشى بحذر شديد خشية التعثر أو الوقوع.

" هذا التتبع الدقيق للذئب، ووصف هيئته يدلان – من غير شك – على أن الشاعر كان محيطاً بكل شئ عنه، ويعرف الكثير من أمره " [1]

* * * *

(١) شرح أشعار الهذليين ١٠٧٧/٣، والبيت الأول فى الفصوص ٣٢١/٢ وفيه (يبدو... كالأعبل) والأعبل: المكان الذى فيه حجارة كثيرة بيض.

(٢) ويصــف أبوكبــير – أيضاً – ذئبةً راعها فى أحد المراقب، فهى تمضى عنه متلفتة حولاء: (١)

أَخْرَجْــتُ مِــنْهَا سِــلْقَةً مَهْــزُولَةً   عَجْفَــاءَ يَــبْرُقُ نَابُهــا كــالمِعْوَلِ
فَزَجَــرتُها فَتَلَفَّتَــتْ إذْ رُعْــتُها   كَتَلَفُّــتِ الغَضْــبَانِ سُــبَّ الأَقْــبَلِ

إنها ذئبة ضارية، جائعة، فَتَحَتْ فمها فكشف عن أنياب كالمعاول.

وحرىّ بمن يرى مثل هذا الوحش أن يعد نفسه هالكاً، فيتوارى مرعوباً مفزوعاً حتى يسلم من هذه الذئبة الضارية.

غــير أن أبــا كبير لم يُخِفْه ذلك كله، بل زجر هذه الذئبة فصارت هى الخائفة المروّعة، ومضت تتلفت كما يتلفت الغضبان الأقبل الذى سبّه أحد.

وبذلك أثبت " أبوكبير " لنفسه شجاعة وجرأة فائقتين.

* * * *

(١) شعر الهذليين ص٢٢٠ د./ أحمد كمال زكى.

عمرو ذو الكلب (*)
أُوَيْسٌ عاث فى الغنم

قال: (١)

١- يَالَيْتَ شِعرى عَنْك والأمْرُ عَمَمْ
٢- هَلْ جاء كَعْبٌ عَنْك من بَيْن النَّسَمْ
٣- ما صَنَعَ اليَوْمَ أُوَيْسٌ فى الغَنَمْ
٤- صُبَّ لها فى الرِّيح مِرِّيحٌ أشَم
٥- فَاعْتَام مِنْها لَجْبَةً غَيْرَ قَزَمْ
٦- حَاشِكَةَ الدِّرَّةِ وَرْهَاءَ الرَّخَمْ
٧- فجئت لا يَشْتَدّ شَدّى ذُو قَدَمْ

(*) عمرو ذو الكلب: هو عمرو بن العجلان بن عامر بن بُرْد بن مُنَبِّه أحد بنى كاهل.. شاعر جاهلى، كان جارًا لبنى هذيل.
ولقب بذلك لأنه كان له كلب لا يفارقه، قال ابن حبيب: وإنما سمى ذا الكلب لأنه خرج فى سرية من قومه، وفيهم رجل يدعى عمراً، وكان معه كلب فسمى بذلك، وهو أحد بنى لحيان من هذيل.
راجع: شرح أشعار الهذليين ٥٦٥، والأغانى ٣٥١/٢٢ دار إحياء التراث العربى، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين د/ عفيف عبدالرحمن ٢٤٨، معجم الشعراء ٢٧، الأمالى ٢١٩/٢، نوادر المخطوطات ٢/ ٢٤٠-٢٤٣.
(١) رواها أبو عمرو لأبى خراش، ورواها أبو عبدالله لرجل من هذيل غير مسمى. وهى فى شرح أشعار الهذليين ٥٦٥.
(ب١) عَمَم: عام، ويروى [أمم].
(ب٢) النسم: الناس.
(ب٣) أويس: الذئب.
(ب٤) مِرّيح: من المرح. أشم: رافع رأسه.
(ب٥) اعتام الذئب: اختار من الغنم. قزم: هو اللئيم من كل شئ.
(ب٦) حاشكة: حافل. ورهاء: كأنها مجنونة. الرخم: المحبة، فإذا أحبت ولدها فكأنها مجنونة من شدة حبّها له. يقول: هى حاشكة الدرة وقد ولّى لبنها.

٨- وفــى الشّــمالِ سَــمْحَةٌ من النَّشَمْ
٩- صَــفْرَاءُ مِــنْ أقْوَاسِ شَيْبَان القُدُمْ
١٠- تَعــجُّ فى الكَفِّ إذا الرّامى اعْتَزَمْ
١١- تــرنم الشّــارِفِ فى أخرَى النَّعَمْ
١٢- فَقُلْــتُ: خُذْهــا لا شَوىً ولا شَرَمْ
١٣- قَــدْ كنْــتُ أقْسَــمْتُ فَثَنَّيْتُ القَسَمْ
١٤- لئِــنْ نَأَيْــتُ أوْ رَمَيْــتُ من أمَمْ
١٥- لأخْضِــبَنْ بَعْضَــكَ مِنْ بَعْضٍ بِدَمْ

* * * *

هذا ذئب عاث فى غنم ذلك الراجز، وقد اختار أفضل ما فى هذه الغنم، وهى اللجبة التى أتت عليها أربعة أشهر من ولادها... وبذلك حال بين الأم ووليدها.

واغــتاظ الشــاعر لذلك أشد الغيظ، وأعد العدة للانتقام من هذا الذئب العــادى، وحمــل فى شماله قوسا متميزة ترجع صناعتها إلى ذلك الشيبانى

(ب٨) سمحة: قوس سهلة، ليست بكزة. النشم: شجر.

(ب٩) شيبان: إنسان كان يعمل القسى. القدم: العُتُق، وهو نعت من القسى.

(ب١٠) تعج: تصوت. اعتزم: اعتمد.

(ب١١) الشارف: الناقة المسنة. النعم: الإبل. وقوله: وفى أخرى النعم: لأن الشارف لا تقدر أن تسير مع البكارة، لأنها مسنة، فهى فى أخرى النعم.

(ب١٢) خذهــا: أى خــذ أيهــا الذئــب الرمية. الشوى: الذى يتعدى المقتل. الشرم: الذى يشق الجلد من عرضــه. يقــول: لا أرمى فأصيب غير المقتل. وشرم يشرم شرما: إذا خرم. وقال أبو عمرو: الشرم: خدش بين الجلد واللحم.

(ب١٣) ثنّيت، أو ثَنْتُ: أكدت.

(ب١٤) من أمم: من قصد أو من قرب.

المشـــهور، فإذا ما رمى بها تُصَوِّت وهى قاصدة هدفها. فصوّبها تجاه ذلك الذئـــب فرماه فى مقتل.. وبذلك برّ الشاعر بقسمه الذى كان قد أكده، حيث أقسم ليجعلن دمه يسيل على جسده، حتى كأنه خضب تخضيباً.

* * * *

ذو الخِرَق الطُّهَوى (*)
عليك شاء بنى تميم

قال: (١)

١- أَلَمْ تَعْجَبْ لذئبٍ بَاتَ يَعْوِى	لِيُؤْذِنَ صَاحبًا لَهُ باللَّحَاقِ
٢- حَسِبْتَ بُغَامَ راحلتى عَنَاقًا	ومَا هِىَ وَيْبَ غَيْرِك بالعَنَاقِ
٣- وَهَاتِفَةٍ لأطْرِيها حفيفٌ	وَزُرْقٍ فى مُرَكَّبَةٍ دِقَاقِ
٤- فَلَوْ أَنِّى رَمَيْتُكَ من قريبٍ	لعاقك من دُعَاءِ الذئب عاقِ
٥- ولكنِّى رَمَيْتُكَ من بعيدٍ	فَلَمْ أَفْعَلْ وقَدْ أوهَنْتُ ساقى
٦- عليك الشاءَ شاء بنى تميمٍ	فَعَافِقْهُ فإنَّك ذو عِفَاقِ

* * * *

(*) ذو الخرق: اختُلف فى اسمه، فقال العينى: هو دينار بن هلال. وقيل: هو قرط، وقيل: ذو الخرق بن قرط، أخو بنى سعيد بن عوف بن مالك بن حنظلة بن طهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

قال الآمدى: وسمى بذى الخرق لقوله:

... ... جاءت عِجَافاً عَلَيْهَا الرِّيشُ والخِرَقُ

قال أبو زيد فى النوادر: وهو جاهلى. شاعر، فارس.

راجع: المؤتلف والمختلف ١٧٢، خزانة الأدب ١/٤٢ وما بعدها تحقيق هارون - ط دار الكاتب العربى - القاهرة ١٩٦٧ / الشاهد الأول، والأصمعيات ١٢٤، موسوعة شعراء العرب ١/٣٧٠ د./ يحيى شامى، مجالس ثعلب ١/١٥٤، الحيوان فى الأدب العربى ٢/١٣٦.

(١) مجالس ثعلب ١/١٥٤، النوادر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى ١١٦، وغيرهما.

(ب٢) فى الفصوص منسوباً إلى عبدالرحمن بن الأحوص.

(ب٤) فى النوادر [... لعاقك عن...] وعقاه يعقوه: أى عاقه، على القلب. (رفع الحجب المستورة)٢/ ٤٦٣.

(ب٦) أورده ابن منظور فى [عفق] وقال: العُفُق الذئاب التى لا تنام ولا تنيم من الفساد، وعافق الذئب الغنم: إذا عاث فيها ذاهبا وجائياً.

وهــذا ذئب جائع، يريد فريسة، وقد حدّدها، إنها ناقة شاعرنا، غير أن الذئــب لا يجــرؤ على مهاجمتها خوفاً من صاحبها، وبات عليه أن يعوى، مستغيثاً علّ بعض الذئاب تسانده فى عملية الهجوم هذه.. ولكن الشاعر كان يقظاً لذلك الذئب، فرماه، قائلا له: إياك أن تقترب منا، ولكن عليك شاء بنى تميم، إليها اذهب، وعث فيها فسادًا كما تريد، فإنك فاسد مفسد.

* * * *

الفصل الثانى

الذئب فى شعر المخضرمين

- ابن عنقاء الفزارى (ذئب فارس).
- كعب بن زهير (أخشى عليها كسوبا) - (ذئب وغراب).
- أسـماء بـن خارجة (ذئب لحوح يشكو السغب)، (ذؤالة طامع فى هبالة).
- حميد بن ثور الهلالى (مباراة بين ذئب وبخيلة).
- النجاشى (يلقن الذئب درساً فى الكرم).

ابن عنقاء الفزارى (*)
(قيس بن بَجْرة)
ذئب فارس

قال: (1)

١- وأعــوجَ مــنْ آل الصَّــريح كأنَّه   بــذى الشّــثّ ســيدُ آبَــهُ اللّيْلُ هَاجعُ
٢- بَغَــى كَسْــبَه أطْــرافَ لَــيْلٍ كأنَّه   ولــيس بــه ظَلْــعٌ مــنَ الخَمْص ظالع
٣- فلمّــا أبَــاهُ الرِّزْقُ من كلِّ وجْهةٍ   جَــنُوبَ المَــلاَ وآيَسَــتْه المَطَــامعُ
٤- طَــوَى نَفْسَــه طَــيَّ الجرير كأنّه   حَــوَى حَــيَّةٍ فــى ربْــوَةٍ فَهْو هَاجعُ
٥- فَلَمَّــا أصَــابَتْ متْنَه الشمسُ حكَّه   بأعْصَــلَ فــى أنــيابه السُّــمُّ نَــاقع
٦- وقَــامَ فَــألْقَى مَــدَّةً فــوق ظلّــه   يَدَيْــه وَمَطّــى صُــلْبَه وَهْــوَ قَــابعُ
٧- وفَكَّــكَ لحيَــيْه فلمّــا تَعَاديَــا   صَــأَى ثــم أقْعَــى والــبلادُ بلاقــعُ

(*) قــيس بن بَجْرَة، وقيل: عبد قيس بن بجرة، وقيل: أسيد بن عنقاء، من بنى شَمْخ من فزارة من بنى ناشــب، جــاهلى، أدرك الإسلام كبيراً، وأسلم... وله مع عامر بن الطفيل خبر.. شاعر فحل من فحول غطفان.

راجع ترجمته فى: معجم الشعراء ١٩٩، المؤتلف والمختلف ٢٣٧، الأغانى ٥/٥٣٠، ١٩/٢٠٨، ٢٠٩، زهــر الآداب ٢/٩٥٨، شــرح الحماســة للتبريزى ٤/١٥٨٦ - نشر أحمد أمين وعبدالسلام هارون، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين د./ عفيف عبدالرحمن ٢٨٣.

(1) الأبــيات فــى أمالى المرتضى ٢/٢١٢، ٢١٣، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط أولى - مصر. والمؤتلف ٢٣٧. وقارنها بأبيات حميد بن ثور الهلالى.

(ب١) فى المؤتلف [ويخطو على صُمٍّ صلاب كأنه   بذى الشث سيدٌ بلَّه...]
وفى أمالى المرتضى (جائع)

(ب٣) يروى [فلما أتاه الرزق من كل جانب   ....] المرتضى.

(ب٤) فى المؤتلف [... طى الحرير... وهو هاجع]. حوى حية: مقدار استدارتها.

(ب٥) فــى المؤتلــف [... فــى جذموره السم ناقع]. الأعصل: المعوج فى صلابة. والجذمور: قطعة من أسفل السعفة تبقى فى الجذع إذا قطعت، أى هى أصلها الأسفل. ويريد بهذا الوصف أنيابه.

(ب٧) صأى: صاح.

٨- وهـمّ بأمـرٍ ثـم أزْمَـعَ غَـيْرَه   وإنْ ضَـاقَ رِزْقٌ مـرّةً فهـو واسـعُ
٩- وَعَـارَضَ أطـرافَ الصَّـبا وكأنّه   رِجَـاعُ غَدِيـرٍ هـزّه الـريحُ رائـع

* * * *

يشــبه الشاعر فرسه بذئب، ويتناسى المشبه، ويطيل وصف المشبه به، إنه ذئب جائع، خرج يبحث عن طعام أطراف الليل، وتظن أن به ظلعا ولكن الأمر ليس كذلك، وإنما هو جائع، ولذا يحتال فيطوى نفسه طيا حتى يصير كالحية الرابضة، لا يتحرك حتى يوقع الفريسة فى حبائله... وظل نائماً حتى طلعت الشمس فأصابت حرارتها ظهره...

وهو يتثاءب ثم يجلس مقعيا...

والقصــيدة دخلها بعض أبيات من شعر غيره كما سنرى بعد، كما نجد صدى الأبيات فى شعر البحترى والشريف الرضى.

لقــد كــان "الذئب نموذجاً لصورة الفرس، مما يدل على الإحساس بما يــراه الشاعر فى حركة الذئب وفعله، حين يرى فى ذلك الفعل التغلب على غوائل الجوع، والظفر بالغنيمة، وهذا ما يرجح رواية (فلما أباه الرزق) أى امتنع عنه، وحوصر بالجوع...

"ولقــد حرصت هذه الأبيات على أن ترسم الذئب بين حالى الفروسية والفرس مشعرة بتجاوز الذئب لهذه المحنة، وراسمة حركته التى تتوافق مع حــركة الــريح، وتطــوى المكــان فــى حال من التخفى والمراوغة ليبلغ مراده..."(١)

* * * *

(ب٨) فى المؤتلف [ثم أجمع].

(ب٩) رِجاع الغدير: ما يتراجع من الماء ويتلفف إذا ضربته الريح. والبيت فى اللسان (رجع).

(١) رحلــة الــذات فى فضاء النص الشعرى القديم ص١٣٥، ١٣٦ د./ على القرشى - مطبوعات نادى المدينة المنورة الأدبى رقم ١٤٧ لسنة ١٤٢١ هــ.

كعب بن زهير (*)

١ - أخشى عليها كسوباً

قال: (١)

١- يَقُـولُ حَيَّاىَ مِنْ عَوْفٍ ومن جُشَمٍ ... يـا كَعْـبُ وَيْحَـكَ هَـلاَّ تَشْتَرِى غَنَمَا

٢- مـالىَ مـنها إِذَا مَـا أزْمَةٌ أَزَمَتْ ... ومـنْ أوَيْـسٍ إِذَا مـا أنفُـه رَذَمـا

٣- أخْشَـى عَلَـيْها كَسُوبًا غَيْرَ مُدَّخِرٍ ... عـارِى الأشـاجِعِ لا يُشْوِى إذا ضَغَما

٤- إذا تلَـوَّى بلحـمِ الشَّـاةِ تَـبَّرَها ... أشْـلاءَ بُـرْدٍ ولـم يَجْعَـلْ لها وَضَما

٥- إن يَغْـدُ فـى شـيعةٍ لم يُثْنِه نَهَرٌ ... وإنْ غَـدَا وَاحِـدًا لا يـتَّقى الظُّلَمـا

٦- وإنْ أطَـافَ ولـم يَظْفَـرْ بِضائِنَةٍ ... فـى لـيلةٍ سـاوَرَ الأقْـوام والـنَّعَما

٧- وإنْ أغَـارَ ولَـمْ يَحـلَ بطائلـةٍ ... فـى ظُلْمَـةِ ابْـنِ جَميرٍ سَاوَرَ الفُطُما

(*) كعـب بـن زهـير بـن أبى سلمى، صحابى، قصة إسلامه مشهورة مع قصيدته البردة، أحد الفحول المجودين، وأحد أعلام مدرسة الصنعة، كان راوية لأبيه زهير بن أبى سلمى. امتد به العمر إلى زمن معاوية بن أبى سفيان، وكان علوىّ الرأى. راجع ترجمته فى أسد الغابة ٤/٤٧٥ برقم ٤٤٥٨ - دار الشـعب، الإصابة ٨/٢٨٩ برقم ٧٤٠٥. تحقيق د./ طه محمد الزينى - مكتبة الكليات الأزهرية - ط أولى ١٩٧٦.

(١) القصـيدة فـى الديـوان برقم ٢٦ ص١٠٠، ١٠١ قراءة د./ محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، والديوان بشرح السكرى ٢٢٤-٢٢٦.

(ب٢) الأزمة: السنة الشديدة يعنى القحط والجدب. أويس: الذئب. رذم: سال.

(ب٣) الأشـاجع: العـروق والأعصـاب المتصلة بالأصابع وأصولها، وهو عارى الأشاجع لشدة هزاله. يُشوى: يخطئ الفريسة ولم يصبها فى مقتل. ضغما: من الضغم وهو العض دون النهش.

(ب٤) تَبَّرها: مزقها كما يمزق البرد. الأشلاء: القطع. الوضم: الخشبة التى يقطع الجزار عليها اللحم.

(ب٥) الشيعة: الرفاق. النهر: الزجر.

(ب٦) الضائنة: النعجة. ساور: واثب. النعم: الإبل والشاء.

(ب٧) لم يحل بطائلة: لم يصب شيئا. ظلمة ابن جمير: أظلم ليلة فى الشهر. الفُطُم: السخال التى فطمت.

٨- إِذْ لاَ تَــزَالُ فَــرِيسٌ أو مُغَبَّــبَةٌ صَــيْدَاءُ تَنْشِــجُ مِــن دون الدِّمَاغ دَمَا

* * * *

فى هذه المقطوعة نرى كعبا وقد نصحه جماعة من قومه، وألحوا عليه ليشترى قطيعاً من الغنم، ويبدو لى أن رعى الأغنام كان رائجاً، ويدرّ ربحاً كبيراً فى أوساط هؤلاء القوم آنذاك، كما يبدو أن كعباً كان يعانى أزمة اقتصادية، وربما كان بلا عمل فى ذلك الوقت.

لكن كعباً يرفض نصيحة هؤلاء، موضحاً أسباب الرفض المحصورة فى: خوفه من أن تأتى سنة شديدة مجدبة فأنّى له أن يطعمها ؟ إنه إذاً يخشى تبعات رعيها، ثم القيام على حراستها. وهذا الأخير أشد ما يخيفه، فهناك ذئب متربص بهذه الغنم، يعرفه كعب جيداً، وقد جرّبه كما سيأتى فى القصيدة الثانية.

إنه "كسوب" يسعى إلى طعامه سعياً حثيثاً، لا يملّ ولا يكلّ، وكيف وهو "عارى الأشاجع" هزيل الجسم؟ إنه لم يدخر شيئاً مما يناله.

مثل هذا الجائع تكون رَمْيَتُه صائبة، فهو يصيب فريسته فى مقتل، يمزقها تمزيقاً ويقطعها بدداً وأشلاء.

وحين يوجد فى جماعة من الذئاب يكون أعنف وأقوى، وإن كان واحداً لا يعوقه عائق ولا يصدّه صادّ، ولا يخشى ظلمة. وهو يبحث عن الضأن أولاً، فإن عجز عنها أو لم يظفر بها يمم وجهه صوب الناس والأنعام، فإن

(ب٨) فريس: جمع فريسة. المغَبَّبَة: التى أكلها الذئب وأفلتت وبها شئ من الحياة. صيداء: بها شجّة لم توضع عن جرحها. تنشج: تنزف.

فشـــل اتجه نحو السخال التى فطمت، وهى حينئذ بين فريسة أو دامية تنزف جراحها.

وكعب هنا أراد أن يبين "متاعب امتلاك الغنم، وأنها تتسبب فى ظهور الذئـــب، ومـــا يتـــبع ذلك من خسائر وأخطار، إلا أن الصورة التى أوردها تحولـــت من الشاعر إلى الذئب نفسه، بمعنى أنه أعطانا خصائص حيوانية ومعيشـــية عـــن عادات الذئب أكثر من إعطائنا تأثير هذا الذئب فى نفسه، فحـــدث للصـــور هنا نوع من الانعزال عن الشعور الذى بدأ به الشاعر أو المناســـبة، فالصـــورة هـــنا أفلتت من الشاعر ولم يستطع السيطرة عليها، فتحولت الصورة العامة للذئب إلى صور جزئية مفككة تحوى الواحدة بيتا أو بيتين، ومن ثم فقدت الوحدة أو الكلية.. فلا صلة نفسية بين الشاعر والذئب، وإن كانت الصورة بجزئياتها تدل على قدرة وصفية وفنية عالية ". (١)

* * * *

---

(١) الزمان والمكان وأثرهما فى حياة الشاعر الجاهلى وشعره ص١٤٥.

٢ - ذئب وغراب

وقال كعب: (١)

١- ألاَ بكَرتْ عِرسى تَلُومُ وتَعْذِلُ وغَيرُ الذى قَالَتْ أعَفُّ وأجْمَلُ

إلى أن يقول:

١٢- وَصَرْمَاءَ مذْكَارٍ كَأنَّ دَوِيَّها بُعَيدَ جَنَانِ اللَّيلِ ممَّا يُخَيَّلُ

١٣- حديثُ أناسِيٍّ فلما سَمِعتُه إذَا لَيْسَ فيه ما أبِينُ فأعقلُ

١٤- قَطَعْتُ بماشِينى بها مُتَضَائلٌ من الطَّلْسِ أحْيَانًا يَخُبُّ وَيَعْسِلُ

١٥- يُحِبُّ دنوَّ الإنسِ منه وما به إلى أحدٍ يَوْمًا من الإنسِ منزل

١٦- تَقَرَّبَ حتى قلتُ: لم يَدْنُ هكذا من الإنسِ إلا جاهلٌ أو مضلَّلُ

١٧- مَدَى النَّبلِ، تَغْشانى إذا ما زَجَرْتُه قُشَعْرِيرةٌ من وَجْهِه وهو مُقْبِلُ

١٨- إذَا ما عَوَى مُستَقْبِلَ الرِّيحِ جَاوَبَتْ مَسَامِعُه فَاهُ على الزَّادِ مُعْوِلِ

---

(١) القصيدة فى ديوانه / دار صادر ٧٦-٨٢ تدقيق د./ محمد يوسف نجم، وبعض أبياتها فى المعانى الكبير ١٨٢-١٨٣.

(ب١٢) الصرماء: الأرض القاحلة التى لا نبت فيها ولا ماء. المذكار: المخوفة التى لا يسلكها إلا الذكور أى الرجال. دويّها: صوتها، يقصد عزيف الجن. جنان الليل: إطباقه بالظلمة.

(ب١٣) حديث أناسى: أى همهمة لا تفهم.

(ب١٤) المتضائل: النحيف. الأطلس: أغبر اللون. العسلان: نوع من الجرى للذئب. الخبب: نوع من السير.

(ب١٥) منزل: نزول.

(ب١٨) جاوبت مسامعه: أى ردت الريح الصوت فسمع لذلك طنيناً، وقيل: أراد أنه إذا عوى صوتت مسامعه من فمه، لأنه ليس بينهما حاجز، وذلك إذا جاع. معول: باكٍ إذا لم يجد الزاد. ويروى (مرمل) أى هو مرمل من الزاد [راجع: المعانى الكبير].

١٩- كَسُــوبٌ لَدُنْ أن شَبَّ من كَسْبِ واحد   مُحَالِفُـــــه الإقْـــــتَارُ لاَ يَـــــتَمَوَّلُ
٢٠- كَــأنَّ دُخَــانَ الرِّمْــثِ خَــالَطَ لَوْنَه   يُغَــلُّ بــه مــن بَاطــنٍ وَيُجَلَّــلُ
٢١- بَصِــيرٌ بِأدْغَــالِ الضَّــرَاءِ إذا خَدَى   يَعِــيلُ وَيَخْفَــى بالجهــادِ وَيَمْــثُلُ
٢٢- تَــراهُ ســمينًا مــا شَــتَا، وكَأنَّــهُ   حَمِــيٌّ إذى مــا صَــافَ أو هُــوَ أهْزَلُ
٢٣- كــأن نَسَــاهُ شِــرْعَةٌ، وكَأنَّــه   إذا مــا تَمَطَّــى وجْهَــةَ الــرِّيحِ مِحْمَلُ
٢٤- وحَمْــشٌ بصــيرِ المُقْلَتَيْــن كأنَّــه   إذا مــا مَشَــى مُسْــتَكْرِهَ الــرِّيحِ أقْزَلُ
٢٥- يَكَــادُ يَــرَى مَــا لاَ تَرَى عَيْنُ واحدٍ   يُثِــيرُ لَــهُ مــا غَيَّــبَ الــتُّرْبُ مِعْوَلُ
٢٦- إذا حَضَــرانى قُلْــتُ: لَــو تَعْلَمانِــه   أَلَــمْ تَعْلَمَــا أنِّــى مِــنَ الــزَّادِ مُرْمِلُ
٢٧- غُــرَابٌ وذئــبٌ يَــنْظُرَانِ مَتَى أرى   مُــنَاخَ مَبِيــتٍ أوْ مَقِــيلاً فأنْــزِلُ
٢٨- أغَــارَا عَلَــى مــا خَيَّلَــتْ، وكلاَهُمَا   سَــيُخْلِفُه مِــنِّى الَّــذِى كَــانَ يَــأمُلُ

* * * *

(ب١٩) رواه الأصـــمعى: (كسوب له المعدوم من كسب غيره)، يقول: ما يعدم غيره أصابه، وقال أعرابى فـــى رجل: هو آكلكم للمأدوم، وأعطاكم للمحروم، وأكسبكم للمعدوم. ومن قال: كسوب لدن أن شب من كسب واحد، فإنه يريد أن الذئب يكسب قدر ما يكسب واحد. [المعانى الكبير].

(ب٢٠) الرمـــث: شجر يشبه الغضا لا يطول، ولكنه ينبسط ورقه، وهو شبيه بالأشنان. يغل به: يدخل به. يجلل: يظهر على متنه.

(ب٢١) الدغل: الشجر الكثيف الملتف. الضَّراء: ما وراك من شجر وغيره. خدى: أسرع. ويروى (غدا). يعيل: يميل فى مشيته أى يتبختر، وقيل: يضرب فى الأرض. ويمثل: يظهر منتصباً. والجهاد: الأرض الغليظة الصلبة التى لا نبات بها.

(ب٢٢) حمىّ: محتم.

(ب٢٣) نساه: النَّسا عرق فى الساق ينحدر من الورك. شرعة: وتر. المحمل: محمل السيف.

(ب٢٤) حمش: غراب دقيق الساقين . مستكره الريح: عكس الريح. القزل: أسوأ العرج.

(ب٢٦) مرمل: لا زاد معه.

(ب٢٨) على ما خيلت: على ما شبه لهما.

فـــى هذه اللامية يذكر كعب أنه مرّ بأرض قفر، لا ماء فيها ولا نبات، أرض مخـــيفة، ومـــع وطأة الظلام تسمع الريح كأنه عزيف الجن.. وشدة الظلمة مع اشتداد الريح تجعل الوساوس تمسك بالإنسان الذى ساقه مصيره إلـــى هـــذا المكان.. إنه مكان موحش ذلك الذى قطعه كعب. وسنلاحظ أنه وأسماء بن خارجة يتشابهان إلى حد كبير فى هذا الوصف.

وبيـــنما كعب يقطع طريقه إذا به يشعر كأن صوتاً هناك، إنها همهمة غامضـــة غير واضحة المعالم، لم يسمع الشاعر بمثلها من قبل، ولا عهد له بمـــثل هـــذا الصـــوت، ومهما بذل من جهد فلن يستطيع التعرف عليه لشدة خفائه.

وإذا بهـــذا الصـــوت يتحول إلى صوت آخر، صوت مجهول الهوية.. فيتســـاءل كعـــب: مـــن يصحبنى فى هذه الرحلة ؟ أهناك من يماشينى دون علمـــى؟.. ومـــا هـــو إلا أن يستبين الأمر، إنه ذئب، أطلس اللون، نحيف، هزيل، يمشى - حيناً - الخَبَب، وحيناً العسلان.

وأمـــر هذا الذئب عجيب، فهو يحب دنوّ الإنْس منه، مع أنه لا يألفهم، ولا يمكن أن يعيش بينهم..

وهـــى إشـــارة مـــن كعب إلى صفة من صفات الذئب وطريقة عيشه، فالذئـــاب تعيش بالقرب من الديار العامرة، وذلك لأنها لا تجد طعامها الأثير (الضأن) إلا هناك.

وهـــا هـــو الذئب يدنو من كعب، مما جعله يتساءل: أهذا الذئب جاهل غبى؟ أم هو مخادع مخاتل؟ أم أنه ضل طريقه فهو فى حاجة إلى من يهديه الطريق؟.

لقـد دنـا الذئب من كعب دنوًا شديدًا، حتى صار مرمى السهم، وأخذ كعـب – رغـم الظـلام المسيطر – يتفرّس وجه الذئب، فحدثته نفسه أن يزجره. ولكن وجه الذئب مخيف، مرعب، ولذا أخذت كعباً قشعريرة.

وأخذ كعب يصف الذئب فماذا رأى ؟

إنه ذئب جائع جوعاً شديداً، بطنه خاوية، وحين يعوى تدخل الريح من فمه، وتخرج من مسامعه، لأن جوفه خال..

ثـم هو كسوب، لقد تعلّم مذ فُطم أن يعتمد على نفسه، بحيث لا يكون عالة على غيره.. وعلى الرغم من أنه كسوب إلا أن الإقتار محالفه، لأنه لا يعـاود الأكـل من الفريسة، ولم يدخر قوتاً – كما قال امرؤ القيس –، ولذا فكونه كسوباً ناتج عن ذلك، إذ يظل باحثاً عن الطعام كل وقت.

وربما كان الإقتار محالفاً كعباً أيضاً، فقد ذُكر " أنه كان فى غنيمات له فأتى الذئب على أكثرها، فصار فقيراً، بسبب ما خسره ".. (١)

ولون الذئب أغبر، كأنما خالط لونه دخان الرمث.

وهو خبير بصير بالأدغال، عارف بالأرض المعشبة، لا يكل ولا يمل من التنقل هنا وهناك.

ولكن: ما علاقته بالعشب وهو لا يأكله ؟

يجيب كعب فيقول:

تراه سميناً ما شتا...

(١) شـرح ديـوان كعـب ٤٩/ السـكرى. وانظر: فن الوصف فى مدرسة عبيد الشعر ٢٣٨ – المكتب الإسلامى.

لأن المطـــر حين ينزل يكثر العشب، فتتغذى عليه الحيوانات، وتسمن، وبالتالى يأكلها الذئب.

إنها سلسلة غذائية، ولذا قال الأصمعى: كل السباع تهزل فى الصيف. وإنما كان ذلك بسبب ندرة المطر.

ويواصل كعب نعت ذلك الذئب: فهو فى حال جوعه، قد صارت ساقه دقيقة كالوتر، أو كمحمل السيف. " وشبه نساه بالوتر، ولا يظهر عرق النسا إلا فى حالة الهزال الشديد والنحافة البالغة ". (١)

ثـــم يقـــرن الذئب بغراب، وربما كان كعب أول من قرن بينهما، وهذا الغراب يتشابه مع الذئب فى دقة ساقيه، وفى استقبال الريح.

جـــاء الغـــراب والذئب يطلبان الطعام عند كعب، فأجابهما بأنه مثلهما، فعادا خائبى الأمل.

* * * *

---

(١) فن الوصف ٢٣٨.

أسماء بن خارجة (*)
ذئبٌ لحوحٌ يشكو الشغب

١- قال: (١)

١٣- بَلْ رُبَّ خَرْقٍ لاَ أَنِيسَ بِهِ ... نَابِى الصُّوَى مُتَمَاحِلٍ سَهِبِ
١٤- يَنْسَى الدَّلِيلُ بِهِ هِدَايَتَهُ ... مِنْ هَوْلِ مَا يَلْقَى مِنَ الرُّعُبِ
١٥- وَيَكَادُ يَهْلِكُ فِى تَنَائِفِهِ ... شَأْوُ الفَرِيغِ وعَقْبُ ذِى عَقْبِ

(*) هو: أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو... ينتهى نسبه إلى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان... كان شريفاً، جواداً، كريماً، لبيباً... وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة ١/ ١٠٧ من المخضرمين. وهو القائل: "ما شتمت أحداً قط". كانت ابنته "هند" زوجاً للحجاج. وقد قال الحجاج حين بلغه موته: "هل سمعتم بالذى عاش ما شاء ومات حين شاء؟" مات بعد سنة ٦٠ عن نحو ٩٠ سنة. وقد جعله الدكتور يحيى شامى ضمن الشعراء الأمويين. ترجمته فى: تاريخ ابن عساكر ٣/٤١-٤٦، الأغانى ١٣/٣٣، الشعر والشعراء ٤٥٣ موسوعة شعراء العرب ١/٢٢٤.

(١) القصيدة فى الأصمعيات، الأصمعية رقم (١١) ص٤٨-٥٢ ط بيروت تحقيق شاكر وهارون، وكتاب الفصوص ٢/٢٥٢-٢٥٧، وأمالى المرتضى ٢/٢٠٧-٢٠٩ تحقيق أبى الفضل ط الحلبى. وفى رسالة الصاهل والشاحج لأبى العلاء المعرى ١٢٦ نسبها لجويرية بن أسماء الفزارى.

(ب١٣) الخرق: الفلاة تنخرق فيها الريح. الصُّوَى: أعلام من حجارة منصوبة فى الفيافى والمفازة المجهولة يستدل بها على الطريق، واحدتها: صُوَّة. نبوها: ارتفاعها. متحامل: بعيد ما بين الطرفين. السهب: ما بعد من الأرض واستوى فى طمأنينة.

(ب١٥) التنائف: جمع تنوفة وهى القفر من الأرض. فرس فريغ: واسع الخطو والمشى. شأوه: سبقه. العقب: الجرى يجئ بعد الجرى الأول. فى الفصوص (وعقب ذى العَقْب).

١٦- وَبِهِ الصَّدَى والعَزْفُ تَحْسِبُهُ ... صَدْحَ القِيَانِ عَزَفْنَ للشُّرْبِ
١٧- كابَدْتُهُ باللَّيْلِ أعْسِفُهُ ... فِي ظُلْمَةٍ بِسَوَاهِمٍ حُدْبِ
١٨- ولَقَدْ أَلَمَّ بِنَا لِنَقْرِيَهُ ... بَادِي الشَّقَاءِ مُحَارِفُ الكَسْبِ
١٩- يَدْعُو الغِنَى أنْ نَالَ عُلْقَتَهُ ... مِنْ مَطْعَمٍ غِبًّا إلَى غِبِّ
٢٠- فَطَوَى ثَمِيلَتَهُ فَأَلْحَقَهَا ... بالصُّلْبِ بَعْدَ لُدُونَةِ الصُّلْبِ
٢١- يَا ضَلَّ سَعْيُكَ. ما صَنَعْتَ بِمَا ... جَمَّعْتَ مِنْ شُبٍّ إلَى دُبِّ
٢٢- لَوْ كُنْتَ ذَا لُبٍّ تَعِيشُ بِهِ ... لَفَعَلْتَ فِعْلَ المَرْءِ ذِي اللُّبِّ
٢٣- فَجَعَلْتَ صَالِحَ ما اخْتَرَشْتَ وَمَا ... جَمَّعْتَ مِنْ نَهْبٍ إلَى نَهْبِ
٢٤- وأظُنُّهُ شَغْبًا تُدِلُّ بِهِ ... فَلَقَدْ مُنِيتَ بِغَايَةِ الشَّغْبِ
٢٥- إذْ لَيْسَ غَيْرَ مَنَاصِلٍ نَعْصَا بِهَا ... ورِحَالِنَا ورَكَائِبِ الرَّكْبِ

(ب١٦) الصدى: الهامة. العزف: صوت الجن.، وهو صوت الرياح في الجو فتوهمه أهل البادية صوت الجن. القيان: جمع قينة وهي الجارية المغنية. الشُّرب: جماعة الشاربين.

(ب١٧) أعسفه: أقطعه على غير هداية. السواهم: الإبل أو الخيل الضامرة لشدة التعب. الحدب: جمع حدباء وهي التي بدت حراقفها وعظم ظهرها. ورواية الفصوص (الخُنْب) بالمعجمة، وهي المقطوعة اللحم.

(ب١٨) ألم بنا: نزل بنا. المحارف: الذي لا يصيب خيرا من وجه توجه له، عنى بذلك الذئب.

(ب١٩) في رسالة الصاهل والشاحج: (الغنا) بدلا من (الغنى). العلقة: ما يتبلغ به من الطعام وإن لم يكن تاماً. غبا إلى غب: فترة بعد فترة، وأصل الغب: ورد يوم وظمء يوم آخر.

(ب٢٠) أصل الثميلة: البقية من الطعام والشراب تبقى في البطن، والمراد: أنه طوى بطنه حتى لحقت بصلبه.

(ب٢١) في المثل " أعييتني من شب إلى دب " أي مذ شببتُ إلى أن دَبَبْتُ على العصا.

(ب٢٣) اخترشت: جمعت واكتسبت. وفي رسالة الصاهل والشاحج والفصوص (احترشت) وأصل الاحتراش: صيد الضباب. والحرش الأثر عن الأصمعي. وفي الفصوص (لجعلت صالح).

(ب٢٤) الشَّغب: تهييج الشر والفتنة والخصام. تدل به: تجترئ.

(ب٢٥) المناصل: السيوف، واحدها: مُنْصُل. نعصى بها: أي نأخذه أخذ العصا، أو نضرب بها ضربه بها. وفي الصاهل والشاحج (نعصى بها). وفي الفصوص (المناضل) بالمعجمة.

٢٦- فــاعْمِدْ إلَــى أهْــلِ الوَقِيرِ فإنمَّا ... يَخْشَــى شَــذَاكَ مُقَــرْمِصُ الــزَّرَبِ
٢٧- أحَسِــبْتَنَا مِمَّــنْ تُطِــيفُ بِــه ... فاخْتَرْتَــــنَا لِلأَمْـــنِ والخِصْــــبِ
٢٨- وبغَــــيرِ معــــرِفَةٍ ولا نَسَــــبِ ... أنِّــى وشَــغْبُكَ لَــيْسَ مِــن شَــغْبِى
٢٩- لَمَّــا رَأى أنْ لَــيْسَ نَافِعَــهُ ... جِــدٌّ تَهَــاوَنَ صَــادِقَ الأرْبِ
٣٠- وألَــحَّ إلْحَاحًــا بِحَاجَــتِهِ ... شَــكْوَى الضَّــرِيرِ ومَزْجَــرَ الكَلْــبِ
٣١- ولَــوَى الــتَّكَلُّحَ يَشْــتَكِى سَــغَباً ... وأنَــا ابْــنُ قَــاتِلِ شِــدَّةِ السَّــغْبِ
٣٢- فَرَأيْــتُ أنْ قَــدْ نِلْــتُه بِــأذًى ... مِــنْ عَــذْمِ مَثْلَــبةٍ ومِــن سَــبِّ
٣٣- ورَأيْــتُ حَقًّــا أنْ أضَــيِّفَهُ ... إذْ رَامَ سِــلْمِى واتَّقَــى حَــرْبِى
٣٤- فَوَقَفْــتُ مُعْــتَامًا أُزَاوِلُهَــا ... بِمُهَــنَّدٍ ذِى رَوْنَــقٍ عَضْــبِ
٣٥- فَعَرَضْــتُه فــى سَــاقِ أسْــمَنِهَا ... فاجْــتَازَ بَيْــنَ الحَــاذِ والكَعْــبِ
٣٦- فَتَرَكْــتُها لِعِــيالِه جَــزَرًا ... عَمْــدًا، وعَلَّــقَ رَحْلَهَــا صَحْبِى

* * * *

(ب٢٦) الوقـير: الغـنم. الشذا: الشر والأذى. الزرب: حظيرة الغنم. المقرمص: من قولهم "قرمص" أى دخل فى القرموص أو القرماص، وهى حفرة يستدفئ فيها الإنسان الصرد من البرد.

(ب٢٧) فى الفصوص (للأمن والقرب).

(ب٢٩) تهاون: استخف به. الإرب: الدهاء.

(ب٣٠) الضرير: المضرور بمرض أو هزال أو نحو ذلك.

(ب٣١) التكلح: بدو الأسنان عند العبوس.

(ب٣٢) العذم: الأخذ باللسان واللوم كالمثلبة.

(ب٣٤) معتاما: مختارا. أزاولها: أى الإبل، يعنى يزاول عرقبتها بسيفه.

(ب٣٥) الحـاذ: الـذى يقـع عليه الذنب من الفخذين، أى أنه عرض سيفه فى ساقها فعرقبها بين الفخذ والكعب. وفى رواية الفصوص (فى حق أسمنها).

(ب٣٦) الجـزر: مـا جـزر، أراد أنه ترك الناقة بعد عرقبتها طعاماً لعيال الذئب، ثم حمل صحبه ما كان عليها من رحل.

يـتحدث "أسماء بن خارجة" عن فلاة تتخرق فيها الريح، وليس بها من أنـيس، وهـى خالـية من أى علامات تهدى إلى الطريق. فيها ما فيها من الرعب والخوف والفزع، حتى إن القوى الشجاع لا يأمن على نفسه فيها.

إن صـوت الـريح فى تلك الفلاة يتوهمه أهل البادية "الصدى".. ومن المعلوم "أن بعض الأراضى بحكم وضعها الطبيعى تردد الأصداء، وتصفّر فـيها الـرياح، نتـيجة لطبيعة سطحها وما يحيط بها أو يشرف عليها من صخور وآكام وجبال أو وديان. [1]

ويشبه أسماء صوت الريح هذا بصوت القيان اللائى يعزفن للشاربين. هذا المكان – على ما وصف به – كابده الشاعر بالليل، قاطعا له على غير هداية، راكبا جملا أو فرسا، ضامرا، متعبا..

وهنا ألم بهم ذئب، لم يذكره باسمه، بل بوصفه، فهو (بادى الشقاء) أى ظاهر عليه أثر الشقاء والتعب، لأنه احترف الكسب (محارف الكسب)، فهو الكسـوب. وبهامش الأصمعيات لها معنى آخر كما أشرت ولكننى أرى هذا المعنى أدق.

وأخذ أسماء يركز على جوع الذئب وسببه، وهو أنه يضيع ما يكسب، ولا يدخر لغده، وقد سبق امرؤ القيس إلى هذا المعنى.. وأسماء يؤنبُ الذئب علـى تفـريطه فيما كسب وهو شاب، ولو كان ذا لبٍّ لفعل ما يفعله ذوو الألباب من ادخار للمستقبل.

---

(1) راجع / أثر الصحراء فى الشعر الجاهلى ص١٩١.

ورأى أســـماء أن ذلك الذئب ينوى شرا فبادله نفس شعوره، وقال له: أيهـــا الذئب لن نخشى بأسك ولا نخاف خطرك، إنما يخشاك صاحب الغنم، واعلم أنك وردت مورداً خاطئا، إن عيوننا مفتوحة، وسيوفنا مسلولة..

وبعــد فترة من هذا الجو الملبد بالعداء والشر والخصومة أدرك الذئب خطـــأه، فتحول إلى مسلك آخر، إنه مسلك المسكين، الضعيف، المستجدى، الجائع، الذى يستحق الشفقة والرحمة.

أخــذ الذئب يتضور من شدة الجوع، وتأثر أسماء بهذه الشكاية، وتأكد مـــن صـــدق الذئـــب، فقـــرر أن يستجيب لشكواه، وعدّه ضيفاً، عليه قراه وإكرامه، فقام إلى أسمن نوقه فعقرها وتركها للذئب وعياله.

وهذا الجود من أسماء ليس بغريب، فهو (ابن قاتل شدة السغب) ورثها إذًا كابرا عن كابر.

لقــد أراد أســـماء أن يعلن – لسبب ما – أنه ليس ممن يُكْرَهون على شئ، أو يؤخذ منهم شئ غصبا، وإنما يجود عن رضا نفس.

وفـــى القصيدة " لفتة جميلة فى تحويل الخيالى إلى حقيقى، حيث جعل قدوم الذئب ليس لأنه جائع فحسب، بل لأنه يرى فيه صديقاً يمكن أن يعطيه ويطعمـــه، فيرد على ذلك بأن شعبه ليس من شعبه.. فالشاعر يتعاطف مع الذئـــب ولا يشاركه، فهو ما يزال بعيداً عنه، ولا يرى فيه نفسه، ومع ذلك نـــرى الشاعر صاحب قدرة تخيلية قوية لا تفرق بين واقع وخيال، فالواقع خـــيال والخـــيال واقع، وهذه قمة من قمم النضوج الفنى لدى الشاعر، يقوم خياله بدور فعال وقوى فى هذه الصورة ". (١)

(١) الزمان والمكان وأثرهما فى حياة الشاعر الجاهلى وشعره ص١٤٩.

٢- ذؤالة طامع فى هبالة

وقال أسماء يصف ذئبًا طمع فى ناقته المسماة بـ (الهبالة)، وقيل: افترس له شاة:(١)

١- لى كُلَّ يَومٍ مِنْ ذُؤَالَة ضِغْثٌ يَزِيدُ على إبَالَه
٢- فى كُلِّ يومٍ صِيقَةٌ حَوْلِى تَأَجَّلُ كالظُّلالَه
٣- فَلأَحْشَأَنَّك مِشْقَصًا أَوْسًا أُوَيْسُ مِنَ الهَبَالَه

وهذه الأبيات تذكرنا بأبيات عمرو ذى الكلب، وذى الخرق الطهوى، فلدى هؤلاء الثلاثة ثأر من ذئب واتر..

وأسماء هنا يزداد همُّه وقلقه يوماً بعد يوم من ذؤالة، الذى يريد أن يحرق قلبه بالقضاء على ناقته الهبالة.. ولن يستريح أسماء إلا بالقضاء على ذلك الذئب المتربص، وحينئذ ينام قرير العين.

* * * *

(١) البيتان الأول والثالث فى اللسان / دار صادر، مواضع عديدة [١٨/٦، ١٠، ٢٠٨، ٦/١١، ٦٨٧، ٦٨٨، ٢٥٥/١١] وثلاثتها فى اللسان / حشأ ٥٥/١، والفصوص ١٩٧/٤، والأول والثالث فى مجمع الأمثال ٢٣٢/١ برقم ١٢٤٨ فى المثل [احش نؤاله بالحبالة]، وقوله [ضغث على إباله] ساقه الزمخشرى مثلاً فى المستقصى ١٤٨/٢ برقم ٤٩٩. قال: ويضرب لمن حملك مكروها، ثم زادك عليه.

(ب١) ذؤالة: اسم من أسماء الذئب. الإبالة – بتشديد الباء – لكن الشاعر خففها هنا: الحزمة من الحشيش والحطب. والضغث الحزمة التى فوقها. قوله: ضغث يزيد على إبالة: أى بلية على بلية، وهو مثل سائر.

(ب٢) الصّيقة: الغبار الجائل فى الهواء. تأجّل: تقبل وتدبر.

(ب٣) لأحشَأنك: أى لأدخلنّ فى جوفك وأحشائك. المشقص: السهم العريض النصل. والأوس: العوض والبدل. أويس: تصغير أوس. الهبالة: اسم ناقة الشاعر التى طمع فيها الذئب.

حميد بن ثور الهلالى (*)
مباراة بين ذئب وبخيلة

قال: (١)

١- وأغبَرَ تُمْسى العيسُ قَبْلَ تَمامِها ... تَهَادى بِهِ التُّرْبَ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ
٢- يظَلُّ بها فَرْخُ القَطَاةِ كأنَّهُ ... يَتِيمٌ جَفَتْ عَنْه المراضيعُ رَاضِعُ

إلى أن يقول:

١٢- تَرَى رَبَّةُ البَهْمِ الفِرَارَ عَشيَّةً ... إذَا مَا عَدَا فِى بَهْمِهَا وهْوَ ضَائعُ

(*) حميد بن ثور بن عبدالله بن عامر بن أبى ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور. يكنى أبا الأخضر، وأبا لاحق، وأبا خالد. وقيل اسمه غير ذلك. شاعر مخضرم، شهد حنيناً مع الكفار ثم اسلم، وعاش إلى العصر الأموى، ووفد على بعض خلفاء بنى أمية ومدحهم.. توفى ٦٥ هـ.
عدّه ابن سلام فى الطبقة الرابعة من الإسلاميين. وعده الدكتور يحيى شامى من الأمويين مع قوله: شاعر إسلامى من الصحابة. [ترجمته فى: طبقات فحول الشعراء ٥٨٣ ومنتهى الطلب من أشعار العرب ٣٩٧/٧، الشعر والشعراء ٣٩٠ برقم ٥٩، الاستيعاب بهامش الإصابة ٣٦٦/١ - دار الكتاب العربى - بيروت. أسد الغابة ٥٣/٢، ٥٤، الإصابة ٢٨٩/١ برقم ١١١٠، سمط اللآلى ٣٧٦، موسوعة شعراء العرب ٢٣٨/١. وانظر دراسة عنه بعنوان / حميد بن ثور الهلالى. دراسة فى شعر المخضرمين للدكتور أحمد عبدالواحد - مطبوعات نادى مكة - ط أولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

(١) القصيدة فى ديوانه ١٠٣-١٠٦ صنعة عبدالعزيز الميمنى - ط دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ / ١٩٥١م، ومنتهى الطلب من أشعار العرب برقم ٤٠١ جـ٧ / ٤٠٦، وأمالى المرتضى / القسم الثانى ٢١٣ والشعر والشعراء ٣٩٠ وما بعدها، وحماسة ابن الشجرى، والمعانى الكبير / المجلد الأول ١٩٥ - ١٩٦.

(ب١) هذا البيت وما بعده إلى ١١ ليست فى الديوان، وإنما فى منتهى الطلب. الأغبر: القفر الموحش. العيس: الإبل البيض تخالطها شقرة يسيرة. تهادى: تتدافع. ريح زعزع: شديدة.

(ب١٢) البَهْم: جمع بَهْمة أولاد الضأن والمعز والبقر. الفرار: الهرب. أى تريد الهرب إذا رأت الذئب عدا فى بهمها وهو جائع، رواية الشعر والشعراء (عدا) بالمهملة.

٢- فَقَامتْ تَعُسُّ سَاعَةً ما تُطيقها مِنَ الدَّهْرِ نَامَتْها الكلابُ الظَّوالِع
٣- رَأَتْهُ فَشَكَّتْ وَهْوَ أَطْحَلُ مائلٌ إلى الأَرْضِ مَثْنِيٌّ إليه الأكَارِعُ
٤- طَوِيَ البَطْنِ إلا من مَصِيرٍ يَبُلُّهُ دَمُ الجَوْفِ أَوْ سُؤْرٌ من الحَوْضِ ناقِع
٥- هُوَ البَعْلُ الدَّانى من الناس كالذى لَهُ صُحْبَةٌ وهْوَ العَدُوُّ المُنَازِع
٦- تَرَى طَرَفَيْهِ يَعْسِلاَنِ كِلاَهُمَا كما اهْتَزَّ عُودُ السَّاسَمِ المتتايع
٧- إذا خَافَ جَوْرًا من عَدُوٍّ رَمَتْ به مَخَالِبُه والجَانِبُ المُتَوَاسِعُ
٨- وَإِنْ بَاتَ وحشاً لَيْلَةً لَمْ يَضِقْ بها ذِرَاعًا، ولَمْ يُصْبِحْ لها وهْوَ خَاضِعُ

(ب٢) تَعُس، رواها ابن قتيبة " تُعَشّى "، وعَسُّ الشئ كاعتسه: طلبه بالليل أو قصده. يريد قصدت البهم بالليل. والظوالع: جمع ظالع، وهو من الكلاب الذى لا ينام إلا بعد أن تنام الكلاب لأنه ينتظر أن تسفد الكلاب ثم يسفد هو بعدها لضعفه وظلعه، وفى مثل للعرب " أفعل ذلك إذا نام ظالع الكلاب ".

(ب٣) الأطحل: ما لونه الطُّحْلة، وهى لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل، كلون الرماد، ورواه ابن قتيبة " أكحل " والأكارع: القوائم والأرجل.

(ب٤) الطَّوِى – بكسر الواو وتخفيف الياء: الضامر البطن. المصير: المعى، وتجمع على مُصران، وجمع الجمع مصارين. وفى رواية (قليل المعى إلا مصيرا يبله). وفى أخرى: (خفيف المعى). السؤر: البقية. ناقع: وصف من نقع الماء العطش نقوعا إذا سكَّنه، والناقع الذى طال مكثه فى الحوض. وذلك لأنه فى أرض موحشة لا يردها أحد.

(ب٥) البَعِل: البَرِم بأمره، أو هو الدَّهِش الفَرِق الذى لا يدرى ما يفعل.

(ب٦) طرفيه: يعنى مقدمه ومؤخره. يعسلان: يهتزان، وعسل الذئب: مضى مسرعاً واضطرب فى عدوه وهز رأسه. والساسم: شجر أسود تتخذ منه السهام، وقيل: هو الأبنوس. والمتتايع: المستوى الذى لا عقد فيه، وذلك من لين ظهره. ورواه ابن قتيبة (المتتابع) بالموحدة.

(ب٧) فى المعانى الكبير والشعر والشعراء (قُصَايَتُه) بدلاً من (مخالبه). والقُصَايَةُ من القصو وهو البُعد. وفى رواية: (قصائبه) وهى العظام ذوات المخ، يريد أرجله. والمتواسع: وصف من السعة.

(ب٨) وحشا: أى جائعا، خالى الجوف لا طعام له، ومنه قيل: فلان يتوحش للدواء، يقول: هو صبور على الجوع. ذراعاً: هو مثل قولهم: ضاق بالأمر ذرعا وذراعا إذا ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا، أى مد يده فلم ينله. وفى رواية ابن قتيبة (وهو خاشع) بدلا من (وهو خاضع).

٩- ويَسْرِى لِسَاعَاتٍ من اللَّيل قَرَّةٍ ... يَهَابُ السُّرَى فيها المَخَاضُ النَّوَازِعُ
١٠- إذَا احْتَلَّ حِضْنَىْ بَلْدَةٍ طُرَّ مِنْهُما ... لأُخْرَى، خَفِىُّ الشَّخْصِ للرِيح تَابِعُ
١١- وإن حَذِرَتْ أرضٌ علَيه فإنَّهُ ... بِغِرَّةِ أُخْرَى طَيِّبُ النَّفْس قَانِعُ
١٢- إذا نَالَ من بَهْم البخيلة غِرَّةً ... عَلَى غَفْلَةٍ مِمَّا يَسرَى وهو طَالِعُ
١٣- تَلُومُ ولَوْ كَانَ ابْنَها فرحَتْ به ... إذا هَبَّ أرْوَاحُ الشِّتَاءِ الزَّعَازِعِ
١٤- ونَمْتَ كنَوْمِ الفهد عن ذى حَفِيظَةٍ ... أكَلْتَ طَعَامًا دُونَهُ وهو جَائِعُ
١٥- يَنَامُ بِإِحدَى مُقْلَتَيْه ويَتَّقِى ... بأُخْرَى الأَعَادِى فَهْوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ
١٦- إذا قَامَ ألْقَى بَوْعَهُ قَدْرَ طُوله ... ومَدَّدَ مِنْهُ صُلْبَه وَهُو بَائِعُ

(ب٩) قَرَّة: باردة. والسرى: سير عامة الليل. المخاض: الحوامل من النوق، وقيل: العشار التى أتى عليها من حملها عشرة أشهر. والنوازع: جمع نازع، وهى الناقة التى تحن إلى أوطانها ومرعاها.

(ب١٠) حضنا البلدة: جانباها. وطُرّ: طُرِد وسيق سوقًا شديدا. قال ابن قتيبة: احتل حضنى بلدة، هذا مثل، أى كما يختل الرمح حضنى الإنسان أى ينفذهما. للريح تابع: أى يتشمم فإذا وجد ريح شئ اتبع الرائحة.

(ب١١) حذرت أرض عليه: أخافته. أى إن حذره أهل أرض وقعدوا له وطلبوه ليقتلوه خرج إلى أرض أخرى طيب النفس بها يغير على أهلها وعلى شائهم وهم له آمنون.

(ب١٣) فى رواية (قنعت به) قال ابن قتيبة المعنى: لو كان الذئب ابنها قنعت به لما يسرق من أغنام الناس ويأتيها به. وقيل المعنى: لو كان الذى ناله الذئب ابنها فرحت لشدة بخلها وحرصها على البهم.

(ب١٥) فى رواية " المنايا " بدل " الأعادى " وهذا البيت أشهر ما قيل فى يقظة الذئب وهو نائم. على أن الجاحظ شكك فى ذلك (راجع الحيوان ٤٦٧/٦) والهجوع هو النوم الغرق.

(ب١٦) البوع – بفتح الباء وبضمها – ومثله الباع: قدر مدّ اليدين، وما بينهما من البدن. وبائع: اسم فاعل منه. يقال: باع يبوع فهو بائع إذا بسط باعه، قال ابن قتيبة: يعنى أنه يتمطى. والصلب: الظهر. رواه ابن قتيبة هكذا [...   ......   ومَرَّد منه...   ...]

١٧- وفكّــكَ لَحيَيــه فلمّـا تَعادَيَـا ... صَـأى ثُـمَّ أقْعَـى والـبلادُ بَلاَقــع
١٨- فَظَلّ يُرَاعى الجَيْشَ حتّى تغَيَّبَتْ ... خُـبَاشُ وحَالَـتْ دونَهُـنَّ الأجَـارِعُ
١٩- إذَا مـا غَـدَا يَوْمًا رَأيْتَ غَيَابةً ... مِـنَ الطّـيْرِ يَـنْظُرْنَ الذى هُوَ صَانِعُ
٢٠- فَهَـمَّ بأمـرٍ ثُـمَّ أزْمَـعَ غَـيْرَه ... وإنْ ضَـاقَ أمْـرٌ مَـرَّةً فهْـو وَاسِـعُ

* * * *

(ب١٧) تعاديــا: تــباعدا. صأى: صاح. أقعى: جلس على أليتيه ونصب فخذيه. بلاقع: جمع بلقع وبلقعة، وهى الأرض القفر التى لا شئ بها.

(ب١٨) خُـباش: نخـل لبـنى يشكر باليمامة. وقيل: اسم هضبة، وقيل: خُباش اسم من أسماء الشمس، وليس بذاك.

قال المرتضى فى هذا البيت:

يتـبع الجـيش طمعا فى أن يتخلف رجل يثب عليه، لأنه من بين السباع لا يرغب فى القتلى، ولا يكاد يأكل إلا ما فرسه.

(أمالى المرتضى ٢/٢١٣ ط الحلبى).

(ب١٩) وقد رواه ابن قتيبة هكذا (فى المعانى الكبير). [إذا ما عدا يوما رأيت عناية].

والغـيابة: كـل شـئ أظل الإنسان فوق رأسه مثل السحابة والغبرة والظلمة ونحو ذلك. وفى الشعر والشعراء: (رأيتَ ظِلالَةً...)

(ب٢٠) يعنى أن من طباع الذئب أنه يهم بفعل الشئ ثم يتركه إلى غيره، وهذا البيت ورد – ضمن أبيات – منســوبة لابن عنقاء الفزارى، وقد أوردناها. (راجع أمالى المرتضى ٢/٢١٢، ٢١٣) ويبدو لى أن الخلط من الناسخ، لأن القصيدتين فى الأمالى.

يتحدث حميد عن امرأة صاحبة بَهْم، فيرصد قلقها، وتوجسها، وتوترها، ومحاذرتها الذئب، وحرصها على ألا يصيب من بهمها شيئا.

وحين يذكر الذئب لا يصرح باسمه، وإنما يكتفى بضمير الغائب، لأنه يفهم من الكلام بسبب العداوة الشديدة بينه وبين الضأن

يقول أسماء:

١- تَرَى رَبَّةُ البَهْمِ الفِرَارَ عَشِيَّةً   إذَا ما عَدَا فى بَهْمِهَا وهْوَ ضائِعُ

٢- فَقَامتْ تَعُسُّ سَاعَةً ما تُطيقها   مِن الدَّهْر نَامَتْها الكلابُ الطَّوالع

فمن ذا الذى يعدو فى البهم ؟ إنه الذئب، والسبب أنه مدرك إن لم يحقق شيئا من هذه البهم فهو ضائع، أى موته محقق بسبب الجوع. إذاً لن يقر قراره إلا بأن يقتل ذلك الجوع.. وكان ذلك هو سبب هلع تلك المرأة وذعرها، إنها حريصة على سلامة بهمها.

من ثم خاصم النوم عينيها، لقد نامت الكلاب، وفى وقت نوم الكلاب يأتى الذئب المحتال، الذى لم تتبين المرأة حقيقته، فهو رابض على الأرض، واضع قوائمه بعضها على بعض.. ومن هنا أخذت تتساءل: أهو الذئب؟ أم شئ آخر؟

٣- رَأتْهُ فَشَكَّتْ وَهْوَ أطْحَلُ مائلٌ   إلى الأرْض مَثْنِىٌّ إليه الأكَارِعُ

إنه ذئب، يضرب لونه إلى السواد فى غبرة، كلون الرماد (أطحل) فأنّى لها أن تنام، أو يطمئن جنبها، ويغمض جفنها ؟!

٤- طَوِىَ البَطْنِ إلا من مَصِيرٍ يَبُلُّهُ   دَمُ الجَوْفِ أوْ سُؤْرٌ من الحَوْضِ ناقع

لقــد أخذت تتأمله، وترقب حركاته، وتركز عدستها عليه، فرأته جائعا، معدتــه خالــية من الطعام، وليس فى جوفه شئ سوى مصيره الذى يبله دم جوفه، أو شئ يناله من الماء، وذلك أدعى لشدة طلبه الطعام.

هــذا الجــوع صيّره أعمى عن كل شئ إلا الحصول على ما يقتل به جوعــه مهما كلفه، إنه لا يدرى ما يفعل، فهو مضطرب، وها هو يدنو من الــناس، فمن يراه يظن أن له معهم صحبة، وحقيقة الأمر أنه فَرِقٌ لا يدرى ما يفعل:

٥- هُــوَ البَعْلُ الدَّانى من الناس كالذى   لــه صُــحْبَةٌ وهُــو العَــدُوُّ المُــنَازِع

ثــم يصف طرفيه ويقول إنهما يهتزان، وأن ظهره لين، مستو، لا عقد فيه.

وهو حذر، وحين يخاف عدوا فإنه يساعده على اتقائه مخالبه:

٦- تَــرَى طَرَفَــيْه يَعْسِــلاَن كِلاَهُمَــا   كمــا اهْــتَزَّ عُــودُ السَّاسَــمِ المُتَــتَابِعُ

٧- إذَا خَــافَ جوْرًا من عَدُوٍّ رَمَتْ به   مَخَالِــبُه والجَانِــبُ المُتَوَاسِــعُ

وهذا الذئب لا يستسلم للجوع، صحيح أنه يصبر عليه، ولكن لديه أمل دائــم فــى الحصول على ما يقتل جوعه، وهو لذلك ساع دؤوب، إنه يسير ســاعات مــن الليل وقت البرد الشديد، فى حين أن النوق التى يضرب بها المثل فى القدرة على اقتحام مثل هذه الأجواء تهاب السير فيها:

٨- وَإِنْ بَــاتَ وحشاً لَيْلَةً لَمْ يضِقْ بها   ذِرَاعًــا، ولَــمْ يُصْــبِحْ لها وهُوَ خَاضِعُ

٩- ويَسْــرِى لِسَــاعَاتٍ من اللَّيل قَرَّةٍ   يَهَــابُ السُّــرَى فيها المَخَاضُ النَّوَازِعُ

وهــذا الذئب يتمتع بحاسة شم شديدة، ولذا يتابع الريح، فإذا وجد ريح شئ اتبع الرائحة.

وكان الشنفرى أدق منه حين قال:

غدا طاويا يستعرض الريح هافيا ....

ثم يقول حميد:

١٠- إِذَا اخــتَلَ حِضْنَىْ بَلْدَةٍ طَرٌ مِنْهُمَا لأُخْــرَى، خَفِــىُّ الشَّــخْص للريح تَابِعُ

هــو لا يستســلم لهزيمة، فإن ضاقت به أرض وشعر أن فرصته غير مواتــية فيها، لحرص أهلها الشديد على بهمهم، وشدة معاداتهم له، وطلبهم قــتله... حينــئذ يخرج إلى أرض أخرى طيب النفس بها، فيغير على أهلها وشائهم وهم آمنون جانبه.

ويركــز الشــاعر - فى صورة رائعة - على مباراة بين المتربِّصيْن: المرأة والذئب، كل منهما حذر الآخر، والمتوقع أن الذئب هو المنتصر، لأن هــذه المــرأة ضعيفة، فى حين أن الذئب يملك من الأسلحة ما يرجح كفته ترجيحا قويا.

والعجيب أن المرأة هى التى انتصرت، فكيف كان ذلك؟

إن "حميداً" يرينا كيف أن الذئب استكان وخضع، واستسلم للنوم، لأنه لم يجــد فــائدة من السهر، وذلك على الرغم مما به من جوع، وأن هذه المرأة انتصــرت بــبخلها الشديد، وحرصها البالغ على ألا يضيع من بهمهما شئ، فخيَّبتْ أمل الذئب، وضيَّعت سهره بلا جدوى.

وحمــيد يركــز علــى هــذا البخل فى تلك المرأة، التى بلغ بها البخل والحرص أن نسيت غريزة الأمومة فصارت غير طبيعية، حين يهون عليها فقد ابنها، فى حين يعظم عليها فقد واحدة من غنمها.

يقول حميد:

١٢- إذا نَـالَ مـن بَهْم البخيلة غِرّةً عَلَـى غَفْلَـةٍ ممّـا يَـرَى وهو طَالِعُ
١٣- تَلُـومُ ولَـوْ كَانَ ابْنَها فرحَتْ به إذا هَـبَّ أرْوَاحُ الشِّـتَاء الـزَّعَازِع

وقد يكون المعنى: أن الذئب حين ينال من ضأنها فإنها تحزن، ولو أن ابنها هو الذى فعل ذلك – أى أخذ أموال الناس ظلما وعدوانا – فإنها تكون سعيدة بفعله.

١٤- وَنِمْتَ كَنَوْمِ الفهد عن ذى حَفيظةٍ أكَلْـتَ طَعَامًـا دُونَـهُ وهـو جَـائِعُ
١٥- يَـنَامُ بـإحدَى مُقْلَتَـيْه ويـتّقِى بأخْـرى الأعَـادِى فَهْـوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ
١٦- إذا قَـامَ ألْقَـى بَوْعَهُ قَدْرَ طُوله وَمَـدَّدَ مِـنْهُ صُـلْبَه وَهـو بـائِعُ
١٧- وفكّـكَ لَحْيَـيْه فَلَمَّـا تَعَادَيَـا صَـأى ثُـمَّ أقْعَـى والـبِلادُ بَلاقِـع

يصـف حمـيد نـوم هـذا الذئب – وسائر الذئاب – آخذًا المعنى من معـتقدات الـبدو الذيـن يـزعمون أن الذئب ينام بإحدى عينيه لشدة حذره وحرصـه علـى نفسه، وسنلاحظ أن هذا الوصف إنما يأتى غالباً فى سياق الحديث عن جوعه، فكيف ينام جائع؟!

ونومـه هـذا ليس نوما خفيفا، إذ إن الذئب لم يكن وسنان أو نعسان، وهـذان مـن الـنوم الخفـيف، لأنهما من أول النوم. وإنما الهجوع النوم الغرق.(١)

وحين يصحو يتمطى ويمدد صلبه، وكأنه يستعيد قوته ونشاطه ليواصل سـعيه الحثيث مرة أخرى حتى يقتل جوعه، وتأمل كيف خيبت المرأة أمله فولـى وجهه تجاه الرجال الشجعان البواسل، إنهم جند محاربون، عله يظفر منهم بشئ لم ينله هناك، فالمرأة إذا كانت أشد وأقوى وأعنف من هؤلاء.

---

(١) راجـع لذلـك: فقه اللغة للثعالبى ص١٣٠ تحقيق د./ ديزيره سقال. دار الفكر العربى – بيروت ط أولى ١٩٩٩.

١٨- فَظَلَّ يُرَاعِى الجَيْشَ حَتَّى تَغَيَّبَتْ خُبَاشٌ وَحَالَتْ دونَهُنَّ الأَجَارِعُ
١٩- إذَا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَيَابَةً مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الذى هُوَ صَانِعُ
٢٠- فَهَمَّ بأمرٍ ثُمَّ أزْمَعَ غَيْرَه وإنْ ضَاقَ أمْرٌ مَرَّةً فهْو وَاسِعُ

وهو يتابع الجيش لا ليقع على قتيل - فهذا ليس من دأبه -، وإنما يطمع " فى أن يتخلف رجل يثب عليه، لأنه من بين السباع لا يرغب فى القتلى، ولا يكاد يأكل إلا ما فرسه" [1]

وتجد الطير تتبعه، ترصد حركاته، وترقب تصرفاته بفريسته، ثم تنتظر ماذا سيترك لها، أو ربما فكرت أن تشاركه.

إنه لا يخيب أمله، بل الأمل قائم لديه، فإن ضاق مرة اتسع فى الأخرى.

" وفى وصف حميد هذا تبدو طبيعته البادية التى تألف حيوان الصحراء، إنسيه ووحشيه، وتتجلى فيه الأصالة لصدوره عن حسه بلا تقليد، وتصويره فيه لما استرعى تأمله فى صدق وموضوعية وكفاءة علمية وبيانية، فكلما كان الشاعر أعلم بأجزاء الموصوف وحالاته وأقدر على استقصاء هذا العلم فى شعره كان أبلغ فى الوصف وأولى بالتقديم فيه ".[2]

* * * *

---

(١) أمالى المرتضى ١٢٣/٤ ط الحلبى وقد كان المرتضى دقيقا حين قال (لا يكاد) إذ إن بعض الشعراء أشاروا إلى أنه يأكل من كسب غيره، ولعل ذلك حال المخمصة. فهو حينئذ يأكل ما يقع عليه، أيا كان، من كسب غيره، أو جيفة.. وإلا مات جوعا.

(٢) تاريخ آداب العرب / الرافعى ١٢١/٣، حميد بن ثور الهلالى ص٧٩.

النجاشى (*)
يلقّن الذئب درساً فى الكرم

قال وذكر ماء : (١)

١- ومَـاءٍ كَلَـونِ البَوْلِ قَدْ عَادَ آجِنًا   قَـليلٌ بِـهِ الأصْـوَاتُ ذى كَـلأٍ مَخْلِى
٢- لَقِيـتُ عَلَـيْه الذئـبَ يَعْوِى كأنّه   خَلِـيعٌ خَـلاً مِـنْ كـل مالٍ ومن أهلِ
٣- فَقُلْـتُ له: يـا ذئبُ هلْ لك فى أخٍ   يُوَاسِـى بِـلا أثـرٍ عَلَـيكَ ولا بُخْـلِ
٤- فَقَـالَ: هَـدَاكَ اللَّـهُ، إنَّـكَ إنَّمـا   دَعَـوْتَ لِمـا لَـمْ يأتِـه سَـبُعٌ قَـبْلِى
٥- فَلَسْـتُ بآتِـيه، ولاَ أسْـتَطِيعُهُ   وَلاكِ اسْـقِنِى إنْ كَـانَ مَاؤُكَ ذَا فَضْلِ

(*) هـو قـيس بن عمرو بن مالك من بنى الحارث بن كعب... عاش فى الجاهلية فترة، ثم أسلم مع من أسـلم مـن قومـه فى اليمن. وكان - فيما روى - ضعيف الدين. ولقب بـ (النجاشى) لأن لونه كان يشبه لون الأحباش.

ترجمته فى:

الشـعر والشعراء ٣٢٩/١ برقم ٣٧، الاشتقاق ٤٠٠، الطبقات الكبرى ج ١/القسم الثانى ٢٠٧، الشعراء السود ١٠١.

(١) نسـب هـذا الشـعر إلـى امرئ القيس، انظر ديوانه ٣٦٣. وفى أمالى المرتضى ٣١٢/٢، ٣١٣، والمعانى الكبير ٢٠٧/١، ٢٠٨، للنجاشى الحارثى. وانظر أيضاً: خزانة الأدب ٤١٩/١٠ ط الخانجى، ورسالة الصاهل والشاحج ١٦٥، والشعراء السود ١١٠.

(ب١) روايـة الخـزانة [ومـاء كلون الغسل....... فى بلد محل] والغسل: ما يغسل به الرأس من سدر وخطمى ونحو ذلك. يريد أن ذلك الماء كان متغير اللون من طول المكث مخضراً أو مصفراً ونحوهما.

الآجن: متغير الطعم واللون فلا يشربه أحد. ورواية البيت فى الصاهل والشاحج هكذا:

وماء كأن الطحلب الجوف فوقه   طروقا على أرجائه ثائر الغُسل

قليل به الأصوات: أى هو قفر لا حيوان فيه. والمحل: الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ.

(ب٢) روايته فى الصاهل والشاحج: [وجدت عليه الذئب...] والخليع: الذى خلعه أهله.

(ب٣) فى الصاهل والشاحج روايته: [... هل لك من أخ   يجازى بلا غرم عليك ولا خَذْلِ]

وفى الخزانة [... هل لك فى فتى   يواسى بلا من عليك ولا بخل]

(ب٤) روايته فى الخزانة [فقال: هداك الله للرشد إنما   ....]

٦- فقلــت: عَلَيْكَ الحَوْضَ، إنّى تَرَكْتُه   وفــى صَفْوِه فَضْلُ القَلُوصِ منَ السَّجْل
٧- فَطَــرَّبَ يَسْــتَعْوِى ذِئَابًــا كثــيرةً   وعَدَّيْــت، كــلٌّ مــن هَــوَاهُ عَلَى شغل

* * * *

التقى النجاشى والذئب على ذلك الماء المتغير، الذى أمحل الكلأ حوله.

وتغــيُّر الماء، وجفاف الكلأ يوحيان بالوحشة والفزع والرعب، فالجو جــو رعــب يبعــث على الخوف، وهنا يتبدى الذئب ليزيد من شدة الرعب والخوف، فهو يعوى قاطعا ذلك الصمت بصوت مزعج، وكأنه خليع طرده أهله، فهو وحيد، خلا من كل شئ، لا مال له ولا أهل...

فماذا يفعل الشاعر ؟

لقــد وجــه دعوة كريمة - بل غاية فى الكرم - للذئب، يعرض عليه مشاركته الزاد، فهما أخوان، فما الذى يمنع أن يواسيه ؟.

وهــنا يرى الذئب الشاعر وكأنه ضل، فيدعو له بالهداية قائلاً: "هداك الله"، ذلــك أن مــثل هذا لم يحدث من قبل بين الوحوش وبنى البشر، وأنى لذئب أن يؤاكل إنساناً ؟!.

ومــن ثم يرفض الذئب الدعوة، ويكتفى بطلب ماء إن كان فائضاً عن حاجة الشاعر.

ويرد الشاعر: هاك الحوض فيه بقية من ماء فاضل بعد شرب قلوصى. ويغادر النجاشى الماء تاركا إياه للذئب.

(ب٦) روايته فى الخزانة [.........   وفــى صــفوه......] والصفو: الجانب المقابل. وعليك: اسم فعل بمعنى الزم. والسَّجل: الدلو العظيمة.

(ب٧) طرب: رجّع ومدد فى صوته. عديت: لففت حتى عدلوا.

فيعوى الذئب مستدعيا جماعة الذئاب ليشاركوه الماء، وكأنه تعلم درس الكرم والوفاء من الشاعر، لسان حاله:

يجود علينا الخيرون (بمائهم)   ونحن (بماء) الخيرين نجود

" لقد استطاع الشاعر عن طريق هذا الحوار المتخيل أن يستنطق الذئب، ليكشف لنا عن مشاعره، وشدة عجبه من تلك الدعوة المفاجئة إلى الطعام، والتى لم يسبق لها نظير فى علاقة الإنسان بالحيوان.

" ويبدو أن الذى سوغ له هذا الحوار شدة الشبه، ووضوح العلاقة بين الشاعر الذى كان غارقا فى هواجسه، مشغول البال، فذهب هائما فى الصحراء، وبين الذئب الذى كان فريدا كالخليع الذى طردته العشيرة، فليس له أهل، ولا مال...

" وعلى كل فالحوار يحمل فى طياته أفكاراً وردودا تتسم بالوضوح والترتيب، كأنه يعتقد أنه لو كان ممن يعقل أو ينطق لقال هذا القول " [١]

إن هذه القصة " تشبه (دراما) صغيرة نكتشف منها أنه لم يجر على منوال العرب الذين كانوا لا يألفون الذئب...

" فالنجاشى كان أقرب إلى الذئب من كل الشعراء الذين تقابلوا معه " [٢]

ويقول أحد الباحثين:

" إننا نفتقد الواقعية فيما أتى به النجاشى، وقصته هذه لمحة من لمحات الخيال، لأن مثل هذه العلاقة الطيبة، وهذا الحديث الودى، ربما لا يقع بين البشر أنفسهم بله الحيوان فى صحراء يقل فيها الطعام، ويندر فى أرجائها

(١) الحوار فى القصيدة العربية ص٢٣٧ د./ السيد أحمد عمارة.

(٢) الشعراء السود وخصائصهم فى الشعر العربى ص٣٠٨ د./ عبده بدوى.

الماء، ولكنه شاء أن يقول فى الذئب، وأن يحور فى منهج من سبقوه بعض التحوير " (١)

أقول:

أمـــا القـــول: بأن النجاشى كان أقرب إلى الذئب من كل الشعراء الذين تقـــابلوا معه، فنحن لا نتفق مع الباحث فى ذلك، بل الصعاليك كانوا أقرب، ووصفهم للذئب وطباعه وحياته تفصح عن ذلك.

وأمـــا ما ذهب إليه أحدهم بأننا نفتقد الواقعية... إلخ فإننا نرى أن مثل هـــذا الشعر لا يعامل على هذا الوجه، وإلا فكل الشعر الذى ورد فيه حوار بين الإنسان والحيوان، بل بين شاعر كبير وابنه الصغير الذى لا يكاد يبين، كل هذا الشعر يفتقد الواقعية.

ولسوف نرد عليه أيضاً فى تعليقه على قصيدة البحترى.

* * * *

(١) شعر الطرد عند العرب ص٢٦٦.

الفصل الثالث

الذئب فى شعر العصر الأموى

١- الأخطل (غراب وذئب - تينان بدمنته)

٢- كثيّر (عيّال يعوى)

٣- الفرزدق (ضيف أطلس ممشوق الذراعين - توءم الغَدْر رفيقُ رحل - ذئب مُغِير)

٤- ذو الرمّة (الذئب مَحْزُون - ذئبٌ مُعْتَسٌ)

٥- الراعى النميرى (رعاة ذئاب)

٦- الشمردل (البادى أظلم)

٧- الطــرمّاح (ذئب أحلّ - أزلُّ هِزْلاَج - ذئبٌ أبْرَق اللّوْن، - الذئب الشّنُون - طِملٌ حَرِيصٌ)

٨- الكميت (تِلْب ضَرير - سِرحَانُ الفلاة)

٩- رؤبة

١٠-صعاليك العصر الأموى

- عبيد بن أيوب (يحالف الوحوش).
- مالك بن الريب (ذئب غضا صَارَ أضحوكة).
- الأحيمر السعدى (يستأنس بالذئب)

الذنب فى الشعر الأموى

مدخل:

بعــد مقتل الخليفة الثالث ذى النورين – عثمان بن عفان- ﷺ، تفجرت الفتــنة، وانقســمت الأمــة شــيعا وأحزابا... وقتل فى هذه الفتنة من أكابر الصحابة من قتل، وعلى رأسهم الخليفة الرابع على بن أبى طالب ﷺ.

وآلت الخلافة إلى معاوية – بل انتزعها – وأخذ يوطد دعائم حكمه بكل ســبيل، وابتدع فكرة ولاية العهد، فقطع أمل كل طامع فى الخلافة من غير أبــنائه، واســتعان الأمويون بولاة وعمال ذوى بطش وقوة لينفذوا سياستهم علــى الأمصار، وتسلط هؤلاء على البلاد والعباد، فلم يرقبوا فى مؤمن إلا ولا ذمة، وكان من أبرزهم فى ذلك: الحجاج بن يوسف، وزياد بن أبيه، وآل المهلب بن أبى صفرة.

وكــان الحكــام وولاتهم يرون الناس فريقين لا ثالث لهما، فإما معهم، وإما ضدهم...

وفى أعقاب الفتنة ظهرت عدة فرق، كل منها تدعى أنها صاحبة الحق فى الخلافة، وواجبها أن تقاتل لاسترداد هذا الحق بكل ما أوتيت.

وأبــرز هــذه الفــرق: الشــيعة (الهاشــميون)، الخوارج، الزبيريون (القرشيون)...

وجعــل شعراء هذه الفرق يوظفون الشعر لخدمة الحزب، يعبرون عن أهدافــه، ويســوقون الحجج والبراهين على أحقيتهم فى الخلافة، ويهاجمون الحزب الحاكم ويرمونه بتنكب الصراط المستقيم...

ولعل أبرز مثال لهؤلاء الشعراء هو (الكميت بن زيد الأسدى) - أشهر الشعراء الهاشميين- الذى يقول فى لاميته:

وعُطِّلَــت الأحْكَــامُ حــتَّى كأنَّــنا عَلَــى مِلَّــةٍ غَــيْرِ الــتى نَتَــنحَّلُ
كــلامُ النَّبييّـــن الهُـــدَاة كَلاَمُــنَا وَأفْعَـــالَ أهْـــلِ الجَاهِلِـــيَّة نَفْعَـــلُ

ولـــذا ضـــاق به الأمويون ذرعا، فأمر هشام بن عبدالملك واليه على العراق بقطع لسانه، ويده، ثم قتله..

واضطر الكميت بعد ذلك إلى ممالأة الأمويين ومدحهم..

وهـــذا كعـــب بن معدان الأزدى يخاطب الخليفة عمر بن عبد العزيز قائلا[1]

إن كُنْــتَ تَحْفَــظُ مَــا يَلِــيكَ فإنَّمَــا عُمَّـــالُ أرْضِـــكَ بالـــبلادِ ذِئَـــابُ
لَـــنْ يَسْـــتَجِيبُوا لِلَّـــذى تدْعـــو لَـــهُ حَـــتَّى تُجَلَّـــد بالسُّـــيُوف رِقَـــابُ
بِـــأكُفِّ مُنْصَـــلِتِينَ أهْـــلِ بَصَـــائِرٍ فـــى وقْعِهِـــنَّ مَزَاجِـــرٌ وعِقَـــابٌ

وشـــعراء الخوارج - على قلتهم - مثل حزبهم كانوا يرفضون الحكم القـــائم، لأنه جبرى، وليس شوريا.. ومن ثم رأوا أن قتل مغتصبى الخلافة جهاد فى سبيل الله وفى سبيل عقيدتهم.

وأما الآخرون فمنهم من كان شاعرا للبلاط، ومن كان طامعا فى المال والجاه، خائفا من أن يعضه وأولاده الجوع، فأخذوا ينافقون السلطة، ويهجون خصومها..

(١) البيان والتبيين ٣/٢١٣

علـــى أنهـــم لم يكونوا راضين عن طريقة الحكم وأسلوب أداء الحكام والولاة، ولكنهم يفيدون من الأموال التى تغدق عليهم، ويرون أنه لولا عطف هؤلاء وعطاؤهم لماتوا جُوعًا، يقول جرير:

لَـــوْلاَ ابْـــنُ عائشَـــةَ المـــبَارَكُ سَـــيْبُه أَبْكَـــى بَـــنِىَّ وَأَمْهـــم طُـــولُ الطَّـــوَى

وله فى ذلك كثير..

ولـــم يكـــن لهؤلاء الشعراء أن يعترضوا، أو يجهروا بشئ مما يرونه، وإلا كانت عواقبهم وخيمة.

ولكن:

فى شعر هؤلاء الشعراء تجد رموزا، تستطيع من خلالها التعرف على بعـــض مـــا كانوا يكتمونه.. مثل: الخيانة، الضياع، الجفاف، القيد والشكال، الحبس والأسر، وذلك فى سائر الفنون الشعرية.

ومـــن هـــنا فإن هذا الشعر فى حاجة ماسة إلى قراءته فى ضوء هذه الرموز حتى نتعرف على ما كانوا يخشون الإفصاح عنه، وما يضمرونه فى دواخلهم.

ولقـــد جاء شعرهم فى الذئب يحمل هذه الرموز، كإفصاح عما يعانونه من كبت، وتقييد حريات، وتكميم أفواه.. كما سنجد فى النماذج التالية:

* * * *

الأخطل (*)

(ت نحو ٩ هـ)

(١) غراب وذئب

قــال يصف غرابا وذئبا اعترضا له فى القفر، فجعل يطعمهما من زاده، فيتنافسان عليه: (١)

٩- خَليلَىَّ لَيْسَ الرَّأْىُ أنْ تَذَرَانى بدوِّيَّةٍ يَغْوى بها الصَّدَيان

١٠- وأرَّقنى من بَعْدِ مَا نمتُ نَوْمَةً وعَضْبٌ جَلَتْ عَنْهُ القُيُون يمانى

١١- تَصَاحُبُ ضَيْفَىْ قَفْرَةٍ يَعْرِفَانها غُرَابٍ وذئبٍ دائمِ العَسَلان

١٢- إذا حَضَرانى عند زادىَ لم أكُنْ بخيلاً، ولا صبًّا إذا تركانى

١٣- إذا ابْتَدَرَا ما تَطْرَحِ الكفُّ فَاتَه بِه حَبَشِى كيِّس اللَّحَظَان

١٤- يُبَاعِدُه منه الجَنَاحُ، وتَارَةً يراوحُ بَيْنَ الخَطْوِ والحَجَلانِ

١٥- إذا غَشَيَانى هِيلَتِ النَّفْس مِنْهُمَا قُشَعْرِيرَةً وازدَدْتُ خَوفَ جَنَانِ

* * * *

يخاطب الأخطل صاحبيه قائلا لهما: إنه ليس من الرأى ولا الحكمة أن تتركانى فى هذه الدوّية المهلكة تدوى حولى أصداء البوم والهامات.

(*) هو غِيَاثَ بن غَوْث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، من تغلب، كنيته أبو مالك، أحد ثلاثة شعراء فحول فى العصر الأموى. كان نصرانيا، وشاعرا للبلاط الأموى مدة..

توفى نحو ٩٠ أو ٩٢ هـ. راجع: الأغانى ٢٠٨/٨، الشعر والشعراء ٤٨٣ برقم ٨٧، فحولة الشعراء ٢٣، ٢٤، المؤتلف والمختلف ٢١، جمهرة أشعار العرب ٩١٧/٣.

(١) شرح ديوان الأخطل ٦٧، ٦٨ إيليا الحاوى.

(ب٩) دوية: فلاة خالية تدوى فيها الأصداء. الصديان: الهام والبوم.

(ب١٠) العضب: السيف القاطع.

(ب١١) العسلان: عدو الذئب.

(ب١٣) الحبشى: يقصد به هنا الغراب، لسواد لونه.

وإنـــه لـــم يكـــد يأخذه النوم – والسيف اليمانى إلى جنبه – حتى أرقه ضـــيفان غريـــبان، جمـــع بينهما الفقر وأقاما فيه، وأنهما إذا دنوًا إلى زاده أكرمهما ولم يكن بخيلا معهما، وإذا ما ابتعدا عنه لم يرغب فى إدنائهما منه، أى أنه كان كريما رغما عنه.

وربمـــا "كـــان يقف منهما موقف اللامبالاة، يبادرهما بمثل ما يبادرانه به"(١)

ويقول الأخطل:

إنه ما أن يرمى إليهما بالزاد حتى يكون الغراب أسبق من الذئب، وذلك لحـــدة بصره. وأنه كان يباعد الذئب بجناحه، يخطو حينا، ويقفز حيناً آخر، ثم إنه يخطف ويطير.

وفى اقترابهما منه يتملكه الذعر والخوف وتأخذه القشعريرة.

وفـــى الربط بين الذئب والغراب تأثر بكعب بن زهير الذى له أثره فى شعر الأخطل. وفى الجمع بينهما زيادة فى الشؤم والتوحش والهلع والذعر.

والشـــاعر فـــى البداية كان يعيش هذا الجو الموحش فى الدوية، حيث أصداء الهام والبوم تصوّت فى أرجاء القفر.

لقـــد خلّفه صاحباه فيها، فكان مكرهًا لا بطلاً، ولما كان مهيئا للخوف والرعـــب ظهر له ما يرعبه، ليس ذئبًا فقط كوحش مفترس، وإنما ضم إليه ذلك الغراب الذى هو رمز للخراب والدمار والشؤم.

والأخطـــل هنا – كما يبدو – يسوق أبياته من واقع تجربة... " فهو لم يقـــتحم الدوية اقتحاما بإرادته، بل إن صاحبيه خلفاه فيها، وقد جعلت أصداء

(١) الأخطل – إيليا حاوى ٤٩٧.

الهـــام والبوم تدوّى فيها مثيرة بنفسه الشعور بالهول والوحشة والتفرد. وقد يكـــون الهام والبوم قد صوتَتْ فعلا فى أرجاء القفر. وقد يكون الشاعر ذاته قد استحضرهما بخلَقِ خلقه، إذ ليس ثمة ما هو أدل منها على الشؤم والفراغ والـــتوحش. وإذا ارتحـــل صـــاحباه عـــنه قام من دونهما صاحبان آخران، ضـــاعفا من وقع الوحشة والخوف فى نفسه، وقد حاول حيناً أن يؤلّفهما بما يبذل لهما من طعامه، وهما يتسابقان لتلقفه، يطرد الغراب الذئب عنه بجناحه ويبعده، ومازال الأمر به كذلك حتى اعتراه الخوف الشديد واقشعر له بدنه.

"... وربمـــا كـــان الغـــراب والذئـــب هنا كشخصين فى هذا المشهد المسرحى الموحش على أديم الفلاة والعراء ". (١)

(١) الأخطل / إيليا حاوى ص٤٩٧، ٤٩٨.

(٢) تينان بدمنته

وقال: (١)

٣٩- يَعْتَفْنَهُ عندَ تينانٍ بدِمنَتِه ... بادى العُواءِ ضَئيلِ الشَّخص مكتسب

٤٠- طاوٍ كأنَّ دُخانَ الرِّمْثِ خالَطَه ... بادى السُّغابِ طويلِ الفَقْرِ مُكْتَئبِ

٤١- يَمْنَحْنَهُ شَزَرَ إنْكارٍ بمَعْرِفَةٍ ... لَوَاغِبَ الطَّرْفِ، قَدْ حَلَّقْنَ كالقُلُبِ

٤٢- وَهُنَّ عِندَ اغْتِرارِ القَوْمِ ثَوْرَتَها ... يَرْهَقْنَ مُجْتَمَعَ الأثْقانِ للرُّكَبِ

٤٣- مِنْهُنَّ ثُمَّتَ يَزْقِى قَذْفُ أرْجُلِها ... إهْذَابَ أيْدٍ بها يَفْرِينَ كالعَذَبِ

٤٤- كلَمْعِ أيْدى مَثَاكِيلٍ مُسَلَّبَةٍ ... يَنْعَيْنَ فِتْيانَ ضَرْسِ الدَّهْرِ والخُطُبِ

٤٥- لم يُبْقِ سَيْرِى إليهم مِنْ نَخَائِرِها ... غيرَ الصَّمِيمِ من الألْوَاحِ والعَصَبِ

* * * *

يتحدث الأخطل هنا عن إبل، يصدها عن ورود الماء عُواء الذئب [تينان]، وهذا الاسم – من أسماء الذئب – انفرد به الأخطل.

---

(١) الديوان ١/٢٤٩ – صنعة السكرى – تحقيق د./ فخر الدين قباوة – دار الأصمعى حلب، وشرح ديوان الأخطل / إيليا الحاوى ٢٨٦، اللسان / تين، وغيرهما [انظر / القسم الثانى من الكتاب / أسماء الذئب / تينان].

(ب٣٩) تعتاف: تصد. التينان: الذئب. الدمنة: موضع الماء. الضئيل الشخص: المتضائل بحجمه تخفيا. مكتسب: يبحث عن فريسة.

(ب٤٠) الطاوى: الجائع المهزول. الرِّمث: شجر يضرب إلى الغبرة. السُّغاب: الجوع.

(ب٤١) يمنحنه شزرا: ينظرن إليه بأطراف أعينهن. إنكار: استنكار من الخوف. لواغب: مُعْيِية. حلَّقْن: أدخلن عيونهن فى محاجرهن فبدت المحاجر كالحلقة. القُلُب: جمع القليب: البئر.

(ب٤٢) اغترار: على حين غِرة.

(ب٤٣) يَزْقى: يدفع. الإهذاب: السرعة والخفة. يفرى: يشق. العَذَب: السوط.

(ب٤٤) لمع بيده: أشار. المسلَّبة: التى مات ولدها. ضرس الدهر: أى تضنيهم الحروب والخطوب.

(ب٤٥) النخائر: الشحم الذى تدّخره.

هــذا الذئــب مقــيم فى دمنته، يتخفى، ويكمن، ويتربص، عساه يظفر بفريسة تسوقها قدماها إلى ذلك المكان.

ويبالغ الذئب فى التخفى فيضائل من جسده حتى لا يكاد يُرى.

يضاف إلى ذلك غبرة لونه...

إنه شديد الاكتئاب من شدة جوعه.. وكانت المطايا تنظر بطرف عينها إلــيها، كراهــيةً له، وحــذراً منه، حتى بدت عيونها فى محاجرها كالآبار المهجورة الفارغة.

وأربــاب هذه الإبل يمسكون الأرسنة ويشدونها، حتى تكاد رُكَبُها تمس أذقانها، وذلك إذا ثارت خائفة من الذئب.

وهــا هــى تعدو خائفة منه، لدرجة أن أرجلها تدفع أيديها التى تفرى الرمال كالسَّوْط.. وترى أيدى هذه المطايا كأنها أيدى نائحات يُوَلْوِلْن، وهنّ يُشرْن بقطع من القماش، يبكين فتية لهن صغاراً، أكلتْهم الحروب.

وقــد ذهبت أسنمة هذه المطايا، ولم يبق عليها من شحم ولا لحم لكثرة أسفارها.

ويبدو تأثر الأخطل بالجاهليين فى الربط بين الإبل والموت..

* * * *

كثير (*) ت نحو ١٠٧هـ

عيّال يعوى

قال وذكر ماء ورده: (١)

١- وصَـادَفْتُ عَـيَّالاً كـأن عُـوَاءَه بُكَـا مُجْـرَدٍ يَـبغى المبيـتَ خَلـيع

٢- عَوَى نَاشِزُ الحَيْزُوم مُضطَمِرُ الحَشَا يُعَـالجُ لـيلاً قارسًـا مَـع جُـوع

٣- فَصَوَّتَ إذ نادى بِبَاقٍ على الطَّوَى مُحَنَّـب أطْـرَافِ العِظَـامِ هَـبُوع

٤- فَلَـمْ يَجْـتَرِسْ إلاَّ مُعَـرِّسَ راكبٍ تَأَيَّـا قَلـيلاً واسْـتَرَى بِقَطِـيع

٥- ومَوْقَـع حُـرْجُوجٍ علـى ثَفِنَاتِها صَـبُور علـى عَـدْوَى المناخ جموع

٦- ومطـرح أثْـنَاء الـزِّمَامِ كأنَّـهُ مـزاحف أيـم بالفَـنَاءِ صَـرِيع

* * * *

(*) كثـيّر بـن عبدالرحمـن بن الأسود بن عامر الخزاعى، أبو صخر، شاعر مشهور من شعراء الغزل العـذرى، اشتهر بحبه عزة، فقيل له: كثير عزة، ويعرف بابن أبى جُمعة. قال المرزبانى: كان شاعر أهل الحجاز فى الإسلام، لا يقدمون عليه أحدا. توفى ١٠٧ هـ.

ترجمته فى:

الأغـانى ٢٥/٨ ، شـرح شواهد المغنى ٢٤، الوفيات ٤٣٣/١، المؤتلف ٢٥٥، ابن سلام ١٢١، الشعر والشعراء ٥٠٣ برقم ٩١، الأعلام للزركلى ٢١٩/٥.

(١) المعانى الكبير ١٩٨/١، ١٩٩.

(ب١) عيال: ذئب. المُجْرَدُ: هو الذى ذهب ماله. خليع: طريد خلعه أهله.

(ب٣) بـباق علـى الطوى: أى صوّت بصوتٍ باقٍ على الجوع. محنب: ويروى (مجنب). هبوع: يستعين بعنقه فى مشيه من الضعف.

(ب٤) الاجـتراس: الإصـابة. ويـروى (يحترس) أى يسرق. تأيا: تلبث قليلا. استرى: افتعل من السرى وهو السير ليلا. بقطيع: أى بقطع من الليل.

(ب٥) الحـرجوج: الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. وقيل الشديدة، وقيل هى الضامرة. وعدوى المكان وتعاديه واحد وهو أن يرتفع بعض وينخفض بعض.

(ب٦) الأيم: الحية.

هذا ذئب (عيال) يعوى ويصوت كرجل ضاع ماله، أو كخليع لا مأوى لــه، صــادفه (كثــير) فــى ليل قارس البرد. وهذا الذئب يعانى شدة البرد بالإضافة إلى شدة الجوع.

الذئب إذاً في حاجة إلى مأوى يكنه من أذى القرّ، وطعام يقتل به جوعه الشديد.

وقــد بلغ به الضعف والهزال مبلغاً شديداً، فها هو صوته المنبعث من بقايا روحه، كأنه يرثى نفسه.. وهو غير قادر على المشى، فلما كانت قوائمه لا تقوى على حمله لشدة هزاله وعظم جوعه صار يستعين بعنقه فى مشيه.

وسوف نجد ذا الرمة والطرماح فى مقطوعتين لهما يقتربان ويتشابهان كثيرا مع وصف كثير هذا.

* * * *

الفرزدق (*)

وصف الفرزدق الذئب في ثلاث مقطوعات: الأولى سينية، والثانية نونية، والثالثة عينية.

(١) ضيف أطلس ممشوق الذراعين

يقول في السينية: (١)

١- ولـيلة بتـنا بالغريّيـن ضـافنا ... علـى الـزّاد ممشوقُ الذّراعين أطلسُ

٢- تلمّسـنا حـتى أتانـا، ولـم يزلْ ... لـدنْ فطمـتْهُ أمّـهُ يـتلمّسُ

٣- ولـوْ أنّـهُ إذْ جاءنـا كـانَ دانيًا ... لألبسْـتُه لـوْ أنّـه كـانَ يلـبسُ

٤- ولكـنْ تـنحّى جنْـبةً بعْدَ ما دنا ... فكـانَ كقـيْدِ الـرّمْحِ بـلْ هـوَ أنفسُ

٥- فقاسـمتُهُ نصـفيْنِ بيْـني وبيْنَه ... بقـيّةَ زادي والرّكائـبُ نُعّـسُ

٦- وكانَ ابنُ ليْلَى إذْ قرَى الذئبَ زادَه ... علـى طـارقِ الظّلْمـاءِ لا يتَعبّسُ

(*) الفرزدق: همّام بن غالب بن صعصعة، من دارم من تميم، كنيته (أبو فراس)، ولد ونشأ بالبصرة ١٢ هـ وتوفى ١١٠هـ. أحد أشهر ثلاثة فحول أمويين.

ترجمته في:

الشعر والشعراء ٤٧١ برقم ٨٦، الأغاني ٢٧٦/٢١ دار إحياء التراث العربي، وفيات الأعيان ٨٦/٦ – ١٠٠ والمؤتلف والمختلف ٢٥٠، جمهرة أشعار العرب ٨٨١/٣.

(١) ديوانه ٣٨٧/١ تحقيق كرم البستاني – دار صادر، حماسة ابن الشجري ٧٢٠ تحقيق عبدالمعين الملوحي وأسماء الحمصي – وزارة الثقافة – دمشق ١٩٧٠م. وأمالي المرتضى ٢١١/٢، ٢١٢ تحقيق أبي الفضل – ط الحلبي – الأولى ١٩٥٤.

(ب١) أطلس: أغبر تعلوه حمرة

(ب٢) تلمسنا: طلبنا.

(ب٣) رواية المرتضى (لو أنه يتلبّس).

(ب٥) الركائب: الإبل.

(ب٦) في أمالي المرتضى (طارف الظلماء). وأما طارق الظلماء: فهو الضيف الطارق ليلا. لا يتعبس: أي لا يلاقي ذلك الضيف بوجه عبوس.

فــى تلك الليلة وذلك المكان (الغريّين) كان هناك ذئب جائع يبحث عن زاد، فهَدته حواسه إلى ذلك الموضع.. وهذا الذئب مذ فُطم يعتمد على نفسه فى البحث عن الطعام.

وكان الفرزدق فى غاية الكرم مع هذا الذئب، حتى إنه تمنى لو اقترب الذئــب فأكــرمه بالكسوة والطعام، بيد أن الذئب لا يلبس، لأنه حيوان ولد عاريــاً ويموت عارياً، ولكن يبقى أن الشاعر كريم سخى طاعم كاس، وهو مصرٌ على إكرام الذئب فماذا يفعل؟

لقــد قاسمه الزاد مُنَاصَفَةً بينه وبينه، وهو يمارس هذا الكرم والجود بينما الركائب ناعسون..

والشــاعر متأسٍّ بــ (ابن ليلى) الذى كان من عادته إكرام الذئاب غير عابس وهو يجود عليهم.

هذه القصيدة "تكاد أن تخرج عن طبيعة الوصف النقلى التقليدى للذئب، لأنــه التفــت فــيها إلــى الجانــب القصصى وأفاض عليها شيئا من الرقة الوجدانية". (١)

وهى رقة تخالف طبع الفرزدق الذى كان ينحت شعره من صخر.

ويــرى أحــد النقاد أن هذه المقطوعة "صورة جميلة فيها من المعانى الإنســانية ما يكفى لتعرّف بنفسها، وتشير بصدق إلى ذلك التفاعل الوجودى الحى" (٢)

* * * *

---

(١) فن الوصف وتطوره عبر العصور / إيليا الحاوى – دار الكتاب اللبنانى – ص ١٠٣.

(٢) شعراء من الماضى / كامل العبد الله – دار ومكتبة الحياة – بيروت ١٩٦٢ ص٩٥.

(٢) الذئب توءم الغدر
رفيق رحل الفرزدق

قال: (١)

١- وأطلسَ عسّالٍ وما كانَ صاحبًا ... دَعوتُ لِنارِى مَوْهنًا فأتانى
٢- فلمّا دنَا قُلتُ: ادنُ دونَكَ إنّنى ... وإيّاكَ فى زادى لمُشتركان
٣- فبتُّ أقُدُّ الزّادَ بينى وبينَهُ ... على ضَوءِ نارٍ مَرّةً ودُخَان
٤- فقلتُ لَهُ لمّا تكشّرَ ضَاحكاً ... وقائمُ سَيفِى من يَدى بمكان
٥- تَعَشّ، فإنْ وَاثقتَنى لا تخُوننى ... نَكُنْ مثلَ مَنْ يَا ذئبُ يَصْطَحبَان
٦- وأنتَ امرؤٌ يَا ذئبُ وَالغدْرُ كنتُمَا ... أخَيَّيْنِ كانَا أُرْضِعَا بلِبَان
٧- ولَوْ غَيرَنَا نَبّهتَ تَلْتَمِسُ القِرَى ... أتَاكَ بِسَهْمٍ أوْ شَبَاةِ سِنَانِ
٨- وكُلُّ رَفِيقَىْ كُلِّ رَحْلٍ وإنْ هُمَا ... تَعاطَى القَنَا قَوْمَاهُمَا أخَوَان
٩- فَهَلْ يَرْجِعَنَّ اللّهُ نَفْسًا تشَعّبَتْ ... عَلَى أثَرِ الغَادِينَ كُلَّ مكان

---

(١) ديوان الفرزدق جـ٢ /٣٢٩ - دار صادر، ط دار بيروت للطباعة والنشر، تاريخ الأدب العربى د./ عمر فروخ ٦٦١/١.

(ب١) أطلس: ذئب أغبر اللون. عسّال: هو الذئب يمشى العسلان، وقيل: إنما يمشى كذلك يتلوى من شدة جوعه. دعوت بنارى: أى كانت دعوتى له عن طريق النار التى أضرمتها حتى يراها فيأتى. وتلك نار القرى التى كان العرب يوقدونها لتكون علامة لكل من يحتاج إلى الطعام. موهنا: نحو منتصف الليل.

(ب٢) ادن: اقترب. دونك: أمامك.

(ب٣) فى رواية (فبت أسوّى الزاد) أى أقسمه بالسوية. وأقد: أقطع.

(ب٤) تكشر: كشف عن أسنانه، كناية عن التهديد. قائم سيفى: مقبض السيف قريب من يدى حتى أبادره به إن فكر فى مهاجمتى.

(ب٥) واثقتنى: عاهدتنى.

(ب٦) اللّبان - بالفتح -: الثدى، وبالكسر: الرضاع واللبن. أُخَيّين: أخوين توءمين.

(ب٧) القرى: طلب الطعام. شباة سنان: طرف الرمح. يقول: لو طلبت ضيافة غيرنا فى الليل لقتلك.

(ب٨) أى كل رفيقى سفر صديقان حتى وإن كان قوماهما عدوّين.

(ب٩) تشعّبت: توزعت فى كل مكان من الهموم. الغادين: الذاهبين المفارقين.

١٠- فَأَصْبَحْتُ لاَ أدْرِى، أَتْبَعُ ظَاعِنًا ... أم الشَّوْقُ مِنِى للمُقِيم دَعَانِى
١١- وَمَا مِنْهُمَا إلاَّ تَوَلَّى بِشِقِّه ... مِنَ القَلْبِ فَالعَيْنَانِ تَبْتَدِرَان

...... إلخ.

* * * *

والقصيدة طويلة، قيل: إنها فى مدح (يزيد بن المهلب)، وقيل: إن الفرزدق ذكر " فيها حادثا من أعظم حوادث الإسلام، وأجلّها خطرا، وهو مقتل (قتيبة بن مسلم)، وكان ضلع الفرزدق عليه، لأنه كان يتعصب لتميم، وكان الذى تولى قتل قتيبة (وكيع بن الأسود) من رجالات تميم ". (١)

والدكتور عبدالله الطيب يرى أن البناء الموضوعى للقصيدة غير نمطى، ويقول: (٢)

" فمن عجيب أمر الفرزدق فيها أنه بعد أن استهلها بخبر الذئب، أخذ فى النسيب، ولم يكن نسيبه شيئا صناعيا كأكثر هذا النسيب الذى نجده فى القصائد الطوال، وإنما كان شكوى حقيقية من إنسان حقيقى كان مغرماً به جدا، وذلك الإنسان هو زوجه (النوار) ".

وقصة تلك البيات كما أوردتها المصادر:

أن الفرزدق خرج مسافراً فى قافلة، ومعهم شاة مذبوحة، أعجلهم المسير عن أكلها، فجعلها على بعير، وكان القوم يتناوبون الحراسة، وإذا بالذئب يأتى وقت نوبة حراسة الفرزدق، والقوم معرّسون عند الفجر..

(ب١٠) ظاعنا: راحلا إلى القبر. المقيم: الباقى على قيد الحياة.

(ب١١) تولى بشقه: أخذ ناحية من قلبه فشغلها. تبتدران الدمع: تدمعان.

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ٢/٤١٢.

(٢) نفسه.

ثــم تختلف الروايات بعد ذلك [1]: فمن قائل إن الذئب هجم على الشاة وأخذ ينهشها، حتى نفرت الإبل، وأحس الفرزدق.

ومن قائل: إن الفرزدق قطع يد الشاة ورماها له علّه يقنع بها ويرجع. لكــن الذئــب ظل يتبع القافلة، وما زال الفرزدق يرمى له قطعة قطعة حتى شــبع الذئــب من لحم الشاة... وانتهى الأمر بذلك الشبع، وإقلاع الذئب عن متابعة القافلة، أو بطلوع الفجر ثم إسفار الصبح.

لكن الذى تقصه الأبيات مختلف، وهو ما يعنينا، بصرف النظر عما إذا كان ذلك حقيقة أم خيالا.

فى الأبيات أن الفرزدق قام بدعوة الذئب إلى طعام، وكانت تلك الدعوة على طريقة العرب الكرماء، حيث يوقدون نار القرى ليهتدى بها كلُّ مَن به حاجــة إلى الطعام.. واستجاب الذئب لتلك الدعوة الكريمة من الفرزدق، فى اللــيل البهــيم. ولم يحدثنا الشاعر أنه كان ضمن قافلة، فقط تحدث بضمير الجمع (بتنا – ضافنا).

المهم أن الذئب لبّى الدعوة، وزيادة فى الإكرام من الفرزدق طلب إلى الذئب أن يقترب ويدنو، فلبّى أيضاً، وأوضح الفرزدق له أن الزاد بينهما.

وأخــذ الفرزدق (يقد) أى يقطع قطعة له، وأخرى للذئب، قسمة عادلة، وكرم عظيم، على ضوء نار تارة، ودخان تارة أخرى.

وكــأن الشــاعر يــريد أن يقول: كان بمقدورى أن أجور فى القسمة، خاصــة فــى ظل ضوء خافت جدا، أو يكاد ينعدم.. لكننى ليس من طبعى الظلم والغدر.

---

(١) راجع: شعر الطبيعة د./ سيد نوفل ١٢٦، تاريخ الأدب العربى د./ عمر فروخ ٦٦١/١.

ويأتى بيته الرائع:

فقلـــتُ لَـــهُ لَمّــا تَكَشَّـــرَ ضَــاحِكاً وقــائِمُ سَــيْفى مــن يَــدِى بِمكــان

فتجد فيه (تكشر – ضاحكا)، كيف يتأتيان معا ؟

إن ردّ الفعل المنتظر من الذئب هو الرضا والسرور بما صنع الشاعر، فهل كان فتحه فمه ضحكا ؟

لكن كيف يفرق بين تكشير الوحش عن أنيابه، وضحكه ؟

يقول المتنبى الحكيم: (١)

إذَا رأيْــتَ نُــيُوبَ اللّيْــث بــارزَةً فَــلاَ تَظُنّــنّ أنّ اللّيْــثَ يَبْتَسِــمُ

والذئب – لأنه لئيم – " لا يحسن حتى أن يبتسم، فحتى ابتسامته تعكس صورة الوحش الرابض فيه بلا فكاك.. " (٢).

من هنا انقلب الحوار الدافئ إلى ساخن عدوانى، واستعد الفرزدق لأى بادرة غدر من الذئب فوضع يده على سيفه، وأخذ يهدد ويتوعد:

تَعَـشْ، فــإنْ عَاهَدْتَــنى لا تخُونــنى نَكُــنْ مــثلَ مَــنْ يَــا ذِئبُ يَصْطَحِبَان

" ويــتوازى الناب والكلمات فى حوار مأساوىّ يعرى عالم الفقد الذى يعيشــه الشــاعر الثاكل: تعش.. فإن عاهدتنى لا تخوننى.. فقد حاصرتنى الخــيانات مــن كل اتجاه.. لو غيرنا قصدت.. لما ظفرت بهذا القرى الذى تقدمــه يدى طائعة إليك.. ربما كانت السهام بديلاً عن الخبز الذى أعطيكه الآن. نحــن هنا أنت وأنا بلا زمالة مؤنسة.. فليكن آباؤنا يا ذئب قد احتربا

(١) ديوانه ٨٥/٤ شرح البرقوقى – دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان.

(٢) البعد الآخر فى الإبداع الشعرى ص١٧٠ د./ محمد أحمد العزب.

بـــلا حـــدود.. ربما يتيح توحدنا فى هذا الخلاء لأخوة تولد بيننا الآن.. لقد امتلأت الأعماق حتى الغثيان بحس الفقد ومأساوية الضياع " (١)

والفرزدق يبدو حريصا على بيان أنه لم ولن يكون صديقا للذئب، فهذا " الحيوان قد صيغ من الغدر، ولا يغير من الأمر استعداده لأن يلبسه الثياب ويقاسمه الزاد ويكرمه.. " (٢)

وتبدو دقة الفرزدق فى تعبيراته هنا فى مواطن، منها:

(أَقُدُّ الزاد بينى وبينه) أى يأكل لقمة ويطعم الذئب لقمة، وجمالية التعبير فـــى توقـــع النتيجة المترتبة على هذا الكرم الشديد.. فهل جزاء ذلك يكون الغدر ؟!

وقوله:

وأنْـتَ امـرؤٌ يَـا ذِئْـبُ وَالغَدْرُ كنتُمَا   أُخَيَّيْـــنِ كَانَـــا أُرْضِـــعَا بِلَـــبَانِ

فالذئـــب والغـــدر ليسا مجرد أخوين، من الرضاع، بل هما توأمان، لا يفترقان.

وكـــان الفرزدق قد مات أبناؤه، فنفسه " تتشعب وراءهم فى كل اتجاه، فلا هو بمستطيع أن يحبس أشواقه عنهم، وليس يملك فى هذا الدوار المخيف سوى ما تذرف العينان من دموع.

" إن الذئـــب هنا معادل موضوعى للموت الذى دمر أبناءه، وتركه فى عراء التجربة ممزقا بين توّق الرحلة وراءهم إلى حيث يرقدون فى رحاب

---

(١) البعد الآخر فى الإبداع الشعرى ١٧٠.

(٢) شعر الطبيعة د./ سيد نوفل ص١٢٤.

الأبديـــة البارد، وبين ضرورة الوقوف إلى جوار الباقين منهم يعانون حس الخوف وارتعاش الأمل وقيظ التوتر فى عالم ملئ بقسوة الأشياء ". (١)

وهو معادل موضوعى كذلك للموت الذى تخطف القائد العظيم "قتيبة بن مسلم".

ويـــرى الدكـــتور "عبدالله الطيب" فى هذا الوصف شيئا من الرمزية، يكشفها النسيب، يقول:

" ألا يجـــوز أن يكون الفرزدق قد تمثل شبها قويا بين ذلك الذئب الذى رآه، وهاتـــه المرأة التى لا تنى توبخه على فجوره وإقذاعه وتطلب منه أن يخلـــى ســـراحها ؟ أم لا يجوز أن الفرزدق كان يخاطب امرأته فى الحقيقة ممثلا لها فى صورة ذئب، وأبيات النسيب تصدق ذلك يقول:

٩- فَهَـلْ يَرْجِعَـنَّ اللَّـهُ نَفْسًا تَشَعَّبَتْ ... عَلَـى أَثْـرِ الغَادِيـنَ كـلَّ مكـان

١٠- فَأَصْـبَحْتُ لاَ أَدْرِى، أَأَتْبَعُ ظَاعِنًا ... أمِ الشَّـوْقُ مِـنى للمُقـيم دَعَـانى

١١- وَمَـا مِـنْهُمَا إلاَّ تَوَلَّـى بِشِـقِّه ... مِـنَ القَلْـبِ فَالعَيْـنَانِ تَبْـتَدِرَانِ

١٢- ولـو سُئِلَتْ عنى النوار وقومها ... إذن لـم تـوار الـنَّاجِذَ الشـفتَان

انظر إلى ذلك الشبه بين شطر هذا البيت وبين قوله (فقلتُ لَهُ لَمَّا تَكَشَّرَ ضَاحِكاً).

١٣- لَعَمْـرِى لَقَـدْ رَقَّقْتنى قبلِ رِقَّتى ... وأشْـعَلْتِ فـىَّ الشَّـيْبَ قَـبلَ زَمَـانى

١٤- وأمْضَحْتِ عِرْضى فى الحياة وشِنْتِه ... وأوْقَـدْتِ لـى نـارًا بكـلِّ مكـان

١٥- فَلَـوْلا عَقَابِـيلُ الفُـؤاد الذى به ... لَقَـدْ خَرَجَـتْ ثِنْـتَان تَـزْدَحمان

---

(١) البعد الآخر ص١٧٠.

(ب١٤) وأمضحت: عبت.

(ب١٥) العقابيل واحدة عقبولة أى بقية العلة ويقصد بقايا حبه .

يعنى: طلقتين وقيل: قصيدتى هجاء.

١٦- ولكــن نَسِـيبًا لا يَـزَالُ يَشُلُّنى إلــيكَ، كَــأنّى مُغْلَــقٌ بِــرِهَانِ

ولا يخفى ما فى هذا الكلام من العاطفة والقوة. وهذا ما يجعلنى أرجح أن أبيات الذئب كانت نوعاً من التمهيد والتوطئة له. (١)

ويرى الدكتور سامى الدهان أن الفرزدق بقصيدته النونية هذه " لا يريد بذلــك إلا أن يدلــنا علــى ما عنده من كرم وسخاء وشجاعة عند اللقاء، لا يصرفه عن طعامه إقبال الذئب عليه ووقوفه بين يديه... وقصيدته هذه بدوية ليس فيها غير التمدح بالكرم والشجاعة، والجمال الفنى فيها قليل " (٢)

إن " الوصــف هــنا طــريق إلــى البوح الإنسانى عن المعانى النبيلة والخواطر الإنسانية فى الذات الشاعرة " (٣)

(ب١٦) يشلنى: يطردنى ويدفعنى. مغلق برهان: أى كأنه من خيل السباق.

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ٢/٤١٣.

(٢) مجلة الرسالة ع ١٥ سنة ١٩٣٣.

(٣) شعراء من الماضى / كامل العبد الله ص٩٦.

٣- ذئبٌ مُغير

وقـــال الفـــرزدق [وكان يرعى على أمه وهو غلام، فأغار الذئب عليه فأخذ كبشا، فلما راح إليها لامته، وهو من أول شعر قاله] (*)

١- ولائمـــتى يومًـــا علـــى ما أتَتْ به ... صُـــرُوف اللّـــيَالى والخُطُـــوبُ القَوَارع
٢- فقلـــت لهـــا فيـــئى إليك وأقصرى ... فَـــأوْمُ الفـــتى سَـــيْفٌ بوَصَـــلَيْه قاطع
٣- تلـــومُ على أنْ صَبَّحَ الذِّئبُ ضَأنَها ... فـــألْوَى بحُـــبْشٍ وَهْوَ فى الرَّعْى راتعُ
٤- وقَـــدْ مَـــرَّ حولٌ بَعْدَ حَوْلٍ وأشْهُرٌ ... عَلَـــيْه بـــبُؤْسٍ وَهْـــوَ ظَمْـــآن جـــائع
٥- فلمـــا رأى الإقْـــدامَ حَـــزْمًا وأنَّـــه ... أخُـــو المَـــوْتِ مَنْ سُدَّت عليه المطالع
٦- أغَـــارَ علـــى خَوْفٍ وَصَادَفَ غِرَّةً ... فلاَقَـــى الـــتى كانَـــتْ علـــيها المطامع
٧- ومـــا كُنـــتُ مضيَاعًا ولكنَّ همّتى ... ســـوى الـــرَّعْى مَفْطومـــاً وإذْ أنا يافع
٨- أبِيـــتُ أسُـــومُ الـــنَّفْس كلَّ عظيمةٍ ... إذا وطُـــوِّتْ بالمُكثريـــن المَضَـــاجع

* * * *

أم الفـــرزدق تلومـــه إذ أهمل الرعى، فكانت النتيجة أن افترس الذئب كبشا من الغنم.

والفـــرزدق يؤلمه ذلك اللوم والتأنيب، حتى إنه يرى الموت أهون منه.
ثـــم يبرر فعل الذئب، فهو جائع مدة طويلة.. ولكن أنى يمر عليه حول بعد حول وأشهر وهو ظمآن جائع ؟!.

هـــذا غريـــب، ولكـــن ربما كان الذئب يجد ما يسد به رمقه، ولم يذق طعامه المفضل (الغنم) طوال تلك الفترة.

(*) الديوان / دار صادر ١/٤١٤.

(ب٢) فيئى إليك: ارجعى إليك. الأوم: العطش. يريد أنه يفضل الموت على ملامتها له.

(ب٣) حبش: كبش.

(ب٨) وطوت: تمهدت. المكثرون: الأغنياء

لم يجد الذئب مفرًا من أن يُقدم، فأغار خائفاً، وصادف ذلك الكبش الذى يبدو أنه شرد بعيدا عن القطيع..

فمـــاذا يفعل الراعى ؟ إنه ليس بمضياع.. ومع ذلك فهمته أكبر من أن يكون راعيا، إنه يتطلع إلى عظائم الأمور، وليس الرعى هو همه.

* * * *

ذو الرمة (*)

(١) الذئب محزون

قال: (١)

٦٢- بــه الذئــبُ مَحزُونٌ كأنّ عُوَاءَه عُــوَاءُ فَصــيلٍ آخــرَ اللّــيلِ مُحْــثَلِ

٦٣- يَخُــبُّ ويَستَنشِي، وإنْ تَأت نَبأةٌ علــى سَــمْعه يَنْصِــبْ لهــا ثم يَمْثُلِ

٦٤- أَقَــلَّ وَأَقْــوَى، فَهْــوَ طَاوٍ كَأنّما يُجَــاوِبُ أعْلَــى صَــوتِه صَوتُ مُعْوِلِ

* * * *

فــى هذا المكان تجد الذئب شديد الجوع، طاويا، ومن ثم فهو محزون، واشــتد عواؤه حتى لكأنه عواء فصيل - لا حول له ولا قوة - سئ الغذاء،

(*) ذو الــرمة: غَيْلَانُ بن عُقْبَة بن بُهَيْش، من قبيلة عدى بن عبد مناة. كان مولده فى نحو ٧٨ هــ فى خلافــة عــبدالملك بن مروان. ووفاته حوالى ١١٧ هــ فى خلافة هشام بن عبدالملك.. عن نحو ٤٠ سنة.

نشــأ فــى البادية، وزار العراق والشام والحجاز وخراسان والبصرة.. ولكن أكثر وقته قضاه فى البادية، وبهــا توفــى فى منطقة سماها البدو باسمه (عَنَاق ذى الرمة) كتخليد لاسم شاعر البادية.. الذى أحب الــبادية كما أحب مية، وبرع فى وصفها والتغزل فيها، ولذلك أطلق عليه (شاعر الحب والصحراء).. راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ٥٢٤ برقم ٩٤، والأغانى ١/١٨ وما بعدها.

(١) الأبــيات فــى الديــوان / تحقيق الدكتور أبو صالح ١٤٨٨/٣ - وهى فى طبعة المكتب الإسلامى / القصيدة رقم ٦٧ - ص ٦٠٠ - ٦٠١.

(ب٦٢) (محــزون) فــى روايــة هكذا بالرفع، وهناك رواية أخرى بالنصب (محزونا) وإنما كان محزونا بســبب جوعــه الشديد. شبه عواءه بصوت فصيل سئ الغذاء وهو المُحثل، ونصّ على أنه آخر الليل ليكون الجوع أشد.

(ب٦٣) يخــب: أى فــى مشيه. ويستنشى: أى يتشمم. النبأة: الصوت الخفى. ينصب: يقوم وينتصب ولا يمشى. ويروى (يَنْصِتْ).

(ب٦٤) أقــلّ: أى الذئــب وقع فى أرض قلّ، فليس فيها مطر ولا شئ. أقوى: أى فنى زاده. طاو: ضامر مــن الجــوع. مُعْــول: كأنما يجاوبه رجل يصيح. هكذا يخيل إلى الذئب. قال ابن قتيبة: أى إذا صاح أجابه الصدى.

تشـــتد وطـــأة الجوع به فى آخر الليل، وهو الوقت الذى يكون فيه السكون أعظم.

ويأخذ ذلك الذئب فى توظيف إمكاناته من المشى (الخَبَبَ)، وحاسة الشم الشـــديدة (ويستنشـــى)، ويـــرهف سمعه حتى إن أتى صوت ضعيف يؤذن بفريســـة هنا أو هناك يقوم واقفا ليكون أشد إنصاتا لها ، محدّدًا مصدرها.. ولكـــن أنى ذلك وقد نزل ذلك الذئب بأرض (قَلّ) ليس فيها مطر ولا شئ.. فلا حيلة له حينئذ سوى استمرار العواء حيث لا تجيبه هناك ذئاب – كما هو العادة – وإنما يجاوبه صدى صوته..

وبذلـــك يرسم ذو الرمة للذئب " الجائع صورة دقيقة، مكتملة التفاصيل، واضحة الملامح، تتعمق نفسيته فى إحساس قوى بها... " [1]

* * * *

(١) ذو الرمة شاعر الحب والصحراء ص١٧٠ د./ يوسف خليف – مكتبة غريب.

(٢) ذئب مُعتسٌ

وقال ذو الرمة: (١)

٤٠- وكَائِـنْ تَخَطَّتْ نَاقَتى مِنْ مَفَازَةٍ ... وكَـمْ زَلَّ عَـنْهَا مِـن جُحَافِ المَقَادرِ
٤١- وكَمْ عَرَّسَتْ بَعْدَ السُّرى منْ مُعرَّسٍ ... بِـه مِـن كَـلامِ الجِـنِّ أصْوَاتُ سَامِرِ
٤٢- إذَا اعتَسَّ فيه الذِّئْبُ لَمْ يَلْتَقِط له ... مِـن الكَسْـب إلاَّ مِـثْل مُلْقَى المشاجر
٤٣- مُـنَاخَ قَـرونِ الركْبَتَيْـن كأنَّـه ... مُعَـرَّسُ خَمْـسٍ مِـن قَطًـا مُـتَجَاور
٤٤- وَقَعْـنَ اثْنَتَيْـن واثْنَتَيْـن وفَرْدَةً ... حَـرِيدًا هـيَ الوُسْـطَى بِصَحْرَاءَ حَائر
٤٥- وَبَيْـنَهُمَا مُلْقَـى زِمَـامٍ كَأنَّـهُ ... مَخِـيطُ شُـجَاع آخِـرَ اللَّـيْلِ ثَائِـرُ
٤٦- ومُغْفَـى فَتًى حلَّتْ لَهُ فَوقَ رَحْله ... ثَمَانِـيةً جُـرْدًا صَـلاَةُ المُسَـافر

---

(١) الديــوان ٣/١٦٨٤ - تحقيق الدكتور عبدالقدوس أبو صالح، والديوان ط المكتب الإسلامى - الثانية ص٣٨١ وما بعدها.. والمعانى الكبير ١/٢٠٠.

(ب٤٠) زَلَّ عــنها: جاوزهــا مــن هــلاكه. جُحَــاف المقادر: يعنى مزاحمة المقادر ومقادر: جمع مَقْدَرة ومَقْدُرَة، مثل مشرفة ومشرُفة.

(ب٤١) عَرســت: الـتعريس: نــزول آخــر الليل للنوم والراحة. السامر: الذين يتحدثون ليلاً. المعرّس: موضع التعريس أيضا وهو النزول فى السحر.

(ب٤٢) اعــتسّ: طــاف لــيلا يطلب الصيد. ولذا قيل له: عسّاس، وعسوس. المشاجر: جمع مِشْجَر أو مشجرة، وهى أعواد الهوادج وخشب الرحل، شبه آثار قوائم الناقة حيث بركت بمشاجر ملقاة.

(ب٤٣) معرس القطا: مفاحصه.

(ب٤٤) اثنتيــن: أى ركبتيــن، واثنتين: الثفذتين، والثفنات: ما أصاب الأرض ومسها من يديها ورجليها وكركرتها. فردة: أى الكركرة وهى فى الصدر. حائر: موضع.

(ب٤٥) بينهما: بين موضع الركبتين. الشجاع: الحية، ومخيط شجاع: أثر مشيها. ثائر: طالب ثأر أخيه.

(ب٤٦) مغفى فتى: موضع نومه، أراد بالفتى نفسه. ثمانية جردا: أى كاملة، أى ثمانية أشهر كاملة حلّت له فيها صلاة المسافر، أى قصر الصلاة.

٤٧- سِوَى وَطْأَةٍ فى الأَرْضِ من غَيْرِ جَعْدَةٍ ثَنى أختَها فى غَرْزِ عَوْجَاءَ ضَامِرِ
٤٨- وموضع عِرْنِينٍ كريمٍ وجَبْهَةٍ إلى هَدَفٍ من مُسْرعٍ غَيْرِ فاجر
٤٩- طَوَى طَيَّةً فوقَ الكَرَى جَفْنَ عَيْنِه على رَهَبات من جِنانِ المُحَاذِرِ

* * * *

يتحدث ذو الرّمة هنا عن مفازة قطعتها ناقته، فيقول: إنها مواطن فى غاية الخطورة، اقتحمتها هذه الناقة العظيمة، فكان لابد من التعريس بعد السير الطويل... إنه مكان لا يسمع فيه إلا صوت الجن كأنهم يتسامرون بالليل.

وهذا المكان يأتيه الذئب، طالباً الطعام ليلاً، لكنه يخيب أمله، إذ لا يجد بهذا المكان سوى آثار... ما هذه الآثار ؟

- إنها آثار قوائم الناقة حين بركت، فكانت مثل أعواد الهوادج وخشب الرحل.
- وآثار الركبتين كأنها مفاحص القطا.
- وآثار وقع القوائم الأربع: اثنتين، واثنتين، ومس الصدر للأرض.
- وبين موضع الركبتين مثل أثر زحف حية.

(ب٤٧) سوى وطأة: يعنى نفسه عند نزوله. من غير جعدة: أى من رجل غير كزّة. ويروى من غير شثنة، وهى الخشنة الغليظة. وغرز: سير ركاب الرحل. عوجاء: ناقة اعوجت من الهزال. ويروى (سوى نداة دهماء من غير جعدة)، والنداة هى الوطأة.

(ب٤٨) موضع عرنين: موضع السجود. العرنين: الأنف. والهدف: ما أشرف. غير فاجر: لأنه يبادر الصلاة محافظا عليها. مسرع: أى أنه مسرع فى صلاته بسبب سفره.

(ب٤٩) قوله: طوى طية فوق الكرى..... أغمض عينيه على نوم قليل. من جنان المحاذر: أى مما أجنه صدره وأخفاه من الخوف.

- ومكان إغفاء فتى يصلى صلاة القصر لأنه مسافر لمدة ثمانية أشهر كاملة.

خلاصة الأمر أن المكان لا يتسع لاثنين، إنما هو على قدر واحد، بل لا يستريح فيه.

وسوف تذكرنا مقطوعة (طمل حريص) للطرماح بهذه الأبيات قريبا.

* * * *

الراعى النميرى (*)

رُعَاةٌ ذِئَابٌ

قال من قصيدة يمدح فيها عبدالملك بن مروان ويشكو من السعاة: (١)

٧١- إنْ السُّعَاةَ عَصَوْكَ حين بعثتَهم   وأتَوْا نَوَاهىَ لَوْ علمتَ وَغُولاَ
٧٢- إنْ الّذِين أَمَرتَهُمْ أنْ يَعْدِلُوا   لم يَفْعَلُوا ممّا أمَرتَ فَتِيلا
٧٣- أخَذُوا العَرِيفَ فقطَّعُوا حيزومه   بالأصبَحِيّة قائمًا مَغْلُولاَ
٧٤- حتّى إذَا لَمْ يَتْرُكُوا لعظامه   لَحمًا ولاَ لفُؤَاده مَعْقُولاَ
٧٥- نَسِىَ الأمَانَةَ مِنْ مَخَافَةِ لُقَّحٍ   شُمُسٍ تَرَكْنَ بِضَبْعِه مَجْزُولاَ
٧٦- كَتَبَ الدُّهَيْمَ وما تَجمّع حَوْلَها   ظُلْمًا فجَاءَ بِعَدْلِهَا مَعْدُولا
٧٧- وَغَدَوْا بَصكّهِمُ وَأحْدَبَ أسْأرَتْ   منه السِّيَاطُ يَرَاعَةً إجْفِيلاَ

(*) هو: عُبَيْد بن حُصَيْن بن جندل - وقيل بن معاوية، وخطَّأه فايبرت - بن قطن بن ربيعة بن عبدالله بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة، من هوازن بن منصور. لقب بالراعى لكثرة وصفه راعى الإبل وقطعانه فى شعره، ويكنى بأبى جندل. شاعر من كبار شعراء العصر الأموى، عاصر جريرًا والفرزدق والأخطل.

ترجمته فى: جمهرة أنساب العرب / ابن حزم ٢٧٩، الأغانى ٢٤/٢٠٥، الاشتقاق لابن دريد ١٧٩، المؤتلف والمختلف ١٧٧، ألقاب الشعراء / ابن حبيب ٣١٤، خزانة الأدب ١/٥٠٢، جمهرة أشعار العرب١/٢٤٢، موسوعة شعراء العرب ١/٢٤٢، الراعى النميرى د / محمد نبيه حجاب ٥٧، مقدمة الديوان/ جمع وتحقيق راينهرت فايبرت. وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤١٥ رقم ٦٨ سماه: حصين بن معاوية.

(١) القصيدة فى الديوان برقم ٥٨ ص٢١٣ وما بعدها، وهى طويلة فى اثنين وتسعين بيتا. وكذا جمهرة أشعار العرب ٣/٩٢٩ بتحقيق د./ الهاشمى من الملحمات، وفى الديوان جمع ناصر الحانى فى خمسة وثمانين بيتا، وبعض أبياتها فى المعانى الكبير ١/١٨٨.

(ب٧٣) الأصبحية: السياط واحدها أصبحى. العريف: رئيس القوم.

(ب٧٤) المعقول: العقل.

(ب٧٥) شمس: عسر. بضبعه رويت فى نسخة الحانى (بضيعَه) أى لحمه. مجزولا: مقطعا.

(ب٧٦) الدهيم: الأحمق والداهية.

(ب٧٧) اليراعة: قصبة شبه بها وجه العريف. الإجفيل: الذى يهرب من كل شئ فرقا.

٧٨- مـن عـامل منهم إذا غَيَّبتَهُ ... غَـالَى يُـريدُ خيانةً وغُلُولاَ
٧٩- خَـرِب الأمانـةَ لو أحطتَ بفعله ... لتَركْتَ منهُ طابقًا مَفصُولاَ
٨٠- كُتُبًا تركْنَ غَنيَّنَا ذَا خَلَّـةٍ ... بَعْدَ الغِنَى وَفَقِيرَنَا مَهْزُولا
٨١- أخـذوا حَمُولَتَه فَأَصبَحَ قَاعدًا ... لا يستطيعُ عن الدِّيار حويلا
٨٢- يدعو أميرَ المؤمنين ودُونَه ... خَرقٌ تجرُّ به الرياحُ ذُيُولا
٨٣ - كهُدَاهِدٍ كَسَرَ الرُّمَاةُ جَنَاحَهُ ... يَدْعُو بقارعةِ الطريق هَدِيلاَ
٨٤- وقَعَ الربيعُ وقد تَقَارَبَ خَطْوُهُ ... ورأى بعَقْوَتِه أزلَّ نَسُولاَ
٨٥- مُتَوَضِّحَ الأقْرَاب فيه شُهْبَةٌ ... نَهِشَ اليَدَيْن تَخَالُه مَشكُولا
٨٦- كدُخَانِ مُرتَجِلٍ بأعْلَى تَلْعَةٍ ... غَرثانَ ضَرَّمَ عَرفَجاً مَبلُولاَ
٨٧- ولئن سلمتُ لأَدعونْ بطعنةٍ ... تَدَعُ الفَرَائضَ بالشُّرَيْفِ قَلِيلاَ

* * * *

(ب٨١) حويلا: تحولا.

(ب٨٢) خرق: فلاة واسعة.

(ب٨٣) قال فى معجم البلدان: ليس قول الناس إن الهداهد هنا الهدهد بشئ، إنما الهُداهد الحمام الكثير الهَداهد، كما قالوا: قُراقر لكثير القراقر، وجُلاجل لكثير الجلاجل.

(ب٨٤) وفى رواية (وَقْعَ الربيع). العقوة: ساحة الدار وما حولها. الأزل: قليل اللحم، أى الذئب. نَسول: ذو النسلان، وهو السرعة.

(ب٨٥) فى رواية (متوشح الأقراب فيه نهمة).

(ب٨٦) المرتجل: الذى أصاب رَجْلا من جراد فهو يشويه، وجعله غرثان لكون الغرِث لا يختار الحطب اليابس على رطبه، فهو يشويه بما حضره، فأراد هذا الكلام ليكون لون الدخان بلون الذئب الأطحل متلفقين.

(ب٨٧) فى رواية (بالسديف) بدلا من (بالشُّريف). الفرائض: أى الزكاة وقد فسر الشيخ شاكر البيت قائلا: " يقول لئن سلمت وبقيت فلأهتفن بقومى أن يرحلوا عن ديارهم بالشريف رحلة لا تبقى بالشريف نَعَما تكون له زكاة تقبض فتخرج بذلك من ظلم جامع الزكاة الذى وليته على أرضنا " طبقات فحول الشعراء.

هـذه القصيدة "لون جديد من ألوان الشعر العربى، أضافه "الراعى"[1] إلـى الأدب فى ذلك العصر لمسيس الحاجة إليه حينما استشرى الظلم وعم الطغـيان، طغـيان العمال والسعاة الذين عُهد إليهم جمع الضرائب والزكاة فطغـوا فـى الـبلاد، وأكثروا فيها الفساد، وأثقلوا كاهل الشعب بالضرائب وامتصـوا دماءه على مرأى ومسمع من الولاة، والخلفاء عن ذلك راضون لحاجتهم إلى المال... ". [2]

وما أكثر الذين حدث لهم ذلك ووقع عليهم الظلم ولكنهم سكتوا !! إلا أن الـراعى النمـيرى لـم يسكت، بل " عز عليه أن يرى قومه فريسة الجور والطغـيان، تنوشهم سهام البغى من كل جانب، فتوجه إلى الخليفة عبدالملك بـن مـروان، وأنشد بين يديه هذه القصيدة، التى عدها أبوزيد القرشى من الملحمات.

وقد بدأها بقوله:

مَـا بَـالُ دَفِّـكَ بالفِـراشِ مَذِيـلاَ   أَقَـذًى بِعَيْـنِكَ أَمْ أَرَدْتَ رَحِـيلاَ

ثـم تحـدث إلـى ابنته " خلدة "، وذكر ما اعتراه من هموم، ووصف الرحلة إلى الخليفة..

---

(١) هناك قصيدة للكميت بن زيد الأسدى فى جور الحكام وهى مشهورة يقول فيها:

فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم   فحتام حتام العناء المطـول

رضوا بفعال السوء من أمر دينهم   فقد أيتموا طورا عداء وأثكلوا

إلى أن يقول:

تحـل دماء المسلمين لديهـم   ويَحْرُم طَلْعُ النَّخْلَة المتهـدل

(٢) راجع: الراعى النميرى / محمد نبيه حجاب ص١٥٣.

والراعي يذكّر الخليفة بأنهم قوم مؤمنون بالله، يؤدون حق الله، يصلون ويـــزكّون، وهـــم قانعون بأن الزكاة حق فى أموالهم حيث نص القرآن على ذلك. وهم عرب أصل..

لكـــن الســـعاة عاملوهم معاملة المرتدين منكرى الزكاة، فأرهقوهم بما فرضوا عليهم، وطالبوهم بما ليس فى وسعهم، وفعلوا بهم الأفاعيل.

لقـــد وصـــلوا " فى الغش والتدليس والتعذيب حدا بالغًا، هاهم يأخذون "العـــريف" الرجل الثانى فى القبيلة فيُلهبون ظهره بالسياط، ويسيمونه سوء العـــذاب، حتى إذا ما أصبح كالجثة الهامدة قدّموا إليه صكًا مزورًا للتصديق عليه، وحينئذ لم يكن أمامه سوى التصديق على هذا الصك مكرها.

ويـــتركونه بعدها قعيدا لا حول له ولا قوة، وإنه حينئذ ليشبه هدهدا أو حمامة كسر الرماة جناحه، فماذا يفعل؟

لقد فقد سلاحه الوحيد، وصار عرضه للأخطار بسبب الضعف والهزال وسوء الحال.. وها هو ذئب قد طمع فى ذلك الهدهد الذى لا سلاح له، بينما الذئب يمتلك أسلحةً من: خفة فى العدو تساعده على الانقضاض والافتراس، ولـــون يـــتخفى وراءه، إذ يشبه لونه دخان رجل يطبخ فى مرجل بالعرفج الندى.

إن الذئـــب هـــنا معـــادل موضـــوعى لأولئك السعاة الظلمة، والعمال المتجبرين الذين لا يرقبون فى مؤمن إلاً ولا ذمة، ويعصون أمر الخليفة فلا يعدلـــون. وقـــد نتج عن طغيانهم افتقار الغنى، وهزال الفقير، امتصوا دماء هـــؤلاء وأولئك. وهم إذ يفعلون ذلك يستبعدون أن يشكوهم المظلومون إلى ولى الأمر...

إنهـــا "زفرة من زفرات الألم تنفس بها الشاعر عن نفسه، وتوسل بها لدى الخليفة فى عبارة دينية إسلامية تفيض بالاستعطاف..." (١)

ويختمها الشاعر بهذا التهديد، بأن ولاته وعماله إن لم يرعووا- وكتبت للـــراعى السلامة والبقاء - فسيرحل هو وقومه عن البلاد، وحينئذ لا تبقى هناك نعم تفرض فيها الزكاة. ويبدو أن قوله (ولئن سلمت) أو (بقيت) توحى بأنه يشعر أنه قد يصاب بأذى من جراء شكايته تلك، بل إنه يكاد يوقن بذلك ومن ثم استخدم " إن " ولم يستخدم " إذا "، لأن العمال والسعاة الظلمة سوف يفتكون به.

• • • •

(١) الراعى النميرى / محمد نبيه حجاب ص١٥٥.

الشمردل (*) (ت بعد ١٠٩هـ)
البادي أظلم

قال الأصفهاني:

كان ذئب قد لازم مرعًى للشمردل فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة، فرصده ليلة حتى جاء لعادته، ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه: [١]

هَلْ خُبِّرَ السِّرْحَانُ إذْ يَسْتَخْبِرُ ... عَنِّى وَقَدْ نَامَ الصِّحَابُ السُّمَّرُ [٢]

لما رأيتُ الضَّأنَ منه تَنفر ... نَهَضْتُ وَسْنَان وطَارَ المِئزَرُ [٣]

وراع منها مرح مُستبهرُ ... كأنه إعصَارُ ريح أغبرُ [٤]

فَلَمْ أزَلْ أطْرُدُهُ ويَعكِرُ ... حتى إذا استَيْقَنْتُ ألا أعْذرُ [٥]

وإنْ عَقْرَى غَنَمى سَيَكْثُرُ ... طَارَ بِكَفِّى وفؤادى أوْجَرُ [٦]

ثُمَّتَ أهْوَيْتُ لَهُ لاَ أزْجَرُ ... سَهْمًا فَوَلَّى عنه وهْوَ يَعْثُرُ [٧]

(*) هو الشمردل بن شُريك بن عبدالملك بن رؤبة - أو عبدالله - ينتهى نسبه إلى يربوع من تميم. يكنى بـ " ابن الخريطة "، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية، عاصر جريرًا والفرزدق، وتوفى بعد عام ١٠٩هـ.

وهو شاعر جزل الأسلوب، مشرق الديباجة، حلو اللفظة، دقيق الصورة. أثنى القدماء على شعره. وله شعر فى حماسات أبى تمام والبحترى والخالديَّيْن وغيرها.

راجع ترجمته فى: الأغانى (دار) ١٣/٣٥١-٣٦٣، المؤتلف والمختلف ٢٠٥، الشعر والشعراء ٦٧٥ وموسوعة شعراء العرب ١/٢٥٠.

(١) الأغانى ١٣/٣٦٢. الصيد والطرد فى الشعر العربى ١٢٥ د/عباس الصالحى - ط أولى بيروت ١٩٨١

(٢) السرحان: الذئب.

(٣) المئزر: الملحفة

(٤) المستبهر: الذاهب العقل. والمستبهر: المتخايل.

(٥) يعكر: يكر وينصرف.

(٦) عَقْرَى: جرحى.

(٧) أوجر: خائف

وبتُّ لَيلى آمِنًا أكبِّرُ

فـــى هذه الأرجوزة تشعر بمدى الرعب والخوف اللذين ألما بالشمردل، فهـــو وحـــده اليقظ، ولقد سمع صوت الضأن نافرة، فعرف أنه الذئب، الذى اعـــتاد المجـــئ لـــيلة بعد أخرى، وأخذت الغنم تتناقص، فاستجمع الشمردل شـــجاعته وجرأته فى ليلة، ورماه بسهم فأرداه قتيلاً. وتحس أن هذه الرمية كانـــت رمية خائف مذعور، وإلا فأين كان الشمردل منذ الليلة الأولى التى طرق الذئب فيها وعاث بالغنم؟

* * * *

الطِّرِمَّاح (*)

(١) ذئبٌ أحَلّ

قال: (١)

٤٦- بِمُسْتَرْجِفِ الأرْطَى كَأَنَّ جُرُوسَه ... تَدَاعِى حَجِيجٍ رَجْعُه غيرُ مُفْصِحِ

٤٧- يُحِيلُ بِه الذِّئْبُ الأحَلُّ، وقُوتُه ... ذَوَاتُ المَرَادِيِّ مِنْ مَنَاقٍ وَرُزَّحِ

٤٨- إذَا اسْتَتَرَتْ مِنْه بِكُلِّ كُدَايَةٍ ... مِنَ الصَّخْرِ وَافَاهَا لَدَى كُلِّ مَسْرَحِ

(*) هو الحكم بن حكيم بن الحكم بن نَفْر بن قيس... ينتهى نسبه إلى طئ. والطرماح لقب له. ولد ونشأ بالشام، وانتقل إلى الكوفة. شاعر خطيب، من فحول الشعراء الإسلاميين وبلغائهم، وهو من أصحاب الملحمات. ولد حوالى ٥٠ هـ ومات بعد ١٠١ هـ وقيل ١٠٠. كان صديقاً حميماً للكميت، وتلك صداقة عجيبة، يقول الجاحظ: لم ير الناس أعجب حالا من الكميت والطرماح، كان الكميت هاشميا عدنانيا عصبيًا، وكان الطرماح خارجيا من الصفرية، وكان الكميت يتعصب لأهل الكوفة، وكان الطرماح يتعصب لأهل الشام، وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة ما لم يكن بين نفسين قط، ثم لم يجر بينهما صرم ولا جفوة ولا إعراض ولا شئ مما تدعو هذه الخصال إليه " البيان والتبيين ١/٤٦، ٢/٣٢٣.

انظر ترجمته فى: جمهرة أنساب العرب ٤٠٢، ٤٠٣، المؤتلف ٢١٩، الأغانى ١٠/١٤٨، الأعلام ٣/ ٣٢٥ ومقدمة الديوان بتحقيق د./ عزة حسن – ط دمشق ١٩٦٨.

(١) القصيدة رقم (٧) فى الديوان ص ٩٦/١٢٧ فى واحد وثمانين بيتا، تحقيق الدكتور عزة حسن.

(ب٤٦) الأرطى: شجر ينبت بالرمل، ويصل إلى قدر قامة. مسترجف الأرطى: المكان الذى يسترجف فيه شجر الأرطى من الرياح، وجروسه: حفيفه الذى يحدث من هبوب الريح، جمع جَرْس، وهو الصوت الخفى الذى لا يفهم. رجعه: أى رجع تداعى الحجيج. غير مفصح: غير مفهوم. شبه حفيف شجر الأرطى بتنادى الحجيج وأصواتهم المختلفة.

(ب٤٧) يحول به الذئب: يقيم به حولا. والأحَلّ: الذى فى رجله حَلَل، وهو استرخاء فى الرجل، وذلك محمود فى الذئب. والمَرَادِى: الصخور، واحدتها مرْدَاة. وذوات المرادى: الضِّباب، والضب سئ الهداية، فإذا حفر لنفسه جحرا حفره عند صخرة ليجعلها علما له، لأنه لا يأمن أن يغلط فيلج على ظربان أو وبر فيأكله. المناقى: السِّمان التى بها نِقْىٌ وهو الشحم. الرُّزَّح: المهازيل.

(ب٤٨) الكُدَايَة: الصخرة. والمسرح: الموضع الذى تسرح فيه، أى ترعى. أى أن هذا الذئب يوافى الضباب فى كل موضع تسرح فيه.

٤٩- عَمَلَّسٌ غـارَاتٍ، كـأنَّ مَسَافَهُ قَـرَى حُنْظُـبٍ أخْلَـى لَـهُ الجَوّ مُقْمِحِ
٥٠- كَلَـونِ الغَرِىّ الفَرْدِ أُجْسِدَ رَأْسَه عَـتَائرُ مَظْلُـومِ الهَـدِىّ المُذَبَّـحِ
٥١- إذَا امْتَلَّ يَهْوى قُلْتَ: ظِلُّ طَخَاءَةٍ ذَرا الـرِّيحُ فـى أعْقَـابِ يَوْمٍ مُصَرَّحِ
٥٢- وإنْ هُـوَ أَقْعَـى خِلْتَه من مكانه علـى حَالَـةٍ، مَا لَمْ يَزُلْ، جِذْمَ مِسْطَحِ
٥٣- بِمُنْـتَاطِ مَـا بَيْنَ النَّيَاطَيْنِ مَوْرُه مِنَ الأَرْضِ يَعْلُو صَحْصَحًا بَعْدَ صَحْصَحِ

* * * *

(ب٤٩) رواه ابـن قتيـبة فى المعانى الكبير (عَمَلَّسٌ دلجات). والعملّس: الذئب الخفيف السريع.. مسافة خطمه، أى خرطومه الذى يسوف به أى يشم. قرا حنظب: أى ظهر جُعَل. شبه خرطومه – لسواد فيه – بظهـر الجعـل الأسـود. أخلى له الجو: أى خلا له الجو، وهو ما اتسع من الأرض. مقمح: رافع رأسه.

(ب٥٠) الغَـرِىّ: الصـنم، كـانوا يذبحون عنده ويلطخونه بالدماء فى الجاهلية، شبه الذئب به فى لونه. وأجسـد رأسه: أى يبس الدم على رأسه، وصبغه باللون الأحمر. والعتائر: جمع عتيرة، وهى الذبيحة التى كانوا يذبحونها فى الجاهلية. والمظلوم من الذبائح: كل ما ذبح لغير علة. والهَدِى: ما كان يُهدى للصنم من الذبائح.

(ب٥١) امـتل يهوى: أسرع يعدو. قلت: حسبت وظننت. الطخاءة: السحابة الرقيقة، وفى المعانى الكبير: (الطهـاءة) بالهـاء، وهمـا بمعـنى. ذرا الريح: أى ذراه الريح. اليوم المصرح: هو اليوم الذى جوه صـحو. شـبه الذئـب فى عدوه فى الأرض بظل سحابة خفيفة فى ناحية من نواحى السماء تذروها الريح.

(ب٥٢) أقعـى: جلـس على مؤخرته. (من مكانه) رويت فى المعانى الكبير (من أمامه). على حالة: فى المعـانى الكبير (على حاله) وفيه (ما لم يرم جذم مصطح) بالصاد. والجذم: الأصل. والمسطح: صفاة عريضـة يجعلـون حولهـا جداراً من الحجارة والطين، يستنقع فيها ماء المطر، وهو أيضا عود من عيدان الخباء.

(ب٥٣) منـتاط: معلـق، ومكـان منتاط: أى متصل بأقصى الأرض وأدناها، يريد مكان الذئب. النياطان: أقصـى الأرض وأدناها بالنسبة لمكان الذئب. موره: أى حركته واضطرابه وتردده بين الأرضين. أى أن تردد هذا الذئب فى وسط الأرضين ينتقل من أرض إلى أخرى.

يبدأ الطرماح قصيدته بحديث عن الليل فى الغربة، فى بلاد فارس، فيذكر أنه ليل مهول، وأن الليل فى الكوفة يختلف تماما عن هذا الليل، وذلك أن زوجه كانت تؤنسه فى ليل الكوفة، بينما الغربة والوحدة هناك تكاد تقتله.

ويبعث برسالة إلى زوجه، يبشرها بأنه استثمر تلك الغربة فيما يغنيهما.

ثم يرسم لوحة أخرى يتحدث فيها عن الموت الذى هو أحد مصيرين، والثانى العودة سالما غانما... لكنه يطيل الحديث عن الموت الذى سيتسبب فى يتم ابنه، إذ قد تتزوج أمه من رجل لا يحسن معاملته، بل قد يضربه... ويطيل الحديث فى ذلك. ثم يتطرق إلى عالم الصحراء المخيف، ومن ثم يدخل إلى اللوحة التى تهمنا وهى لوحة الذئب فى تلك الصحراء.

إنه مكان مخيف، يبعث الرعب والهول والفزع، فهناك صوت منبعث من حفيف شجر الأرطى الذى تحركه الريح، وهو صوت يشبه همهمة الحجيج المختلط، إنه صوت غير مفهوم.

فى هذا المكان يقيم الذئب (الأحل) أى الذى فى رجله استرخاء حولا، ويعتمد على نوع معين من القوت، إنه الضّب. فلماذا آثر الضباب ؟

لأن الضب سئ الهداية، ولذلك فهو يحفر لنفسه بيتا بجوار صخرة حتى تكون علما له يهتدى به ، وإلا ضل فولج على ظربان أو وبر فيؤكل.

والذئب رصد حركة الضباب، ولذلك لم تستطع الإفلات منه.. بل ربما اهتدى إليها عن طريق الصخرة، و(من مأمنه يؤتى الحذر).

لقد عرف الذئب إذا طريقه للغنيمة الباردة، التى لا يتعب كثيرا فى الحصول عليها.

إن هذا الذئب خفيف الحركة، يهتدى إلى فريسته عن طريق حاسة الشم الرهيبة، بواسطة ذلك الخرطوم الذى يشبه – لسواده – ظهر الجُعل الأسود الذى خلا له الجو فى ذلك المكان، فهو رافع رأسه.

هـذا الذئـب قـد اعتاد الصيد، وصار لكثرة الدماء على رأسه يشبه (الغـرىّ) ذلـك الصنم الذى تراكمت الدماء عليه طبقة فوق أخرى، إذ كان الجاهليون عباد الأصنام يذبحون على رأسه ويلطخونه بدم القرابين، فصار كأنه يلبس الدم على رأسه بافتراسه لتلك الفرائس المظلومة، التى لم تقترف ذنباً حتى يكون مصيرها الهلاك على يد هذا الذئب.

والذئـب فى عدوه يشبه ظل سحابة خفيفة فى ناحية من السماء تذروها الرياح إلى جهة من السماء.

وهـو فـى إقعائه لا يتحرك، بحيث يُظن أنه شئ ثابت، وليس وحشا مفترسـا يتحين الفرصة للانقضاض. وشبهه هنا بجذم مسطح وهى الصفاة العريضـة الـتى يجعلون حولها جدارا من الحجارة والطين ليكون المكان مستنقعا لماء المطر.

والذئب لا يقيم فى مكان بعينه، وإنما هو جوّال يتردد هنا وهناك.

ويـبدو واضـحا إعجاب الطرماح بهذا الذئب، فهل يريد أن يقول إن الإنسـان ينـبغى أن يكون ذئبا حتى يستطيع أن يحافظ على حياته فى ذلك المعترك الرهيب فى العصر الأموى ؟!

إن الشاعر " وهو يتحدث عن قصة الصراع فى الهاجرة – منطلقا من الفكـر الخـارجى يـرى أن الإنسان عليه أن يتذأب، وأن يكون قادراً على تخطى المشقات، مشقة بعد مشقة، فلا هدوء فى الحياة مع البشر، ولا هدوء فى الطبيعة مع سكانها من الحيوانات... " (١)

* * * *

---

(١) دراسات فى النص الشعرى / عصر صدر الإسلام وبنى أمية ص٢٩١ د./ عبده بدوى – دار قباء.

(٢) ذئب أزلُّ هزلاج

وقال الطرماح أيضاً: (١)

٥٩- فَعَرَّسْتُ لما استَسْلَمَتْ بعد شأوه ... تَـنَائف مـا نَجَـا بِهِـنَّ هَجُـوعُ

٦٠- تأوَّبَـنى فـيهَا عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ ... أخُـو قَفْـرَةٍ يَضْـحَى بهـا ويَجُـوعُ

٦١- مِـنَ الـزُّلِّ هِـزْلاَجٌ كأنّ برجْلِه ... شِـكالاً مِـنَ الإقْعَـاءِ وهُـوَ مَلُـوعُ

٦٢- كَـذِى الظَّن لا يَنْفَكُّ عَوْضُ كأنه ... أخـو جَهْـرَةٍ بالعَيْـنِ وهـو خَـدُوعُ

٦٣- فألْقَيْـتُ رَحْلِـى، واحْـزَأَلَّ كأنَّهُ ... شَـفا مُجْـنَحٌ، فـى مُنْخَـنَاه ضَجُوعُ

٦٤- فَقُلْـتُ: تَعَلَّـمْ يا نُؤالُ ولا تَخُنْ ... وَلاَ تَنْخَـنِعْ لِلّـيْلِ وَهْـوَ خَـنُوعُ

٦٥- وَلاَ تَغْـوِ واستَحْرِزْ، وإنْ تَغْوِ عَيَّةً ... تُصَـادِفْ قِـرَى الظَّلْمَـاءِ وهُو شَنِيعُ

---

(١) الديوان – القصيدة رقم ٢٠ من ص٢٨٥ – ٣١٧.

(ب٥٩) فعرَّسْـتُ: أى نزلـت من آخر الليل للاستراحة. الشأو: الشوط والطلق فى السير والجرى. ويريد شأو البعير هاهنا. التنائف: جمع تنوفة وهى القفر من الأرض. الهَجُوع: الرجل الغافل الأحمق.

(ب٦٠) تأوبـنى: أى أتانى ليلا. أخو قفرة: يريد ذئبا أتاه. يَضْحى: يبرز إلى الشمس. يريد أنه لا يستظل وإنما يعانى وقد الهواجر ويظمأ.

(ب٦١) الزُّلّ: جمع أزل وهو الخفيف. الذئب الهزلاج: السريع الخفيف. الشكال: الحبل الذى تشد به قوائم الدابة. الإقعاء: جلوس الذئب مفترشا رجليه وناصبا يديه. الملوع: الخفيف السريع.

(ب٦٢) عـوض: الدهر، معرفة علم بغير تنوين، وهو ظرف للمستقبل من الزمان كما أن قط للماضى من الزمان. وأخو جهرة بالعين: تراه بمعنى اليقظان المنتبه كالرجل المرتاب.

(ب٦٣) احـزأل: جلـس مجـتمعا بعضـه إلى بعض. الشفا: حرف الشئ وحدّه. ويريد: شفا الوادى أو الجُرُف، شبه الذئب به. المجنح: المائل. الضجُوع: الميل والانخفاض هاهنا.

(ب٦٤) نؤال: أصله نؤالة فحذف للترخيم، وهو اسم للذئب معرفة لا ينصرف، سمى به لخفته فى عدوه، مـن ذأل. تعلـم: اعلـم. الخنوع: الغادر. لا تنخنع: أى لا تثق به وكن منه على شك وريبة، وانخنع: انفعل، من خنع به إذا غدر، والخنعة: الريبة.

(ب٦٥) اسـتَحْرِزْ: أىْ كُـنْ فـى حرز أى تَحَصَّنْ. القِرى: الطعام الذى يقدم للضيف ليلا. الظلماء: الليل المظلم.

٦٦- فلما عَوَى لِفْتَ الشِّمَالِ سَبَعْتُه ... كما أنا أحياناً لهنّ سَبُوعُ

٦٧- نَقَفْتُ إليه سَلْجَمَ اللَّحْىِ، نَصلُه ... كَبَادِرةِ الحُوَّاءِ، وهْوَ وَقِيعُ

٦٨- تَزَلْزَلَ عَنْ فَرْعٍ كأنَّ مُتُونَها ... بِهَا مِنْ عَبِيطِ الزَّعْفَرانِ رُدُوعُ

٦٩- مِنَ المُرْزِماتِ المُلْسِ لم تُكْسَ جُلْبَةً ... ولكنْ لَهَا إطْنَابَةٌ وَرَصِيعُ

...... الخ.

* * * *

كان الطرماح فى رحلة من رحلاته، واضطر إلى النزول فى مكان يستريح فيه، غير أن هذا المكان ليس آمنا، فالغافل الأحمق لا يسلم به، لأن النازل فيه ينبغى أن يكون حذرا، محتاطا، مترقبا..

وبينما الشاعر يتأهب للاستراحة إذا بذئب (أخو قفرة) أليف قفار، خبير بالمكان، جائع.. لقد عانى وقاسى وتشرد، وهو يملك كل مقومات الافتراس:

(ب٦٦) لِفت الشمال أى شق الشمال، أى كان عوازه جهة الشمال. سبعْتُه: رميتُه بسهم. لهن: الثعالب أو السباع.

(ب٦٧) السلجم: السهم الطويل. لحيه: جانبه. الحواء: نبت يشبه لون الذئب، يسمو من وسطه قضيب عليه ورق أدق من ورق الأصل، وفى رأسه برعومة طويلة فيها بزرها. وتراه شبه نصل السهم ببرعوم هذا النبت الطويل. والنصل الوقيع: المسنون المحدد الطرف.

(ب٦٨) تزلزل عن فرع: أى انطلق هذا السهم من قوس اتُّخِذَت من فرع شجرة. ومتونها: جوانبها، أى جوانب القوس. عبيط الزعفران: الطرّى الجيد منه، شبّه بالدم العبيط وهو الطرى. الردوع: جمع ردع، وردع الزعفران: أثره ولطخه. وصف القوس بالصفرة، وهى لون الزعفران، وذلك من علامات عتقها.

(ب٦٩) المرزمات: القِسى التى لها صوت ورنين عند الرمى بها، من الرُّزمة وهى حنين الناقة. والجلبة: الجلدة التى تُغَشّى بها القوس فتكون أمسك لها. والإطنابة: السير الذى على رأس الوتر من القوس. الرصيع: عروة من سير مضفور تعمل للقوس وحمائل السيوف والمصاحف.

فهو (أزل، هزلاج) سريع خفيف الحركة.. ويخيل للناظر كأنما أشكلت قوائمه بحبل، بسبب إقعائه..

ثم هو يقظان أبدًا، فهو كالرجل المرتاب.

سارع الطرماح بإلقاء رحله، فجلس الذئب متضامًا، مجتمعا بعضه إلى بعض، فأشبه شفا واد مائل.

ولكـــن أنّـــى للشـــاعر أن يرتاح، ويغمض له جفن، وإلى جواره ذلك المتربص الماكر ؟!.

من هنا راح يخاطبه محذّراً: اعلم أيها الذئب أنك لو فكرت فى الخيانة أو الغدر فستلقى ما تكره، وإياك أن تتكل على الليل الغدَّار الذى يقاسمك هذه الصفة..

ثـــم إيـــاك والعواء الذى تجمع به إخوانك وبنى جنسك، فإنك إن فعلت جعلـــتك عبرة، حيث إنك تستغيث بإخوانك ليعينوك على افتراسى، ولكننى سأجعلهم ينقضون عليك، بأن أرميك بسهم فتدمى، فيأكلك إخوتك ﴿ ولا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾.

ولكن الذئب لم يعبأ بتهديدات الشاعر، ولم يلق له بالا، وأخذ يعوى جهة الشـــمال.. وهـــنا نفّذ الطرماح وعيده، فرماه بسهم (سلجم) أى طويل يشبه نصله برعوم نبت يسمى الحواء.

انطلق السهم من قوس عتيقة، اختيرت مادتها بعناية، وصنعت بمهارة، وهى فى مرورها تحدث صوتا ورنينا يشبه صوت الناقة حين تحن لولدها.

ولا ينـــبغى أن نترك هذه اللوحة قبل أن نشير إلى أمر مهم، فالطرماح خـــارجى، والخوارج كانوا مطلوبين للسلطة الحاكمة، ومن ثم كان عليهم أن

يحتاطوا ويحذروا فى كل تحركاتهم.. فهل القصيدة ترمز إلى ذلك المعنى، وتشبه الشرطة والعيون بالذئب المذكور ؟! أرجح ذلك.

أمـــر آخر لاحظته الدكتورة ثناء أنس الوجود فى كتابها القيم " تجليات الطبـــيعة والحـــيوان فـــى الشعر الأموى".. إنه القيد والأسر والحبس، تلك الـــرموز التى ترد فى شعر الشعراء الأمويين كثيرا، فتقول [1]: " إن معجم الشعر الأموى يطرح فكرة تتعلق بالقيود وتكبيل حرية الإنسان.. واللافت فى هذه الفكرة أنها أصبحت هى الأخرى صفة ملازمة لمعظم كائنات الصحراء، بـــدءاً مـــن الإنســـان وانتهاءً بالزواحف والطيور والحيوانات، ومثلما كان الإنسان مقيدا وهو يقف على الطلل، والناقة محبوسة مقيدة، والفرس كذلك، فإن الذئب هنا أشكل بمعنى مقيد الأرجل ".

* * * *

(١) تجليات الطبيعة والحيوان فى الشعر الأموى ١٢٩.

(٣) ذئب أبرقَ اللون

وقال الطرماح: (١)

٣٤- وفَلاةٍ يَستَفِزّ الحَشَا	مِنْ صُوَاهَا ضَبحُ بُومٍ وَهَامْ
٣٥- نفجا الذِّئبَ بِهَا قائمًا	أبرقَ اللّونِ أحَمُّ اللِّثَامْ
٣٦- كَغَرِيٍّ أجْسَدَتْ رَأسَهُ	فُرَعٌ بَيْنَ رِئَاسٍ وَحَامْ
٣٧- قَدْ تَبَطَّنْتُ بِهِلْوَاعَةٍ	عَبْرَ أسْفَارٍ، كَتُومِ البُغَامْ

* * * *

٣- وفي معرض وصفه للفلاة يصف ذئبًا بها، ولا يبعد عن الذئب السابق، فهو ذئب فى لونه بياض وسواد، فمه أسود، وهو كالصنم الذى يذبحون عنده فصار لكثرة أدماء الإبل المذبوحة عنده تتراكم طبقات الدم، وهو معنى يلحّ عليه الطرماح، حيث جاء فى القصيدة الأولى.

* * * *

(١) الديوان – القصيدة رقم ٢٧ من ص٣٩١.

(ب٣٤) يستفز الحشا: أى يستخفها ويجعلها تضطرب من الذعر والفزع. الصُّوى: أعلام من حجارة تنصب فى الفلاة يستدل بها المسافرون على الطريق، واحدتها صُوّة. والضبح: الصياح. الهام: جمع هامة، وهو طائر كانوا يزعمون أنه يخرج من رأس القتيل إذا لم يُدرَك بثأره، ويزقو عند قبره.

(ب٣٥) أبرق اللون: فى لونه بياض وسواد. أحم اللثام: أى أسود الفم.

(ب٣٦) الغرى: نُصُبٌ كانوا يذبحون عليه الذبائح ويطلونه بالدم. وأجسدت رأسه: أى صبغت رأسه بالدم حتى يبس عليه من كثرته. الفُرُع: جمع فَرَع وفَرَعة وهو أول نتاج الإبل والغنم، وكان أهل الجاهلية يذبحونه لآلهتهم تبرعاً يتبركون بذلك، وهو أيضا بعير كان يذبح إذا بلغت الإبل ما يتمناه صاحبها. الرئاس: يقال: إنه ذبح الأم التى تلد للصنم، ويقال: إنها الناقة التى تُشَقُّ أذنها ليكون لبنها للرجال دون النساء، ويكون للأضياف أيضا. والحامى: الفحل الذى إذا نُتج له عشر إناث متتابعات ليس منهن ذكر قيل: حمى ظهره فلم يُركب ولم يُجز وبره ولم يمنع من ماء ولا رعى.

(٤) الذئب الشنون

وقال: [١]

٥٤- بمنخرقٍ تحنُّ الرّيحُ فيه — حنينَ الجُلْبِ فى البَلَدِ السَّنين

٥٥- يَظَلُّ غُرابُها ضَرِمًا شَذاهُ — شَجٍ بخُصُومةِ الذِّئْبِ الشَّنُون

٥٦- عَلَى حَوْلاءَ يَطْفُو السُّخْدُ فيها — فَرَاها الشَّيْذُمانُ عن الجَنين

* * * *

٤- وهنا يصف أرضا واسعة بعيدة، تحنّ فيها الريح، وفيها الغراب شديد الجوع، حزين، لأن الذئب يطرده ولا يترك له من الفرائس شيئا، فهو يصيح ويصفق بجناحيه.

وإنه لأمر طبيعى فى تلك الصحراء أن تكون كل الكائنات فيها حزينة كأنها " تبكى جنازة لم ترفع بعد، فالفقد والثكل والضياع حقل دلالىّ يرادف ويعادل حقلا دلاليا أشمل هو الصحراء.. فالغراب قلق حزين شجى، بسبب خصومته مع الذئب ومع الجفاف والجوع، يصيح فى عسر وضجر وقلق، فيذيع ما أجنه ضميره من يأس مقبض " [٢]

---

(١) الديوان – القصيدة رقم ٣٥ من ص٥١٩.

(ب٥٤) المنخرق: الأرض الواسعة البعيدة، انخرقت فاتسعت. والجِلب: السحاب الذى فيه ريح وبرد ولكن لا مطر فيه. والسنين المجدب، ويقال: سُنِّت الأرض فهى مسنونة وسَنين إذا أكل نباتها.

(ب٥٥) ضرما شذاه: شديدا جوعه. الشَّجِىُ: الحزين. والغراب إذا طرده الذئب عن شئ يريده صاح وصفق بجناحيه، وذلك لخصومته للذئب. والشنون: الجائع المهزول.

(ب٥٦) حولاء: جلدة كالدلو العظيمة مملوءة ماء أصفر تخرج مع الولد من بطن الناقة. السخد: الماء الأصفر الذى فى الحولاء. يطفو: يرتفع. فراها: قطعها وشقها. الشَّيْذُمَان: الذئب.

(٢) راجع / تجليات الطبيعة والحيوان فى الشعر الأموى ص١١٨.

وهكــذا يــتجمع الحــزن والأسى، والخوف والرعب والقلق، والتشرد والضــياع، والجــوع والجفاف، مع خصومة محتدمة.. أليس ذلك هو واقع الشاعر – الخارجى – مع السلطة الحاكمة فى مجتمع العصر الأموى ؟!.

(٥) طِمْلٌ حريص

وقال الطرماح: (١)

أطَافَ بِهَا طِمْلٌ حَرِيصٌ فَلَم يَجِدْ ... بِهَا غَيْرَ مُلْقَى الوَاسِطِ المُتَبَايِنِ (٢)
وَمَخْفِقِ ذِى زِرَّيْنِ فى الأرْضِ مَتْنُه ... وفى الكَفِّ مَثْنَاه لَطِيفُ الأسَائِنِ (٣)
خَفِىٍّ كَمُجْتَازِ الشُّجَاع وذُبَّلٍ ... ثَلاثٍ كَحَبَّاتِ الكَبَاثِ القَرَائِنِ (٤)
وَضَبْثَةِ كَفٍّ بَاشَرَتْ بِيمِينِهَا ... صَعِيدًا كفاهَا فَقْدُ ماءِ المُصَافِنِ (٥)
ومُعْتَمَدٍ مِنْ صَدْرِ رِجْلٍ مُحَالَةٍ ... عَلَى عَجَلٍ مِن خائفٍ غَيْرِ آمِنِ (٦)
مُقَلَّصَةٍ طَارَتْ قَرِينَتُها بِهَا ... إلى سُلَّمٍ فى دَفِّ عَوْجَاءَ ذَاقِنِ (٧)

---

(١) المعانى الكبير – المجلد الأول ٢٠١، ٢٠٢، والفصوص ٥/١٠١ وما بعدها، وفيه الأبيات: ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، وزاد البيت الأخير، وقد وزعها قطعا كأنها ليست قصيدة واحدة.

(٢) الطمل: الذئب الأطلس الخفى الشخص. الواسط: العمود الذى يكون فى وسط البيت. ورواه أبو عمرو: [......... فلم يجد سوى مثل ملقى...].

(٣) مخفق ذى زرين: أراد به موضع الزمام من عنقها، لأن له زرّين فى طرفه، وبالكفّ ما انثنى فى يده من الزمام. الأسائن: جمع أُسَيْنة وهى سير واحد من سيور تضفر وتفتل.

(٤) خفى: أى أثر الزمام خفى. كمجتاز الشجاع: أى مثل مرّ الحية ومكان اجتيازها، وروى [كمنحار الشجاع] وما أثبتناه أفضل. والشجاع: الحية الذكر، والذُّبَّل: بعرات ثلاث، شبههن بحب الكباث وهو ثمر الأراك، أو نوع من شجر الأراك. القرائن: المفتولة.

(٥) ضَبْثة كفّ: أراد أثر ضربة كفٍّ على الأرض عند التيمم. والصعيد: التراب. فقد ماء المصافن: يعنى الذى يقسم الماء لأن التيمم أغنى عنه. ورواية الفصوص [باشرت ببنانها......].

(٦) ومعتمد: يعنى أثر الرّجل التى اعتمد بها على الأرض عند السجود والتشهد. من صدر رجل محالة، رويت فى الفصوص [... من صدر غير محالة...] أراد صدر الرّجل، وأنه لم يُحِلْها عن الأرض، أى لم يرفعها. وقيل: أراد غير معوجّة. خائف: لكونه فى الفلاة.

(٧) مقلّصة: يعنى الرّجل أنها مشمرة، والمقصود الرجل التى فى الأرض.. طارت قرينتها: أى الرّجل الأخرى طار بها إلى سلم الغرز، أى ركاب الرّحل، وذلك أنه إذا ركب فواحدةٌ فى الأرض وأخرى فى الغرز. والدفّ: الجنب. والعوجاء: أى ناقة عوجاء من الهزال. ذاقن: أى تطأطئ رأسها وعنقها إذا سارت.

وموضـــع مثْـــنى رُكبَتَيْـــن وســـجدة   تَوَخّـــى بهـــا رُكْـــنَ الحطـــيم الميامنِ
شُـــوَيْقَةَ النَابَيْـــنِ تَعْـــدِلُ ضَـــبْعَها   بأفْـــتَلَ عَـــنْ سَـــعْدَانَةِ الزَّوْرِ بائنِ [(١)]

* * * *

هـذه الأبيات شديدة الاتصال بأبيات ذى الرمة.. ولا غرو، فالطرماح شـاعرٌ بـدوىٌ مثله، " فكلاهما أعرابى يعيش عالم الأعراب لغة وسلوكاً، بحيث ينطبق عليه ما ينطبق على من تؤخذ منه اللغة، وهو أن يكون خشن الجلد، لم تفسده الحضارة ". [(٢)]

لقـد كـان الطـرمّاح فى هذه الأبيات مصورًا دقيقا كل الدقة، وكانت عدسـته من نوع خاص لا يملكه كثير من الشعراء، ومن هنا غاص وتعمق فى دقائق الصورة..

إن ذئبه ذئب خفى الشخص، لا يكاد يُرى، وهو حريصٌ كل الحرص، حريص على الحصول على ما يسد رمقه، فلقد كاد جسده يتلاشى من طول الجوع.. ولكن هذا الذئب سئ الحظ.. وأخذ الشاعر يصف المكان وقفورته، حتى إن المصلّى لا يجد ماء يتوضأ به، فيلجأ إلى الصعيد الطيب، والشاعر يخـتار ألفاظـا غريـبة تزخـر بها أبياته مثل [الأسائن، ضبثه، المصافن، شويقئة...].

ولا ينبغى أن نمضى إلى غيره دون أن نسجل هذه الملاحظة:

---

(١) شـويقئة النابين: شقأ نابه: إذا طلع وصَغُر، لأنه أراد حين طلع. تعدِلُ ضبعها بأفتل: يريد بمرفق بان عن الإبط وانفتل عنه، يعنى أنه ليس به حازٌ ولا ناكتٌ ولا ضاغطٌ. والسَّعدانه: الكِرْكِرَة.

(٢) دراسات فى النص الشعرى – عصر صدر الإسلام وبنى أمية ص٢٩٣.

لقد أكثر الطرماح من وصف الذئب، حيث صار له فى بحثنا هذا خمس لوحات، ومَرَدّ ذلك فيما أرى إلى أمرين:

- أنه بدوى – كما أشرت – أى أتيح له رؤية الذئب مرات ومرات.
- أنــه خارجى، فالذئب يعيش بداخله، إذ يتصف بصفات الذئب من الحــذر والــيقظة، والــنوم اليقظ.. إلى غير ذلك مما صار لازما للمخلوعين والصعاليك والمطرودين والمناوئين للسلطة. فضلا عن أنه يرى فى الناس والمجتمع ذئابا بشرية، وهى أشد وحشية وظلما وفتكا من ذئاب الوحش.
- ظهر فى شعره هنا أثر اعتقاده كخارجى... وذلك من خلال حديثه عــن الصــلاة وأركانها، ووجهة المصلى حين صلاته... فالمعجم الشعرى ينمّ عن اعتقاده.

• • • •

الكميت بن زيد الأسدى (*)

(١) ثلب ضرير

قال يصف ذئبا لقيه: (١)

١- لقينا بها ثِلْبًا ضريرا كأنه ... إلى كُلِّ مَنْ لاقَى من النَّاسِ مُذْنِبُ
٢- مُضِيعًا إذا أثرى، كسوباً إذا عَدَا ... لساعته ما يَسْتفيد ويكسبُ
٣- تَضَوَّرَ يَشْكُو ما به من خَصَاصَةٍ ... وكاد من الإفْصَاح بالشكو يُعربُ
٤- فَنُشْنَا له من ذى المزاود حصةً ... وللزّاد أسآر تلقَّى وتوهب
٥- فقلنا له: هلْ ذاك فاستغن بالقِرى ... ومن ذى الأَدَاوَى عندنا لك مشرب
٦- وصُبَّ له شَوْلٌ من الماء غابرٌ ... به كفُّ عن الحيبة المتحوِّبُ

* * * *

(*) الكميت بن زيد بن خُنَيْس – أو الأخنس – بن مُجَالد بن ربيعة بن قيس بن الحارث.. وقيل مجالد ابن عمرو بن سبيع الأسدى، أبو المستهل... من أسد بن خزيمة.

شاعر الهاشميين، من أهل الكوفة، ولد عام ٦٠هـ فى السنة التى مات فيها معاوية واستخلف يزيد، وفيها قتل الحسين. وتوفى عام ١٢٦هـ عن ست وستين سنة فى خلافة مروان بن محمد. من مشاهير الشعراء الأمويين، وأشهر جوانب شعره " الهاشميات " ، وهى قصائد معدودات فى مدح الهاشميين، وكان – إلى جانب شاعريته – خطيب بنى أسد، وفقيه الشيعة.

راجع ترجمته فى: المؤتلف والمختلف ٢٥٧، معجم الشعراء ٢٣٧-٢٣٨، الأغانى ١/١٧ وما بعدها، موسوعة شعراء العرب د./ يحيى شامى ١/٢٨٩. ومقدمة الديوان د./ داود سلوم الجزء الأول – القسم الأول ٨٦

(١) ديوانه ١/٨٦، المعانى الكبير ١/٢٠٥.

(ب١) الثلب: الذئب الهرم، انفرد بها الكميت.

(ب٢) مضيعا إذا أثرى: أى يضيع كل ما يكسبه ويحصل عليه.

(ب٤) نشنا: تناولنا الزاد. ذو المزاود: الزاد. أسآر: بقايا.

(ب٥) ذو الأداوى: الماء.

(ب٦) الشول: القليل من الماء. الحيبة والحوبة: الإثم. المتحوب: المتأثم.

لقـــى الكميت ورفاقه هذا الذئب " ثلب " وهذا الاسم تفرد به الكميت - علـــى حـــد علمـــنا - فلم أعثر فيما تحت يدى من مراجع ومصادر وكتب متخصصة على هذا الاسم سوى عنده هنا.

وأبيات الكميت تكرار لما قاله غيره من الشعراء، فقوله :

مضـيعا إذا أثـرى، كسـوباً إذا عَـدَا   لســـاعته مـــا يَسْـــتفيد ويكســـبُ

من قول امرئ القيس:

كلانـــا إذا مـــا نـــال شـــيئا أفاتـــه   ومـــن يحـــترث حـــرثى وحرثك يهزل

وقول كعب بن زهير:

أخشـــى علـــيها كســـوبا غـــير مدخر   ....

وكذا قول أسماء بن خارجة:

يَـــا ضَـــلَّ سَـــعْيُكَ. مـــا صَـــنَعْتَ بِمَا   جَمَّعْـــتَ مِـــن شُـــبٍّ إلـــى دُبٍّ

لَـــوْ كُنْـــتَ ذَا لُـــبٍّ تَعِـــيشُ بِـــه   لَفَعَلْـــتَ فِعْـــلَ المَـــرْءِ ذِى اللُّـــبِّ

فَجَعَلْـــتَ صَـــالِحَ مـــا اقْتَرَشْـــتَ وَمَا   جَمَّعْـــتَ مِـــنْ نَهْـــبٍ إلـــى نَهْـــبِ

هـــذا التضييع هو سبب جوعه، وما يلبث أن يلم به الجوع، فيتضور، ويشـــكو، حـــتى ليعرف القاصى والدانى سبب عوائه (لقد كاد من الإفصاح بالشكو يعرب).

وكعادة الشعراء كان الكميت كريما مع الذئب، فقدم له طعاما وإن كان فائضا عن حاجته، ثم أتبع الطعام شرابا، فهو يستلزمه، إذ إن من يطعم ولا يسقى يشبه من يبرى سهما ثم لا يريشه.

* * * *

(٢) سِرْحَانُ الفَلَاة

وقال الكميت أيضا يصف ذئبا لقيه فى بعض الأرض: (*)

١- بنائية المَناهل ذاتِ غُولٍ　　لِسِرْحَانِ الفَلاَةِ بها ضَبِيبُ
٢- يرانى فى الطعام له صديقًا　　وشَادِنَةِ العَسَابرِ رَعْبَلِيبُ
٣- إذا اشتَكَيا إلىَّ رأَيتُ حقًّا　　لمحرومَيْنِ شَفُّهُمَا السغوبُ

وهو هنا صديق للذئب فى الطعام، ويقر بأن له ولشادنة العسابر حقا عنده حين يشتكيان من شدة الجوع.

* * * *

(*) ديوانه ق١١ ١/٨٧، المعانى الكبير / القسم الأول ٢٠٦.

العسابر: واحدها عسبارة، وهو ولد الذئب من الضبع. رعبليب: ملاطفة. وقيل: رعبليب: يمزق ما قدر عليه، من رعبلتُ الجلد إذا مزقته. شفهما: هزلهما. السغوب: الجوع.

رُؤْبَـة (*)

قال: (١)

١- يَطْرَحْــنَ بالدَّوِيَّــة الأمْــلاَسْ
٢- لكــلِّ ذِئْــب قَفْــرَةٍ وَلاَّسْ
٣- مَوتَــى العظــام حَـيَّةَ الأنْفَــاسْ
٤- أجِـنَّةً فــى قُمُــصِ الأغْـرَاسْ

يقــول: إن الــنوق لشدة سرعتها فى المفازات تطرح فصلانها وتدعها للذئاب.

* * * *

(*) رؤبــة بن العجاج، أبو محمد، اسمه: عبدالله رؤبة، البصرى، التميمى، أحد بنى مالك بن سعد.. هو وأبوه راجزان مشهوران. كان بصيرا باللغة. توفى ١٤٥هـ.

راجع: وفيات الأعيان ٢/٣٠٣، ٣٠٤، الشعر والشعراء ٢/٥٠٠ موسوعة شعراء العرب ١ ص٢٤٣ د./ يحيى شامى.

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة / تحقيق شاكر ٥٣٢ فى ترجمة ذى الرمة، وكذا كتاب الفصوص ٢/٢١، ٢٢، وذلــك: أن ذا الــرمة قــال: أردت أن آخذ فى الرجز، فرأيت هذين الرجلين قد سبقانى، يعنى العجــاج ورؤبــة، فملتُ إلى القصيد، فذُكر ذلك لبلال بن رؤبة فقال: أما والله ما تخلصنا منه، لقد كان يغير على أراجيزنا، وذلك أن أبى قال:

يَطْرَحْــنَ بالمهامـــة الأمْــلاَس كـــلَّ جَنِيــنٍ لـــثِقِ الأغـــراسْ
مــن العظــام مَيِّتَ الأنفــاس

فقال ذو الرمة:

يَطْرَحْــنَ بالمهامـــة الأغفـــال كـــلَّ جَنِيــنٍ لَـــثِقِ الســـربال
مــن العظــام مَيِّتَ الأوصـــال

(ب١) الأملاس: جمع ملس وهو المكان المستوى.

(ب٢) الولاّس: المولس: المخادع أو هو من الولس أى السرعة.

(ب٤) الأغــراس: جمــع غِــرس، وهو الجلدة التى تخرج على رأس الوليد أو الفصيل ساعة يولد، فإن تركت قتلته.

الذئب وصعاليك العصر الأموى

رأينا كيف شارك الصعاليك الذئاب حياتهم، وكانت لامية الشنفرى مثالا واضـحا علـى ذلك. وسلك الصعاليك الأمويون مسلكهم، فرافقوا الوحش، وأنسوا به، وفروا من الأنيس، واستوحشوه.

عُبَيْد بن أيوب العَنْبَرى (*)

هـذا الشاعر كان مولعا " ولعا شديدا بتصوير مرافقته للغيلان والذئاب والحيات، وهو الذى أكثر من الحديث عنها وعن عيشه معها فى غير قطعة وقصـيدة أوردهـا الجاحظ له، مما كان يوجب عليه أن يجعله المتفرد بهذه الظاهرة والمشهور بها ". (1)

(١) يقول عبيد: (2)

وحَالَفْـتُ الوُحُـوشَ وحَالَفَتْـنى ... بِقُـرب عُهُودِهِـنَّ وبالـبُعَاد
وأمسَـى الذِّئـبُ يرصُـدُنى مِخَشًّـا ... لخفَّـة ضَـربَتى ولضَـعْفِ آدى
وَغُـولاً قَفْـرةٍ ذَكَـرٌ وأُنْـثَى ... كـأنْ عَلَـيهما قِطَـعَ الـبِجَاد

(*) هـو: أبـو المطراد، عُبيد بن أيوب، أحد بنى العنبر بن عمرو بن تميم، شاعر إسلامى لصّ، كان قد ارتكـب جـناية فطلبه السلطان وأباح دمه، فهرب فى مجاهل الأرض.. وذكر فى شعره أنه كان يرافق الغـول والسـعلاة، ويعـايش الذئاب والأفاعى ويأكل مع الظباء والوحش. ترجمته فى البيان والتبيين ٦٢/٤، الشعر والشعراء ٦٦٨، وحماسة البحترى ٩٣٣، ومنتهى الطلب ٢٤٣/٣ وغيرها.

(١) الشعراء الصعاليك فى العصر الإسلامى ١٥٥، ١٥٦ دار الجيل بيروت. الصعاليك فى العصر الأموى د./ محمد رضا مروة ص١٢٩

(٢) الحـيوان ١٥٩/٦ وانظر / الشعراء الصعاليك فى العصر الأموى ١٥٦، الفصوص ٢٥٦/٣ ورواية البيت الثانى: فأمسى .... وضعيف آدى.
المخش: الجرئ. الآد: القوة. البجاد: من أكسية الأعراب.

لقــد ألفــته الوحــوش وألفها، بل وصل الأمر بعلاقتهما إلى ما يشبه التحالف. فقد رأت فيه شخصا مسالماً لها، وهذا يذكرنا بقول تأبط شرا:[1]

يبيــت بمَغْــنَى الوَحْــش حَــتّى أَلِفْنَهُ ... ويُصْــبِحُ لاَ يَحْمِــى لَهَــا الدَّهر مرتَعَا
رَأَيْــنَ فَــتًى لاَ صَــيْد وَحْــشٍ يهمُّــهُ ... فَلَــوْ صَــافَحَتْ إنسًــا لَصَــافَحْنَهُ مَعا

وعبــيد بــن أيوب لشدة مخالطته لهذه الحيوانات ومصاحبته لها ذهب يزعم أن الغول - مع أنه من المستحيلات - منه ذكر وأنثى، بل ذهب يذكر لونه وأن فيها خطوطا وطرائق كأكسية الأعراب.

٢- وقريب من ذلك قوله: [2]

١- تَقُــولُ وَقَــدْ أَلْمَمْــتُ بالإنس لَمَّةً ... مُخَضَّــبَةُ الأطــراف خُــرْسِ الخَلاَخل
٢- أهَــذَا خلــيلُ الغُول والذِّئب والذى ... يهــيمُ بــربَّاتِ الحِجَــالِ الكَوَاهِــل

فكأنــه لشــدة وكثرة وطول مصاحبته للغول والذئب صار وجوده بين الإنس مستنكرًا، ولم يعد له مكان بين الإنس، وليس من حقه أن يحب منهم ويتغزل ببناتهم.

٣- ويقول أيضا: [3]

عَــلاَمَ تُــرَى لَــيلَى تُعَــذِّبُ بالمُــنَى ... أخَــا قَفَــرَاتٍ كَــان بالذئــب يَــأْنَسُ
وصَــارَ خلــيلَ الغُــولِ بَعْــدَ عَــدَاوَةٍ ... صَــفِيًّا وَرَبَّــتْهُ القِفَــارُ البَسَــابِس

---

(١) الأغــانى (دار) ٢١/١٤٥، شــعر تــأبط شرا ص٩٧-١٠٠ تحقيق سلمان داود القره غولى، وجبار تعبان الجاسم.

(٢) الحيوان ٦/١٦٧، والشعراء الصعاليك د./ حسين عطوان. والفصوص ٣/٦٦، ٦٧.

خــرس الخلاخــل: كــناية عــن امــتلاء ســاقيها. الحجال: بيوت العرائس. الكواهل: المسنات. ورواية الفصوص:[... خدين الذئب والغول والذى يهم...... البجادل] والبجادل: الممتلات الكتف.

(٣) حماسة البحترى ص٤١١، الحيوان ٦/١٦٨، ٢٣٦، الشعراء الصعاليك فى العصر الأموى ٨٧.

٤- وقال: (١)

وأضحى صَديقَ الذِّئبِ بَعْدَ عَدَاوة ... ويُبْغضٍ ورَبّتهُ القِفَارُ الأمَالِسُ

ويبدو لى أن هذا البيت هو نفسه البيت السابق.

٥- وقال عُبَيْد: (٢)

٣- لَعَمْرى لَشَخْصُ الذِّيب والذيبُ جَاهدٌ ... علىَّ وشَخْص الغول فى البلد القفر

٤- أحَبُّ إلى قلبى من الإنس طَلْعَةً ... ولو حَدّثُونى بالغَنِيمَةِ وَالأجْر

وهما يُذَكِّران بلامية الشنفرى، وبأبيات الأحيمر السعدى الآتية.

٦- وقال عبيد: (٣)

١) أرَانى وَذِئْبَ القَفْرِ خِدنَيْن بَعْدَمَا ... تَدانَى كِلانَا يَشْمئِزُّ ويُذْعَرُ

٢) إذا ما عوى جاوبتُ سجْع عُوَائه ... بترنيم محزونٍ يموت ويُنْشَرُ

٣) تَذَلَّلْتُه حتى دَنَا وألِفْتُه ... وأمْكَنَنى لو أننى كُنْتُ أغْدِرُ

٤) ولكنَّنى لمْ يأتَمِنّىَ صَاحِبٌ ... فَيرْتَابَ بى ما دَامَ لا يَتَغَيَّرُ

* * * *

---

(١) نفس المصادر.

(٢) الفصوص ٣/٢٥٧ قال المحقق: وهى ليست فى ديوانه.

(٣) منتهى الطلب ٣/٢٣٥ برقم ١٤٨ وستأتى منسوبة إلى الأحيمر السعدى

ب١: الخدن: الصديق، أو الصاحب المحدث.

ب٢: سجع عوائه: موالاة صوت عوائه.

ب٣: تذللته: خضعت له.

مالك بن الريب (*)
ذئب غضا صار أضحوكة

قال: (١)

أَلَـمْ تَـرَنَى يَـا ذئـبُ إذْ جئتَ طارقًا ... تُخَاتِلُـني أنّـى امـرُؤٌ وَافِـرُ اللُّبِّ (٢)
زَجَـرتُكَ مَـرّاتٍ، فلمّـا غَلَبْتَـني ... ولَـمْ تَنْزَجِرْ نَهْنَهْتُ غَرْبَكَ بالضّرْبِ (٣)
فصـرتَ لقًـى لمـا عَـلاكَ ابنُ حُرّةٍ ... بِأبْـيَضَ قَطّـاعٍ يُـنَجّي من الكَرْبِ (٤)
أذئـبَ الغَضَـا قَدْ صِرتَ للنّاسِ ضُحكَةً ... تَغَـادَى بكَ الرُكْبَانُ شَرْقًا إلى غَرْبِ (٥)
فأنْـتَ وإنْ كُنْـتَ الجـرِئَ جَـنَانُه ... مُنِيـتَ بضِـرْغَامٍ من الأُسْدِ الغُلْبِ (٦)
بمَـنْ لا يـنام اللـيل إلا وسـيفُه ... رَهيـنَةُ أقْـوَامٍ سِـرَاعٍ إلى الشَّغْبِ (٧)
ألا رب يـوم رَيْـبٍ لـو كنْـتَ شَاهِدًا ... لهـالَكَ ذِكْـرِى عِنْدَ مَعْمَعَةِ الحربِ (٨)

(*) هـو مـالك بـن الريب بن حَوْط بن قرط... من مازن... كنيته: أبو عقبة. ولد ونشأ في بادية تميم بالبصرة. شاعر أموي في أول أيام بني أمية.

راجع ترجمته وأخباره في:

الأغاني ٢٢/٢٨٥ - ٣٠١ ط دار إحياء التراث العربي، معجم الشعراء ٢٦٥، الشعر والشعراء ١/٣٥٣، خزانة الأدب ٢/٢١٠، الشـعراء الصـعاليك في العصر الأموي ١٥٨-١٥٩. وراجع كتابنا: مصرع فارس في بلاد الغربة.

(١) الأبـيات فـي الديـوان ص٧١ تحقيق د./ نوري القيسي - مجلة معهد المخطوطات العربية - مجلد ١٥/ جـ١ ١٩٦٩، الأغاني (ساسي) ١٩/١٦٦، والشعراء الصعاليك في العصر الأموي ١٦٥.

(٢) طارقـا: أي ضيفا بليل. تخاتلني: تخادعني وتراوغني... يقال: ختله إذا تخفى له، وطلبه من حيث لا يشعر. اللب: العقل.

(٣) نهنهت: زجرت وكففت. الغَرب: أول كل شئ وحدته.

(٤) اللّقى: الشئ الملقى المطروح لهوانه. الكرب: الضيق والشدة.

(٥) تغادى: ذهب غدوة، ثم استعمل في الذهاب والانطلاق. الركبان: الفرسان.

(٦) الغلب: الغليظ العنق، كناية عن القوة والشدة.

(٧) الشغب: التباعد والتفرق.

(٨) ريب: خوف. المعمعة: صوت الشجعان في الحرب.

ولسْتَ تَرى إلا كميا مجدّلاً يداه جميعا تثبتان من الترب [1]
وآخر يهوى طائر القلب هاربا وكنت امرءًا فى الهيْج مُجتمعَ القلب [2]
أصُولُ بذى الزرين أمشى عرضةً إلى المَوتِ والأقْرَانِ كالإبلِ الجُرْبِ [3]
أرَى المَوتَ لاَ أنْحَاشُ عَنْهُ تَكرُّمًا ولو شئت لم أركب على المركب الصعب [4]
ولكنْ أبت نَفْسى وكانَتْ أبيّةً تقاعس أوْ يَنْصاع قومٌ من الرُّعْب [5]

* * * *

هذه الأبيات لا ينبغى التعرض لها دون الإشارة إلى تصعلك (مالك بن الريب) فى مرحلة من حياته، وهذه الأبيات قيلت فى تلك المرحلة. والذئب فى هذه الأبيات يتذاكى على مالك، يحاول الإيقاع به، فيحاور، ويداور، ويراوغ، ويكمن له.. وكان قد طرق بليل.. ويبدو أنه لم يكن يدرى أن مالكا من أبناء الليل، وأنه يعرف طرق المداورة والمخاتلة جيدا..

ولم ينزجر الذئب أو يرعو، فكان أن سدد إليه ضربة قاصمة تركته طريحا على الأرض.. إنها ضربة فاتك معه سيف أبيض حاسم، وكم نجّى صاحبه من شدة وضيق.

وهكذا ترك مالك الذئب أضحوكة، وصار حديث الركبان هنا وهناك.

لقد كان هذا الذئب قويا، جريئاً، ولكن قدره أوقعه مع أسد شديد غليظ قوى..

---

(١) الكمى: الفارس المقنع كامل السلاح. المجدل: المعفر على الأرض.
(٢) الهيج: الحرب.
(٣) أمشى عرضة: أى فى زهو وخيلاء.
(٤) أنحاش: أنفر.
(٥) تقاعس: تأخر.

إن ابن الليل ينام وسيفه وشاحه، وهذا دأب الصعاليك، ومنهم مالك، وقد قال أمير شعراء الجاهلية:

أيقتلنى والمَشْرَفِىُّ مُضَاجِعى ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأنياب أغوال

ويأخذ مالك فى الحديث عن بطولاته مفتخرا بشجاعته، فهو الذى حين يذكر اسمه عند المعمعة يثير الهول والفزع، فكم من فارس كمىّ صار مجدلا، وآخر ولّى هاربا مستطار القلب، بينما مالك ثابت فى الميدان كالطود الأشم.. وهو يمشى مختالا مزهوا فى ساحة القتال، وهى مشية محمودة فى هذا الموقف.

وإنه لا يخشى الموت، ولو كان يخشى الموت ما عاش صعلوكا، وما كان تصعلكه إلا إباء نفس، وعزة.. وعدم استسلام أو خضوع، وهو مصدر قلق ورعب..

ألم أقل إن الأبيات لها علاقة وثيقة بتصعلكه ؟ ومن هنا فإن الذئب المذكور لا يبعد عن الذئاب البشرية التى يهددها مالك ويتوعدها بأن مصيرها هو مصير ذلك الذئب المتوحش.

ويلفت النظر أن مالكا رغم تصعلكه إلا أنه لا يأنس له كما أنسوا، بل إنه شفى غيظه حين تركه أضحوكة للناس وحديثا للركبان.. ولذا بات علينا أن نتساءل: أهذا ذئب وحشى ؟ أم هو إنسان ذئبى ؟

يبدو لى أنه الأخير.

* * * *

الأحيمر السعدي (*)

وهو القائل: (١)

عَوَى الذئبُ فَاستَأنَستُ بالذِّئبِ إذْ عَوَى ... وصَوَّتَ إنسَانٌ فكِدتُ أطِير

رَأى اللّه أنِّى للأنيس لَشَانِئٌ ... وتُبْغِضُهُم لى مُقْلَةٌ وَضَمِير

فَللَّيلُ إذ وَارَانِىَ اللَّيلُ حُكْمُه ... وللشَّمسِ إنْ غَابَتْ علىَّ نُذُور

وقال: (٢) أو هى لعبيد بن أيوب العنبرى: (٣)

أرَانِى وَذِئْبَ القَفْرِ إلْفَيْن بَعْدَمَا ... بَدَأْنَا كِلاَنَا يَشْمَئِزُّ ويُذْعَرُ

تَألَّفَنى لمّا دَنَا وألِفْتُه ... وأمْكَنَنى للرَّمْى لو كُنْتُ أغْدِرُ

ولكنّنى لمْ يأتَمِنِّىَ صَاحِبٌ ... فَيرتَابَ بى مَا دَامَ لا يَتَغَيَّرُ

(*) الأحيمر بن (فلان) بن الحارث بن يزيد السعدى.. ت ٢٧٦هـ شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، كان لصا، فاتكا، ماردا، من أهل بادية الشام.. قال الآمدى: ليس بمرفوع النسب عندى إلى سعد بن زيد مناة من تميم.

راجع ترجمته فى:

المؤتلف والمختلف ٤٣، سمط اللآلى ١٩٥، الشعر والشعراء ٣٠٧، معجم البلدان ٤/١٠١، الأعلام ١/ ٢٧٧.

(١) هذه الأبيات نسبت إلى تأبط شرا. راجع الشعر والشعراء ٢/٧٨٧، الوحشيات ٣٤، المؤتلف والمختلف ٤٣، الشعراء الصعاليك فى العصر الأموى ٨٤.

(٢) الشعر والشعراء ٢/٧٨٨، الشعراء الصعاليك فى العصر الأموى ٨٧. وقد سبقت لعبيد بن أيوب.

(٣) هكذا أوردها صاحب الفصوص ٣/٢٥٩ وروايته:

١- أرانى وذيبَ القفر خدنَيْن ... .

وبعده

إذا ما عوى جاوبت سجع عوائه ... بترنيم محزونٍ يموتُ ويُنْشِرَ

تذلّلته حتى دنا وألفته ... وأمكننى لو أننى كنت أغدر

يـرى الأحـيمر في الإنسان – كل إنسان – عدوا له، ومصدر رعب وفزع، وهو لا يأمن واحدًا منهم، وذلك أنه كان مطلوبا من السلطان، فرأى فـي كـل البشر جواسيس وعيونا ورقباء، ولذا كرههم جميعا من كل قلبه، وانقطع عنهم.

وبينا نجده يتوحش من الإنس إذا به يألف الوحش، ويأنس لعواء الذئب، لأن ذلك دليل على أنه بعيد عن الجواسيس وعملاء السلطان.

إن الخوف يمسك بتلابيبه، ولذا صار يأمن على نفسه بالليل الساتر له، بينما يخشى طلوع النهار الكاشف.

وفي الثانية يقول:

كانت العلاقة بيني وبين ذئب القفر علاقة خصومة، وهذا أمر طبيعي، فأحدنـا مـن بني الإنس، والآخر من عالم الوحش. ولكن الإنسيَّ صار هو الآخـر صاحب قفرة وخلوة، فأخذ كل منا يلقي الآخر كثيرا، ومن ثم حدثت الألفة والدنو والثقة المتبادلة، فلم يفكر أحدهما في الغدر بالآخر.

الفصل الرابع

الذئب فى الشعر العباسى

مدخل

- أبو نواس... وأرجوزته.
- ابن الرومي... (ينكر الذئب عرضا)
- البحترى... (أطلس ملء العين)
- الشريف المرتضى... (عارى الجناجن)
- الشريف الرضى... (مستطعم عاد طعمة)

الذئب فى الشعر العباسى

مدخل:

كـــان الحكـــم فى العصر العباسى استبداديا أشد ما يكون الاستبداد، لا يحسب للرعية فيه حساب، وكان العباسيون قد أخذوا عن ملوك بنى ساسان كثيرا من النظم السياسية والإدارية، ونظام الوزارة الذى شغله فارسيون إلا فـــيما ندر. وبلغ نفوذ الفرس فى العصر الأول مبلغا عظيما، وبرزت منهم أسَرٌ بأكملها، كالبرامكة وآل بنى سهل...

وكانت هناك ثورات للعلويين وغيرهم، وضيّق العباسيون الخناق عليهم فقبضوا على كثير منهم وأودعوا السجون ومات معظمهم فيها... ولكن ظلت مقاومتهم للعباسيين سرا وجهرا، وكثر أتباعهم... وكان منهم الثائر، ومنهم من يأخذ بمبدأ التقية حتى يتسنم أعلى المناصب فى الدولة..

واســـتولى الـــترك على مقاليد الأمور، بعد عدة نكبات ألمت بالفرس، وأصـــبح الخلـــيفة ألعوبة فى أيدى الترك... ونهبت أموال الدولة، وضعفت الخلافة ضعفا شديدا.

وكانـــت موجـــات من اللهو والمجون والزندقة قد انتشرت منذ العصر الأول، وكثر الرقيق والمغنون والجوارى.. وانتشر الغزل بالمذكر..

واتســـعت الهـــوة بيـــن الطـــبقات حيـــث زاد الثراء والترف والبذخ والإسراف، على حساب عامة الشعب المقهور بؤسا وحرمانا.

وتداخلـــت عناصر مختلفة وامتزجت مع العنصر العربى، فزاد الفساد، والعبـــث، وإذا " المناصـــب يتولاها غير أهلها، وإذا السعايات تفشو،ويفشو معهـــا ارتفـــاع الوضيع، وتعظم المحنة، ويستسلم الناس إلى غير قليل من

اليأس، ويحسون كأن لا أمل فى الإصلاح، فقد عم الظلم، واضطربت القيم، وكأنما لم يعد للشر والنكْر غاية ينتهيان إليها، أو حد يقفان عنده، أو قل كأنما أصبحت الحياة بأسا متصلا، وكان طبيعيا أن نجد الشكوى على كل لسان، شكوى مريرة من الزمن وأهله... " (١)

لقد تنكر الصاحب لصاحبه، والصديق لصديقه، والقريب لقريبه، وقطعت الأرحام، وأخذ الشعراء يكثرون من الحديث عن الغدر، وعدم الوفاء، والحسد، والبخل...

ورأوا فى هؤلاء ذئابا بشرية، يحملون صفات الذئاب الوحشية المعروفة من التربص، والخسة، والغدر، والخيانة... إلى غير ذلك. ومن ثم كان للذئب هذا الحضور الكبير.

* * * *

(١) العصر العباسى الثانى د./ شوقى ضيف ٢٤١ وانظر أيضا: العصر العباسى الأول.

أبو نواس (*)

قال فى الفضل بن الربيع: (١)

١- وبَلْـــــدَةٍ فـــــيها زَوَرْ	صَــــعْراءَ تُخْطــــى فـــى صَــــعَرْ
٢- مَــــرْتٍ إذَا الذئـــــبُ اقْـــتَفَرْ	بهـــا مـــن القَـــومِ الأثَـــرْ
٣- كـــان له مـــن الجُــــزُرْ	كـــل جَنِيـــنٍ مَـــا اشْــتَكَرْ
٤- ولا تَعَـــــلاَّه شَـــــعَرْ	مَنْـــتُ النَّسَـــا حَـــىُّ الشْـــفَرْ
٥- عَسَـــفْتُها عَلَـــى خَطَـــرْ	وغَـــــرَرٍ مـــــن الغُـــــرَرْ
٦- بِـــــبَازِلٍ حيـــــن فَطَـــرْ	تَهُـــــزُّه جِـــــنُّ الأشَــــرْ
٧- لاَ مُتَشَـــكٍّ مــــن سَـــدَرْ	ولا قَرِيـــــبٌ مــــن خَـــوَرْ
٨- كأنَّــــهُ بَعْـــدَ الضُّـــمَرْ	وبَعْـــدَ مــــا جَـــالَ الضُّــفُرْ

(*) أبـــو نـــواس، الحسن بن هانئ، علم من أعلام الشعر العربى عامة، والعباسى خاصة، شاعر الخمر الأول فى العربية، وأحد أبرز الثائرين على مقدمة القصيدة العربية... عاش ما بين ١٤٥-١٩٩هـ.

(١) ديوانه ٣١٣، ٣١٤ ط دار صادر - بيروت (د.ت)

(ب١) الــزور: المــيل. الصعراء من الصعر وهو ميل الوجه إلى أحد الشقين والصعر - كذلك - الصلع، يقصد أنها جرداء.

(ب٢) المرت: المفازة لا نبات فيها. اقتفر الأثر: تتبعه.

(ب٣) الجُزُر: واحده جزور، ما يجزر من النوق والشياه. اشتكر: نبت شكيره وهو الريش الصغير.

(ب٤) تعلاه: علاه . النساء: عرق من الورك إلى الكعب. حى: أراد بها المتحرك. الشفر: منبت الشعر فى الجفن، وأراد بحى أن فيه روحا، لأن شفره لا يزال يتحرك.

(ب٥) العســف: السير على غير هدى. الغَرر: التغرير بالنفس أى تعريضها للهلكة، وبالضم: واحده أغر، وهو اليوم الشديد الحر.

(ب٦) البازل: الجمل الذى طلع نابه. فطر: طلع نابه. جن الشئ: معظمه. الأشر: البطر، المرح.

(ب٧) السدر: تحير البصر من شدة الحر. الخور: الضعف.

(ب٨) الضمر: الهزل. جال: تحرك. الضفر: الأحزمة المضفورة التى يشد بها البعير.

٩- وَرَاحَ قَــــــيِءٍ فَخَسَـــــــرْ جَـــــأت رُبَـــــاعِ المُـــــثْغَرْ
١٠- يَجْـــــدُو بحُقْـــــبٍ كالأُكَـــــرْ تَـــــرى بأثْـــــبَاجِ القُصُـــــرْ

* * * *

هــذه أرض معوجّـــة، يتعب السائر فيها، فهى مع اعوجاجها مقفرة لا نــبات فــيها ولا مــاء... ويتتبع الذئب فيها أثر سالكيها عله يظفر بطعام، ولاسيما صغار النوق أو الشياه...

تلــك الأرض يقطعها أبو نواس مغامراً، حيث يعرض نفسه للهلكة. أو يكــون ذلــك فــى شدة الحر.. وهو يستعين بجمل ذى ناب يسير مرحا، لا يشــتكى شيئا من هذه المعوقات، مما يدل على قوته.. لقد اعتاد ذلك السير حتى صار ضامرا هازلا..

ولا يــبعد أبــو نــواس عن النمط القديم فيما ذكر، ولذا ساق (الدكتور هــدارة) هــذا النموذج تدليلا على ما ذهب إليه من أن أبا نواس حين كان يحاكى الأقدمين يأتى شعره متكلفا، فهو يجبر طبعه على غير مذهبه. (١)

ويلاحــظ أن أبــا نواس فى هذه الأرجوزة يسرى مسراه فى خمرياته الراقصـــة.. لكنـــنى أرى أن ذلـــك لا يتناسب مع قطع الفلوات والأراضى الوعرة...ولذا نتفق مع الدكتور هدارة فى أنها متكلفة جدا.

(ب٩) الجـــأت: حمـــار الوحـــش. الرباع: السن التى بين الثنية والناب. المثغر: من أثغر الغلام، أى ألقى ثغره يقصده أسنانه.

(ب١٠) الحقــب: الواحدة حقباء: الأتان الوحشية التى فى بطنها بياض. الأكر: الواحدة أكرة وهى الكرة، شــبه بهــا الأتن الوحشية فى استدارتها وسمنها. الأثباج: الواحد ثبج: وسط الشئ. القصر: الواحدة قصرة: أصل العنق.

(١) اتجاهات الشعر العربى ص١٧٦ ط المكتب الإسلامى.

ابن الرومى

أ- قال من قصيدة طويلة يمدح القاسم بن عبدالله: [1]

١٠٢- مَنَعُوا خَيْرَهُمْ وَلاَ تَأْمَنِ الضُّـ ـرُ مِنَ المانِعِينَ مِنْكَ الجَدَاءَ
١٠٣- فَلْتَّقِى شَرُّهُمْ عَلَى كُلِّ بُقْيَا لاَ تُلَقُّوا مِنْ مُلِمَّةٍ إِبْقَاءَ
١٠٤- خَلَّفُونِى خِلاَفَةَ الذِّئْبِ فِى الشَّاءِ وَكَانُوا فِى جَهْلِ حَقِّىَ شَاءَ

ب- وقال فى جحظة البرمكى: [2]

أَمُعْتَصِمٌ بِأَنَّكَ ذُو صِحَابٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ نَصْرُهُمُ قَرِيبُ
وَمَا تُجْدِى عَلَيْكَ لُيُوثُ غَابٍ بِنُصْرَتِهَا إِذَا دَمَّاكَ ذِيبُ

جـ - وقال يمدح ابن ثوابة ويهجو الكوكبى: [3]

٨٠- مَاذَا نَقَمْتَ عَلَى امْرِئٍ يَـأْوِى إِلَى حُجْرٍ حَبَابَه
٨١- وَلَهُ نِعَاجٌ لاَ يَزَا لُ مُخَلَّيًا فِيهَا ذُبَابَه

د - وقال هاجيا: [4]

١٧- وَمُصَحَّحُ الأَضْيَافِ يَسْلَمُ ضَيْفُهُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ غَيْرَ دَاءِ الذِّيبِ

وقد ورد فى أمثال العرب: (رماه الله بداء الذئب)، أى الجوع... وقيل: داء الذئب الموت، لأنه لا يعتل إلا علة الموت، ولذا قيل: (أصح من ذئب).[5]

---

(١) الديوان ٨٧/١ تحقيق الدكتور حسين نصار

(٢) نفسه ١٧٦/١.

(٣) نفسه ١٦٧/١.

(٤) نفسه ٢٩٢/١ يهجو أبا سليمان طاهر بن الحسين..

(٥) راجع مبحث الأمثال.

هـ - وقال فى أبى المستهل الشاعر: (1)

١- وشـــاعر أجْـــوَع مـــن ذيـــبِ   مُعشْـــشٍ بيْـــن أعاريـــب

٢- ســـلّته أققــرُ مـــن سَبْسَـــبِ   فـــيها طِـــراز للعناكيـــب

* * * *

(١) ديوانه ١/٣١٣.

البحترى (*)
أطلس ملء العين

قال يصف الذئب: (١)

١- سَلاَمٌ عَلَيكُمْ لاَ وَفَاءٌ ولاَ عَهْدُ — أمَا لَكُمُ مِنْ هَجْرِ أَحْبَابِكُمْ بُدُّ ؟

٢- أَأَحْبَابَنَا قَدْ أَنْجَزَ البَيْنُ وَعْدَهُ — وَشِيكًا، ولَمْ يُنْجَزْ لَنا مِنْكُمْ وَعْد

إلى أن يقول:

٧- إِذَا جُزْتَ صَحْرَاءَ الغُوَيْرِ مُغَرِّبًا — وجَازَتْكَ بَطْحَاءُ " السَّوَاجِيرِ " يا سَعْدُ

٨- فَقُلْ لِبَنِي الضَّحَّاكِ مَهْلاً، فإنَّنِي — أنَا الأُفْعُوَانُ الصِّلُّ والضَّيْغَمُ الوَرْدُ

٩- " بني واصل "، مَهْلاً، فإنَّ ابنَ أُخْتِكُمْ — لَهُ عَزَمَاتٌ هَزْلُ آرائِهَا جِدُّ

١٠- مَتَى هِجْتُمُوه لا تَهِيجُوا سِوَى الرَّدَى — وإنْ كَانَ خِرْقًا مَا يُحَلُّ له عَقْد

١١- مَهِيبًا كَنَصْلِ السَّيْفِ لَوْ قُذِفَتْ بِهِ — ذُرَى أَجَأٍ ظَلَّتْ وأعلامُهَا وَهْدُ

(*) الوليد بن عبيد الله يحيى بن عبيد.. ولد فى منبج قريبا من حلب سنة ٢٠٤ أو ٢٠٥ أو ٢٠٦.. كنيته: أبو عبادة – لقب بالبحترى نسبة إلى عشيرته الطائية (بحتر)، أو إلى أحد أجداده. أبوه من طئ، وأمه من شيبان. توفى سنة ٢٨٤. لقى أبا تمام فأوصاه وصيته المشهورة..

أحد أبرز أعلام الشعراء العربى بعامة والعباسى بخاصة، شاعر الوصف، والموسيقى، والرسم بالكلمات.

مصادر ترجمته كثيرة جدا منها [الأغانى / ساسى ١٦٧/١٨، أخبار البحترى للصولى، معجم الأدباء ٢٤٨/١٩ وغيرها.

(١) القصيدة فى الديوان بتحقيق حسن كامل الصيرفى ٧٤٢/٢ – ٧٤٥ – دار المعارف – ط ثالثة.

(ب٧) الغوير: ماء لبنى كلب. البطحاء: مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى. السواجير: نهر منبج.

(ب٨) بنو الضحاك: قوم الحسن بن رجاء بن أبى الضحاك.. سبق للشاعر أن هجاه. الأفعوان: ذكر الأفعى. الصِّل: الداهية من الحيات. الضيغم: الأسد. الورد: الشجاع الجرئ، وقيل: الأسد المحمر اللون.

(ب٩) فى رواية (بنى ناهل)

(ب١٠) الخرق من الفتيان: الظريف فى سماحة ونجدة.

(ب١١) أجأ: أحد جبلى طئ. الأعلام: الأعالى والجبال. وهد: منخفضة. وفى رواية (ضربت به)

إلى أن يقول:

١٩- وَلَيْلٍ كَأَنَّ الصُّبْحَ فى أُخْرَيَاتِه ... حُشَاشَةُ نَصْلٍ ضَمَّ إفْرِنْدَه غِمْدُ
٢٠- تَسَرْبَلْتُه والذِّئْبُ وَسْنَانُ هاجِعٌ ... بِعَيْنِ ابْنِ لَيْلٍ مَا لَهُ بالكَرَى عَهْدُ
٢١- أُثِيرُ القَطَا الكُدْرِىَّ عَنْ جَثَمَاتِه ... وتَأْلَفُنى فيه الثَّعَالِبُ والرُّبْدُ
٢٢- وأَطْلَسَ مِلْءِ العَيْنِ يَحْمِلُ زَوْرَه ... وأَضْلاَعَه مِن جَانِبَيْه شَوًى نَهْدُ
٢٣- لَهُ ذَنَبٌ مِثْلُ الرِّشَاءِ يَجُرُّه ... ومَتْنٌ كَمَتْنِ القَوْسِ أَعْوَجُ مُنْأَدُّ
٢٤- طَوَاهُ الطَّوَى حَتَّى اسْتَمَرَّ مَرِيرُه ... فَمَا فِيه إلاَّ العَظْمُ والرُّوحُ والجِلْدُ
٢٥- يُقَضْقِضُ عُصْلاً فى أَسِرَّتِها الرَّدَى ... كَقَضْقَضَةِ المَقْرُورِ أَرْعَدَهُ البَرْدُ
٢٦- سَمَا لى وبى من شِدَّةِ الجُوعِ مَا بِه ... بِبَيْدَاءَ لَمْ تُحْسَسْ بها عيشةٌ رَغْدُ
٢٧- كِلاَنَا بِهِ ذِئْبٌ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ ... بِصَاحِبِه، والجَدُّ يُتْعِسُه الجَدُّ

(ب١٩) حشاشة نصل: بقيته. إفرند السيف: جوهره ووشيه.

(ب٢٠) ابن الليل: يقصد به اللص، الذى يمارس أعماله ليلا إذ يتخذ من الليل ستاراً له.

(ب٢١) القطا: طير تسير جماعات، وهى أسرع الطير وأهداها إلى الماء. الكدرى: ضرب من القطا مائل إلى السواد والغبرة. جثماته: مراقده التى يرقد فيها. الرّبد: جمع أربد وهو الأسد، أو حية خبيثة، والأسود المنقط بحمرة. وقيل المعز السوداء المنقطة بحمرة.

(ب٢٢) أطلس: هو الذئب. الزور: أعلا وسط الصدر أو ملتقى أطراف عظام الصدر. الشوى: اليدان والرجلان والأطراف،. نهد: بارز، ناتئ، مرتفع.

(ب٢٣) الرشاء: الحبل. المتن: الظهر. المنأدّ: المعوج والمنحنى.

(ب٢٤) الطوى: الجوع. المرير: ما اشتد فتله من الحبال، ويقال: استمر مريره أى قوى بعد ضعف، وقيل: استمر مريره: استحكمت عزيمته وقويت شكيمته، أى زاده الجوع ضراوة.

(ب٢٥) يقضقض عصلا: أى يصوت بأسنان صلبة معوجة، وهو يكسر العظام. والعصل: الأنياب العوج، أى أنه يصك أنيابه بعضها على بعض. الأسرّة: الخطوط، وقيل: الثنايا. المقرور: الذى أصابه القر وهو البرد.

(ب٢٦) فى رواية (لم تعرف بها..)

(ب٢٧) الجَدّ: الحظ. وبالكسر: الاجتهاد.

٢٨- عَـوَى ثم أَقْعَى فارْتَجَزْتُ فَهِجْتُه   فأقْـبَلَ مـثْلَ الـبَرْقِ يَتْـبَعُه الـرَّعْد
٢٩- فأوْجَـرْتُه خَرْقَاء تَحْسِبُ رِيشَها   علـى كوكـب يَـنْقَضّ واللَّـيْلُ مُسْوَدُّ
٣٠- فمـا ازْدَادَ إلا جُـرْأةً وصَـرَامَةً   وأيْقَنْـتُ أنّ الأمْـرَ مـنه هـو الجِـدُّ
٣١- فأتْبَعْـتُها أخْرَى فأضْلَلْتُ نَصْلَها   بحيـثُ يكُـونُ اللُّـبُّ والرُّعْبُ والحِقْدُ
٣٢- فَخَـرَّ وقـد أوردْتُه مَنْهَلَ الرَّدَى   عَلَـى ظَمَـأٍ لَـوْ أنَّـه عَـذْبَ الـوِرْدُ
٣٣- وقمـتُ فجمَعْتُ الحَصَى، واشْتَوَيْتُه   علَـيْه، وللرَّمْضَـاءِ مِـنْ تَحْـتِه وَقْدُ
٣٤- ونِلْـتُ خَسِيسًـا مِـنْهُ ثُمَّ تَرَكْتُه   وأقْلَعْـتُ عَـنْهُ وَهْـو مُـنْعَفِرٌ فَـرْد

* * * *

هـذه القصيدة تتألف من عدة أقسام: غزل، فخر، وصف الذئب، مذهبه فى الحياة.

والموضـوع الأساسى فى القصيدة هو الذئب، الذئب البشرى، والذئب الوحشى..

فالشـاعر قـدم لقصيدته بنسيب، والنسيب له علاقة قوية بسائر أبيات القصـيدة، إنه نسيب حزين، يائس.. إذ كيف تتأتى البهجة مع الغدر، ونقض العهد، والهجر، والصد؟!.

(ب٢٨) أقعـى: جلس على مؤخره استعداداً للوثوب. ارتجز: رفع صوته، ويقال: ارتجز الرَّعْدُ: أى سمع صـوته متتابعا. وقيل: ارتجزت، أنشدته رجزا. هجته: أى اهتاج لسماع صوتى فأقبل بسرعة كالبرق مخرجا صوتا كالرعد.

(ب٢٩) فأوْجَـرْتُه: طعنـته، وقيل: طعنته فى فيه. خرقاء: أراد بها السهام، تشبيها لها بالريح التى يقال لهـا الخـرقاء، وهـى التى لا تدوم على جهتها فى هبوبها. وقيل: هى خرقاء لأنها طائشة لم تصبه، وهذا بعيد. تحسب ريشها على كوكب...: يشبه النبلة اللامعة فى الليل بكوكب منقض.

(ب٣١) النصـل: حديـدة الرمح والسهم والسكين،وربما سمى السيف نصلا. وهو يقصد أنه أدخل النصل فى القلب الذى تجتمع فيه الأحقاد والخوف واللب.

(ب٣٤) الخسيس: القليل القدر. المنعفر: الممرغ فى التراب.

إن البَيْنَ ينجز وعده، بينما الإنسان ينقض عهده... وممن يتأتى ذلك ؟ من الأحباب والأقارب، فممن ينتظر الوفاء ؟.

إن ظلم الأقارب وقعه أليم، على حد قول طرفة:

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

لنتأمل مطلع القصيدة، فالشاعر يلقى تحية (سلام عليكم)، إنها تحية يلقيها على أموات غير أحياء، فما الحياة فى قوم لا يحسّون بالآخرين، ولا يقدرون مشاعرهم، وينقضون عهودهم، ويتمنون موتهم ؟!.

ويخاطب الشاعر الأطلال "كتجسيد للعلاقة التى لم يعد وراءها نفع"(١)، فيدعوا لدار العامرية بالسقيا.. وهنا السؤال: لماذا يدعو لها وإن معاناته وشقاءه ونكده إنما كانت بسببها هى ؟ ألا تستحق الدعاء عليها ؟.

كلا، إنه محب، ولا زال لديه أمل فى أن تعود الأمور إلى سابق عهدها.

إنه تعبير " عن علاقة الإنسان الملغزة بالحياة، فهو على الرغم مما يعانيه من تعسفها وجورها متعلق بأستارها، محب لها، لا ينأى عنها إلا مرغما، حتى إذا ما ختم البحترى غزله القلق الحزين هذا نراه فى البيت السادس يصدر حكما عاما يقول فيه: إن التفرق لا التوحد فى الحب، ومن ثم إن الشر لا الخير فى الحياة، هو القاعدة الثابتة المطردة التى تحكم علاقات الإنسان بالإنسان وبالوجود ". (٢)

---

(١) دراسات فى النص الشعرى / العصر العباسى د./ عبده بدوى ١٣١

(٢) البحترى بين نقاد عصره ٣٢٢.

" إنـــه الغزل البدوى الحزين، يهب علينا منه عبير الصحراء، برمالها، وأطلالها، وغيدها، ولوعة الحب فيها " [1]

هـــذه هى العلاقة التصادمية الأولى علاقة متوترة، آسية، حزينة، فيها الصد والهجر.

وهذا النسيب يكشف لنا - إلى حد كبير - عن الرمز فى لوحة الذئب، بحيـــث " غدا الذئب رمزاً للمعوقات والرعب والشر فى هذا العالم، والدليل علـــى ذلك أن نسيب البحترى - على غير عادته - محزون القرار، متهدج الأنفـــاس، لا يـــتعدى ستة أبيات، والحبيبة فيها صادة، جافية، ناكثة العهد، والعواطف يائسة متحرقة، حتى ليصبح التعذيب والنوى قدر الإنسان ". [2]

وعلاقـــة أقاربه الذين تربطه بهم وشائج الدم والرحم - إذ إنهم أخواله مـــن بنى واصل وبنى الضحاك - ليست بأحسن من العلاقة السابقة... إنها علاقة خصومة، فيها تهديد ووعيد، وإنذار وتخويف..

ويحدد البحترى مسكن هؤلاء الخصوم وهو (صحراء الغوير)، ويحمل (ســـعدا) رســـالة إليهم، ويختار الوقت الذى تصلهم فيه وهو وقت الغروب، وربما كان المعنى: جهة الغرب. وإن كنت أرى المعنى الأول أليق.

ومؤدى هذه الرسالة:

أن البحـــترى لـــيس بالجبان الضعيف، وإنما هو أفعوان خطير داهية، وأســـد هصـــور، شـــديد المـــراس.. وإن كل من تسول له نفسه مخاصمته ومعاداته فإن مصيره الهلاك، وهو يذكرنا بقوله فى السينية:

---

(١) نفسه ٨٠.

(٢) نفسه ١٨٧، ١٨٨ (بتصرف).

لا تَـــرزُنّى مُـــزَاولا لاختـــبارى بَعْـدَ هَـذِى الـبلوى فتـنكرَ مسّـى

لكأنما وجد البحترى نفسه وحيدا فى ميدان الصراع ضد أقاربه جميعا، فأخذ يستجمع قواه، ويرفع من شأن نفسه، فى الوقت الذى يهوّن فيه من شأن أعدائه.

حقيقة (سعد)

هل كان هناك رجل حقيقى اسمه (سعد) حمّله البحترى رسالته تلك ؟ أم أنـه نَهَـجَ نَهْـج السـابقين من الشعراء حين استخدموا (سعدى، وسعاد... وغيرها) كرموز ؟.

لقـد أثبتت القراءة الفاحصة الدقيقة للسياقات الشعرية التى وردت فيها هـذه الأسـماء أن الشعراء كانوا يستخدمونها حين تضيق بهم الحياة، ويكاد يطبق عليهم الموت، ولكن يبقى لديهم أمل خافت ضعيف.. (١)

فها هو النابغة الذبيانى الذى عاش فى وعيد من المناذرة يوم اتجه إلى بـلاط الغساسنة يبث سعاد همومه، ويربط بينها وبين الوعيد كما يربط بين النقيضين:

أتـانى وعـيد والتـنائف بينـنا سـخاويُها والغـائط المتصـوّب
ذكـرتُ سـعاد فاعترتـنى صـبابة وتحـتى مـثل الفحل وجنّاء ذعلب (٢)

لقد ساءت العلاقة بين البحترى وأقاربه، وهو برئ من أن تكون له يد فى ذلك السوء.

---

(١) اقـرأ مـثلا: البردة لكعب بن زهير، وبائية ابن قيس الرقيات.. وغيرهما وراجع: الصورة الفنية فى الشعر الجاهلى د./ نصرت عبدالرحمن ١٥١.
(٢) نفسه.

ويمضـــى البحـــترى مفتخرا بنفسه وشجاعته، ومضاء عزيمته، وقوة شكيمته، وسيفه الصارم طويل النجاد، الذى لا يفل له حد.

ومادام يملك ذلك كله، إذًا فليرحل:

١٦- وباكـــية تشـــكو الفـــراق بأدمع   تـــبادرُها سَـــحًا كمـــا انتـــثر العقـــد

١٧- رشـــادك لا يحزنك بَيْنُ ابْنِ همة   يـــتوق إلـــى العلـــياء لـــيس له نـــد

١٨- فمن كان حرا فهو للعزم والسرى   ولـلـــيل مـــن أفعالـــه والكـــرى عـــبد

وهـــى أبيات تذكرنا بصعاليك الجاهلية، الشنفرى، وتأبط شرا، وعروة ابن الورد.

إن هـــذه المرأة - الأم أو الأخت أو الزوجة - تبكى خوفا على رحيل البحـــترى، ولكـــنه يكفكف من حزنها، ويهدئ من روعها، مقنعًا إياها بأن الأحرار، الذين يتوقون للعلا والمجد عليهم أن يطوفوا فى البلاد - على حد قول عروة - فقد خُلق هؤلاء للعزم والسير ليلا.

وهـــنا يـــبدو البحـــترى " بدويا معرقا فى البداوة، أو واحدا من أولئك الصعاليك الذين كان الليل نهارهم، وكان بعض حيوانات الصحراء لهم أهلا وأصحابا " (١)

وذلك مما يقوى الاعتقاد بأن البحترى نظم القصيدة فى المرحلة الأولى مـــن حـــياته فى الشام، تلك التى كان فيها متصلا بالبادية، وقد رجح محقق الديـــوان الأستاذ " حسن كامل الصيرفى " أنه نظمها عام ٢٢٦هـــ، أى وقد نـــيّف علـــى العشـــرين بقليل، وهو يواجه ما يفرضه عليه طلب المجد من

(١) الخيال الشعرى فى شعر الوصف عند البحترى د./ طه أبو كريشة ص٢٠٩ - ٢١٠.

صــراع رهيــب ضد صور الخسة فى الحياة، تلك التى كان من المحتم أن تواجهه ولما يصل إلى المال والشهرة بعد. (1)

القصــيدة مــن بدايتها - إذًا - صراع بين الشاعر من جهة، والزمن والحبيب والقريب من جهة أخرى..

ولــذا يــبدو لى أن الشاعر فى لوحة الذئب الآتية قد استجمع كل قواه ونشــاطه ليصـــرع كل هؤلاء الخصوم فى شخص هذا الذئب، وبذلك يشفى غيظه.

يقول:

١٩- ولَــيْلٍ كَــأنّ الصُّبْحَ فى أُخْرَيَاته حُشَاشَــةُ نَصْــلٍ ضَــمّ إفْــرِنْده غِمْــدُ
٢٠- تَسَــرْبَلْتُه والذِّئْبُ وَسْنَانُ هاجِعٌ بعَيْــنِ ابْــن لَــيْلٍ مــا لَهُ بالكَرَى عَهْدُ
٢١- أُثِــيرُ القَطَا الكُدْرِىّ عَنْ جَثَمَاته وتَألَفُــــنى فِــــيه الثَّعَالـــبُ والـــرُّبْدُ

زمــن القصة هو الليل، وبالتحديد آخره، أى مع بدايات انفجار الصبح، فالزمــن رمــادى، والمكان صحراء قاسية، يسير فيها الشاعر متسربلا ذلك الليل، وقد أخذ به الجوع مأخذه.

الجــو إذاً جــو قلق واضطراب، وقد اضطرب القطا المعروف بهدوئه بســبب حــركة الشــاعر، ثــم هناك - إلى جانب ذلك - مكر وخداع فى (الثعالب)، وتوحش وافتراس فى (الأسود).

(1) انظر: الديوان ٢/٧٤٠، أبو عبادة البحترى د./ محمد صبرى ١٨٩، البحترى بين نقاد عصره ٧٩، ٣٢٢.

وإلى هنا لم يتحدث الشاعر بعد عن الذئب الذى قاسمه بطولة قصته، فالذئب الوسنان الهاجع المذكور فى البيت العشرين ليس ذئبا معيَّنًا، بل هو جنس الذئاب.

فى هذا الجو الرمادى، والزمن الرمادى، يظهر ذئب رمادى (أطلس ملء العين)، ويرى الدكتور " عبده بدوى " أن الذئب ذلك هو نفسه الذئب الخصم حيث يقول:

" كما أن الصدق الشعورى يتمثل فى قوله إنه حين كان يسير كان يوقظ القطا، وبالتالى فالذئب فى الوقت الذى كان فيه وسنان، كان حريصا كل الحرص كأنه لص يسير فى طريقه، ثم نراه يضعنا فجأة أمام الذئب بعد أن ازدادت كمية النور من السماء فإذا به (ملء العين). [(١)]

والفترة الزمنية التى حددها الشاعر " مغبرة، كآبية، تتواءم وحالته النفسية من جهة، ورمادية لون الذئب من ناحية أخرى، إنها فترة امتزاج ظلمة الليل الذاهب، وغبش الفجر الآتى، وتلك فترة من المعتاد أن يتجول فيها الإنسان والحيوان المتوحش معا، وإن كان الذئب قد غفا شيئا ما، فتلك هى غفوة اللص الذى يغفو بعيون مفتوحة.. " [(٢)]

ويأخذ الشاعر فى رسم صورة دقيقة كاملة الملامح لخصمه، ويبدأ باللون - كعادة الشعراء - فيرينا ذئبه رماديا، مغبرا، كرمادية الزمن (أطلس)، وأما حجمه فضخم، منظره يملأ العين، هيئته مهيبة، قامته ممتدة. يداه ورجلاه من القوة بحيث برزت واضحة قوية، وها هو صدره المقوس،

---

(١) مرجع سابق ص١٣٢.

(٢) البحترى بين نقاد عصره ص٣٢٥.

وذيله الطويل مثل الرشاء، والمتن الممتد فى انحناء.. خلقته إذا مهيأة للقتال والعراك، يزيده شراسة وقوة وعزما على القتال جوعه الذى يكاد يهلكه، فلقد صـــيّره هزيلا نحيلا ضامرا، ولقد جفّت أمعاؤه ويبست لقلة ما يمر بها من الطعام.

إذًا الهيكل ضخم، ولكنه هيكل عظمى مغطى بجلد، تجرى فيه الروح.

ويســـتخدم البحـــترى مهارتـــه الفائقة فى الجانب الموسيقى، إذ يجعل الموسيقى التصويرية تصاحب المشهد المرئى فى قوله:

يُقَضْــقِضُ عُصْــلاً فى أسِرَّتها الرَّدَى كقَضْقَضَـــةِ المَقْـــرُورِ أرْعَـــدَهُ الـــبَرْدُ

إن أثـــر الإجهـــاد الناتج عن الجوع الشديد أثر فى الذئب تأثيرا رهيبا، فأســـنانه الصلبة المعوجة تحدث صوتا مخيفا، كأنه صوت الموت يرن فى أذن البحترى. أو قل هى كسكيّن يُسَنُّ ليكون أشد حدة وفتكا.

" لقد حرصت اللغة الشعرية فى أبيات البحترى أن تجعل صفات الذئب تشـــتد قـــوة من حاله التى كان عليها، ثم تجعل من ذلك الحال حافزاً لفعل المواجهة، وكان التأمل فى الذئب مبرزاً لعوامل الموت تتحرك فى تتبع شكله وهيئـــته، فذنبه يحيل إلى الرشاء، والمتن يحيل إلى القوس، وأنيابه عصل.. وكـــل ذلـــك يوحـــى بالشر ومغالبة الحياة، فالرشاء لاستخراج الماء بجهد ومشـــقة، وربما أوحى بالموت عند الماء، والقوس والأنياب والعصل تحكى الردى الذى يتراءى فى الأبيات " (١)

(١) العلاقة بين الإنسان والذئب فى الشعر العربى القديم – د./ عالى القرشى ص ١٢٧.

يقــول الثعالبى [1]: "فإذا استمعت إلى إنشاد البحترى فى وصف الذئب الجائع المرتجف بسبب البرد ظننته أمامك:

يُقَضْــقِضُ عُصْــلاً فى أسِرَّتِها الرَّدَى كقَضْقَضَــةِ المَقْــرُورِ أرْعَــدَهُ الــبَرْدُ

فــإن تكرار القاف وتواليها خمس مرات، وتكرار الراء ست مرات مع الحروف الأخرى يوحى بصورة الذئب فى ضراوته وجوعه وارتجافه ".

المواجهة:

صار البحترى والذئب وجها لوجه، مواجهة لا مفر منها، وهنا لابد من أن تحسم المعركة لواحد منهما، إن حياة أحدهما مرتبطة بفناء الآخر يقول:

سَــمَا لــى وبى من شدّةِ الجُوعِ مَا بِه بِبَــيْدَاء لَــمْ تُحْسَــسْ بها عيشةٌ رَغْدُ

كِلانَــا بِــهِ ذِئْــبٌ يُحَــدِّثُ نَفْسَــهُ بِصَــاحِبِه، والجَــدُّ يُتْعِسُــه الجَــدُّ

إن الخصـــمين متكافــئان، كلاهما جائع جوعا شديدا، والبيداء ليس بها مصدر للطعام.. وكلاهما به ذئب يمنيه أنه سيظفر بالآخر.. وأخذ كل منهما يــتربص بخصـــمه، ويمكر له، إنها فرصة ذهبية للحياة.. فمن ذا الذى يبدأ بالهجوم ؟ وبأى سلاح يبدأ ؟

لقــد بــدأ الذئــب، يريد قتل جوعه، مستخدما سلاحه الأثير (العواء)، كوســيلة إرهاب وإفزاع وتخويف من جهة، واستدعاء لبنى جنسه من جهة أخرى..

وأتبع العواء إقعاء، وما الإقعاء هنا إلا تحفز للانقضاض على الخصم.

(١) فقه اللغة ص٢٦١ دار الفكر ١٩٦٨.

مـــاذا عســـاه يفعل البحترى إزاء هذه الوسائل المخيفة من الذئب ؟ لقد بادله صوتا بصوت، علّه يخيفه، ومن ثم يهجم عليه.. ولكنه صوت الخائف الذى يصيح مشجعا نفسه..

وأهاج ذلك الصوت الذئب، الذى أبى أن يفلت الزمام من يده، ومن هنا بادر بحسم الموقف، وأقبل صوب خصمه كالبرق.

إنهـــا ســـرعة خاطفة، جسدها البحترى بمهارة، مع حشد كل المعانى السابقة فى بيت واحد حين قال:

٢٨- عَــوَى ثم أقْعَى وارتَجَزْتُ فَهِجتُه فأقْــبلَ مــثلَ الــبَرْقِ يتْــبَعُه الــرَّعْد

فتجد فى البيت ستة أفعال (عوى - أقعى - ارتجزت - هجته - أقبل - يتبعه) مثلت المشهد كاملا، مع إيحاء بالسرعة التى أكدها بقوله (البرق)، ثم أتبعه (الرعد) كما هو الحال فى أننا نسمع الرعد بعد حدوث البرق.

أصـــبح الذئب أمام البحترى، وصار لزاما عليه أن يتصرف بسرعة، وإلا قُضـــى علـــيه. وبـــالفعل صوب واحدا من كنانته إلى الذئب الذى جُنّ جـــنونه، وفقد صوابه وقد رأى الموقف يفلت من يديه، وأصبح الموت قريبا جـــدًّا مـــنه.. فاشـــتد جـــرأة وصرامة، وازداد استماتة فى التقدم والاقتحام والهجـــوم.. فعاجله البحترى بسهم آخر.. فقتل الذئب الوحش.. وقتلت معه الذئـــاب البشرية الأخرى التى كانت تتربص بالبحترى وتتمنى موته، هكذا تخيل الشاعر:

٢٩- فأوْجَــرتُه خَرْقَاء تَحْسِبُ رِيشَها علـــى كوكـــب يَـــنْقَضَّ واللّـــيْلُ مُسْوَدُّ
٣٠- فمـــا ازْدَادَ إلا جُـــرْأةً وصَـــرَامَةً وأيْقَنْـــتُ أنّ الأمْـــرَ مـــنه هـــو الجِـــدُّ
٣١- فأتْبَعْـــتُها أخْرَى فَأضْلَلْتُ نَصلَها بحيـــثُ يكُـــونُ اللُّـــبُّ والرُّعْبُ والحِقْدُ

٣٢- فخَـرَّ وقـد أوردتُه منْهلَ الرَّدَى عَلَــى ظَمَـإٍ لَــوْ أنَّــه عَــذْبَ الــورْدُ

" هنا تنتهى الحركة الثانية، التى تحتوى فى أبياتها الخمسة على عشرة أفعـال معطوفا بعضها على بعض فى سرعة خارقة. والشاعر يدعوك فى آخـرها إلـى أن تتنفس الصعداء بهذه اللهجة من السخرية، حين يقول: إن الذئب قد ورد الموت ظمآن إليه، كأن مورد الموت مورد عذب ". (١)

وفـى البيت (٢٩) شبه البحترى رمحه بالكوكب أو النجم المنقض فى الليـل البهـيم... ويبدو تأثره بالقرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ وغيرها من الآيات فى هذا المعنى.

ولعلـه تأثر بالشعر القديم حين يشبه الثور الوحشى بعد انتصاره على الكلاب المعتدية بالنجم المنقض. هو على كل حال رمز للانتصار على الظلم والتوحش.

وتأمل البيت رقم (٣١)

.... بحيـثُ يكُـونُ اللُّـبُّ والرُّعْبُ والحِقْدُ

تجـد مصداق ما ذهبنا إليه من أن الشاعر لم يقتل الذئب الوحش فقط، إنمـا قتل ذئاب البشر الذين يحقدون ويمكرون.. ولذا عمد إلى القلب مكمن هـذه المشاعر، ومحل الخداع والمكر والكراهية والحقد، إذ إنه عضو فاسد وتسبب فى سريان الفساد فى الجسد كله، كما فى حديث الرسول ﷺ: " ألا إن فـى الجسـد مضـغة إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد، ألا وهى القلب ".

---

(١) قراءة جديدة لشعرنا القديم ٦٢.

أضـــف إلـــى ذلك كلمة (أوجرته) فهي توحي بمدى الغيظ المنطلق من الشاعر مع تصويبه رميته.

كما أنه لم يكتف بذلك ليشفي غيظه، وإنما ذهب يشويه:

٣٣- وقمــتُ فجمّعتُ الحَصَى، واشْتَوَيْتُه   علَـيْه، وللرَّمْضَــاءِ مِــنْ تَحْـتِهِ وَقْدُ

ففــي تجميع الحصى دلالة على جهده المبذول للقضاء على الخصم، ثم الشـــي وإن كـــان لتطييب اللحم إلا أنه يشفي الغيظ كذلك بالتخلص من هذا الظالم.

بل إن الأكل الذي ذكره في قوله:

٣٤- ونِلْــتُ خَسِيسًــا مِــنْهُ ثُمَّ تَرَكْتُه   وأَقْلَعْــتُ عَــنْهُ وَهْــو مُــنْعَفِرٌ فَــرْدُ

هــذا الأكــل يشفي الغيظ كذلك، فالشيُّ والأكل كلاهما تعبير عن نشوة النصـــر.. وهـــا هو يتركه (منعفرا) ذليلا بعدما أفرغ كل ما في داخله من كراهية له، وحقد عليه.

لقد برع البحتري في قصيدته هذه في كل جانب من جوانبها: في اللغة، والموسيقا، وفي حروف العطف المستخدمة في مواضعها بدقة متناهية، وفي طريقة توظيف الأفعال الماضية والمضارعة، وفي الوحدة العضوية وفي كل شيء...

ومن هنا استحقت هذه القصيدة اهتمام الباحثين والنقاد، فمنهم من أثنى علـــيها، مـــثل (كامل العبد الله)، الذي يقول عن هذه اللوحة: " صورة كاملة حـــية، ألوان وحركة دائمة، وفعل يترادف ويتوالى، فإذا هو فعل قائم، الآن،

أمـــامك يـــدور، وبيـــن يديك يخلق، اللون والنغم فى تجاوب، حتى فى هذا العراك القائم، وفى هذا الجو الجدّى من انفعالات الصحراء القاسية". (١)

ويقول الدكتور سامى الدهان: (٢)

"إن البحـــترى قدم لنا قصة سينمائية جميلة عن نفسه وذئبه، فأرانا ذئبه رؤيـــا عيـــن، فى لونه الأطلس، ومتنه الأعوج المقوس، وجسمه المنهوك، وعظامه المقضقضة، حتى ملأ قلوبنا رهبة منه، وخوفا على صاحبه.. ولعله وفق فى هذا شعرًا إلى ما لم يوفق إليه أديب نثرا ".

أما الدكتور عمر فاروق الطباع فقال: (٣)

" إن البحترى شاعر رسام، استعاض عن الألوان بالألفاظ، واستمد من الكلمات مختلفا من الأصباغ، وأحاط موصوفاته بمولدات مخيلته، فنأى عن رتابـــة الواقـــع وجفافه، وحلق فى عوالم التمثيل، فبرزت أوصافه فى إطار مزدوج من صدق الانطباع، وحلاوة الزخرفة ".

وقال الدكتور عبده بدوى: (٤)

لقـــد وصّلت القصيدة لنا " تجربة الشاعر عن طريق بناء هرمى محكم إلى حد بعيد، صحيح أنه أرهص بهذا حين تغزل، ثم حين تحدث إلى صديق اسمه (سعد)، وإلى سيدة أثيرة لديه لم يذكر اسمها، ولكنه قدم إشباعا للقارئ

(١) شعراء من الماضى ٣٠٢.
(٢) الذئب بين الأدبين العربى والفرنسى / مجلة الرسالة عدد ١٥.
(٣) فى رياض الشعر العربى ١٣٠ دار القلم.
(٤) دراسات فى النص الشعرى ١٣٩ – العصر العباسى.

حيـــن نقله نقلاً إلى البيداء التى صرع فيها الذئب، ثم شواه، ثم نال خسيسا منه...".

ويقــول: [١] " إن هـــذه القصـــيدة هـــى سمط العصر الذى عاش فيه البحترى".

إلى غير ذلك..

ومنهم من انتقد البحترى مثل "عبدالقادر حسن أمين" حين قال: [٢]

" إن البحـــترى هـــنا يطالعنا بشجاعة غريبة لم نعهدها فيه، فهو الذى توارى خلف الأستار وستائر الشبابيك حين قتل الخليفة "المتوكل" على مرأى ومســـمع مـــنه، وقد وصف البحترى الذئب والمعركة التى نشبت بينهما فى اللـــيل، ثـــم ادعى البداوة وما هو منها بشئ، ومضى ينسج خيوط المعركة مـــتكلفا كأنـــه ممثل على خشبة المسرح يؤدى دوره فى تسلسل منطقى، فقد عوى الذئب، ولم يهجم، بل أقعى، وانتظر البحترى حتى يتم ارتجازه فيثيره، ثم يقبل مهاجما مسرعا كالبرق، ولا يعجبه أن تنتهى المعركة بالسهم الأول، فلابد من كر وفر، وبعدها يسقط الذئب صريع السهم الثانى، الذى استقر فى القلب موطن اللب والرعب والحقد ".

نقول:

إن الشـــعر لا يعامل بهذه الطريقة، فلا ينبغى أن يحاسب الشاعر على أســـاس الواقـــع، وهـــناك رموز تفكّ لنا هذا التناقض، فـــ" المفازة والذئب

(١) نفسه ١٤٠.

(٢) شعر الطرد عند العرب ٢١٨، وأمراء الشعر العربى / أنيس المقدسى ٢٦٤.

والإنســان هى رموز للحياة، وما تموج به من تصارع بين القوى وتصادم بين الأقدار.

" والصــدق الفــنى للتجربة ليس مشروطا بواقعية التجربة ومباشرتها، وإنما المعول عليه هو معاناة الفنان العميقة لتجربته التى قد تكون واقعية فى الحــياة أو متخيلة، ولكنها لابد أن تكون واقعية وفاعلة فى شعور الفنان كى يبدع فنا باقيا وقادرا على الإشعاع والتأثير ". (١)

ويقول الشاعر صلاح عبدالصبور فى ذلك: (٢)

" وليست قصيدة البحترى المشهورة فى الذئب إلا إعلانا لهذا التغير فى الروح العربى تجاه حيوان الصحراء، فقد أذبلت السكنى فى المدن ومخالطة المهذبين من الناس، هذه الروح الفارسة، وأرادت الحيوان مقيدا أسيرا يؤمن شــره، لا حرًا طليقا ترتجى صداقته، وهنا أكل الإنسان صديقه بدلا من أن يقاسمه طعامه ".

والدكــتور ســيد نوفــل لا يــرى فى القصيدة جديدا وإنما هى تلفيق، يقول:(٣)

"إنهــا لا ريــب معانى القدماء، يلفق بينها حين يجول فى غير ميدانه، والتعبير الأسلوبى البدوى العتيق، وما درى أن مقامه بالشام والعراق وعيش الحضــارة قــد أوهن ما بينه وبين البادية من صلة، وأن شعره ينم عن هذا

(١) البحترى بين نقاد عصره ٨٠، ١٨٨.

(٢) قراءة ثانية لشعرنا القديم ٦٥.

(٣) شعر الطبيعة ١٨٥، ١٨٦.

التكلف حين يبالغ مبالغة الحضريين فيقول: إن الذئب ليس به لحم، ثم يعود فيزعم أنه اشتواه، وأكل منه قليلا، وترك الباقى فهو إذاً موفور اللحم"

ونرد عليه بما قلنا سابقاً.

* * * *

وقد ورد الذئب فى شعر البحترى كثيرا، فله حضور متميز فى ديوانه:

- من ذلك قوله مادحا: (١)

دَلْهَمِيٌّ إذَا الدَّلَهْمُ دُجَى الخَطْب كَفَتْ فيه شُعْلَةٌ من وقوده

فهو يمدح "الخضر التغلبى"، ويقول هو كالذئب فى الشجاعة. وهو تشبيه يلفت النظر ويستوقف القارئ، فالأسد فى التشبيه بالشجاعة أولى، أما أن الذئب شجاع ففيه نظر.

- ويمدح أحمد بن عبدالعزيز قائلا: (٢)

ضَامِنًا رِزْقَ كُلِّ طَيْرٍ كَمَا ضُمِّـ ـنَ أَرْزَاقُ كُلِّ ضَبْعٍ وسِيدِ

أى أنه يكثر القتل فى الأعداء، وبذلك يتركهم طعاماً للضباع والذئاب.

- ويمدح " الموفق " على حسن اختياره لصاعد بن مخلد، ذلك الرجل العادل الذى أمنت الشاة من الذئاب فى حكمه: (٣)

فكيفَ وَجَدْتُم عَدْلَه وقد التَقَتْ مُسَالِمَةً شَاءُ البِلادِ وَسِيدُهَا

- وقريب منه قوله يمدح أبا جعفر أحمد بن محمد الطائى: (٤)

لَمْ أرَ كالنُّفَّرِ الأَغْفَال سائمةً من الحَبَلَّق لم تُحْفَظْ من الذِّيبِ

---

(١) الديوان ٥٩٧/١ ق رقم ٢٤٨ تحقيق الصيرفى.

(٢) الديوان ٨١٠/٢ ق رقم ٣٢٤.

(٣) الديوان ٥٣٢/١ ق رقم ٢٢٢.

(٤) الديوان ٩٤/١ ق رقم ٣٢.

ففى عهده زالت الخصومات، حتى المستحكم منها فى الطباع.

- وقال عن نفسه: (١)

يُلاقُونَنى بالبِشْرِ والرُحب خُدْعَة وكُلٌّ طَوَى كَشْحَيْه مِنّى على حقد

وكيف انخداعُ الذئب والذئبُ خادعٌ خَتُولٌ على الحالات للبطل النَّجْدِ

وهو يذكرنا بقول الفاروق عمر ﷺ: لست بالخب ولكن الخب لا يخدعنى.

وفى أمثال العرب: أختل من الذئب.

- وقال: (٢)

حتّى يعودَ الذئبُ لَيْثًا ضَيْغَمًا والغُصْنُ سَاقًا والقَرارةُ نيقا

* * * *

(١) الديوان ٢/٨٣٤ ق رقم ٣٣٢.

(٢) الديوان ٢/٧٦٧.

الشريف المرتضى (*)

عارى الجناجن

قال: (١)

١- أيا حَادِىَ الأظْعَانِ لمْ لا تُعَرِّسُ لعلّكَ أن تَحظَى بقربك أنفُس
٢- أنِخْ وانْضُ أحلاسًا أكَلْنَ جلُودها فَصِرْن جلودًا طالما أنت (مُحلِسُ)
٣- وإن كُنتَ قد جَاوزْتَ بَطْنَ مُثَقَّبٍ وما فيه من ظلٍّ يَفِىءُ فيَلْبَسُ
٤- ففى الحَزْن مُخضَرٌّ من الرَّوْض يانِعٌ وعَذْبُ زلالٍ بَاتَ يَصْفُو ويَسْلَسُ
٥- تُدَرِّجه أيدى الشَّمَالِ كأنَّه إذا أبصَرتْه العَيْن نَصْلٌ مُضَرَّس
٦- وإن لم تُرِدْ إلا اللِّوى فعلى اللِّوى سلامٌ، ففيه موقف ومُعَرَّس
٧- وقومٌ لهم فى كلِّ علياءَ مَنْزِلٌ وعزٌّ على كل القبائل أقْعس
٨- كرام تضىءُ المشكلاتُ وجوههم كما شَفَّ فى تَمٍّ عن البدرِ طِرْمِسُ

(*) على بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ﷺ.

نقيب العلويين. ولد ببغداد ٣٥٥هـ وتوفى ٤٣٦هـ، وهو أكبر سنًا من أخيه الشريف الرضى، إلا أن الأصغر كان مقدما عليه. كان يلقب بعدة ألقاب منها: علم الهدى، ذو المجدين، السيد، الشريف... الخ

(١) الديوان / القسم الثانى - تحقيق رشيد الصفار - ص١١٧ - ١١٩ - ط عيسى البابى الحلبى ١٩٥٨.

(ب١) التعريس: نزول المسافر للاستراحة.

(ب٢) انض: انزع. الأحلاس: جمع حلس وهو ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج. والمحلس: واضع الحلس، وأحلس بالمكان: لازمه.

(ب٤) الحَزْن: ما غلظ من الأرض.

(ب٥) تدرجه: تجعله متدرجا كحبك الماء أو الرمل. النصل: السيف. المضرس: ما فيه نتوآت كآثار عض الضرس.

(ب٧) الأقعس: الثابت.

(ب٨) طرمس: ظلام.

إلى أن يقول:

١٧- ولـــيلةَ بِتْــنا بالثنــيّة سُــهّدا   ومـــا حَشْــوُهَا إلا ظَــلامٌ وحِــنْدِس

١٨- وقــد زَارَنَــا بَعْــدَ الهُدُوِّ تَوَصُّلاً   إلــى الــزّادِ غَــرثانُ العشّــياتِ أطْلَس

١٩- شَديدُ الطُّوى عَارِى الجَنَاجِنِ ما به   مِــن الطُّعْــمِ إلا مــا يُظَــنُّ ويُحْــدَسُ

٢٠- أتَـــانىَ مُغْـــبَرُّ السَّـــراة كأنّـــه   مِـــن الأرْضِ لَـــولاَ أنُّـــه يَـــتلَمَّسُ

٢١- تَضَــاءل فى قُطْرَيْه يُكَتِّمُ شَخْصَه   وأطْــرقَ حَــتّى قُلْــتُ مــا يَتَــنفّس

٢٢- وضَــمَّ إلــيْه حسَّــه مُتَوَجّسًــا   ومــا عِــنْدَه فــى الكَــيْدِ إلاَّ التَّوَجُّسُ

٢٣- يُخَادِعُــنى من كَيْسِه عن مطيتى   ولــم يَــدْرِ أنّــى مــنه أدْهَــى وأكْيَس

٢٤- وأقعــى إزاء الــرّحْل يطلب غِرَّةً   ويُلْقــى إلــيه الحرصُ أن سوف أنعس

٢٥- فقلــت له لمــا تولــى خداعُه: تعــزْ فمــا عــندى لِــنابكَ مَــنْهَسُ

٢٦- وما كنتُ أحميك القِرَى لَوْ أرَدْتَهُ   بِــرفقٍ ولكــن دَارَ مِــنْكَ الــتَّغطْرُسُ

٢٧- فلمــا رَأى صَــبْرِى عَلَيْه وأننى   أضِــنُّ عَلَــى بَــاغِى خِدَاعــى وأنْفس

٢٨- عَــوَى ثُــمَّ وَلَّــى يَسْتَجِيرُ بِشِدَّةٍ   ويَطْلُــبُ بَهْمًــا نَــام عَــنها المحبّس

* * * *

(ب١٧) الحندس: الظلام الحالك

(ب١٨) الغرثان: الجائع. الأطلس: الذئب.

(ب١٩) الطوى: الجوع. الجناجن: عظام الصدر. الطُّعْم: القدرة.

(ب٢٠) السراة: أعلا الظهر.

(ب٢١) أطرق: أغمض جفنيه.

(ب٢٢) توجس: أضمر. والوَجْسُ: الصوت الخفى.

(ب٢٣) الكيْس: العقل.

(ب٢٤) أقعى: قعد على أليتيه ونصب ذراعيه. غِرّة: غفلة.

(ب٢٨) البهم: أولاد الضأن الصغار.

علـــى عادة القدماء فى افتتاح قصائدهم جاءت قصيدة المرتضى، حيث وصـــف رحلـــة الظعن، والشاعر يطلب إلى حاديها أن يتوقف حتى يأخذوا قسطا من الراحة، ويأنس بالقرب من أنفس يسعد بها.

لقـــد كانـــت الـــرحلة شـــاقة مضنية، أتعبت الإبل حتى أكلت جلودها الأحـــلاسُ، غير أنها لم تشْك، وإنما تصبرت وتماسكت وتجلدت، وكيف لا ولا حول لها ولا قوة سوى الإذعان، ثم إنها اعتادت هذه الأسفار.

ويبدو لى أن المرتضى يرمز بذلك إلى رحلته هو فى الحياة التى تعب فـــيها، ويشير إلى فرصة عظيمة قد فاتته وقد كان يطمح إليها، ويطمع فى تحقيقها.

لقـــد فوّت الحادى الفرصة على الظاعنين، حيث اجتاز مكانا طيبا كان يمكنهم أن يستظلوا بظله، ويلتقطوا أنفاسهم هناك.

وما بقى إلا " الحَزْنُ " فهل معناها ما غلظ من الأرض، وعليه فالمعنى أنه قانع راض بأى شئ !!.

أم أن " الحَـــزن " موضع لبنى يربوع، فيه رياض وقيعان ؟! يبدو أنه الأخير، إذ قال:

ففـــى الحَزْن مُخضَرٌّ من الرّوْض يانِعٌ ... وعَـــذْبٌ زلالٌ بَـــاتَ يَصْـــفُو وَيَسْـــلَسُ

هـــناك الشجر الملتف، والماء العذب، والقيعان ذات الصفاء، وإلى هذا وذاك تهب ريح الشمال مصافحة الماء..

ألا ما أجملها من استراحة بعد طول عناء !!

كـــأن الشـــاعر يقول: ما فات شئ بعد، وخيرُها فى غيرها. وحتى إن فاتتهم الاستراحة هنا فهناك اللوى فيه موقف ومعرس.

ذلك أن أمثال هؤلاء من سلالات الحسب والشرف:

وقومٌ لهم فى كلِّ علياءَ مَنْزِلٌ ... وعزٌ على كل القبائل أقْعس

كرام تضئ المشكلات وجوههم ... كما شَفَّ فى تَمٍّ عن البدرِ طِرْمِسُ

لقد طبقت شهرتهم الآفاق، وأى قبيلة من القبائل تشرف بنزولهم فيها.

فلا عليك أيها الحادى، انزل فى أى مكان، وعرّس فى أى موضع..

ويأخذ فى بث شكواه:

خليلى قولا ما أسر إليكما ... وقد لحظتنى عينه المتفرس

إنه حزين للفراق والنوى، وهو يكتم ما يحسه، ويتجلد حتى لا يشمت حساده كما قال أبو ذؤيب:

وتجلدى للشامتين أريهمُ ... أنى لريب الدهر لا أتضعضع

وهو لذلك مؤرق، لا يهجع، وهذا السهر جعله يلتقى بالذئب قائلا:

١٧- وليلةَ بِتْنَا بالثنيّة سُهّدا ... وما حَشْوُهَا إلا ظَلامٌ وحِنْدِسِ

المكان: الثنية، والزمان: الليل فيه الظلام والحندس، فالجو جو نوم، ولكن المرتضى مهموم مسهّد مؤرق، ولذلك فهو يقظ، وبالتالى رأى الذئب، ذلك الذى جاء مطمئنا ظانا أن الكل نيام، وأنه سوف يحقق بغيته بسهولة، إنه يرغب فى زاد يكسر ما به من جوع.

وقد استخدم لبيان صفة جوعه (غرثان) التى تعنى الجوع الذى أصبح معه الذئب طاويا خميص البطن.

ولو لم يكن المرتضى يقظا لما رأى الذئب، لأن لونه (أطلس) مغبر اللون، فهذه الغبرة مع حلكة الظلام تخفيانه حتى لا يكاد يرى.

إن هــذا الذئب لشدة ما به من جوع أصبح عارى عظام الصدر، بارز الأضـــلاع وقولـــه (من الأرض) أى لونه كلونها، وأيضا التصق بالأرض التصاقا حتى لا يكاد يُرى على ظهرها شئ.

وهـــو ماكـــر، خداع (يتلمس)، (ما يتنفس).. لقد أخذ يطوى نفسه، لا يـــتحرك، بـــل يكاد يحبس أنفاسه حتى لا يُرى أو يُسمع له حس. لقد حاول إيهـــام المرتضـــى – وهـــو الوحـــيد المتيقظ – أنه ميت، فأمال رأسه على صـــدره... لكن ذلك كله لم يخدع المرتضى فهو كما قال عمر بن الخطاب: "لست بالخب ولكن الخب لا يخدعنى".

اســـتنفذ الذئـــب جمـــيع ما يملك من وسائل التخفى، ولم يعد فى قوسه منزع، وتيقن أن أمره مكشوف أمام المرتضى، ولذا برز وأقعى أمامه وجها لوجه.. لم تُجْدِ وسائل التخفى والخداع والمخاتلة مع المرتضى، فهو ليس من أولـــئك الأغرار الذين تستخفهم مثل هذه الأمور، لكنه عنيد، ولا يُكْرَه على شئ لا يريده. ولو أن الذئب طلب الطعام بطريقة مهذبة لطيفة لما منعه، بل قدمـــه إلـــيه راضيا، ولكنه حاول خداعه، ظانا أنه سيغلبه ويخاتله، لقد جاء متغطرسا، وذلك عجيب، إنه متسول متبجح، ومن هنا فشل فشلا ذريعا:

فقلـــت له لمـــا تولـــى خداعـــه: تعـــزْ فمـــا عـــندى لِـــنَابِكَ مَـــنْهَس
ومـــا كنـــتُ أحمـــيك القِرَى لَوْ أرَدْتَهُ بـــرفقٍ ولكـــن دارَ مِـــنْكَ الـــتَغَطْرُسُ

لـــم يجد الذئب بدا من أن يعوى، وهذا العواء ربما كان بكاء على خيبة أمله، وبكاء من الجوع، وعواء يستجمع به ذئابا أخرى.

وأخـــذ الذئـــب يبحث عن طلبته فى مكان آخر، عند أناس نائمين ليس بينهم يقظ كالمرتضى.

لقــد ركز المرتضى فى دقة على وسائل المكر والخداع والمخاتلة لدى الذئــب، لأنــه عــانى مثلها من ذئاب البشر الذين كان يحسن إليهم، وكانوا يتظاهرون بالمودة والحب، لكنهم فى الحقيقة يضمرون الغل والحقد، وحاول المرتضى علاجها، ولكن أنى له ذلك وقد جُبل هؤلاء على هذه الذئبية ؟!.

لقد كان المرتضى حكيما فى تعامله مع الذئب، هادئ النفس، بحيث لم يســتفز أو يستغضـــب. فكانت معالجته معالجة تتسم بالهدوء والوقار، وهو رجــل يعــرف مــتى يكون الكرم؟ فالكرم ليس لأى أحد، إن الأنذال اللئام يــتمردون مــع الكرام ولذلك فالإمساك عنهم فيه تأديب لهم، وردع وزجر وإفساد لمخططاتهم الدنيئة ورد كيدهم إلى نحورهم.

هــذا الهــدوء فى التعامل مع أمثال هؤلاء يزيد غيظهم، ويكاد يقتلهم، ومــن هنا وجدنا الذئب يؤثر الرحيل ليبحث عن بغيته فى مكان آخر، وليس عند المرتضى.

وبذلك يمكننا القول إن الذئب رمز لأولئك الماكرين الخادعين من الناس الذيــن عج بهم العصر العباسى.. وهناك إشارات من الشاعر تؤيد ذلك منها قوله (ومولى يداجينى) بحيث ينظر بطرف عينه أى يختلس النظرات حتى لا يتنبه لها المرتضى.

وكذا ما نلحظه من أن هناك تنافسا، فاز به المرتضى، فأوغر ذلك قلب الحاقدين (ويعجب أنى فى الفضائل فتُّه).

وقــد وفــق المرتضى فى استخدام حرف السين رويا لقصيدته، فذلك الحرف المهموس يتناسب والسكون المخيم بالليل، والوسوسة،... الخ.

وقد اختار بحر الطويل ليتناسب مع هدوء المرتضى ووقاره فى تعامله مع الذئب، فضلا عن مناسبته لغرض الفخر.

* * * *

الشريف الرضى (*)
مُستطعم عادٍ طعمة

* هو: أبو الحسن محمد بن الحسين الشريف الرضى الموسوى، ينتهى نسبه إلى جده الأعلى على بن أبى طالب ﷺ وهو شقيق الشريف المرتضى. يلقب بذى المناقب. ولد ببغداد ٣٥٩هـ، وتوفى ٤٠٦هـ.

ربّى على الفضيلة، وتفقه فى الدين، وكان مقدما على أخيه المرتضى رغم أنه أصغر سنا منه. شبّ الرضىّ وفى نفسه تطلع إلى الحق المغصوب، إلى الخلافة، حيث رأى فى تولى العباسيين الخلافة تعديا واغتصابا لحق بنى على، فنمت فيه فكرة استعادة ما اغتصب وفات.(١)

وما لبث الرضى أن لمع نجمه، وذاع صيته، فعُيِّن نقيباً لنقباء الطالبيين، ولما كان كل ذى نعمة محسوداً فقد اشتد حقد الحاقدين عليه، إذ انتهزوا فرصة لبسه السواد، وألقوا فى نفس الخليفة (القادر) أن الشريف يحبى العلوية، ويفضلها على العباسية، فانتهى الأمر بإقالته.

ومن أكبر المؤثرات فى حياة وشعر الشريف الرضى سجن أبيه نقيب الطالبيين، وكان الشريف حينئذ طفلا، فماذا نتوقع من طفل يرى أباه وقد

(*) راجع ترجمته فى: وفيات الأعيان ٢/٤٤، يتيمة الدهر ٣/١٥٥، مقدمة شرح الديوان - محمد محيى الدين، الشريف الرضى / محمد إبراهيم المطرودى - النادى الأدبى - الرياض، عصر الدول والإمارات د./ شوقى ضيف - وغيرها.

(١) شعراء من الماضى ص٣٠٥ كامل العبدالله.

جرّد من الحول والطول، وألقى به في غياهب السجون ؟ هذا بالإضافة إلى الفجيعة الحسينية.. [١]

تعلـــم الرضـــى مـــن هذه المحن الصبر والمصابرة والتحدى والعناد والأنفة.

كان الرضى أكثر شعراء قريش إجادة، وتميز شعره بالسلاسة والمتانة والسهولة والرصانة. وقد تأثر بالشعراء السابقين من أمثال البحترى، ورصد بعض النقاد أوجه الشبه بينهما.. كما رأوا في شعر الشريف عفة، وأن فخره وحماســته قــد فاقا ما للبحترى منهما. وأكبر الظن أن هذا التلاقى جاء عن طريق سماع الشريف وقراءته كثيراً للبحترى، ومن ثم نحا نحوه، وقفى على أثره. [٢]

ولمـــا مات رثاه مهيار الديلمى بقصيدتين تعدان من أروع شعر الرثاء العربى.

* * * *

(١) راجع: عبقرية الشريف الرضى د./ زكى مبارك، الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضى، وشعراء من الماضى، وغيرها.

(٢) الآداب العربية في العصر العباسى الثانى- د./ خفاجى – مكتبة الكليات الأزهرية.

قصيدة الرضى

قال: (١)

١- وعارى الشوى والمنكبين من الطوى أتيح له بالليل عارى الأشاجع
٢- أغبر مقطوع من الليل ثوبه أنيس بأطراف البلاد البلاقع
٣- قليل نعاس العين إلا غيابة تمر بعينى جائم القلب جائع
٤- إذا جن ليل طارد النوم طرفه ونص هدى ألحاظه بالمطامع
٥- يراوح بين الناظرين إذا التقت على النوم أطباق العيون الهواجع
٦- له خطفة حذاء من كل ثلة كنشطة أقنى ينفض الطل واقع
٧- ألم، وقد كاد الظلام تقضيا يشرد فراط النجوم الطوالع
٨- طوى نفسه وانساب فى شملة الدجى وكل امرئ ينقاد طوع المطامع
٩- إذا فات شئ سمعه دل أنفه وإن فات عينيه رأى بالمسامع
١٠- تظالع حتى حك بالأرض زوره وراغ وقد روعته غير ظالع
١١- إذا غالبت إحدى الفرائس خطمه تداركها مستنجدا بالأكارع
١٢- جرئ يسوم النفس كل عظيمة ويمضى إذا لم يمض من لم يدافع
١٣- إذا حافظ الراعى على الضأن غرة خفى السرى لا يتقى بالطلائع
١٤- يخادعه مستهزئا بحاظه خداع ابن ظلماء كثير الوقائع
١٥- ولما عوى والرمل بينى وبينه تيقن صحبى أنه غير راجع
١٦- تأوب والظلماء تضرب وجهه إلينا بأذيال الرياح الزعازع
١٧- له الويل من مستطعم عاد طعمة لقوم عجال بالقسى النوازع

* * * *

---

(١) الديوان ١/٦٦١.

(ب١) عارى الشوى: الواحدة شواة، جلدة الرأس أو اليدان أو الرجلان أو الأطراف. عارى الأشاجع: الأشاجع رؤوس الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف. وقيل: هى العروق والأعصاب المتصلة بالأصابع وأصولها. وإنما كان عارى الأشاجع لشدة هزاله. وروى (عادى الأشاجع).

يبدأ الرضى قصيدته مباشرة بالحديث عن الذئب، فلا أطلال، ولا نسيب..

١- وعَارِى الشَّوَى والمَنْكِبَيْنِ من الطَّوَى أُتِيحَ لَهُ باللَّيلِ عارِى الأشَاجِعِ

إنه ذئب هزيل، نحيل، لشدة ما به من جوع، وهو لذلك أشرس وأعتى وأفتك أنواع الذئاب.

والمواجهة هنا بين عاريين: (عارى الشوى)، (عارى الأشاجع)، فليس تكرار (عارى) عبثا، وإنما للإشارة إلى المعادل من جهة، وبيان مؤهلات الخصمين المتكافئين من جهة أخرى.

والعلاقات هنا - فيما يبدو لى - متشابكة ومتباينة فى الوقت نفسه، فتجد الرضى يتوحد مع الذئب حينا، ويعاديه ويخاصمه حينا آخر.

بمعنى أوضح يكون الذئب معادلا موضوعيا للرضى تارة، ومعادلا موضوعيا لخصوم الرضى تارة أخرى.

٢- أغَبَرُ مَقطُوعٌ مِن اللَّيلِ ثَوبُه أنِيسٌ بأطرَافِ البِلادِ البَلاقِعُ

مؤهلات الذئب تقوى وترجح كفته، وترشح تفوقه وفوزه:

- فالليل ظهيره وسنده، إذ الليل والذئب لونهما واحد، وهذا كفيل بإقامة علاقة بينهما، فالذئب أغبر كسواد الليل، بل إن الليل ليهدى الذئب ثوبا على قده، ولا غرو فهو ابنه (ابن الليل).

- وها هى الأرض القفر تقف ظهيرا إلى جانب الذئب، فهى وطنه، ولذا صار بها أنيسا، وكيف لا يأنس بها وهى مهد طفولته، ومربع صباه، نشأ وترعرع فى أكنافها، وله فيها صولات وجولات ؟!.

إنه – كما يقول الجاحظ –: " صاحب قفرة وخلوة وانفراد وتباعد " [1]
" والقفار أحب إليه من المواضع المأنوسة " [2]
إن جوعــه الشديد جعله صاحب صولة، وقديما قيل " احذروا صولة الكريم إذا جاع".

٣- قَلِـيلُ نُعَـاسِ العَيْـنِ إلا غِـيَابَةً   تُمُـرُ بِعَيْـنَيْ جَـائِمِ القَلْـبِ جَـائِعِ

هــنا يصف نوم الذئب، فهو يقظان نائم، وتلك طبيعة نومه، كما زعم بعض الأعراب، وكما قال حميد بن ثور[3]:

يــنام بــإحدى مقلتــيه ويــتقى   بأخــرى المــنايا فهــو يقظــان هاجع

وذِكــر نومه جاء بعد الحديث عن جوعه، فربما كان نومه بهذه الهيئة القلقة بسبب جوعه، ولذا آثر (النعاس) الذى هو أدنى درجات النوم، ثم يليه (الوسن)، وهو درجة أعمق من النعاس، لأن الوسن النوم فى أوله..

ونوم الرضى كنوم الذئب، لأنه مهموم، وأنّى للمهموم أن ينام ؟!.

وهو يلح على هذا المعنى فى أكثر من موضع فى شعره، قال:

شــرس، تــيقظه تــيقظ خــائف   وفعــال نجدتــه فعــال كــريم

وقال:

أرى الــنوم ينــبو بــه ناظــرى   وكــل العــيون له مــربع
ومــن ضــاقت الأرض عــن همــه   حــرٍ أن يضــيق بــه مضــجع

وقال:

وقــالوا: تَعَلَّــلْ إنمــا العَـيْشُ نَوْمَــةٌ   يقــض ويمضــى طــارق الهــم أجمع

---

(١) الحيوان ٢/٢١٧، ٦/٢٥.

(٢) نفسه.

(٣) سبق

ولــو كــان نومــا ســاكنًا لحمدتــه ولكـــنه نـــوم مـــروع مفـــزع

إلى غير ذلك مما دار حول هذا المعنى فى شعر الرضى..

٤- إذا جَـنَّ لَـيلٌ طَـارَدَ النومَ طَرْفُه ونَـصَّ هُـدَى أَلْحَاظِـه بالمَطَـامِع

٥- يُـرَاوِحُ بَيْـنَ النَّاظِرَيْن إذَا الْتَقَتْ عَلَـى الـنَّوْمِ أَطْـبَاقُ العُيُونِ الْهَوَاجِع

إن هــذا الذئــب فــى حالة حذر دائم، فألحاظه متوقدة، فى أكمل وأتم حالاتهــا وذلــك لشــيئين: الأعــداء، الفريسة المرتقبة، هو بين حذر وأمل دائمين.. وقد وظف الناظريْن يتناوبان تلك المراقبة. إنه ابن ليل، والليل هو ظرف كسبه..

٦- لَـهُ خطفَـةٌ حَـذَّاءُ مِـن كُلِّ ثُلَّةٍ كَنَشْـطَةِ أَقْـنى يَـنْفُضُ الطَّـلَّ وَاقِـعِ

إنــه يتحين الفرصة حين ينام الآخرون، فيختطف منهم اختطافا وهم غافلون.. وخطفته هذه تتم بسرعة بالغة، فهو يشبه حينئذ نسرًا ينفض الطل عنه، إذ لا يستغرق فى ذلك وقتا..

وكلمة (نشطة) لها معنيان هنا:

إما أن تكون من نشط بمعنى اختلس واقتلع، وإما أن تكون بمعنى طابت سريرته بما حصل عليه.

والــرأى عــندى أن النشطة هذه كانت وقت الاختطاف، ذلك أن الذئب اســتجمع كــل قواه فى وثبته هذه ليحقق هدفه، ومن ثم كانت (خطفة) على فَعْلَة.

فلماذا لا تطيب نفسه بتحقيق هدفه، وبلوغ مأربه، ونجاح سعيه ؟.

ومن المعلوم أن الذئب ينشط كثيرا عند الجوع، ومن ثم ضرب به المثل فقيل: " أنشط من ذئب "، ونشاطه هذا كان وقت نوم الآخرين.

وإنـــه لينقض انقضاضا على فريسته كالصقر القوى الذى ينفض الطل عن جسده، وفضلا عن قصر الوقت المستغرق، فإن الطل لا يبقى منه شئ، إن هذه الخطفة كالصاعقة تروع الرعاة والغنم معا.

٧- أَلـمَّ، وقَـدْ كَـادَ الظَّـلاَمُ تَقَضِّياً   يُشَـــرِّدُ فُـــرَّاطَ الـــنُّجُومِ الطَّوَالِـــعِ

أتى الذئب – كعادته – وقد أزف الليل على الرحيل، باحثا عن فريسة، وقــد أعد عدته لنشطة من نشطاته.. فهل أفلح وحقق الهدف؟ أم عاد خائب الأمل؟.

لقد كانت الأخرى، ومن ثم كان عليه أن يفكر فى حيلة جديدة.

وكـــان الرضـــى دقـــيقا حين استخدم اللفظين (يشرد – فراط النجوم)، فالتشريد مناسب جدا للحديث عن الذئب الشريد.

وفـــى البيت رمزية، فالنجم المشرق ما هو إلا "الرضى" الذى يطارده الحســـاد والحـــاقدون، والنجم طالع فى السماء يحمل من التحدى والتصدى والمجابهة ما يحمل، فأنى لهؤلاء أن ينالوا منه، بل أنى لهم أن يصلوا إليه!.

والتضـــعيف فـــى الألفاظ (ألمّ – تقضّيا – يشرّد – فرّاط – النّجوم – الطّوالع) يؤكد هذه الروح المتحدية المستعصية المتأبية.

كما أن الشاعر استخدم حروف الاستعلاء التى تدل على شدة الموقف.

٨- طَوَى نَفْسَهُ وانْسَابَ فى شَمْلَةِ الدُّجَى   وكُـلُّ امْـرِئٍ يَـنْقَادُ طَـوْعَ الْمَطَامِعِ

من ذا الذى طوى نفسه؟ الذئب أم الرضى؟

ربما كلاهما، فالذئب على سبيل الحقيقة كحيلة من حيله المعروفة عنه، والرضـــى بنفسه الأبية يصابر ويتصبر ويحاول العيش مع البشر، وإن كان

ضـــاق بهم ذرعا لما ذاق منهم. وعليه أن يخوض الصعاب ويزيل العقبات، لا يعوقه عائق، لا ظلمة الليل المدلهم، ولا الحساد الحاقدون.

وقــد تداخل المعادل الموضوعى حتى توحد مع الرضى توحدا، ولعل الشاعر نسى أنه يتحدث عن الذئب بدليل قوله:

.... وكــلُّ امْــرِئٍ يَــنْقَادُ طَــوْعَ المَطَامِعِ

فهنا يتساءل المتلقى: عمن يتحدث ؟ عن الذئب أم عن نفسه ؟

وقد ختم البيت بهذه الحكمة الرائعة التى أومأنا إلى معناها سابقا.

وقد فسر بعض النقاد البيت تفسيرا آخر فقالوا: إن الرضى عاش عفيف النفس، قانعا بالكفاف، وأنه كان قد لبس السواد فانتهز الحاقدون ذلك ووشوا به عند العباسيين قائلين: إنه حزين على العلويين، وإنه بذلك يحيى العلوية. فكان جزاؤه أن أقصى عن منصبه وأقيل من كل أعماله. (١)

ولكننا نرى معنى البيت أعم وأشمل من ذلك، فالرضى اتخذ من الذئب معادلا موضوعيا فى أن كليهما لا يأكل بقايا الموائد، أو يستحل جهد غيره، بل لا يأكل إلا من كسب يده.

٩- إذا فَــاتَ شَــيْءٌ سَـمْعَهُ دَلَّ أَنْفُــه وإنْ فَــاتَ عَيْنَــيْهِ رَأَى بالْمَسَــامِعِ

هذا البيت من الروائع فى رسم ميزة من أهم ميزات الذئب، فالرضى يرى الذئب وقد تكاتفت حواسه وتعاونت، بحيث تتبادل الوظائف، وهذا يدل علــى يقظــته وشــدة ترقــبه. لقد صارت الحواس كلها مهيأة تمام التهيؤ للاستشعار عن بعد، وأصبحت مستنفرة على أتم درجة من الاستعداد.

١٠- تَطَــالَعَ حتَّى حَكَّ بالأرْضِ زَوْرَهُ وراغَ وَقَــدْ رَوَّعَــتْهُ غَــيْرَ طَــالِعِ

---

(١) راجع: الآداب العربية فى العصر العباسى ص١٥٨.

هـــذا الذئب محتال، مخادع، أرأيت إلى أولئك الشحاذين الذين يجيدون التمثـــيل على الناس حتى يستدروا عطفهم ؟!. إن هؤلاء فيهم من هو أبرع مـــن ممـــثلى السينما والمسرح، فترى الواحد منهم أعور وليس هناك - فى الحقـــيقة - أصح عينين منه، وترى الآخر أعرج، وهو ليس كذلك. إن هذا الذئـــب مـــثلهم، يمارس هذا الدور، فتراه يسير وكأنه أعرج، كسرت إحدى رجليه.

وربما كان الذئب كذلك حقيقة، ولذا فهو يتزاور فى مشيته، ووصل به الأمر أن حك صدره بالأرض .. ولكن التفسير الأول أولى، هو يتمشى مع طبيعة الذئب الخادعة الماكرة.

ولنا أن نتأمل هذه المفارقة بين هذا الذى احتك صدره بالأرض، وذلك النجم الساطع فى السماء.

أما أولئك الذين أخلدوا إلى الأرض فإنهم أولئك الخصوم الذين يمكرون بالرضى، ويتربصون به الدوائر، ويسلكون كل سبيل للإيقاع به، وأما النجم فهو ما ذكرنا. ويؤيد هذا التفسير قوله:

.... وَقَـــدْ رَوَّغْـــتُهُ غَـــيْرَ ظَـــالِعِ

فهو ليس إمعة، لا يسلك مسلكهم، ولا يتظالع إن تظالعوا، أويراوغ كما راوغـــوا، ولا يســـتخفى كالخفافـــيش، وإنما هو واضح وضوح ذلك النجم الساطع فى السماء.

والتضعيف فى (حكّ) (روّعته) يرينا مدى ما يبذلونه من جهد فى سبيل المكر والتخفى والذلة والهوان.. ومع ذلك انتصر عليهم بوضوحه، واستقامة منهجه ..

١١- إِذَا غَالَبَتْ إِحْدَى الفَرَائِسِ خَطْمَهُ تَدَارَكَهَا مُسْتَنْجِدًا بِالأَكَارِعِ

إنه صياد ماهر، محترف. يعرف كيف يتعامل مع فريسته، ولديه من الوسائل المختلفة ما يستخدمه لكل نوع، إنه قوى، سريع.. والفريسة التى تحاول مغالبته تجهد نفسها فى غير طائل.

أرأيت إلى هذا الإصرار والعناد والتحدى ؟! إنه حريص على ألا تفلت منه الفريسة، ولذا أطلق عليه (فلحس).

١٢- جَرِئٌ يَسُومُ النَّفْسَ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَيَمْضِى إِذَا لَمْ يَمْضِ مَنْ لَمْ يُدَافِعِ

وهو جرئ، يتحمل المشاق، ولا يتطلع إلا إلى المعالى، ولا يروم إلا العظائم، لا يعوقه عائق، ولا تمنعه عقبة، بل يقتحم الأهوال ويغالب المصاعب.

فعمّن يتحدث الشاعر ؟ هل هذه صفات فى الذئب أم صفات الرضى ؟

لقد اتخذه معادلا موضوعيا، واتحدا هنا معا..

١٣- إِذَا حَافَظَ الرَّاعِى عَلَى الضَّأْنِ غِرَّةً خَفِىُّ السُّرَى لا يَتَّقِى بِالطَّلائِعِ

١٤- يُخَادِعُهُ مُسْتَهْزِئًا بِلِحَاظِهِ خِدَاعَ ابْنِ ظَلْمَاءٍ كَثِيرِ الوَقَائِعِ

هنا مباراة بين الذئب والراعى، الذئب يعرف أن الراعى يراقبه ويحاذره، وأنه يعمل كل ما بوسعه ليتقى خطره، ولكن الراعى مهما حاول من ذلك كله فإن الذئب هو الغالب. لماذا ؟

لأنه يغرّ الراعى، فيهزأ بلحاظه، ويمارس هوايته الأثيرة وهى المخادعة والمخاتلة ومراوغة الراعى، ويجد فى ذلك لذة عجيبة. هذا على الرغم من أن الذئب وحيد فى مقابل الراعى وكلبه، غير أن الذئب يستخدم

سـلاح المباغـتة فيعجز الراعى، ولذا كان من حقه أن ينتشى بما حقق من نصر، وهو أمر يتكرر كثيرا.

وهـذا الذئـب يختلف عن ذئب حميد بن ثور، فهنا ذئب غالب لا يقدر عليه الراعى، وهناك ذئب مهزوم أمام بخل المرأة كما أسلفنا.

١٥- ولمّـا عَوَى والرَّمْلُ بَيْنِى وبَيْنَه　　　تَيَقَّـن صَـحْبِى أنّـهُ غَـيْرُ رَاجِـع

لماذا عوى الذئب ؟ أكان عواؤه استغاثة ببنى جنسه لعجزه وحده عن التغلب على فريسته هذه المرة ؟ أم كان عواؤه بكاء على فشله وخيبته لقوة خصمه ؟

هنا كان الذئب معادلا موضوعيا لخصوم الرضى، وعلى الرغم من أن الرضـى قد سجل للذئب إمكانات ومؤهلات توحى بتغلبه، إلا أن الرضى لم يعـبأ بذلـك كله، لأن الذئب يسلك مسالك لا يحبها الرضى، ومع ذلك كان النصر من نصيب الرضى، وقد حققه بالخلق الكريم والصفات الطيبة.

فالذئب هنا بشر إنسان، وليس حيوانا مفترسا.

وقد ظن أصحاب الرضى أن لن يرجع الذئب مرة أخرى، لكن الرضى – وحده – كان يتوقع عودته، ومن ثم أتبعه بصره، وركز عدسته عليه. وها هو قد عاد فعلا:

١٦- تَـأَوَّبَ والظَّلْمَـاءُ تَضْرِبُ وَجْهَهُ　　　إلَيْـنَا بِأَذْيَـالِ الـرِّيَاحِ الـزَّعَازِعِ

١٧- لَهُ الْوَيْلُ مِنْ مُسْتَطْعِمٍ عَادَ طُعْمَةً　　　لِقَـومٍ عِجَـالٍ بِالقِسِـيِّ الـنَّوَازِعِ

وهو يحاول هذه المرة الإمعان فى التخفى، علّه يظفر بما يريد، وكيف لا وقد تعلم الدرس فى المرة الأولى ؟!. من هنا فهو يلتصق بالأرض محتالاً

متوارياً، ولكن مهما فعل فإن ذلك كله بدون جدوى.. لقد صار مطعوما بدلا من أن يكون طاعما، ﴿ ولا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾.

وهكــذا كــان ذئب الرضى معادلا موضوعيا لنفسه تارة، ولخصومه وأعدائه تارة أخرى.

رأيــنا الرضى وهو يشير إلى عصاميته، وأنه لا يتكل على حسب أو نســب – رغم سموهما – وإنما يصنع مجده بيده. وإنه لا يرضى أن يطعم من كسب غيره، ولا يقع على بقايا الموائد، وكذا الذئب فهو كسوب، بل إنه لا يعاود الأكل مما افترسه هو، فكيف بما افترسه غيره ؟.

وكل منهما غريب، والرضى شعر بالاغتراب بسبب معاناته فى مجتمع ذلك العصر الممتلئ بالأحقاد والضغائن.

وكلاهما ساهر، أرق، لا ينام، إلا لماما، إنه مطلوب من خصومه الذين يتربصون به الدوائر، ومن ثم فحواس كل منهما يقظة، والذئب معروف بهذه الصــفة، فحواســه تتــبادل الوظــائف فيسمع بغير أذن، ويرى بالمسامع، والرضى لأن خصومه كثر بات عليه أن يكون كذلك.

وإذا كــان الذئــب قد كسرت إحدى قوائمه، أو تظاهر بذلك فما الكسر الذى أصاب الرضى؟

إنــه كســر فــى النفس، أصيب به الرضى حين صدق الخليفة وشاية الواشين.

لقــد نجح الشاعر إلى حد كبير فى اتخاذ الذئب معادلا موضوعيا لنفسه حــتى جعــل المتلقى – فى بعض الأحيان – يتساءل: من يقصد الشاعر ؟ الذئب أم الرضى ؟ وهو فى الحقيقة يتوحد مع المعادل الموضوعى.

كمـا أنـه جعل الذئب معادلا موضوعيا لأعدائه وخصومه، وذلك عند ذكـر الصـفات السـيئة من المخادعة، والمخاتلة، وسلوك السبل الملتوية، والنفاق، والإخلاد إلى الأرض، وغير ذلك.

وقد رأى الدكتور سامى الدهان فى ذئب الشريف الرضى ذئب البحترى نفسه، وأن الرضى هو أبو عبادة، وقال عن قصيدة الرضى:

" أخـذ ظاهـر، وانتحال بين، وهو مع ذلك قد أفاض على حديثه، من جمال الفن ما كاد ينسينا حديث أبى عبادة، فلئن فاته حسن تصوير البحترى للمعركة فلم يفته حسن إجمالها وتصويرها فى صورة صغيرة فى بيت واحد:

لَـهُ الْوَيْـلُ مِـنْ مُسْتَطْعِمٍ عَادَ طُعْمَةً   لِقَـوْمٍ عِجَـالٍ بِالْقِسِـىِّ الـنَّوَازِعِ

دل به على جرأة فى مبتداها، وظفر بالعدو فى منتهاها " (١)

ونحن لا نرى رأيه فى أنه انتحال، ولكنه يدخل فى باب (التناص).

* * * *

---

(١) مجلة الرسالة / العدد الخامس عشر سنة ١٩٣٣ بحث بعنوان (الذئب فى الأدبين العربى والفرنسى).

الفصل الخامس

الذئب فى الشعر الأندلسى

- ابن شهيد الأندلسى (خِبٌّ مخادع)
- ابن خفاجة (١- طراق سادات الديار)
(٢- ذئب متنكر بالظلام)

ابن شهيد الأندلسى (١)

خِبٌّ مُخَادِع

قال: (٢)

١) إذا اجْتَازَ عُلْوِىَ الرِّيَاحِ بأُفْقِهِ   أجَدَّ، لِعِرفَانِ الصَّبَا، يَتَنَفَّسُ
٢) تَذَكَّرَ رَوْضًا من شَوِىٍّ وَبَاقِرٍ   تَوَلَّتْهُ أحْرَاسٌ مِنَ الذُّعْرِ تُحْرَسُ
٣) إذَا انْتَابَهَا مِنْ أَذْؤُبِ القَفْرِ طَارِقٌ   حثَيثٌ إذَا مَا اسْتَشْعَرَ اللَّحظَ يَهْمِسُ
٤) أزَلُّ، كَسَا جُثْمَانَه مُتَسَتِّرًا   طَيَالِسَ سُودًا للدُّجَى وَهوَ أطْلَسُ
٥) فَدَلَّ عَلَيْهِ لَحْظُ خِبٍّ مُخَادِعٍ   تَرَى نَارَهُ مِنْ مَاءِ عَيْنَيْهِ تَقْبِسُ

* * * *

وهو وصف ليس فيه جديد، ويبدو أن الأندلسيين ليس لهم باع فى وصف الذئاب وأمثالها، فمجالهم وصف الطبيعة الصامتة، حيث أبدعوا فى وصفها، وافتنوا فى ذلك.

* * * *

(١) ابن شهيد الأندلسى: أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد. ولد بقرطبة سنة ٣٨٢ هـ وتوفى ٤٢٦ هـ عن أربعة وأربعين عاما تقريبا.. اشتهر برسالته (التوابع والزوابع)، وله نثر غيرها، وقد جمع شعره وحققه د/ محى الدين ديب تحت عنوان (ديوان ابن شهيد الأندلسى ورسائله) - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ط أولى ١٩٩٧م.

(٢) الأبيات فى الديوان المذكور تحت رقم ٣٧، ص ٨٧، وهى فى الذخيرة ق١ م١ ص ٢٢٧، ويتيمة الدهر ٢/٤٣ وغيرها. وقد ذكرها ابن بسام ضمن رسالة التوابع والزوابع، على لسان (أنف الناقة) يذكر بعض أشعار أبى عامر.

ب٢ فى رواية ابن بسام (ذا شوى)

ب٣ رواية الديوان (حثيت)

ابن خفاجة الأندلسى (*)

١- طرّاق سادات الديار

قال: (١)

١- ومفَازَةٍ لاَ نَجْـمَ فـى ظَلْمَائِهـا ... يَسْـرِى ولاَ فَلَـكَ بِهَـا دَوّار
٢- تَتَلَهَّبُ الشِّعْرَى بِهَا وكَأنَّهَا ... فى كَـفِّ زِنْجِىِّ الدُّجَى دِينَارُ
٣- تَرمِى بِهِ الغِيطَانُ فِيهَا والرُّبَى ... دُولاً كَمَا يَتَمَوَّج التَّيَّارُ
٤- قَدْ لَفَّنِى فِيهَا الظَّلاَمُ وطَافَ بِى ... ذِئْبٌ يُلِمُّ مَعَ الدُّجَى زَوَّارُ
٥- طَرَّاقُ سَادَاتِ الدِّيَارِ مُسَاوِرٌ ... خَتَّال أَبْنَاءِ السُّرَى غَدَّار
٦- يَسْرِى وقَد نَضَحَ النَّدَى وَجْهَ الصَّبَا ... فى فَرْوَةٍ قَدْ مَسَّهَا اقْشِعْرَارُ
٧- فَعَشَوْتُ فى ظَلْمَاءَ لَمْ تُقْدَح بِهَا ... إلا لمُقْلَتِهِ وبِأسِى نَار

(*) هـو: أبو إسحاق إبراهيم بن أبى الفتح بن عبدالله بن خفاجة.. ولد فى شُقر من أعمال بلنسية، سنة ٤٥٠هـ وتوفى بها عام ٥٣٣هـ. يعد ابن خفاجة شاعر عصره، ولقب بـ (شاعر شرقى الأندلس)، و(الشاعر البستانى)، وذلك لعنايته بالطبيعة فى شعره، حيث وصفها صامتة وصائتة، ومما وصفه: الجبل، والحية، والفرس، والذئب، وبعض الطيور..

راجع المزيد من أخباره وخصائص شعره فى:

- الأدب الأندلسى د./ جودت الركابى، دار المعارف.

- حياة وآثار الشاعر الأندلسى ابن خفاجة / حمدان حجاجى - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر ١٩٧٤. وتاريخ الأدب الأندلسى د./ محمد رضوان الداية ط ثانية ١٩٨١ مؤسسة الرسالة.

(١) الديوان بشرح د./ يوسف شكرى فرحات - ط دار الجيل - بيروت (٧٥ - ٧٦)

- الديوان ط دار صادر، دار بيروت ص٩٨.

(ب١) المفازة: الفلاة لا ماء فيها.

(ب٢) الشعرى: نجم.

(ب٣) الغيطان، واحدتها غوطة: الأرض فيها شجر وماء. دولا: مداولة.

(ب٥) مساور: مواثب. ختال: خداع.

(ب٦) يسرى: أى ليلا. يقول: إنه يسير فى ليلة ندية بللت. فروته فاقشعر من البرد.

(ب٧) عشوت: قصدت.

٨- ورفَلْتُ فى خُلَعٍ عَلَىَّ من الدُّجَى عُقِدَتْ لَهَا من أَنْجُمٍ أزرَارُ
٩- واللَّيلُ يَقصُرُ خَطْوَه، ولربما طالَتْ لَيالى الرَّكْبِ وهىَ قِصَارُ
١٠- قَدْ شَابَ من طَرَفِ المَجَرَّة مَفْرِقٌ ـيها، ومِنْ خَطِّ الهِلاَلِ عِذَارُ

منذ أول كلمة فى هذه المقطوعة تستشعر روح التشاؤم، واليأس، وترى الجو مأساويا... أو ليست هذه هى المفازة التى قرنها القدماء بالهلاك؟!.

إنها متاهة، عديمة الماء، فيها قحط وجدب.. هو إذاً الموت..

والسؤال: هل كانت مفازة حقيقية فى بلاد الأندلس؟ أم أنها الدنيا تحولت فى نظر الشاعر غابة مظلمة ليس فيها بصيص من نور (لا نجم فى صحرائها)، (لا فلك بها دوار)؟

يقول الدكتور أحمد هيكل: (١)

"إن شبه جزيرة الأندلس، ليست كما يتصور كثيرون جنة ليس فيها إلا السهول المنبسطة والحقول الخصبة والحدائق الغناء، فالحق أن هذا تصور شعرى حمل عليه ما جاء فى نتاج شعراء الطبيعة الأندلسيين، ممن عاشوا فى السهول الأندلسية الممرعة، ثم صوروا لنا طبيعة تلك الأقاليم فقط، فظننا أن الأندلس كلها كما وصف هؤلاء الشعراء... فالواقع أن بلاد الأندلس سهول، وهضاب، وجبال، وأودية، فيها الخصب السعيد، وفيها الجدب الشقى، فيها بقاع تستحم بمياه الأنهار، وفيها أخرى تتعطش إلى غيث السماء".

(ب٨) رفلت: تبخترت.

(١) الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ٢٠ - دار المعارف - الطبعة السابعة ١٩٧٩.

لكن المنطقة التى ولد فيها ابن خفاجة ونشأ ومات بها هى جزيرة شُقر، تلك التى تقع على نهر شُقْر، وهذه " الجزيرة تتصل اتصالا كبيرا بالأدب الأندلسى، لجمال طبيعتها، وكونها مصدر إلهام لعدد من الشعراء ". [1]

كما أن المسلمين فضلوا الحياة فى أخصب بقاع الجزيرة وأحسنها مناخا وهى السهول الجنوبية والشرقية والغربية التى تغنى بالخصوبة الوفيرة، وتروى من الأنهار العديدة، وتسعد بالمناخ المعتدل. [2]

إذًا القحط والجدب والهلاك إن هى إلا مشاعر فى داخل ابن خفاجة، وهو متشائم، مستسلم لليأس.

تَتَلَهَّبُ الشِّعْرَى بها وكأنَّها ... فى كفِّ زِنْجِىِّ الدُّجَى دينَارُ

"الشعرى: العبور من المنازل الصيفية، وفى أسجاعهم: إذا طلعت الشعرى نشف الثرى، وأجَنّ الصرى، وجعل صاحب النخل يرى" [3]

وبعض الشعراء يذكرون أن توهجها وتلهبها دليل على بعد الصباح، فليل ابن خفاجة هنا يقترب من ليل امرئ القيس.. وإذا كان امرؤ القيس قال:

يضئ سناه أو مصابيح راهب ... أمال السليط بالذبال المفتل

فابن خفاجة هنا شبه النجوم فى السماء مع شدة الظلمة بالدينار فى كف زنجى، ولذا أستحسن البيت الذى ذكره ابن بسام فى هذا الموضع.

والقُطْبُ مُلْتَزِمٌ لمركزه بها ... فكأنَّه فى ساحة مسمَار

تَرمِى بِهِ الغِيطَانُ فيها والرُّبَى ... دُولاً كَمَا يَتَمَوَّجُ التَّيَّارُ

قَدْ لَفَّنى فيها الظَّلامُ وطَافَ بى ... ذِئبٌ يَلُمُّ مَعَ الدُّجَى زَوَّارُ

---

(١) نفسه ١٩.

(٢) نفسه ٢٠ (بتصرف)

(٣) الطبيعة فى شعر العصر العباسى ٧٧ د./ أنور أبو سويلم.

ومن قبل ذكر البحترى والرضى النجم فى قصيدتيهما السالفتين، وابن خفاجة نفسه "يقر بتلمذته على شعر الرضى، وفى مقدمة ديوانه: إنه كان ينهج فى شعره نهج الشريف الرضى، ومهيار، وعبدالمحسن الصورى" (١)

"وكان لشعر الشريف الرضى رواج عجيب ببلاد الأندلس، فاستحسن ابن خفاجة تلك اللطافة وذلك الحنان اللذين امتاز بهما شعر الرضى..." (٢)

غير أن ابن خفاجة استخدم النجم هنا استخداما جديدا، حين شبه الشعرى الملتهبة المضيئة وسط المفازة المظلمة بالدينار فى يد الزنجى الأسود.

هذا الجو المذكور أطمع ذئبا ماكرا خبيثا، استغل الظلام الحالك، وطرق الشاعر.

لم يكن ابن خفاجة خلوا من الهموم، أو ناقصا همّا، بل هو كما قال المتنبى:

أبِنْتَ الدَّهْرِ عِندى كلُّ بِنْتٍ فكَيفَ وَصَلْتِ أنْتِ مِنَ الزِّحام

وهذا الذئب اعتاد أن يزور السادة النبلاء، وله صولات وجولات مع الساهرين، وربما يرمز بذلك إلى أن الدهر يقصد السادة الأشراف فى صورة أولئك الغادرين من الصليبيين، الذين تسللوا خفية إلى حيث هؤلاء السادة.

(١) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ٤٤٥ د./ شوقى ضيف.

(٢) حياة وآثار الشاعر الأندلسى ابن خفاجة ص٤٨.

وبينما الظلام يخيم على المكان كله إذا بنار ونور فى عينى الذئب وسلاح الشاعر. والنار تخيف الذئب، فكأنها صارت سلاحا يضاف إلى سلاح الشاعر.

ويبدو أن المواجهة لم تتحقق حيث آثر الذئب الانسحاب، ليعود الشاعر يرفل فى خلع من الدجى شُدّت عليه، وأحكم وثاقها بأزرار من الأنجم، وكان ليلا بطيئا.

والناظر فى هذه المقطوعة يرصد عدة ملاحظات منها:

* أن ابن خفاجة لا يتحدث عن ذئب حيوان، وإنما ذئب بشرى، ذلك أنه عاش فى عصر ملوك الطوائف حياة مصطخبة مضطربة، زاخرة بالأحداث والمحن العاصفة التى سقطت على إثرها دولة الخلافة فى أيدى المرابطين.

وربما كان الذئب هنا رمزاً للصليبيين الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر، ومعهم أولئك الخونة الغدرة الذين يعاونونهم. وإذا كان الذئب رمزا لهؤلاء فالدجى رمز للخونة.

* لم يستطع ابن خفاجة أن يفلت من الطبيعة الساحرة فى بلاد الأندلس، فهو قد بدأ الحديث بـ (مفازة) فتوقعنا أن تكون كـ (دوية) أو (واد كجوف العير)... إلخ، ولكننا نفاجأ بغيطان أى أرض كثيفة الأشجار، وربى متموجة كتموج التيار ، ولا غرو فهو شاعر الطبيعة.

* الشاعر يلح على الظلام إلحاحا شديدا، وتكاد تكون كلمات (الظلام) هى مفتاح المعجم الشعرى فى هذه القطعة. (فلا نجم فى ظلمائها)، (زنجى

الدجى)، (قد لفنى فيها الظلام)، (ذئب يلم مع الدجى)، (فعشوت فى ظلماء)، (رفلت فى خلع على من الدجى)، (الليل يقصر خطوه).

مما يجعلنا نقول إن الظلام هنا هو ظلمات النفس البائسة اليائسة، التى لا يبدو فيها بصيص لأمل.

* * * *

٢ - ذئب متنكر بالظلام

وقال ابن خفاجة: (١)

١- سَرَى يرتَمى ركضًا به كلُّ مَوْجَةٍ ... تَرامَى بِهَا بَحْرٌ مِن اللّيْلِ أَخْضَرُ

٢- ولا صَاحِبٌ إلا طَرِيرٌ مُهَنَّدٌ ... ومُعْتَدِلٌ لَدْنُ المهزَّةِ أسْمَرَ

٣- وأَطْلَسُ زَوَّارٌ مَعَ اللّيْلِ أَغْبَشٌ ... سَرَى خَلْفَ أسْتَارِ الدُّجَى يَتَنَكَّرُ

٤- تَثَاءَبَ من مَسِّ الطَّوَى فهو يشتكى ... فَيَعْوِى وَقَدْ لفَّتْهُ نَكْبَاءُ صَرْصَرُ

٥- ودون أماتِيه شَرَارَةُ لهْذَمٍ ... يقَلِّبُ فيها مِثْلَها حينَ يَنْظُرُ

٦- فمِنْ جَوْعَةٍ تُغْرِيه بى فهو مُدْنٍ ... ومَنْ رَوْعَةٍ تُثْنِيه عنّى فيُقْصِرُ

ابن خفاجة هنا وحيد ليس معه صاحب، وإنما معه سيفه ورمحه، وإذا بذئب أغبش يجيء متواريا خلف أستار الليل، منتهزا التماثل بين لون جسمه وسواد الليل. وهو (زوار مع الليل) لأنه ابن ليل كما ذكرنا.

وهو شديد الجوع، ومن ثم أخذ يعوى، وعواؤه مخيف، ولكن ينضاف إلى عوائه صرصرة الريح.

لم يكن أمام ابن خفاجة بدٌّ من الاستعداد والتأهب للمواجهة، مواجهة ذلك الذئب الذى يلحّ على كسر جوعه بإيقاع الفريسة.

---

(١)الديوان ٨١، ٨٢ بشرح د./ يوسف شكرى فرحات. دار الجيل – بيروت.

(ب١) سَرَى: مشى ليلا. الأخضر هنا: الأسود، وربما اضطر إلى ذلك مراعاة للنظير وهو البحر.

(ب٢) طرير مهند: سيف مسنون. المعتدل اللدن: الرمح اللين.

(ب٣) الأطلس: الذئب الأمعط فى لونه غبرة إلى سواد. الأغبش: ما خالط سواده بياض.

(ب٤) الطوى: الجوع. نكباء صرصر: ريح باردة.

(ب٥) شرارة لهذم: سنان الرمح الساطع. يقلب مثلها: يقلب عينا مثل الشرارة.

(ب٦) تغريه: تحضه. مُدْنٍ: مقترب. روعة: خوف. تثنيه: تبعده. يقصر: يبتعد.

وهـــنا يبدأ الصـــراع بيـــن الذئب يدفعُه جوعه الشديد، وابن خفاجة الحريص على ألا يقترب منه الذئب، فيجهز رمحه، فينثنى الذئب ويعود.

لم تكتمل المواجهة.

فالذئب آثر الانسحاب من ميدان المعركة يجر أذيال الخيبة..

وللباحثين آراء حول المقطوعتين:

- فقد رأوا أن القطعتين تمتازان بواقعيتهما. (١)

- وعلق المستشرق بيراس عليهما قائلا: (٢)

من المحتمل أن الذئاب فى عهد المجاعة والبرد الشديد كانت تقترب من العمران لتهجم على أسراب الغنم، وأحيانا على الإنسان نفسه. أما المسافرون الذين يجرؤون على الارتحال فى ظروف كهذه فقد يعرضون أنفسهم للهلاك أو يكادون، وما عليهم إلا أن يعتمدوا على ثباتهم وشجاعتهم.

- ويرى باحث آخر: أن ابن خفاجة، وإن التقى بشعراء كثر فى وصف الذئب إلا أنه "يقصر عن شأوهم، فيوجز فى المقطوعة، ويلم بالموضوع ولا يبســطه، ولا يبنى قصيدته على التقائه بالذئب كما فعل الفرزدق والبحترى، ويحق لنا أن نشك كل الشك فى أن ابن خفاجة ساهر الذئب، أو لاقاه منفرداً فـــى بعض أسفاره.. وهو يصف ذئابا ككلاب الحى، لم يقرها كضيوف، ولم

(١) حـــياة وآثار الشاعر الأندلسى ابن خفاجة ص٢٧٧ حمدان حجاجى. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر.

(٢) نفسه ص٢٧٨ نقلا عن الشعر الأندلسى / بيراس.

يُجَنْدِلْها كأعداء، إنما وصفها بما يصفها به عامة الشعراء فى لغة شعرية لم تجانبها السلاسة والطلاوة. (١)

نعـم إن ابـن خفاجة وصّاف الطبيعة الساحرة فى الأندلس، ولكنه لا (يصف ذئبا ككلاب الحى) بل يصف الذئب المعادل الموضوعي، المعروف بغدره وإلحاحه وانتهازيته، إنه الذئب المعروف لسائر الناس، الذئب البشرى.

* * * *

(١) ابـن خفاجـة الأندلسى / عبدالرحمن جبير ص١١٩، ١٢٠ - دار الآفاق الجديدة - بيروت ط ثانية ١٩٨١.

الباب الثالث

دراسة فنية فى شعر الذئب

المبحث الأول

تشبيهات الذئب

١- الذئب مشبَّها.

٢- الذئب مشبَّها به.

١- الذئب مشبَّها

شبهوه بالخليع المطرود الهائم على وجهه، وقد تخلى عنه أهله وذووه، قال امرؤ القيس: (١)

وواد كجَوفِ العَيرِ قَفْرٍ قَطَعْتُه به الذئبُ يَعْوى كالخليع المُعَيَّل

وشبهه "كثيِّر" وهو يعوى بعواء الرجل الذى أُخذ مالُه وجرِّد من كل شئ، فضلا عن أنه خليع، فقال: (٢)

وصَادَفْتُ عَيَّالاً كأن عُواءَه بُكَا مُجْرِدٍ يَبغى المبيتَ خَليع

وشبهوا عواءه بعواء الفصيل سئ الغذاء، قال ذو الرمة: (٣)

٦١- ومن جَوْفِ ماءٍ عَرْمَضُ الحول فوقه مَتَى يَحْسُ منه مائحُ القَوْمِ يَتْفُل

٦٢- بِهِ الذئبُ مَحْزُونٌ كأنَّ عُوَاءَه عُواءُ فَصيلٍ آخرَ اللَّيلِ مُحْثَل

٦٣- يَخُبُّ ويَسْتَنْشِى، وإنْ تَأْتِ نَبْأَةٌ على سَمْعه يَنْصِبْ لها ثم يَمْثُلِ

٦٤- أَقَلَّ وَأَقْوَى، فَهْوَ طَاوٍ كأنَّما يُجَاوِبُ أعْلَى صَوْتِه صَوْتُ مُغْوِلِ

---

(١) سبق ضمن أبيات محللة.

(٢) سبق ضمن أبيات له.

(٣) ديوانه بشرح ابن حاتم الباهلى - تحقيق د./ أبو صالح - ص١٤٨٧ - ١٤٨٩ مؤسسة الإيمان - بيروت.

(ب٦١) الجوف: المطمئن من الأرض. العَرْمض: الخضرة على رأس الماء. عرمض الحول: أتى عليه الحول. المائح: الذى يغرف بيده. يتفل: يبصق من ملوحته.

(ب٦٢) المُحثل: من الحَثَل وهو سوء الرضاع. ويروى (محزونا)

(ب٦٣) يخب: يمشى الخبب. ويستنشى: يتشمم. النبأة: الصوت الخفى. يَنْصِب: يقوم وينتصب ولا يمشى.

(ب٦٤) أقلَّ: يعنى الذئب وقع فى أرض قلّ، أى ليس فيها مطر ولا شئ. أقوى: أى صار فى الخلاء. طاو: جائع أو ضامر من الجوع. مُغوِل: كأنما يجاوبه رجل يصيح. قال ابن قتيبة: إذا صاح أجابه الصدى.

فالذئب في هذا الموضع محزون، لأنه في ضنك وسوء، إذ لا يجد ما يقتاته، وهو يعوى لذلك، وعواؤه يشبه صوت الفصيل الذى لم تحسن أمه إرضاعه، وعواؤه آخر الليل أشد لأن الجوع أخذ به مأخذه.

والذئب حين يشتد به الجوع يمشى هنا وهناك باحثا عن طعام، ويعتمد على حاسة الشم القوية التى تأتى له برائحة الفريسة، ويستعين كذلك بسمعه، وحينما يسمع صوتا يتوقف ليتأكد من مصدر الصوت من جهة، ولكيلا تشعر به الفريسة من جهة أخرى.

لكن هذا المكان الذى نزل به ليس فيه أثر لطعام، فلا حيلة له آنئذ إلا العواء، الذى ينطلق فى الهواء فيجاوبه الصدى، وقال الراجز: (١)

يَسْتَخْبِرُ الريحَ إذَا لَمْ يَسْمَعْ بمثل مِقْراع الصَّفَا الموقَّعِ

أى يستروح إذا لم يسمع صوتا بخرطوم مثل مقراع الصفا، وهو الفأس التى يكسر بها الصخر، وجعل تشممه استخبارا.

وقال الطرماح: (٢)

عَمَلَّسُ تلَجَاتٍ كَأنَّ مَسَافَهُ قَرَى حُنْظُبٍ أخْلَى لَهُ الجَوّ مُقْمِحِ

يشبه خطمه - لأنه يسوف به أى يشم - بظهر جعل لسواد فيه، وقرا: ظهر. الحنظب: الجعل، أخلى له: كثر خلاه. والمقمح: الرافع رأسه.

وقال أبو كبير الهذلى: (٣)

وَلَقَدْ وَرَدْتُ الماءَ لَمْ يَشْرَبْ به زَمَنَ الرَّبيع إلى شُهُور الصَّيِّفِ
إلا عَوَاسِرَ كالمِرَاطِ مُعِيدةٍ بالليلِ مَوْرِدَ أَيِّمٍ مُتَغَضِّفِ

(١) المعانى الكبير ١/١٨٣.
(٢) نفسه.
(٣) نفسه

تَغــوِى الذِّئَــابُ مِــن المَخَافَـةِ حَوْلَهُ　　إهْــلالَ ركْــبِ اليَامِــنِ المُــتَطَرِّف

وشبهوا لون الذئب بعدة أشياء:

قال الطرماح: (١)

كَلَـونِ الغَـرِىّ الفَـرْدِ أجْسَـدَ رَأْسَه　　عَــتائِرُ مَظْلُــومِ الهَــدِىّ المُذَبَّــح

فقــد يبس الدم على رأسه من كثرته، فصار كالصنم الذى ذبحت عنده الذبائح، وهى لكثرتها تركت أثرا بينا.

وقال أيضا: (٢)

كَغَــرِىّ أجْسَــدَتْ رَأسَــهُ　　فُــرُعٌ بَيْــنَ رِيَــاسٍ وَحَــامْ

وذلــك أن الــرجل إذا تمت له مائة شاة ذبح على النصب منها شاة، ويسمون تلك الفَرَعَة.

وقال ابن مقبل وذكر الذئب: (٣)

كأنمــا بَيْــنَ أُذْنَــيْه وزَبْــرَته　　مِــن صبغه فــى دمَاءِ النَّاسِ منديلُ

وقال الطرماح يصف عدو الذئب: (٤)

إذَا امْــتَلَّ يَهْـوِى قُلْـتَ: ظِـلُّ طَهَاءَةٍ　　ذَرا الــرِّيحُ فــى أعْقَــابِ يَوْمٍ مُصَرَّحِ

وقال كعب: (٥)

كــأن نَسَــاهُ شِــرْعةٌ، وكَأنَّــه　　إذا مــا تَمَطَّـى وِجْهَـةَ الـرِّيحِ مِحْمَلُ

---

(١) المعانى الكبير ١/١٨٩. الغرى: الصنم. أجسد رأسه: أى يبس الدم على رأسه لكثرته. العتائر: الذبائح فى رجب، واحدتها عتيرة. مظلوم: يذبح لغير علة. والهدىّ: ما يهدى للصنم.

(٢) المعانى الكبير ١/١٨٩.

(٣) نفسه ١/١٨٤ وانظر لآلى البكرى مع السمط ٤٤٧.

(٤) نفسه ١/١٩٠: امتل: عدا. الطهاءة والطخاءة: السحابة تراها فى ناحية السماء، شبه الذئب بظلها.

(٥) ديوانه ص٧٨، والمعانى الكبير ١/١٨٣. النسا: عرق فى الورك يضرب إلى الساق. الشرعة: الوتر. المحمل: حمالة السيف.

فهـــو يشبه رجل الذئب بالوتر، يريد أنه معروق القوائم، ليس برهل، وإنما هو دقيق لطيف كمحمل السيف.

* * * *

الذئب مُشَبَّها به

١ـ الخيل:

فـــى معرض وصف الشعراء الخيل يأتى الذئب مشبها به كثيرا، وذلك فـــى طـــريقة مشـــيها، وعدوها، وسرعتها، وكذا فى قصر شعرها، وحبكة خلقتها، وانجرادها، وضمورها، وخفتها...

يقول امرؤ القيس: (١)

لَـــهُ أيْطَـــلاَ ظَـــبْيٍ وَسَـــاقَا نَعامَـــةٍ   وإرخَـــاءُ سِـــرْحَانٍ وتَقْرِيـــبُ تَـــتْفُلِ

ويقول الطفيل الغنوى: (٢)

كَسَـــيدِ الغَضَـــا العَـــادِى أَضَـــلَّ جِرَاءَهُ   علـــى شـــرفٍ مســـتقبل الـــريح يَلْحَبُ

وقال: (٣)

كأنَّـــهُ بَعْـــدَ مَـــا صَـــدَرْنَ مِـــنْ عَرَقٍ   سِـــيدٌ تَمَطَّـــرَ جُـــنْحَ اللَّـــيْلِ مَـــبْلُول

وقال مهلهل بن ربيعة: (٤)

ورَجَعْـــن تختبـــئ القَـــنَا فـــى ضُـــمَّرٍ   مِـــثْلِ الذِّئَـــابِ ســـرِيعَةِ الإِقْـــدام

وقال دريد بن الصمة: (٥)

يُحـــاربُ جُـــرْدًا كالسَّـــراحين ضُـــمَّرا   تَـــرُودُ بـــأبْوَابِ البُـــيُوت وتَصـــهِلُ

وقال عبيد الأبرص: (٦)

وطمـــرَةٍ كالسِّـــيد يَعْلُـــو فَوْقَهـــا   ضِـــرْغَامَةٌ عَـــبْلُ المَنَاكِـــبِ أَغْلَـــبُ

---

(١) البيت من معلقته. وهو فى الديوان ٢١ بتحقيق أبى الفضل.

(٢) الديوان / القصيدة الثالثة، المعانى الكبير / المجلد الأول ١٨٣

(٣) نفسه ٣٣ والفصوص ٦٣/١ واللسان.

(٤) شعراء النصرانية ١٧٤.

(٥) نفسه ٧٧٨.

(٦) ديوانه ٣٤ دار صادر – بيروت.

وقال عنترة: (١)

تَغْــدُو بِهِــم أعْوَجِــيَّاتٌ مُضَــمَّرَةٌ   مِــثْلُ السَّــراحِين فــى أعْــنَاقِها القَبَبُ

وقال عبدة بن الطبيب: (٢)

بسَــاهِمِ الوَجْــه كالسِّــرْحَان مُنْصَلِت   طِــرف تَكَــامَلَ فــيه الحُسْــنُ والطُّولُ

وقال أبو دؤاد الإيادى: (٣)

رفــيعُ المعــد كســيد الغضــا   تمــيمُ الضُّــلُوع بجَــوف رحــب

وقال خفاف بن ندبة: (٤)

عَــبْل الذِّرَاعَيْــن سَــليم الشَّــظَا   كالسِّــيد تَحْــتَ القَــرة الصَّــارِدِ

" وغالــبا مــا يذكر الذئب والمطر معا، وكلما وصفوا خيولهم بالذئاب جعلــوا الــندى قد بلّها، والمطر أحرجها، والصقيع قد حفزها على التوحش والاندفاع والتهور " (٥) ومنه، قول الطفيل الغنوى السابق.

وقول امرئ القيس: (٦)

أقَــبُّ كسِــرْحَان الغَضَــى مُــتَمَطِّرٍ   تَــرَى المَــاءَ مِــنْ أعْطَافِــه قَدْ تَحَدَّرَا

(١) ديوانه ٩٣ تحقيق وشرح كرم البستانى - دار صادر.

(٢) المفضليات ق ٢٦ ص٥١ البيت ٦١.

(٣) ق ٦ فى ديوانه ص٢٩١ والمعد: الجنب.

(٤) الأصمعيات - تحقيق شاكر وهارون ١٩، وشعر خفاف بن ندبة - جمع الدكتور نورى القيسى ط بغداد ص٤٤.

(٥) المطر فى الشعر الجاهلى ٢١٠، ٢١١.

(٦) الديوان ص ٦٧ بتحقيق أبى الفضل. المتمطر: السابق الماضى على وجهه. ترى الماء من أعطافه: أى العرق يسيل منه وينحدر من جوانبه لشدة السير ومشقته.

وقال الحصين بن الحمام المرى: (١)

وأجْـرَد كالسـرحان يضـربُه الـنَّدَى ... ومحـبوكة كالسِّـيد شـقَّاء صِـلدِما

وقال ربيعة بن مقروم: (٢)

وزَعْـتُ بمـثل السـيد نهـد مقلـص ... كميـت إذا عطفـاه مـاء تحلـبا

وشعراء العصر الأموى متأثرون بالجاهليين فى تشبيههم الفرس بالذئب، يقول الأخطل: (٣)

بكـرتُ بـه والطـير فى حيث عرّست ... بعَـبْل الشَّـوى قـدْ جَرَّسَـتْه الجوالب

أشـق كسـرحان الصـريمة لاَحَـهُ ... طِـرادُ الهـوادى فهـو أشعث شاسب

فهو يشبه الفرس فى مشيته بالذئب القائم فى منقطع الرمل، ويقول: إنه دأب على اللحاق بالطرائد، محدقًا بما تقدم وسبق منها، فبدا ضامرا.

وتأثر الأخطل بامرئ القيس واضح، فهو من قوله فى المعلقة:

فألحقنا بالهاديات......

وقال جرير: (٤)

نحـن الذيـن لحقـنا يَـومَ ذِى نَجَبٍ ... والخَـيْلُ ضَـابِعَةٌ مِـثْلُ السَّـراحين

(١) المفضليات ٦٦ ق١٢ بيت ١٢.

(٢) المفضليات ق١١٣ بيت ٩ ص٣٦٧.

(٣) ديوان الأخطل صنعة السكرى - تحقيق قباوة ص٧٦٦ ق ١٨٦، شرح ديوان الأخطل ٥٥٩. عرست: أقامت، وهى هنا بمعنى باتت. العبل: الممتلئ الذراعين. الشوى: اليدان والرجلان. جرَّسته: جربته وخبرته. الجوالب: جمع جالب أى الفرس الذى نشف دم الجروح عليه. أشق: من الخيل الذى يميل فى عدوه يمينا وشمالا. لاحه: أهزله. الطراد: العدو إثر طريدة. الهوادى: المتقدمة السابقة فى الطرائد. أشعث: متفرق الشعر. شاسب: شديد الضمور.

(٤) ديوانه ٤٨٥. وضابعة: مسرعة.

وقال: (١)

لَقَدْ صَبْحتكم خَيلُ قَيسٍ كأنَّهَا ... سراحينُ نجْنٍ ينفُضُ الطَّلّ سيدُها

وقال الأخطل: (٢)

فأتْرزَ لحمه التَّعْداءُ حتى ... بَدتْ منهُ الجَنَاجِنُ والفقَار

وقَدْ قَلِقَتْ قلائِدُ كلِّ غَوْجٍ ... يُطِفْنَ بهِ كما قَلِقَ السّوَار

تراه كأنه سِرْحَانُ طَلٍّ ... زَهَاهُ يَوْمَ رائحةٍ قِطَار

يشبه الخيل بالذئب الذى يعدو فى يوم مطير، يستخف الطلُّ عدوه.

وقال الفرزدق يصف جياداً ملساء، ضوامر، جُرْدًا، شجاعة، قوية كالسيد: (٣)

ولئن جِيَادُك يا ابن موسى أصبَحتْ ... مُلْسَ المتون تَجُول فى الأشطان

لَبِمَا تُقَادُ إلى العَدُوِّ ضوامرًا ... جُرْدًا مجنَّبةً مع الركْبَان

من كل سابحةٍ وأجْرَدَ سابحٍ ... كالسِّيد يوم تغيُّم وَدُخَانِ

وحذا شعراء العصر العباسى حذو سابقيهم، فقال مسلم بن الوليد مشبها خيله السريعة بالذئب: (٤)

مِنْ كُلِّ نَهْدٍ لا يَزَال كأنّه ... يَوْمَ الهيَاج عَمَلَّسٌ مَمْطُور

---

(١) نفسه ١٢٤.

(٢) ديوان الأخطل صنعة السكرى – تحقيق فخر الدين قباوة ص٢٨٢ ق٢٩، ب٢٢، ٢٣. شرح ديوان الأخطل ٤١٥. أترزه: ذهب به، أو أيبسه. التعداء: العدو. الجناجن: عظام الصدر. الفقار: وسط الظهر. الغوج: الجواد من الخيل. السرحان: الذئب. الطل: الندى أو المطر. زهاه: استخفه واستحثه. الرائحة: المطر. والقطار: ماء القطر

(٣) ديوانه ٢/٣٢٥ تحقيق كرم البستانى – دار صادر بيروت ١٩٦٦.

(٤) ديوانه ٢٢٤.

٢ـ تشبيهات الإبل والناقة.

قال ابن كراع يذكر ناقة: [(١)]

كـــأن خــــيال الذئـــــب دفوفهـــــا إذَا مــــا غَـــدَتْ فُـــتلاً مَـــرَافِقُهَا دُفُقَـــا

أى هـــى خفـــيفة كـــأن ظلالها ظلال الذئب من خفتها. ويروى (كأن خروف الذئب)، يريد: كأن ولد الذئب ينيّب فى جنبها فتعدو، والفتل أى ينفتل المرفق عن الإبط فلا يحزه ولا ينكته، دفقا: متدفقة بالعدو.

وكذا فعل ذو الرمة حين قال: [(٢)]

ورِجْـــلٌ كظِـــلِّ الذِّئـــب أَلْحَـــقَ سَدْوها وَظِـــيفٌ أَمَـــرَّتْه عَصَـــا السَّـــاقِ أروح

أى هى فى سرعتها تشبه رجلها ظل الذئب بحيث لا تكاد ترى.

وقال كعب: [(٣)]

تجـــاوب أصـــداء وحيـــن يـــروعها تصـــور كســـاب علـــى الـــرحل عائل

يعنى ذئبا، عائلا محتاجا.

وقال أبو النجم يذكر جنينا ألقته الناقة: [(٤)]

يشـــق عـــنه كَفَـــنًا لَـــمْ يُخْلَـــقِ عَـــارِى الشَّـــوى مـــثل الدُّخَانِ الأَوْرَقِ

وقال الأخطل: [(٥)]

تعلـــو الفـــلاة إذا خَـــبَّ السَّـــراب بها كمـــا تَخُـــبُّ ذئـــاب القفـــرة الـــوُرُقُ

---

(١) المعانى الكبير / المجلد الأول ١٨٧.

(٢) ديوانه: ١٢١٩. ألحق سدوها وظيف: السدو: الخطو، أمرته عصا الساق: أى عظم الساق، أى فتله عظم الساق. والرَّوح: اتساع فى الرجلين، ميل إلى الخارج.

(٣) المعانى الكبير المجلد الأول ١٨٠.

(٤) ديوانه ١٦٧.

(٥) ديوانه ق ١٣٤ ص ٦٠٩. خبّ: هاج واضطرب. الورُق: جمع أورق وهو الذى لونه لون الرماد.

وكذا فعل العباسيون، فقد لاحظوا سعة أشداقها، وقوة أصلابها، وتكامل أعضائها فشبهوا إبلهم الشديدة بها، قال ابن الدمينة: (١)

مؤيّد الصلب، رحب الجوف مطردا كالسّيد لا جَانِبًا كزًّا ولاَ طُنُبا

(١) الطبيعة فى شعر العصر العباسى الأول ص١٦٨، وديوان ابن الدمينة ١٢٥.

٣ـ البقر

قال ابن مقبل وذكر بقرة: (١)

حَتَّى احْتَوَى بِكْرَها بالجزْع مُطَّرِدٌ ... هَمَلَّعٌ كهِلالِ الشَّهر هُذْلُولُ

لم يبقَ من زغب طَارَ الشِّتَاءُ به ... على قرى ظهره إلا شماليل

٤ـ الكِلاَب

وشبهوا كلاب الصيد الضارية بالذئاب، قال ذو الرمة: (٢)

هاجَتْ له جُوَّعٌ زُرْقٌ مُخَصَّرَةٌ ... شَوازِبُ لاحَهَا التَّغْرِيثُ والجَنَبُ

غُضْفٌ مُهَرَّتَةُ الأَشْدَاقِ ضَارِيَةٌ ... مثلُ السَّراحين فى أعناقها العَذَبُ

وقال أبو نواس يصف كلبه: (٣)

كَأَنَّ خَلْفَ مُلْتَقَى أَشْفَارِهْ ... جَمْرُ غَضَى يُدْمِنُ فى اسْتِعَارِهْ

سِمَعٌ إذا اسْتَرْوَحَ لم تُمَارِهْ ... إلا بأنْ يُطْلَقَ مِنْ عِذَارِهْ

---

(١) المعانى الكبير ١٨١/١، والفصوص ١١٤/١ البيت الأول فقط وقد فسر الهذلول بـ: الرّملة الطويلة المستدقة.

(٢) ديوانه: بتحقيق الدكتور عبدالقدوس أبو صالح جـ٩٧/١، ٩٨ ط بيروت. جوّع: كلاب جوع. مخصرة: ضامرات الخواصر. شوازب: ضامرة بشدة. لاحها: أهزلها وغيرها. التغريث: التجويع. الجنب: التصاق رئتيه مع جنبيه من شدة العطش. الأغضف: الذى مال طرف أذنه إلى ما يلى قفاه. مهرتة الأشداق: واسعتها. ضارية: حريصة على الصيد. السراحين: الذئاب. العذب: السيور التى تشد فى أعناق الكلاب.

(٣) ديوانه ص٣٥٠ دار صادر.

٥- تشبيهات الإنسان:

فى أمور كثيرة وجدنا الإنسان يشبه بالذئب:

فقد قالوا عن اللص: أمرط، تشبيها بالذئب، والأمرط من الذئاب: الذى ذهب شعره لكبر سنه.

وقالوا عن اللص – أيضا –: خِمْع، وذو الإخماع هو الذئب.

وهذه التشبيهات منها ما يراد به الجانب الحسن، ومنها ما يراد به السوء.

فمن الأول قول الشنفرى: (١)

وأغدُو على القُوتِ الزَّهيد كمَا غدَا   أزَلُّ تَهَادَاه التَّنَائِفُ أطْحَلُ

وقول طرفة: (٢)

وكرِّى إذَا نَادَى المُضَافُ مُحَنَّبًا   كسيد الغَضَا نَبَّهْتَه المُتَوَرِّدِ

وقال خداش بن زهير يصف رجلا: (٣)

يُخَالِسُ الخَيلَ وهى محضرة   كأنَّما ساعداه ساعِدَا ذيب

فهو يشبه سرعة اختلاسه للطعن بسرعة يدى الذئب.

وقال رؤبة: (٤)

يَشْقَى بى الغيران حتى أحسبا   سيدًا مغيراً أو لسلاحا مغربا

---

(١) من اللامية – راجع تحليلها.

(٢) ديوانه – المعلقة.

(٣) المعانى الكبير ١/١٨٨.

(٤) المعانى الكبير ١/١٨٦.

أى: أتقى على الحرم كما يتقى الذئب على الغنم، واللياح الثور الوحشى الأبيض، وكانوا يتطيرون من المغرب ويتشاءمون به، أى فكأنى ذلك بكراهتهم للنظر إلى.

وقالوا للطويل من الناس: عَمَرَّد، والعَمرَّد والعمرُود: الطويل من الذئاب.

وقال عبيد بن أيوب العنبرى: (١)

بـأىّ فَـتًى يـا ابْـنَى حبيب بُليتُمَا إذا ثَـارَ يَوْمًـا للغُـبَارِ عَمُـودُ
بمُـنْخَرِقِ السِّـربَال كالسِّـيد لاَ يَـنى يُقَـادُ لحَـرْبٍ أو تَـرَاه يَقُـودُ

وهو يهزأ برجلين من ضبة ضرباه لأنه تحدث إلى فتاة منهم، فتوعدهما بالغارات، ولكنه تراجع، لا لخوف منهما، بل لأجل رجال كرماء من عشيرتهما.

ويشبه امرؤ القيس الربئ الذى يربأ للقوم بتستره وتخفيه بذئب الغضا لأنه أخبث الذئاب، قال: (٢)

بَعَثْـنَا رَبِيـئًا قَـبلَ ذَلـكَ مُخْمِـلاً كَذِئْـبِ الغَضَـا يَمْشـى الضَّرَاءَ ويتَّقى

ومن الجانب السئ قول خداش بن زهير: (٣)

فَلَمَّـا دَنَوْتَـا للقِـبَابِ وأَهْلِهَـا أُتِـيحَ لَـنَا ذِئـبٌ مَـعَ اللَّـيلِ فَاجِـرُ

ويروى غادر، وكافر. فهو يعنى رجلا يشبه بالذئب فى الغدر والفجور.

وقال بشر بن المعتمر: (٤)

---

(١) سمط اللآلى ٣٨٤، الحيوان ١٦٨/٦.

(٢) ديوانه ١٧٢ وانظر مبحث الأمثال (هو يمشى له الضراء).

(٣) المعانى الكبير ١٨٨/١.

(٤) الحيوان ٢٨٤/٦.

النَّاسَ دَأْبًا فى طِلَابِ الغنَى ... وكُلُّهُمْ من شأنه الخَتَرْ
كأذْؤُبٍ تَنْهَشُها أذؤبٌ ... لَهَا عُواءٌ ولها زَفْر

٦ـ الكلاّب:

وكان نصيب الصيّاد – صاحب الكلاب – وافراً في تشبيهه بالذئب:

قال الأعشى: (١)

أحَسَّ بالسُّمَّار عُجْلَ طمَلْ .... الغُفُلْ
أطلَسَ طَلاّعَ النِّجَادِ على الوحْـ ـشِ غبًّا مثل القَنَاة أزلْ
في إثره غُضْفٌ مُقَلَّدَةٌ يَسْعَى بها مُغَاوِر أطْحَلْ
كالسِّيد لا يَنْمي طَريدتَه لَيْسَ لَهُ ممّا يُحَانُ حِوَلْ

وقال أيضا: (٢)

وصَائدَ مثلَ الذِّئبِ في جَوْفِ قُتْرَةٍ فلما رآها قَالَ: يا خَيْرَ مَطْعَمِ

أي أن الصياد كان كالذئب في مخبئه، فقد سُرَّ سروراً عظيما حين وجد طعاماً له.

وقال بشر بن أبي خازم: (٣)

وباكَرَهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ مكلِّب أزَلُّ كسِرْحَانِ القَصِيمةِ أغْبَرُ

وقال ذو الرمة: (٤)

عاين طَرَّاد وحوش مصيَدَا كأنَّمَا أطْمَارُه إذَا غَدَا
جُلِّلْنَ سِرْحَان فَلاَة مِمْعَدا يَجْتَبُ ضِرْوًا ضَارِيًا مقلَّدَا
أهضَمَ ما خلف الضلوع أجْيَدَا موثق الخَلْق بروقًا مبْعَدَا

---

(١) ديوانه ق ٥٢ ص٢٧٩ وهي هكذا في الديوان.

(٢) نفسه ١٢٠.

(٣) ديوانه /٨٤ بتحقيق د./ عزة حسن.

(٤) ديوانه ٣٠٧/١ – ٣٠٨. عاين: رأى. طراد وحوش: صياد. أطماره: أخلاقه. جلّلن: ألبسن. ممعد: الذئب

يتحدث عن ثور وحشى رأى صائداً يلبس ثيابا خلقة بالية، وهذا الصياد قــد خرج من إنسيته فصار ذئباً، خلقه كخلقه، دهاءً ومكراً وخفة عدو، وهو يختلس الشئ اختلاسا...

وقال ذو الرمة فى بائيته يصف صيادا: (١)

مُقَــزَّعٌ، أطْلَــسُ الأطمــارِ لَــيْسَ لَهُ   إلاّ الضّــــرَاء وإلاّ صَــــيْدها نَشَـــبُ

وقال الأخطل: (٢)

ظَــلَّ الــرُّمَاةُ قُعُــودًا فــى مَرَاصدهم   للصَّــيْد كــلَّ صَــبَاح عــندهم عــيد

مــثْلَ الذِّئَــابِ إذا مــا أوْجَسوا قَنصًا   كانَــتْ لهــم سَــكْتَةٌ: مُصْــغٍ ومَلْــبُودُ

وقال: (٣)

طَــاوٍ أزَلُّ كسِــرْحَانِ الفَــلاَةِ إذَا   لــم تؤنــس الوحْــشُ مــنه نَبْأةً خَتَلا

وشبهوا نواشر الرّجل بنواشر الذئب، قال شاعرهم (٤)

قــد أبقــى لَــكَ الغَــزْوُ مــن جسمه   نَوَاشِــر ســيد وَوَجْهًــا صَــبِيحَا

ويروى: (قد أبقى لك الأيْن) أى الإعياء.

أى بقــى من جسمه مثل ذراعى ذئب، شبه عصبه بعصب الذئب لأنها ممتدة.

قال الأخفش: ليس المعنى أنه يُعيِى، إنما أراد الشحوب والضُّمر فكأنه مُعْيٍ وليس بمعْيٍ.

---

(١) راجع تحليل القصيدة فى بحثنا (ثور الوحش بين النابغة وذى الرمة) وانظر الديوان ١/١٠٠.

(٢) ديوانه – ص١٠٤ ق ٩ تحقيق د./ فخر الدين قباوة – صنعة السكرى.

(٣) نفسه ص١٥٢ ق١٣.

(٤) شرح أشعار الهذليين ١/٢٠٣ والبيت لأبى ذؤيب. النواشر: عصب باطن الذراع. نواشر سيد: أى ذئب. ووجها صبيحا: أى أن السفر لم يفسده.

ونواشــر ســيد: يريد أنه شديد البطش، قوى اليد كيد الذئب، ولم يقل الأســد، لأن الذئب نواشره ممتدة، وساعِد الأسد كأنه كُسِر ثم جبر، فليست نواشره ممتدة.

قــال ابن حبيب: يريد أن نواشره عارية كنواشر الذئب، وذلك يستحب فى الرجال أن تكون نواشر الرجل بادية.

وقال الآخر:

.... كأنمــا سَــاعِدَاه سَــاعِدَا ذِيــبِ

٧- أشياء أخرى:

* شبهوا الريح في إتيانها من كل جانب بالذئب، قال طرفة في صهره هاجيا: (١)

وأنت على الأقصى صَبَا غَيْرُ قَرَّة ... تَذَاءَبُ مِنْهَا مُرزِغٌ ومسيلُ

وقال ذو الرمة: (٢)

فبات يُشْئِزُهُ ثَأْدٌ وَيُسْهِدُهُ ... تَذَاوُبُ الرِّيحِ والوسواس والهَضَبُ

وغير ذلك.

* وشبهوا لَبَنًا – في لونه – بلون الذئب، وذلك لكثرة ما أضيف إليه من ماء، قال الراجز: (٣)

مَا زِلْتُ أَسْعَى مَعَهُم وأَلتبط ... حتى إذا جَنَّ الظلام واختلط

جاءُوا بمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذئب قط

وأنشد ابن الأعرابي: (٤)

شَرِبْنَا فَلَمْ نَهْجَأْ مِنَ الجوع نَقْرَة ... سمارًا كإبْطِ الذئب سُودًا حَوَاجِرُه

أي شربنا ما لم يُغْنِنا إلا أن رد أنفسنا.

والسمار: اللبن الممذوق بالماء.

* وشبهوا السهم بمتن الذئب في استوائه، فضلا عن توسطه بين الطول والقِصَر.

---

(١) سبق.

(٢) سبق.

(٣) المعاني الكبير ١/٢٠٤.

(٤) نفسه ١/٢٠٤ وانظر اللسان.

قال الداخل بن حَرام واصفا سهمه: (١)

كمَتْـــنِ الذِئـْـــبِ، لا نِكْـــسٌ قَصِـــيرٌ　　فأُغْـــــرِقُهُ ولا جَلْــــسٌ عَمُـــوجُ

* كما شبهوا شراسة الدهر وقوة فتكه بشراسة الذئاب وقوة فتكها، قال بشار: (٢)

ومـــا يـــبقى علـــى زمـــن مُغِـــير　　عَـــدَا حَدَثَاتِـــه عَـــدْوَ الذِّئـــابِ

* * * *

(١) وقيل اسمه: زهير بن حرام، وقيل هو لرجل اسمه: عمرو بن الداخل، هو أحد بنى سهم بن معاوية من هذيل. انظر / شرح ديوان الهذليين ٦١٦/٢. والنكس: الذى جُعل أعلاه أسفله، فوقُه مكان نصله. وقيل: إنما حدث له ذلك بسبب انكسار النصل. أغرقه: إذا نزعت فيه يجاوز: يدخل فيه.

(٢) ديوانه ٢٤٨/١.

المبحث الثانى

الذئب معادلا موضوعيا

الذئب معادلا موضوعيا

الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الوجدان فى الفن هى بإيجاد "معادل موضوعى".. أو بعبارة أخرى: بخلق جسم محدد، أو موقف أو سلسلة من الأحداث تعادل الوجدان المعين، الذى يراد التعبير عنه إذا ما اكتملت الحقائق الخارجية التى لابد أن تنتهى إلى خبرة حسية، تحقق الوجدان المطلوب إثارته. (١)

ويعرف (ت س إليوت) المعادل الموضوعى بأنه: (٢)

التركيبة المعادلة لإحساس معين، بحيث إنه إذا ما اكتملت الحقائق الخارجية التى لابد وأن تنتهى إلى خبرة حسية تحقق الإحساس المطلوب إثارته، هذه الحقائق الخارجية التى لابد وأن تنتهى إلى خبرة حسية هى النسيج المصنوع منه المعادل الموضوعى. أما التركيبة المعادلة للإحساس فهى إدراك الشاعر للشكل العام للمعادل الموضوعى. أو بمعنى آخر – التركيبة هى الوجدان، والحقائق الخارجية هى الشاعر – ومن امتزاج الاثنين امتزاجاً تاماً – بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر – تتكون القصيدة.

وقد تجلى المعادل الموضوعى واضحاً فى شعر الذئب منذ (امرئ القيس)، حين قال:

وَوادٍ كجَوفِ العَيرِ قَفْرٍ قَطَعْتُه ... بِهِ الذئبُ يَعوى كالخَليعِ المُعَيَّل
فقلت له لما عَوَى: إن شأنَنَا ... قَليلُ الغِنَى إنْ كنتَ لما تَمَوَّل
كِلانَا إذَا ما نَالَ شَيئًا أفَاتَهُ ... وَمَنْ يَحتَرِثْ حَرثى وحَرثَك يهزِل

(١) مجلة الكاتب – العدد الثانى / مايو ١٩٦١ ص٧٥ وما بعدها – د./ رشاد رشدى – بعنوان المعادل الموضوعى.
(٢) نفسه ٧٨.

فامــرؤ القــيس وحده فى ذلك الوادى، والذئب كذلك... وامرؤ القيس جعل الذئب كالخليع... ثم يمتزجان معا فى قوله (كلانا)، إذ يتشابهان فى أن كــلا منهما لم يدخر لغده، فاستحقا ما نزل بهما.. أما امرؤ القيس فكأنى به يشــير إلــى تهاونـــه فى مؤازرة أبيه فى حكم القبيلة، وانصرافه إلى لهوه وعبــثه، فكــان ذلــك عاملا من عوامل ضياع الحكم.. والذئب لا يأكل من فريسته إلا مرة واحدة.. وكل من يسلك هذا المسلك يستحق أن يهينه الدهر، فينزل به ما ينزل.

وتــأتى قصيدة (الشنفرى) اللامية لتصور الذئب وجماعة الذئاب أروع وأدق تصــوير فى رأيى.. وفيها اتخذ الشاعر الذئب معادلا موضوعيا حين (غــدا) كما (يغدو)، والذئب جائع كما أن الشنفرى جائع، وإذا كان الذئب قد ذهــب (يستعرض) الريح، أى يمشى فى الاتجاه المعاكس، فإن الشنفرى قد نحا ذلك المنحى حين عارض قبيلته، أو بالأحرى شيوخها..

وإذا كــان الذئــب (يخوت ويعسل بأذناب الشعاب)، فتلك أيضاً رغبة تتحرك داخل الشنفرى.

كــل مــنهما وقــع عليه سحق وقَمْع وعدوان، ومن ثم اضطر إلى أن (يضجّ) و(يصيح).

لكــن الذئب حين عوى أجابته النظائر، أما الشنفرى فلم يجد من يجيبه هناك.. ولربما وجد هنا – فى عالم الصعاليك – من يجيبه.

وفى العصر الأموى نجد (الراعى النميرى) يجعل الرعاة – أى عمال الخــراج – مــثل الذئــاب فيرســم صورة بارعة للرعية مع هؤلاء العمال الظلمة.. حين يقول:

يَدْعُو أميرَ المؤمنين ودُونَه | خَرْقٌ تجرُّ به الرياحُ ذُيُولا
كهُدَاهِدٍ كَسَرَ الرُّمَاةُ جَنَاحَهُ | يَدْعُو بقارعةِ الطريقِ هَدِيلاَ
وقَعَ الربيعُ وقدْ تَقَارَبَ خَطْوُهُ | ورأى بَعَقْوَتِهِ أزَلَّ نَسُولاَ
مُتَوَضِّحَ الأَقْرَابِ فيهِ شُهْبَةٌ | نَهِشَ اليَدَيْنِ تَخَالُهُ مَشْكُولا
كدُخَانِ مُرْتَجِلٍ بأعْلَى تَلْعَةٍ | غَرْثَانُ ضَرَّمَ عَرْفَجاً مَبْلُولاَ

أرأيت إلى ذلك الطائر المسكين الذى فقد سلاحه الوحيد وهو الطيران، ومن ثم صار عرضة للأخطار.. وإذا بذئب يمتلك كل أسلحة الفتك يهجم على ذلك الطائر !! إن الرعية قد كُسِّرت أجنحتُها، وجُرِّدَتْ من كل ما يمكِّنها من مقاومة الظلم والعدوان، والرعاة مثل أولئك الذئاب لا مشاعر لديهم، فبالرغم من أن منظر تلك الحمامة يثير الشفقة والحنو، إلا أن مشاعر الغلظة والطغيان والتجبر مسيطرة على أولئك الظلمة، الذين لا يرقبون فى مؤمن إلاّ ولا ذمة، مستبعدين أن يصل أمرهم إلى الخليفة.

والقصيدة علامة بارزة – مع قصيدة الكميت – تفصح عن طغيان السعاة وعمال الخراج، الذين طغوا وبَغَوْا حينئذ.

وفى ذلك العصر كان الخوارج يعادون الدولة، وهم مطلوبون لديها، وإذًا صار لزاما على الخارجيين أن يتذأبوا حتى لا يقعوا فى أيدى طالبيهم.. ومن ثم وجدنا (الطرمّاح) معجبا أشد الإعجاب فى قصيدته الحائية بذئب (أحلّ)، أى فى رجليه شكال وقيد، وهو رمز استخدمه شعراء العصر الأموى تعبيرا عما تمارسه السلطة من تكميم الأفواه، وتقييد الحريات.. إلخ. ويصف ذئبه بالذكاء حين عرف كيف يأتى بالغنيمة الباردة، وهى الضباب الغبية، وفى ذلك رمز أيضا. وهو خفيف الحركة، حَذِر، جوّال.. إلخ

فكـأن الطرماح يجعل الذئب مثالا يحتذى للخوارج الذين ينبغي عليهم الحذر، وأن يكونوا أذكياء.. وباختصار: أن يتذأبوا حتى لا تأكلهم الذئاب.

والطـرماح نفســه يجعـل الذئـب معادلاً موضوعياً لخصومه، الذين يتربصون به الدوائر، ويكمنون له بالليل.. فيحذره:

فَقُلْـتُ: تَعَلَّـمْ يـا ذُؤالُ ولا تَغُـنْ وَلاَ تَتْخَـنِعْ للَّـيلِ وَهْـوَ خَـنَوعُ
وَلاَ تَغْـوِ واسْـتَحْرِزْ، وإنْ تَغْـوِ غَيَّةً تُصَـادِفْ قِـرَى الظَّلْمـاءِ وهُو شَنيعُ

لكـنه لم يرعو، ولم ينزجر.. ومن هنا رماه بسهم قضى عليه.. وهذا السهم – في رأيي– يتمنى الطرماح أن لو سدّده إلى خصمه وقضى عليه.

ولم يبعد ذئب (مالك بن الريب) – أحد صعاليك العصر الأموي – عن ذئـب الطـرماح، فقد تذاكى ذئبه عليه، وحاول الإيقاع به، وظل يراوغه، ويحتال له، ويأتيه من كل جهة، وكان ذلك ليلا، فأنذره وحذّره:

زَجَـرْتُكَ مَـرَّاتٍ، فلمَّـا غَلَبْتَـني وَلَـمْ تَـنْزَجِرْ نَهْنَهْـتُ غَرْبَكَ بالضَّرْبِ

وهكذا كان مصيره إذ لم ينزجر، فصار أضحوكة للناس..

فما الذئب هنا إلا معادل للسلطة التي تطلب مالكاً، حيًّا أو ميتاً.

ونأتي إلى اللوحة الرائعة لتي رسمتها اليد الصنّاع في العصر العباسي، رسمها كل من (البحتري) و(الشريف الرضي).

فذئـب البحـتري يظهر في جو ملبّد بغيوم الأسى والقلق والتوتر، جو يعكـس الحياة في العصر العباسي، تلك الحياة التي كدرت بعد صفو بالنسبة للبحـتري، ولم يعد نجمه كما كان أيام المتوكل.. وأتى بهذه الصورة بعد أن صـرح بالعلاقـة السيئة التي تربطه بأقاربه، أولئك الذين أشار إليهم بأنهم جفوه وأساءوا إليه في أكثر من قصيدة، ومنها السينية، حين قال:

ولقَـد رَابـنى نُـبُوّ ابـن عَمّـى   بَعْـد لِيـنٍ مِـنْ جَانِبَـيْه وَأُنْسِـى
وإذا مَـا جُفِيـتُ كُنْـتُ جَدِيـرًا   أنْ أرَى غَـيْرَ مُصـبح حيث أُمسِـى

ومـن هنا ترك لهم المكان كله على اتساعه، ووجه عنسه إلى إيوان كسرى:

حَضَـرَتْ رَحْلَـى الهُمُـومُ فَوَجّهْـ   ـتُ إلـى أبيَض المَدَائِـن عَنْسِـى

وكان لزاما على البحترى أن يواجه ذلك الذئب، الذى حاول أن يقضى على الشاعر، وبالفعل قتله البحترى، ثم جمع الحصى، وشواه، ونال خسيسا منه..

وما هذا الذئب - عندى - إلا الإنسان المتذئب الذى تخلى عن إنسانيته وآدميته، وتحول إلى وحش كاسر، خالٍ من كل مشاعر الحب.. إنهم أقاربه الذين تربصوا به وكادوا له، وحاولوا القضاء عليه..

والشريف الرضى يستخدم الذئب معادلاً موضوعياً لنفسه تارة، ولخصومه تارةً أخرى.

ذلك أن الذئب فيه صفات جيدة، وأخرى خبيثة. كما أسلفنا، فالرضى حذر، يقظ، وهو مهموم، تمامًا كالذئب..

ثم يستخدمه معادلاً لخصومه حين يصفه بأنه يُخاتل، ويُخادع، ويستخدم حيَلاً ماكرة خبيثةً، إذ يوحى للناظر أنه أعرج، والحقيقة غير ذلك، ثم يتظالع إلى أن يصل صدره إلى الأرض..

وابن خفاجة الأندلسى يجعل ذئبه معادلاً لأولئك المتربصين بالدولة الإسلامية فى الأندلس، سواء أكانوا الصليبيين من دول أوروبا أم أولئك المتعاونون معهم.. والذى يرجح ذلك أن ابن خفاجة لم يذكر لنا خاتمة قصته، بل لم يصرح بالمواجهة المباشرة مع الذئب، وهى مواجهة لم تكن نهايتها قد ظهرت حينئذ..

* * * *

المبحث الثالث

مســرح اللقــاء

١ - المناهل.

٢ - الصحراء.

٣ - في معرَّسهم.

٤ - عند إيقاد النار (الذئب ضيفًا).

٥ - حول الديار العامرة (الذئب لصًا).

٦ - مع الصعاليك (ذِئابٌ وذُؤبان).

مسرح اللقاء

١ـ المناهل:

ورود المناهل مناطُ فخر لدى الشعراء القدماء، ولاسيما المناهل المحفوفة بالمخاطر، إذ إنها غالبا مأوى للسباع والوحوش والزواحف.

وهناك من المناهل من ينذر الناس بعضهم بعضا من ورودها، كما قالت (الخنساء) ترثى صخرا:

يا صَخْرُ وَرّادَ مَاءٍ قَدْ تَنَاذَرَه　　أهلُ المَوَارِدِ مَا فى وِرْدِه عَارُ

فليس من عارٍ على من يرهب هذا الماء فلا يَرِدُه، لكن صخراً (ورّاد) هكذا بصيغة المبالغة. ثم إنه يرد هذا الماء ماشيا كـ (السَّبَنْتَى)، لأنه لابد له من أن يستأسد ويتذأب:

مَشْىَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجَاءَ مُعْضِلةٍ　　له سلاحان أنْيابٌ وأظْفَارُ (١)

و(طرفة بن العبد) يفتخر – فى معلقته – بإغاثته الملهوف المكروب، وهو إذ يسرع لذلك فهو مثل ذئب الغضا، المثار، الوارد الماء: (٢)

فَلَوْلاَ ثَلاَثٌ هُنَّ من عيشة الفتى　　وجَدِّك لَمْ أحْفِل مَتَى قام عُوَّدِى

فَمِنْهُنَّ: سَبْقِى العَاذِلاَتِ بِشَرْبةٍ　　كُمَيْتٍ مَتَى مَا تُعْلَ بالمَاءِ تُزْبِدِ

وكَرِّى إذَا نَادَى المُضافُ مُحَنَّباً　　كسِيدِ الغَضَا – نَبَّهْتَه – المُتَوَرِّدِ

---

(١) راجع تحليل القصيدة فى كتابنا / من الأدب الجاهلى ١١٠-١٤٨.

(٢) راجع الأبيات من معلقته فى الديوان / تحقيق د./ على الجندى ص٥٠، ٥١، وكتابنا: تمرد طرفة. لم أحفل: لم أبال. عُوَّدى: من يعودوننى فى مرضى. كميت: خمر فيها سواد وحمرة. تُعْلَ بالماء: يصب عليها الماء. تزبد: يصير لها زبد وهو الحباب والرغوة. كرّى: عطفى ورجوعى. المضاف: الخائف المذعور. محنبا: هو الفرس فيه انحناء بيده. سيد: ذئب. الغضا شجر، وذئابه أخبث الذئاب. نبهته: هيجته وأثرته. المتورد: الذى يرد الماء.

أمـــا (المتنخل الهذلى) فيرسم صورة للمنهل الذى يرده، فيصوره وقد خلا من الإنس، وفيه دلالة على أن وروده مخيف محذور، وليس هناك سوى الوحوش الضارية، والسباع المفترسة، التى اعتادت ورود ذلك الماء.. ويبدو أن تواجدها فى ذلك المكان بهدف الافتراس.

كـــان علـــى المتـــنخل إذًا أن يتوحش، إذ إن هناك صراعاً واقعاً، بين (الذئب الإنسان) و(الذئب الوحشى = السرحان).. معركة على انتزاع الحياة، لو لم يشرب المتنخل لقتله العطش، والذئب كذلك، كلاهما (حَرَّان قاطى).

ولم يكن المكان مقصورا على الذئبين، بل إن هناك حيات، آثار زحفها واضحة على الأرض، إذ تشبه آثار السياط.

كما أن هناك أصواتاً مزعجة، مخيفة، وكأنها موسيقى جنائزية، ترعب مـــن يفكـــر فى ورود ذلك الماء، إنه صوت البعوض الكثير جدا، فيظن أن هناك ناسا، والحق غير ذلك.

وتـــزيد الوطأة لكون الوقت الذى يرد فيه الشاعر (قبيل الصبح)، وهو وقت سكون وهدوء. يقول المتنخل: (١)

٢٥- ومـــاءٍ قَـــدْ وَرَدْتُ، أُمَـيْمَ، طامٍ   علَـــى أَرْجَائِــــهِ زَجَـــلُ الغَطَـــاطِ

٢٦- فَبِـــتُّ أُنَهْـــنِهُ السِّـــرحَانَ عَـــنه   كِلانَـــــا وَارِدٌ حَـــــرَّانُ قَـــــاطِى

(١) شرح أشعار الهذليين ١٢٧٢ – شرح السكرى – تحقيق عبدالستار فراج، ط المدنى ١٩٦٥، وجمهرة أشعار العرب ٢٣٢ – والنص منه – المطبعة الرحمانية – ١٩٢٦.

(ب٢٥) طامى: مرتفع. زجل: غناء. غطاط: سنانير. ورواية أشعار الهذليين (الغطاط) وهو ضرب من القطا.

(ب٢٦) أنهنه: أذود وأدفع وأكف. السرحان: الذئب. قاطى: شديد العطش. ورواية الهذليين (ساطى) أى ذو سطوة واندفاع نحو الخصم.

٢٧- قليلٌ وِرْدُه إلاّ سِبَاعا | تُخَطِّى المَشْىَ كالنَّبلِ المِرَاطِ
٢٨- كأنَّ وَغَى الخُمُوش بجانبيْه | وَغَى ركْبٍ، أُمَيْمَ، أُولى زِيَاطِ
٢٩- كأنَّ مَزَاحِفَ الحيَّاتِ فيه | قُبَيْلَ الصُّبحِ آثارُ السِّياطِ
٣٠- شَرِبْتُ بجَمِّه وَصَدَرْتُ عنه | وأبيضُ صَارمٌ ذكرٌ إبَاطى

وينجح الشاعر فى اقتناص الحياة بشرب الماء، ثم يصدر عنه، وهو قوى، معه سيفه، الذكر، أى الذى يقوم مقام الصاحب، سنداً وظهيرا.

و(أبو كبير الهذلى) يرد ماءً مهجورًا مدة طويلة، من الربيع إلى الصيف، لم يرده سوى ذئاب نحيلة، قد تمرط شعرها، وهى ذئاب عواسل، تتسم بالسرعة وخفة الحركة، وهذه من أهم مقومات الافتراس والتوحش.

ومكان الورود ضيق غاية الضيق، فهو لا يحتمل سوى الذئب، بل إن الذئب يرد من هذا الطريق وهو مائل على شقه.. فكيف يرده إنسان؟ لابد إذًا أن يفعل فعل الذئب من التضاؤل حتى يتمكن من ورود الماء..

والذئاب هناك تعوى لشدة جوعها، إذ لم ترد الفرائس الماء منذ مدة.. مع هذا كله ورد أبوكبير الماء، فأى شجاعة وجرأة وإقدام تلك التى يتصف بها؟ قال أبوكبير: (١)

٤- ولَقَدْ وَرَدْتُ الماءَ لم يَشْرَبْ به | زَمَنَ الرَّبيعِ إلى شُهُورِ الصَّيِّفِ
٥- إلا عَوَاسِلُ كالمِرَاطِ مُعِيدةٌ | باللَّيلِ مَوْرِدَ أيِّمٍ مُتَغَضِّفِ
٦- يَنْسِلْنَ فى طُرُقٍ سَبَاسِبَ حَوْلَه | كقِداحِ نَبلٍ مُحبَّرٍ لم تُرصَفِ
٧- تَعْوى الذِّئابُ من المَخَافَةِ حَوْلَهُ | إهْلالَ ركْبِ اليَامِنِ المُتَطَوِّفِ

(ب٢٧) تخطى المشى: تسرع فى خطوها. المراط: التى لا ريش عليها.

(ب٢٨) وغى الخموش: صوت البعوض. الزياط: الجلبة والصياح والضجيج.

(ب٣٠) إباطى: تحت إبطى.

(١) سبقت.

٨- زَقَبٌ يَظَلُّ الذئبُ يَتْبعُ ظِلَّه   من ضِيقِ مَوْرِدِه اسْتِنَانَ الأَخْلَف

والنجاشى - أو امرؤ القيس [١] - يَرِدُ ماءً، فى مكان بعيد، يخيمّ عليه الهدوء والسكون، فلا تسمع هناك صوتاً، وإذا بصوتٍ مفزع يقطع ذلك السكون، إنَّه صوتُ ذئب يعوى عواءً حزينا، ينمّ عن بؤس، وكأنه خليع مطرود من قبيلته، وأهله وذويه، لا يجد ما يأكله.. ويرق الشاعر لحال الذئب، فيعرض عليه مشاركته الطعام.. ويرفض الذئب، إذ لم يعتد هو ولا بنو جنسه مثل ذلك، ويدعو للشاعر، شاكرًا له ذلك الكرم الفياض.. ويطلب ماءً فقط..

فيرد عليه الشاعر بأننى تركت لك حوض الماء فاشرب ما شئت، فيستدعى الذئب بقية الذئاب ليشاركوه الماء، وكأنه قد تعلم الكرم من بنى الإنسان.

يقول:

ومَاءٍ كَلَوْنِ البَوْلِ قَدْ عَادَ آجِنًا   قَلِيلٌ بِهِ الأَصْوَاتُ ذِى كَلأٍ مَخْلِى
لَقِيتُ عَلَيْهِ الذِئبَ يَعْوِى كأنَّهُ   خَلِيعٌ خَلاَ مِنْ كُلِ مَالٍ ومِن أهلِ

... إلخ [٢]

والنابغة الذبيانى يجتاز ماء بعيداً، نائياً، تعوى الذئاب حوله، ولذا خلا من الورّاد، ولم يذكر إنْ كان وَرَدَه أم لا، ولكنه اكتفى بالإخبار عن اجتيازه:[٣]

---

(١) على خلاف فى نسبة الأبيات إلى أيهما، وقد أشرت إلى ذلك فى قصيدة (النجاشى يلقن الذئب درسا فى الكرم).

(٢) سبقت.

(٣) ديوانه ٢٣٦ صنعة ابن السكيت / تحقيق د./ شكرى فيصل دار الفكر- بيروت ١٩٦٨.

ومَهْمَهٍ نازحٍ تَعْوى الذِّئابُ به ... نائى المياه منَ الوُرَّادِ مقْفَار
جَاوَزْتُه بعَلَنْدَاةٍ مُنَاقِلَةٍ ... وَعْثَ الطَّرِيق على الحِزّان مِضْمَار(١)

وقريب منه قول الكميت:(٢)

بنائية المَنَاهِلِ ذات غُولٍ ... لِسِرْحَانِ الفَلاَةِ بها ضَبِيبُ
يرانى فى الطعام له صديقًا ... وشَادِنَةَ الضَبَابِرِ رَعْبَلِيبُ
إذا اشتَكَيَا إلىَّ رَأيتُ حقًا ... لمحرومَيْنِ شَفَّهُمَا السغوبُ

* * * *

(١)علندآة: ناقة صلبة قوية. مناقلة: تضع رجليها موضع يديها. وعث: غير مستو. الحِزّان: جمع حزن.
(٢) سبقت

٢ـ الصحراء

يلتقى الشعراء كثيرًا بالذئب فى الصحراء، ويوردون لها أسماء كثيرة مثل (دَوِّيَةِ – واد كجوف العير – صَرْماء – بَيْدَاء – خرْق – مَفَازة – تَنُوفة – منخرق – ديمومة – فلاة – يَهْمَاء –...... إلى غير ذلك).

فامرؤ القيس يلقى الذئب فى واد كجوف العير:

وواد كَجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ ... بِهِ الذِّئْبُ يَعْوِى كالخَلِيعِ المُعَيَّلِ

والمرقش يلتقى وذئبه فى (دَوِّيَة) وهى الفلاة المقفرة، التى تتردد فيها الأصوات، والتى لا أعلام فيها، فراكبها يضل فيها. يقول:

وَدَوِّيَّةٍ غَبْرَاءَ قَدْ طَالَ عَهْدُهَا ... تَهَالَكُ فيها الوِرْدُ والمرءُ نَاعِسُ

والأخطل كذلك، لكنه يضيف إلى الذئب غراباً:

خَلِيلَىَّ لَيْسَ الرَّأىُ أنْ تَذَرَانِى ... بدوِّيَّةٍ يَعْوِى بها الصِّدَيَانِ

...... إلخ.

أما الشنفرى فذئبه تتهاداه التنائف، والتنائف جمع تنوفة وهى المفازة الواسعة، التى لا ماء فيها ولا أنيس، قال:

وأغدُو على القُوتِ الزَّهيد كمَا غَدَا ... أزَلُّ تَهَادَاه التَّنَائِفُ أطْحَلُ

والطرماح التقى وذئبه بـ (مُسْتَرْجَف الأرْطى) وهو المكان الذى يسترجف فيه شجر الأرطى، وذلك بالرمل، قال:

بِمُسْتَرْجِفِ الأرْطَى كَأنْ جُرُوسَهُ ... تَدَاعِى حَجِيجٍ رَجْعُهُ غيرُ مُفْصِحِ

يُحِلُّ بِهِ الذِّئْبُ الأحَلُّ، وقُوتُهُ ... ذَوَاتُ المُرَادِىِّ مِنْ مَنَاقٍ وَرُزَّحِ

والتقى بذئب آخر فى فلاة، وهى الصحراء الواسعة:

وفَلاَةٍ يَسْتَفِزُّ الحَشَا ... مِنْ صُوَاهَا ضَبْحُ بُومٍ وَهَامْ

نفجأ الذِّئْبَ بِهَا قائمًا ... أبْرَقَ اللَّوْنِ أحَمَّ اللِّثَامْ

والـــتقى به فى خرق، وهو الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح، وكذا المنخرق، قال:

بمـــــنخرقٍ تَحِـــنُّ الـــرّيحُ فـــيه   حَنينَ الجُلـــبِ فـــى الـــبلَد السَّـــنين

وكذا أسماء بن خارجة، قال:

بـــلْ رُبَّ خـــرقٍ لاَ أنِـــيسَ بـــه   نَـــابى الصّـــوَى مُـــتَمَاحلٍ سَـــهْبِ

وأحيانا يعبرون بـــ (نائية المناهل) كما قال الكميت:

بِنَائـــية المَـــنَاهلِ ذاتِ غُـــولٍ   لِسِـــرْحَانِ الفَـــلاَةِ بهـــا ضَـــبيبُ

إلخ، ما ذكرنا...

* * * *

٣ـ في مُعرّسهم

والـتعريس: أي الـنزول في مكان ما طلبا للراحة، فنجد ذلك لدى ذي الرمة:

وكَائِـنْ تَخَطّـتْ نَاقَـتِي مِـنْ مَفَـازَةٍ ... وكَـمْ زَلَّ عَـنْهَا مِـن جُحَافِ المَقَادِرِ
وكَـمْ عَرّسَـتْ بَعْدَ السُّرَى مِنْ مُعرَّسٍ ... بِـه مِـن كَـلاَمِ الجِـنّ أصْوَاتُ سَامِرِ
إذَا اغْـتَسّ فِـيه الذِّئْـبُ لَمْ يَلْتَقِط له ... مِـن الكَسْـبِ إلاَّ مِـثْلَ مُلْقَى المَشَاجِرِ

والطرماح، حين قال:

فَعَرّسَـتُ لمـا استَسْـلَمَتْ بعـد شأوِه ... تَـنَائِف مـا نَجَـا بِهِـنّ هَجُـوعُ
تَأوّبَـنِي فِـيهَا عَلَـى غَـيْرِ مَوْعِـدٍ ... أخُـو قَفْـرَةٍ يَضْـحَى بِهَـا ويَجُـوعُ

والشـريف المرتضي، الذي نزل وصحبه للبيات في الثنية، وإذا بذئب يزورهم:

ولَـيلةَ بِتْـنَا بِالثَّنِـيَّة سُـهَّدا ... ومـا حَشْـوُهَا إلا ظَـلاَم وحِـنْدِس
وقَـدْ زَارَنَـا بَعْـدَ الهُـدُوّ تَوَصُّـلاً ... إلَـى الـزّادِ غَـرْثَانُ العَشِـيّات أَطْلَس

٤- عند إيقاد النار (الذئب ضيفاً)

وهو حينئذ ضيف، فالعرب توقد النار، لهداية المحتاجين إلى الطعام، ويسمونها (نار القرى)، قال الجاحظ: وهى النار التى ترفع للسفر، ولمن يلتمس القرى. وقد افتخر بها حاتم الطائى حين قال:

وليس عَلَى نَارِى حِجَابٌ يُكِنُّها ... لمستوبِصٍ لَيْلاً ولكنْ أُنِيرُهَا

على أن للدكتور محمد النويهى كلاما فى ذلك [1]، وكذا سعيد السريحى. [2] وليس المجال سانحا للمناقشة، فإن الذى يهمنا هنا هو طروق الذئب عند إيقاد النار.

وقد ذكر ذلك المرقش الأكبر حين قال:

ولمَّا أضَأْنَا النَّارَ عِنْدَ شِوَائِنَا ... عَرَانَا عَلَيْهَا أطْلَسُ اللَّونِ بَائِسُ

وهنا كان الشاعر كريما، حتى مع الذئب، وكأن النار التى كانت بمثابة دعوة لكل طارق فتحت المجال لأى جنس وكل نوع، فلم يعد من حق صاحبها أن يردّ الطالب، أى طالب.

لكن أسماء بن خارجة لم يقدم الطعام لذئبه حين طرقه على ناره، إلا بعد عتاب وتأنيب وتوبيخ، فأخذ يقول له:

يَا ضَلَّ سَعْيُكَ. مَا صنعت بما ... جمَّعْتَ مِنْ شُبٍّ إِلَى دُبِّ

لَوْ كُنْتَ ذَا لُبٍّ تَعِيشُ بِهِ ... لَفَعَلْتَ فِعْلَ المَرْءِ ذِى اللُّبِّ

فجعلتَ صَالِحَ مَا اخْتَرَشْتَ وَمَا ... جَمَّعْتَ مِنْ نَهْبٍ إِلَى نَهْبِ

وتركه أسماء يتضور ويتلوى من شدة الجوع، لكنه فى النهاية استجاب لشكاية الذئب، لأنه لم يعتد البخل، ومن ثم قام إلى أسمن ناقة لديه فعقرها،

---

(١) راجع: الشعر الجاهلى: منهج فى دراسته وتقويمه ٢٤١ وما بعدها.

(٢) راجع: حجاب العادة / أركيولوجيا الكرم، من التجربة إلى الخطاب ص٣٦ وما بعدها.

وتـــركها للذئـــب وعـــياله، وليس ذلك عجيبا من (ابن قاتل شدّة السغب).. وقريب من ذلك ما فعله الكميت.

ويخـــتلف مسلك الفرزدق تماما عن أسماء، فهو الذى وجّه الدعوة إلى الذئـــب، وتقاسم معه الزاد، وطلب إليه أنْ يتخلى عن غدره ومكره وختله، ولكن أنّى ذلك؟!.

وأطْلَـــسَ عَسّـالٍ ومَـــا كَـــانَ صَاحبًا   دَعَـــوتُ لِـــنَارِى مَوْهِـــنًا فَأتَـــانى
فَلَمّـــا دَنَـــا قُلْـــتُ: ادْنُ دُونَـــكَ إنّـــنى   وإيّـــاك فـــى زَادِى لمُشْـــتَركان

٥ـ حول الديار العامرة (الذئب لصًّا)

وهـــناك الذئب الذى يقترب من الديار العامرة، والأماكن المأهولة علّه يظفــر بطعامـــه المفضل، وهو الضأن. هذا الذئب وجدناه لدى (عمرو ذى الكلــب) الذى عاث الذئب فى غنمه فسادًا، ثم انتقى أفضلها وفتك بها.. فما كان من الشاعر إلا أن أقسم ليقتلنه حين يعود، وقد أبر بقسمه.

ذلــك الذئب هو الذى خشيه كعب على غنمه - إن اشتراها واستجاب لقومه حين نصحوه بذلك -، فقال:

أَخْشَــى عَلَــيْها كَسُــوبًا غَــيْرَ مُدَّخِرٍ ... عــارى الأشــاجع لا يَشْوِى إذا ضَغَما

إذا تلـــوَّى بلحـــم الشَّـــاةِ تَـــبُرُها ... أشــلاءَ بُــرْدٍ ولــم يَجْعَــل لها وَضَما

لكـــن هذا الذئب لم يفلح فى مباراته مع المرأة البخيلة، وعاد يجر أذيال الفشل والخيبة.. إنه ذئب حُمَيْد بن ثور الهلالى، الذى وفّر له أعظم مقومات الافتراس، ولكنه فشل أمام هذه المرأة الحريصة البخيلة. ومن ثم ذهب يتابع الجيش علّه ينجح فيما فشل فيه لدى المرأة.

والشمردل فعل ما فعله (عمرو ذو الكلب)، إذ وجد الضأن تنفر، فأيقن أن هـــناك لصًّا، وما كان سوى الذئب، فنفض ملحفته وهب مسرعًا، وما أن شعر به الذئب حتى ولى هاربًا، فتبعه، وصوَّبَ له سهما، يقول فى ذلك:

فَلَـــمْ أَزَلْ أَطْـــرُدُهُ ويَعْكِـــرُ ... حـــتى إذا اســـتَيْقَنْتُ ألا اغْـــدِرُ

وإنْ عَقْـــرَى غَـــنَمى سَـــيَكْثُرُ ... طَـــارَ بِكَفِّـــى وفُـــؤادى أَوْجَـــرُ

ثُمَّـــتَ أَهْوَيْـــتُ لَـــهُ لاَ أَزْجَـــرُ ... سَـــهْمًا فَوَلّـــى عـــنه وهُـــوَ يَعْـــثُرُ

وبتُّ لَيْلى آمِنًـــا أُكَـــبِّرُ

وطـــرق الذئـــب (مـــالك بن الريب)، ولكن لا ندرى إن كان ذلك إبان صعلكته أم لا.. فإن كان فى صعلكته فنرجح أنه ليس ذئبا وحشاً، وإنما هو

إنســان كما أسلفت، لأن الصعاليك ذؤبان، وعلاقتهم مع الذئاب فيها صَفْو، على أنه كان مطاردًا من السلطة، فربما كان الخصم هو الذئب.

وإن لم يكن فى صعلكته - وهذا بعيد - فيبدو أنه حاول أن يفترس شيئا لكن الشاعر لم يصرح، إن كانت بغية الذئب ضأنا، أم الشاعر نفسه.

على كل حال، فإنه قتله، وصيَّره أُضْحُوكَةً للناس.

٦ـ مع الصعاليك (ذئاب وذؤبان)

حيـن خرج الصعاليك من قبائلهم، اختاروا لهم أهلا بدلا من الأولين، آثـروا العـيش مـع الوحـوش، الذين لا يفشون سرا، ولا يخذلون الجانى بجريرته:

ولـى دُونَكُـمْ أهْلُـونَ: سِـيدٌ عَمَلَّسٌ وَأرْقَـطُ زُهْلُـولٌ وعَـرْفَاءُ جَـيْألُ

هُـمُ الأهـلُ، لاَ مُسْـتَوْدَعُ السِّرِّ ذائِعٌ لَدَيْهِـم ولاَ الجَـانى بمَـا جَـرَّ يُخْذَل

وهـناك رأوا الوحـوش رأى العين، فحين وصفوها كان وصفهم من خبراء، يصفون من الداخل، وليس من الخارج.

ولا غـرو بعدئـذ أن نجد أروع وصف للذئب وأدقه لدى الشنفرى فى لاميته التى سلفت.

وعبيد بن أيوب العَنْبرى صديق للذئب، بينما صار مستنكرا وجوده بين الإنس:

تَقُـولُ وَقَـدْ ألْمَمْـتُ بِـالإنس لَمَّـةً مُخَضَّـبَة الأطـراف خُـرْسَ الخَلاَخل

أهَـذَا خَلِـيلُ الغُـول والذِّئـب والذى يهِـيمُ بِـربَّاتِ الحِجَـالِ الكَوَاهِـل

ويقول:

وأضْحَى صَـدِيقَ الذِّئـبِ بَعْدَ عَدَاوة وبُغْـضٍ وَرَبَّـتْهُ القِفَـارُ الأمَـالِسُ

(والأحـيمر السـعدى) يسـتأنس بعواء الذئب، فى الوقت الذى يرعبه ويخيفه صوت الإنس:

عَوَى الذئبُ فَاستَأْنَسْتُ بالذِّئبِ إذْ عَوَى وصَـوَّتَ إنْسَـانٌ فكِـدتُ أطِـير

وهكذا شأن الصعاليك مع الذئاب.

* * * *

المبحث الرابع

زمـــن اللقـــاء

زمن اللقاء

الذئب ابن ليل، ولذلك نجد الشعراء يحدّدون زمن لقائهم به، قبيل الصبح:

فهذا المرقش الأكبر يشير إلى زمان اللقاء فيقول:

وَدَوِيّةٍ غَبْرَاءَ قَدْ طَالَ عَهْدُهَا تَهَالَكُ فيها الوِرْدُ والمرءُ نَاعِسُ
قَطَعْتُ إلى مَعْروفِها مُنْكَرَاتها بِعَيْهامةٍ تَنْسَلُّ واللَّيلُ دامسُ

... الخ

وابن عنقاء الفزارى حدّد تحديدا دقيقا حين قال:

بَغَى كَسْبَه أطْرافَ لَيلٍ كأنّه وليس به ظَلْعٌ مِنَ الخُمْص ظالع

وكعب بن زهير حدد الوقت بـ (بُعَيْد جنَان الليل):

وَصَرْمَاءَ مِذْكَارٍ كَأنّ دَوِيّها بُعَيْدَ جَنَانِ اللّيل ممّا يُخَيّلُ

وأسماء بن خارجة جعل الليل كله ظرفا لذلك اللقاء:

كابَدْتُهُ بالليل أضيفُهُ في ظُلْمةٍ بِسَوَاهم حُدْب

ومباراة الذئب مع البخيلة كما أوردها حميد بن ثور كانت ليلا:

فَقَامتْ تَعُسُّ سَاعَةً مَا تُطِيقها مِن الدّهْر نَامَتْها الكلابُ الطُّوالع

والأخطل يذكر أن رؤيته الذئب والغراب كانت بعد (أن نام نومة):

وأرّقنى مِن بَعْدِ مَا نِمْتُ نَوْمةً وعَضْبٌ جَلَتْ عَنْهُ القُيُون يمانى

أما الفرزدق فقال:

وليلة بِتْنَا بالغَرِيّيْن ضَافَنَا على الزّاد مَمْشُوقُ الذّرَاعَيْن أطْلَسُ

وفى القصيدة الثانية ذكر أن اللقاء كان بعد إيقاد النار.

وذو الرمة يتميز بالدقة فى سائر أوصافه، ولذا قال (آخر الليل):

بهِ الذئبُ مَحْزُونٌ كَأنّ عُوَاءَه عُوَاءُ فَصِيلٍ آخِرَ اللّيلِ مُحْثَلِ

والشـــمردل وهو يتحدث عن عيث الذئب فى غنمه، يشير إلى أن ذلك كان بعد أن نام أصحابه الذين كانوا يسامرونه، فقال:

هَـــلْ خُـــبِّرَ السِّـــرْحَانُ إذْ يَسْـــتَخْبِرُ عَـــنِّى وَقَـــدْ نَـــامَ الصِّـــحَابُ السُّـــمَّرُ

وكان لقاء الطرماح به فى آخر الليل، عند معرّسه، ومثله المرتضى، وإن كان أكثر دقة، حين قال بعد أن ذكر التعريس:

وقَـــدْ زَارَنَـــا بَعْـــدَ الهُـــدُوِّ تَوَصُّـــلاً إلَـــى الـــزَّادِ غَـــرْثَانُ العشّـــيات أَطْلَس

وكذا أخوه الرضى، إذ قال:

ألَـــمَّ، وقَـــدْ كَـــادَ الظَّـــلاَمُ تَقَضّـــياً يُشَـــرِّدُ فُـــرّاطَ الـــنُّجُومِ الطَّوَالِـــعِ
طَـــوَى نَفْسَهُ وانْسَابَ فى شَمْلَةِ الدُّجَى وكُـــلُّ امْـــرِئٍ يَـــنْقَادُ طَـــوْعَ الْمَطَامِعِ

والظلمـــة الحالكة كانت الظرف الذى استغله الذئب ليظهر لابن خفاجة أيضاً.

ولا عجب فهو كما ذكرنا ابن الليل.

• • • •

المبحث الخامس

التناص فى شعر الذئب

التناص فى شعر الذئب

التناص: هو شبكة العلاقات النصية (أى ما يمكن أن يحصل للمرء من المعـــرفة فكــراً، ومـــا يحصل له من متاع النص المقروء نسجاً) التى تتم بوسائل قراءة نصوص أو سماعها، وربما حتى كتابتها.. (١)

ويقـــرر ابن خلدون أن الشاعر الذى قل حفظه للأشعار الجيدة لا يكون شاعرا، وإنما يكون ناظما ساقطا، يقول: " واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن لـــه محفـــوظ، ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشعر القريحة للنسج على المنوال يقبل عمل الشعر ". (٢)

ويقول: "ومما اشترطوا للشاعر لكى يكون شاعراً: الحفظ من جنسه - أى مـــن جـــنس شـــعر العـــرب - حـــتى تنشأ فى النفس ملكة ينسج على منوالها".(٣)

ومن قبل قال ابن رشيق: (٤)

" ولـــيأخذ - أى الشاعر - نفسه بحفظ الشعر والخبر، ومعرفة النسب، وأيـــام العـــرب، ليســـتعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار، وضرب الأمثال، وليعلق بنفسه بعض أنفاسهم، ويقوى بقوة طباعهم.. ".

---

(١) فى نظرية النص الأدبى / مقال للدكتورعبدالملك مرتاض - مجلة الموقف الأدبى - عدد ٢٠١ ص ٥٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص٧٤٤ - مكتبة ودار المدينة المنورة للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر ١٩٨٤.

(٣) نفسه.

(٤) العمدة ١/١٩٧.

ويقرر أن الشاعر الذى يصاب بفترة، أو ينبُو طبعه، أو تموت قريحته، عليه أن يشحذها وينشطها " بالمذاكرة مرّة، فإنها تقدح زناد الخاطر، وتفجر عيون المعانى وتوقظ أبصار الفطنة، وبمطالعة الأشعار كرة فإنها تبعث الجدّ وتولد الشهوة ".(١)

ويقول أبو هلال العسكرى: (٢)

" ليس لأحد من أصناف القائلين غنًى عن تناول المعانى ممن تقدمهم، والصبّ على قوالب ممن سبقهم، ولكن عليهم – إذا أخذوها – أن يكسوها ألفاظا من عندهم، ويُبرزوها فى معارض من تأليفهم، ويوردوها فى غير حليتها الأولى، ويزيدوها فى حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها، فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها ".

إن " التناصية: هى تبادل التأثر، بدون قصد، أو بقصد.. هى تشرب مبدع بأفكار مبدع آخر أو بآرائه أو بأسلوبه.. هى تأثير هذا الأديب فى ذلك.. هى تشابه، وهى تعارض – فالمعارض يكتب على سبيل التحدى أو الإعجاب أو التملح، أو التلطف أو التبرك – هى تلاقى أفكار، وانضمام أطراف، أو توارد خواطر.. وهى – إن شئت – اقتباس ".

" وكل نص هو تشرب وتقبل وامتصاص وتنسم ومحاذاة وملامسة ومماسة ومداعبة ومحاورة ومعارضة ومقابسة من نصوص أخرى ". (٣)

---

(١) نفسه ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) الصناعتين ١٩٦.

(٣) الكتابة من موقع العدم ٤٠٢ – ٤٠٤ (بإيجاز).

والتـــناص "يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة، سواء بوساطة أم بغير وساطة". [1]

ويذهب أحد النقاد إلى أن "التناص للشاعر بمثابة الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان، فلا حياة له بدونهما ولا عيشة له خارجهما".[2]

ويطول بنا الحديث لو رحنا نتتبع آراء القدماء والمحدثين فى ذلك، بيد أن لهــذا الموضــوع خطره، ومن ثم كان له نصيب كبير من اهتمامنا ولذا أفردناه بدراسة. [3]

وبمراجعة النصوص التى أوردناها من شعر الذئب نلاحظ -وبسهولة- هذا التشابه والتداخل، والتشرب، والتأثر، والأخذ، والاقتباس... إنه التناص

وإذا كـــان للنص علاقة خاصة بنص معين، فقد يسميه بعضهم: تعالقا نصيا. [4]

• • • •

رأيــنا فــيما سبق أن الشعراء قد اشتركوا فى وصف الذئب، فى عدة مجالات:

فــى ورودهم الماء، فذاك نمط شعرى تكرر عند عدد منهم.. وكذا عند إضاءة النار وطروق الذئب... إلى غير ذلك مما ذكرنا فى (مسرح اللقاء).

---

(١) النص والخطاب والإجراء / روبرت دى بوجراند - ترجمة الدكتور تمام حسان ص١٠٤.

(٢) استراتيجية التناص د/ محمد مفتاح ١٢٥.

(٣) التناص: التكرار النمطى فى الشعر الجاهلى (قيد البحث).

(٤) ظاهرة التعالق النصى فى الشعر السعودى الحديث د./ علوى الهاشمى - كتاب الرياض العدد ٥٢- ٥٣ / إبريل - مايو ١٩٩٨.

كمـــا رأيناه فى (المعادل الموضوعى)، للشاعر تارة، ولخصومه تارة أخرى، نظرا لما يجتمع فى الذئب من صفات حسنة وقبيحة.

وأيضا فى تشبيهات الذئب (سواء أكان مشبهاً أم مشبهاً به)..

وفى أوصافه، من حيث لونه، شكله، مشيه.. إلخ.

وكـــذا ما ينطوى عليه من غدر، وخيانة، وختل، ومراوغة... إلى غير ذلك.

ويلفـــت النظر قصيدتا (حميد بن ثور الهلالى) و(ابن عنقاء الفزارى)، فقد قال ابن عنقاء:

١- واعْـوَجَ مِـنْ آل الصَّـريح كأنّه	بِـذِى الشَّـثّ سِـيدٌ آبَـهُ اللّيْلُ جَائعُ
٢- بَغَـى كَسْـبَه أطْـرافَ لَـيْلٍ كأنّه	ولـيس بـه ظَلْـعٌ مِـنَ الخُمْص ظالع
٣- فلمّـا أبَـاهُ الرِّزْقُ من كلِّ وجْهَةٍ	جَـنُوبَ المَـلاَ وآيَسَـتْه المَطَـامِعُ
٤- طَـوَى نَفْسَـه طَـيَّ الجرير كأنه	حَـوَى حَـيَّةٍ فـى رَبْـوَةٍ فَهْو هَاجِعُ
٦- وفَكَّـكَ لحيَـيْه فلمَّـا تَعَاديَـا	صَـأى ثـم أقْعَـى والـبِلاَدُ بلاقِـعُ
٧- وهَـمَّ بِأمْـرٍ ثـم أزْمَـعَ غَـيْرَه	وإنْ ضَـاقَ رِزْقٌ مَـرّةً فَهـو واسِـعُ

وقال حميد:

١٧- وفكَّـكَ لَحيَـيْه فَلَمَّـا تَعَاديَـا	صَـأى ثُـمَّ أقْعَـى والـبِلاَدُ بَلاَقِـع
٢٠- فَهَـمَّ بِأمْـرٍ ثُـمَّ أزْمَـعَ غَـيْرَه	وإنْ ضَـاقَ أمْـرٌ مَـرَةً فَهْـو وَاسِـعُ

فقـــارن هذين البيتين ببيتى ابن عنقاء (٦، ٧)... فهذا ولاشك من خلط الرواة.

ويتناص البحترى والشريف الرضى مع ابن عنقاء فى كثير من أبيات قصيدته.

* يقول ابن عنقاء:

طَوَى نَفْسَه طَيَّ الجرير كأنه ... حَوَى حَيَّةٍ فى رَبْوَةٍ فَهْوَ هَاجِعُ

وقال البحترى:

طَواهُ الطَّوى حَتَّى استمَرّ مَرِيرُه ... فما فيه إلاَّ العَظْمُ والرُّوحُ والجِلْدُ

وقال الرضى:

طَوَى نَفْسَهُ وانْسَابَ فى شَمْلَةِ الدُّجى ... وكلُّ امْرِئٍ يَنقَادُ طَوْعَ المَطَامِعِ

* وقال ابن عنقاء:

وفكّكَ لحيَيْه فلمَّا تَعَادَيَا ... صَأى ثم أقْعَى والبلاَدُ بلاقعُ

وقال البحترى:

عَوَى ثم أقْعَى وارْتَجَزْتُ فَهِجْتُه ... فأقْبلَ مثلَ البَرْقِ يتْبعُه الرَّعْدُ

* وقال ابن عنقاء:

بَغَى كَسْبَه أطرافَ لَيْلٍ كأنَّه ... وليس به ظَلْعٌ مِنَ الخُمْص ظالع

وقال البحترى:

ولَيْلٍ كأنَّ الصُّبحَ فى أُخْرَيَاتِه ... حُشَاشَةُ نَصْلٍ ضَمَّ إفْرِنْده غِمْدُ

وقال الرضى:

ألمَّ، وقَدْ كَادَ الظَّلامُ تَقَضِّياً ... يُشَرِّدُ فُرّاطَ النُّجُومِ الطَّوالِعِ

ومع ذلك إلا أن لكل شاعر تميزاً وإضافة..

وقد رأينا كعب بن زهير يقرن الذئب بالغراب حين قال:

إذا حضرانى قُلْتُ: لو تَعْلمانه ... ألم تعلما أنّى من الزاد مُرمِلُ

غرابٌ وذئبٌ ينظران متى أرى ... مُناخَ مَبِيتٍ أوْ مقيلا فأنْزِلُ

وكذا فعل الأخطل حين قال:

وأرّقَنى من بَعْدِ ما نمْتُ نَوْمةً ... وعَضْبٌ جَلَتْ عَنْهُ القُيُون يمانى

تَصَاحُبُ ضَيفَيْ قَفْرَةٍ يَعْرِفَانِها غُرابٍ وذئبٍ دائمِ العَسَلان

ونحن ندرك إلى أى مدى كان تأثر الأخطل بكعب بن زهير فى شعره عموماً.

والطرماح يشير إلى الخصومة بين الذئب والغراب فى مكان ملئ بالقلق والضجر، بسبب الجوع والقحط، فقال:

يَظَلُّ غُرابُها ضَرِمًا شَذَاهُ شَجٍ بخُصُومةِ الذِّئبِ الشَّنُونِ

وقد أشرنا فى معرض التحليل وذكر النصوص تلاقى كعب وذى الرمة والطرماح... وغير ذلك.

* * * *

المبحث السادس

المعجم الشعرى فى وصف الذئب

المعجم الشعرى فى وصف الذئب

يدور وصف الذئب حول حقول دلالية يمكن أن نذكر منها:

- أسماء الذئب (راجع أسماء الذئب لذلك)، وهذه الأسماء مستوحاة من صفاته.

- احتياله ومكره، حيث يطوى نفسه حتى لا يُرى، وقد أشار إلى ذلك ابن عنقاء الفزارى، والشريف الرضى، والمرتضى.

وأما مراوغته واحتياله فقد ركز عليها مالك بن الريب، والطرماح، والشريف الرضى..

- عدم ادخار الزاد، ومن ثم فهو باحث دائما عن الطعام، وقد أشار إلى ذلك امرؤ القيس، ثم كعب بن زهير، وأسماء بن خارجة.. وغيرهم.

- بؤسه وجوعه.. وجلُّ الشعراء أشاروا إلى ذلك.

- الخليع المعيَّل. وذلك لدى امرئ القيس، والنجاشى.

- عواؤه يستدعى رفاقه، أو من شدة الجوع، وقد ورد ذلك فى معظم القصائد.

- وهناك أمور أخرى احتواها المعجم الشعرى يمكن مراجعتها فى التشبيهات، والمعادل الموضوعى، وأوصاف الذئب... إلخ.

المبحث السابع

إجادة وسبق وتفرد

إجادة وسبق وتفرد

وقبل أن ننهى هذه الدراسة الفنية نشير إلى أبرز القصائد فى وصف الذئب، وهذه وجهة نظرى قد يخالفنى فيها غيرى.

* ولا أظن أن هناك من يخالفنى الرأى فى أن قصيدة الشنفرى اللامية قد تميزت عن غيرها بميزات كثيرة منها:

- أنه وصف الذئب وجماعة الذئاب من الداخل وليس من الخارج، وأعنى بـ (الداخل) أمرين: كونه من ذؤبان العرب الذين يصفون الحيوان وصف خبير به، عالم بتحركاته وسكناته، ونومه وصحوه، وأكله وشربه... إلخ. ثم إنه حين يصف الذئب فهو فى الحقيقة يصف نفسه، وهو ما يسمى بـ (المعادل الموضوعى)، فقد أجاد الشنفرى استخدامه إجادة بالغة، كما ذكرنا. (١)

- استخدامه الألفاظ استخداما دقيقاً موحياً، ولاسيما (ضجّ - وضَجَّتْ، أغضَى- وأغضَتْ، ابْتَسَى - ابْتَسَتْ به، عزاها - وعزته، شكا - وشكتْ، ارعوى - وارْعَوَتْ، وفاء - وفَاءَتْ)..

- استطاع أن يضع يدى المتلقى على الفارق الهائل بين عالمى الإنس والوحش، بين " العالم الذى يفرّ منه، والعالم الذى يفرّ إليه، عالم الإنسان الذى تستعبده عضّة الجوع ويذل عندما تختفى اللقمة من أمام عينه، فيمد يده ذليلا بدلاً من أن يمد قدمه ضارباً فى شعاب الأرض يبحث عن قوته، وعالم الحيوان ممثلا فى الذئب الخفيف الأزل الذى يتحرك بقليل من القوت تتهاداه تنائف الأرض، فتلقيه الواحدة إلى الأخرى، ولونه الأطحل يكاد يقترب به من لون الأرض ذاتها... " (٢)

---

(١) راجع تحليل القصيدة والمعادل الموضوعى.

(٢) متعة تذوق الشعر - دراسات فى النص الشعرى وقضاياه ص١٥.

ثم الفارق بين هذا العالم الذى تخذل فيه الجماعة أفرادها، والعالم الآخر الذى يغيث المستغيث، ويستجيب لندائه، ويهرع لصراخه.. أليس ذلك العالم حريًا بأن يتخذه الشنفرى أهلا، كما قال فى البداية؟!.

وهناك الكثير والكثير فى القصيدة، ذكرناه فى التحليل.

* قصـــيدة حميد بن ثور الهلالى، أعجبتنى كل الإعجاب، من خلال المباراة الرائعة بين الذئب اللحوح والمرأة البخيلة، إنه نموذج لم يسبق إليه، بل لم يلحق به..

* قصـــيدة الفرزدق النونية، التى أكرم فيها الذئب، حيث بادر بدعوته إلى الطعام، وأدناه منه، وجعل يأكل لقمة ويعطى الذئب مثلها.. ومع ذلك فلم يأمـــن غدره، وكيف يُؤْمَنُ غَدْر اللئيم؟!. ولذا كان الفرزدق مجيداً حين قال (تكشر ضاحكا)، فهى ليست ضحكة..

ويعجبنى بناء البيت الذى يقول فيه:

.... نكـــنْ مـــثلَ مَـــنْ يَـــا ذئبُ يَصْطَحِبان

فهو نسق فريد

ثم إشارته فى النهاية إلى أن الذئب والغَدْر تَوْءَمان لا ينفصلان.

* وقصيدة الراعى النميرى، وإن كانت الإشارة إلى الذئب فيها قصيرة، ولكنه لون جديد من ألوان الشعر..

* أما الطرماح، فهو شاعر وصّاف، مثل ذى الرمة، وشعره فى الذئب متفرد عن سائر الشعر، حتى فى أسماء الذئب التى استخدمها.. وفى تشبيهه الذى لم يسبقه إليه أحد، حين قال:

عَمَلَّـــسُ غَـــارَاتٍ كَـــأَنَّ مَسَـــاقَهُ قَـرَى حُنْظُـبٍ أَخْلَـى لَـهُ الجَوّ مُقْمِحِ

كَلَـونِ الغَـرِىّ الفَـرْدِ أَجْسَـدَ رَأْسَه عَــتائِرُ مَظْلُــومِ الهَـدِىّ المُذَبَّـحِ

وقال فى أخرى:

نَفجـا الذِّئـبَ بِهَـا قَالمَـا ... أَبـرَقَ اللَّـونِ أَحَـمُ اللِّـثَامْ

كَفَـرِىٍّ أَجْسَـدتْ رَأسَـهُ ... فَـرْعَ بَيْـنَ رِئَـاسٍ وَحَـامْ

فألفاظـه المستخدمه مثل (عملس غارَات – مسافه قرى حنظب – من الزلّ هِزْلاَجُ – احزألّ – سلجم اللحى – المُرْزمات – الشيْذُمَان – مسترجف الأرطى – الذئب الأحَلّ).. لم يُسبق إليها.

ووصفه للذئب متميز كذلك، فهو نسيج وحده، لم يقلد أحدا ممن سبقه.

تـأمل البيت (عَمَلّس غارَاتِ...) فقد شبه خرطوم الذئب – لما فيه من سواد – بظهر الجعل الأسود.. فأىّ دقة هذه؟!.

وجعل الذئب لكثرة افتراسه، وإصابته الفرائس، وإسالته الدم كأنه لابس دماً، أو مصبوغ رأسه بدم قد جف، فهو مثل ذلك الصنم الذى كانوا يذبحون عنده فى الجاهلية ويلطخونه بدم القرابين.

وشبه عَدْو الذئب بظلّ سحابة خفيفة تذروها الرياح.

وشبه الذئب فى إقعائه وعدم تحركه بـ (جذم مسطح)...

إنه شاعر متميز حقا.

* أما <u>قصيدة البحترى</u> فمتميزة بما فيها، من معادل موضوعى، لم ينتبه إليه كثير من الدارسين، وراحوا يتهمون الشاعر بالكذب والادعاء حين ذكر أنـه لقـى الذئب وقتله وشواه.. إلخ، وقالوا: الأمر ليس كذلك، فالحقيقة أن البحترى جبان. ونحن نقول: إنه المعادل الموضوعى.

* وقصـيدة <u>الشـريف الرضـى</u> الذى اتخذ من الذئب معادلا له تارة، وللخصوم تارة أخرى..

* * * *

القسم الثانى

معجم الذئب

الباب الأول

أسماءُ الذِّئبِ وكُنَاه وألقابه

الفصل الأول

أسماء الذئب

أسماء الذئب

- أَخْـوَس [1]، والأَخْـوَسُ هـو الجـرئ الذى لا يردّه شئ، وقال الجوهرى: هو الذى لا يهوله شئ. والأحوس: الأكول. والذئب يحوس الغنم: أى يتخللها ويفرقها. والأحوس: الذى لا يبرح مكانه أو ينال حاجته.

- أَدْغَم، قال ابن فارس [2]: "الدال والغين والميم أصلان، أحدهما من باب الألوان، والآخر دخول شئ فى مدخل ما، فالأول الدغمة فى الخيل: أن يخالف لون الوجه لون سائر الجسد، ولا يكون إلا سوادا".

والأدغم: هو أسود الأنف، وفى أمثالهم: "الذئب أدغم"، وتفسير ذلك: أنه أدغم ولَغَ أو لم يَلَغْ، فالدُّغْمَةُ لازمة له، فربما قيل قد ولغ وهو جائع. [3]

وقـال كـراع: الادّغام والاتّماغ مقلوب: أن يأكل الرجل بلا مضغ إذا خاف أن يُسبق. [4]

- أَرْسَـح [5]، وهـو قليل لحم الوركين. قال ابن فارس: والرسحاء المـرأة اللاصـقة العجـز الصغيرة الأليتين. قال السكرى: الأزل والأرسح والأرصـع والأمسـح واحد، وهو الذى أَلْيته مستوية مع ظهره. وقال ابن مـنظور: وكـل ذئب أرسح، لأنه خفيف لحم الوركين. وقيل للسمع الأزل: أرسح.

---

(١) اللسان والتاج / حوس.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢/٢٨٤، الفصول والغايات ٤١٢.

(٣) اللسان: دغم.

(٤) المنتخب / كراع النمل ٢٧٠.

(٥) مقاييس اللغة ٢/٣٩٥، اللسان والتاج / رسح، أسامى الذئب وكناه / الصاغانى ورقة ١أ، شرح أشعار الهذليين ١/١٣٤، نهاية الأرب ٩/٢٧٢.

أسماء الذئب

- أَخْــوَس [١]، والأَخْــوَسُ هــو الجــرئ الذى لا يردّه شئ، وقال الجوهرى: هو الذى لا يهوله شئ. والأحوس: الأكول. والذئب يحوس الغنم: أى يتخللها ويفرقها. والأحوس: الذى لا يبرح مكانه أو ينال حاجته.

- أَدْغَم، قال ابن فارس [٢]: "الدال والغين والميم أصلان، أحدهما من باب الألوان، والآخر دخول شئ فى مدخل ما، فالأول الدغمة فى الخيل: أن يخالف لون الوجه لون سائر الجسد، ولا يكون إلا سوادا".

والأدغم: هو أسود الأنف، وفى أمثالهم: "الذئب أدغم"، وتفسير ذلك: أنه أدغم ولَغَ أو لم يَلَغْ، فالدُغْمَةُ لازمة له، فربما قيل قد ولغ وهو جائع. [٣]

وقــال كــراع: الادّغام والاتّماغ مقلوب: أن يأكل الرجل بلا مضغ إذا خاف أن يُسبق. [٤]

- أَرْسَــح [٥]، وهــو قليل لحم الوركين. قال ابن فارس: والرسحاء المــرأة اللاصــقة العجــز الصغيرة الأليتين. قال السكرى: الأزل والأرسح والأرصــع والأمســح واحد، وهو الذى أَلْيته مستوية مع ظهره. وقال ابن مــنظور: وكــل ذئب أرسح، لأنه خفيف لحم الوركين. وقيل للسمع الأزل: أرسح.

---

(١) اللسان والتاج / حوس.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢/٢٨٤، الفصول والغايات ٤١٢.

(٣) اللسان: دغم.

(٤) المنتخب / كراع النمل ٢٧٠.

(٥) مقايــيس اللغــة ٢/٣٩٥، اللســان والتاج / رسح، أسامى الذئب وكناه / الصاغانى ورقة ١ أ، شرح أشعار الهذليين ١/١٣٤، نهاية الأرب ٩/٢٧٢.

- **أرْشَح** [1]، وهو الذى يسيل ندى العرق على جسده من الرشح.

- **أرْشَـــم** [2]، سُمى بذلك لقوة شمه، وتتبعه مواضع الطعام، قال ابن فــارس وابــن مــنظور: والأرشم الذى يتشمم الطعام ويحرص عليه، وهو الشَّرِه. قال البعيث:

وقــد ولدتْــه أمُــه وهــى ضَــيْفَةٌ ... فجَــاءتْ بيَتْــنٍ للضــيافة أرشــما

- **أرْصَـــح** [3]، والرَّصَح لغة فى الرَّسَح، وروى ابن الفرج عن أبى سعيد الضرير، قال:

الأرْصَح والأرْصَعُ والأزَلّ واحد. قال الزبيدى: والمعروف فى اللغة أن الأرصـــح والأرســـح هو الخفيف لحم الأليتين، وربما كانت الصاد بدلاً من السين.

- **أرَيْق** [4]، قال الزمخشرى: هو الذئب، وفي أمثالهم: [جاء بأمّ الرُّبَيْق على أُرَيْق].

- **أزَلّ** [5]، وهو خفيف لحم الوركين. والأزل: السريع، وقيل: الأزل: الأرسح، وقيل: هو أشد منه.

وقــال ابن الأثير: الأزلّ فى الأصل: الصغير العجز، وهو فى صفات الذئب الخفيف. وقيل: هو من قولهم: زلّ زليلاً، إذا عَدَا.

---

(1) نهاية الأرب ٢٧١/٩.

(2) مقاييس اللغة ٣٩٦/٢، اللسان/ رشم، الحيوان ٢٥٧/١، أدب الكاتب ١٦٣

(3) اللسان والتاج / رصح.

(4) المستقصى ٤١/٢، واللسان/أرق، مجمع الأمثال ١٦٩/١ برقم ٨٨٨، وسيأتي المثل.

(5) اللســـان/ زلل، نهاية الأرب ٢٧٢/٩. قال ابن منظور: وخصّ الدامية، لأن من طبع الذئب محبة الدم، حتى إنه يري ذئبا دامياً فيثب عليه ليأكله.

قال الشنفرى: (١)

وَأغــدُو علَــى القُوتِ الزْهِيدِ كَمَا غدَا   أزَلُّ تَهَـــادَاهُ التَّـــنَائِفُ أطْحَـــلُ

وسِمْع أزل: بين الضبع والذئب.

- أُشْبَة (٢)، وهو الشرير، من أشبه بشرّ، إذا رماه بعلامة من الشر.

- أصْــرَم (٣)، والصَّــرماء: الأرض التى لا ماء بها، والأصرمان: الذئــب والغــراب، لانصرامهما وانقطاعهما عن الناس. وهما للّيل والنهار كذلك، قال المرّار:

علــى صَــرْمَاءَ فــيها أصْــرمَاها   وَخِرِّيــتُ الفَــلاَةِ بِهَــا مَلِــيلُ

- أصْــمَع (٤)، وهــو الذكــيّ القلــب، والمتوقد الفطن، قال كراع: والتّصــمّع: الــتلطخ بــالدم، والأصمع: السيف القاطع، والأصمع: الصغير الأذن، والأصمع: السادر الذى يركب رأسه ويمضى غير مكترث.

- أطْحَــل (٥)، والطُّحلَــة: لون بين الغُبْرة والبياض بسواد قليل كلون الــرماد. قــال كــراع: والأطحــل: لون الرماد. ويقال: ذئب أطحل، وشاة طحلاء. [وانظر بيت الشنفرى السابق فى أزل].

- أطْلَح (٦)، والطلاح نقيض الصلاح.

---

(١) سبق في اللامية.

(٢) اللسان والتاج / شب، نهاية الأرب ٢٧١/٩.

(٣) اللسان / صرم، الفصوص ٤٩/٣، أدب الكاتب ٤٢.

(٤) المنتخب ٧٨، والكنز المدفون ١٥٤.

(٥) اللسان / طحل، المنتخب ٣٠٤، أسامى الذئب وكناه ١ ب.

(٦) الكنز المدفون ٥٤.

– **أَطْلَس** [1]، والأنثى طلساء، والأطلس: هو الذى فى لونه غبرة إلى السواد، وقال الأصمعى: الطُّلْسَةُ دَبْسَةٌ فى غبرة كلون الثوب الأسود الشديد الوسخ.

وقيل: الأطلس هو الخبيث من الذئاب، قال الفرزدق: [2]

وأَطْلَسَ عَسَّالٍ ومَا كَانَ صَاحبًا … دَعَوتُ لِنَارِى مَوْهِنًا فَأَتَانى

وقال ذو الرمة: [3]

وَرَدْتُهُ قَبلَ القَطَا الأَرْسَالِ … وقَبلَ وِردِ الأَطْلَسِ العَسَّالِ

– **أَعْرَج** [4]، قال الشاعر:

يَحوشُهَا الأَعْرَجُ حَوشَ الجِلَّةِ
مِنْ كُلِّ حَمْرَاءَ كَلَونِ الكِلَّةِ

قال ابن منظور: الأعرج ههنا ذئب معروف.

– **أَعْقَد** [5]، وهو الذى يعقد طرف ذنبه، وكل ذئب أعقد. وقيل: الذئب الأعقد أى المعوجّ.

– **أَغْبَس** [6]، قيل: هو الخفيف الحريص، وقيل: الغُبْسَةُ لون الرماد، وكل ذئب أغبس، وفى حديث الأعشى:

---

(1) المنتخب ١٠٥، اللسان والتاج / طلس، الوحوش للأصمعى ٩٥، نظام الغريب ٢١٣، حماسة التبريزى ١٧٣/٢.

(2) ديوانه ٣٢٩/٢ دار صادر.

(3) ديوانه ٢٨٦ بتحقيق د./ أبو صالح. الأرسال: الجماعات، واحدها رَسَل.

(4) اللسان / حوش ٢٩٠/٦ دار صادر.

(5) اللسان / عقد، أسامى الذئب وكناه ١/أ.

(6) المنتخب ١٠٥، اللسان والتاج / غبس، المخصص ٧٦/٨، الفصول والغايات ٣٥٢، حدائق الأدب ١٦٣.

كالذِّئْـبَةِ الغَبْسَـاء فـى ظِـلِّ السَّرَبْ

وقال ذو الرمة: (1)

فـى صَحْنِ يَهْمَاءَ تَهْوى الخامِعَاتُ بها   مِـنْ قِلَّـةِ الكَسْـبِ لِلْغُـبْسِ المَغَاوِيرِ

- أَقْـزَل (2)، وهـو الذى يمشى مشية فيها عرج، وقيل: هو الدقيق الساقين، قال كراع: وقَزَلَ يَقْزِلُ قَزَلاً: وهو مشية المقطوع الرجل. ويقال: القَزَل أسوأ العرج. وقال ابن الأعرابى: لا يكون أقزل حتى يجمع بين العرج ودقة الساقين.

- إِلْس (3)، وهو الغادر قال كراع: والأَلْس: الخيانة [راجع: الولاّس].

- إِلْـق، وإِلْقَة (4)، والجمع إِلَقٌ. وقال الجاحظ: لا يقال إلق. والإلق: هـو الجـرئ الخبيث سئ الخلق. قال ابن الأعرابى: يقال للذئب سِلْقٌ وإِلْقٌ وقال الليث: الإِلْقَةُ توصف بها السعلاة والذئبة والمرأة الجريئة، لخبثهن.

- أمْـرَط (5)، وهو الذى أسنّ فتمرط شعره، أى وقع ، وهو أخبث ما يكون، والأمرط - كما فى الصحاح -: اللص على التشبيه بالذئب.

قال الأصمعى: العمروط اللص، ومثله الأمرط، قال أبو منصور: أصله الذئـب يـتمرط مـن شعره... وقال الزبيدى: المَرْطُ: نَتْف الشعر والريش والصـوف عـن الجسد. ومَرَطَ يَمْرُط مُرُوطًا ومَرْطًا: أسرع. وقال الليث:

---

(1) ديوانـه ١٨١٨. يَهْمَاء: فلاة يتاه فيها. الخامعات: الضباع. الغبس: الذئاب. المغاوير: الذين يكثرون الغارات.

(2) المنتخب ٣١٥، اللسان والتاج / قزل.

(3) المنتخب ٣٦٦.

(4) المنتخب ١٢٦، اللسان والتاج والأساس / ألق، الحيوان ٢٨٦/٢.

(5) اللسان والتاج والصحاح / مرط، أسامى الذئب وكناه ١/ب، شرح أشعار الهذليين ١٠٨٥.

المــروط ســرعة المشــي والعــدو. والأمرط: الذئب المنتتف الشعر، قال الراجز:[1]

صــبٌ علــى شَــاءِ أبــى ربــاطِ ذُؤالــــة كــــالأَقْدُحِ المــــراط

يدنو إذا قيل له: يَعَاطِ

وقال أبوكبير الهذلي:

إلا عَوَابِـــسَ كالمِـــرَاط مُعِـــيدةً باللَّـــيْلِ مَـــوْرِدَ أَيِّـــمٍ مُتَغَضِّـــفِ

والرجل الأمرط: الذى لا شعر على جسده وصدره إلا القليل، فإذا ذهب كله فهو أملط.

- **أمْرَق** [2]، وهو مثل الأمرط، أى تساقط شعره، وربما سمى بذلك، لأنه يمرق كالسهم. والمُرْق: الذئاب الممعطة.

- **أمْسَــح** [3]، وهو الذئب الأزل، كذا قال ابن منظور، وقال: الأمسح الأرســح. وقــال الزبــيدى: الأمسح الذئب الأزل المسرع، قيل: وبه سمى المسيح الدجال، لخبثه وسرعة سيره ووثوبه.

- **أمْعَــط** [4]، قيل: هو الطويل على وجه الأرض، والطويل الأقراب، وقــيل: هو الذى يكثر عليه الذباب فيتأذى فينتتف. قال الأصمعى: والأمعط مثل الأمرط. وقال ابن منظور: ذئب أمعط أى قليل الشعر، وهو الذى تساقط عنه شعره.. ولص أمعط: شبه بالذئب لخبثه. والمَعْط: الجذب. قال الزبيدى:

(١) نظام الغريب ٢١٣.

(٢) اللسان / مرق، أسامى الذئب وكناه ١/ب.

(٣) اللسان والتاج / مسح.

(٤) اللسان والتاج والصحاح / معط، أسامى الذئب وكناه ١/ب، الوحوش للأصمعى ٩٥.

والمَعْطَـــاء: الذئـــبة الخبيثة... وفى الحديث قالت له عائشة: لو آخذت ذات الذنب منا بذنبها! قال إذاً أدعها كأنها شاة معطاء، هى التى سقط صوفها.

– **أمْقَط** (١)، وهو الشديد، ومقط يمقُطُ مُقُوطًا، أى هُزِل هُزَالا شديدا.

– **أورق** (٢)، وهـــو الذى يضرب لونه إلى الخضرة. قال ابن منظور: وشبهت العرب لون الذئب بلون دخان الرِّمث، لأن الذئب أورق، قال رؤبة:

فَـــلاَ تكونـــى يـــا ابـــنَةَ الأشَـــمِّ   ورَقَـــاءَ دَمَّـــى ذئـــبَها المُدَمِّـــى

والورقاء: الذئبة، قال الشاعر:

إنّـــى رَأيْـــتُكِ كالوَرَقَـــاء يوحشـــها   بُعْـــد الألـــيف وتغشـــاه إذا نحـــرا

– **أوس** (٣)، قـــال ابـــن جنى: سمى أوسا، إما تفاؤلاً له، وإما إخبارًا عـــنه، وذلـــك لأن الأوس: العطية، فكأنه يُعطَى الرزق لكسبه واحترافه، أو يعطـــيه هـــو عـــياله وأولاده يقـــال: أُسْـــتُ الرجل أوْسًا: إذا أعطيته. قال الكميت:(٤)

كَمَـــا خَامَـــرَتْ فـــى حِضْنِها أُمُّ عامرٍ   لـــدى الحـــبل حـــتى عَالَ أوْسٌ عِيَالَها

– **أوَيْس** (٥)، وهو تصغير أوس، قال كعب: (٦)

مـــالِىَ مـــنها إذَا مَـــا أزْمَـــةٌ أزَمَـــتْ   ومـــنْ أوَيْـــسٍ إذَا مـــا أنْفُـــهُ رَثِمـــا

---

(١) الكنز المدفون ١٥٤.

(٢) اللسان والتاج / ورق، المستقصى ١/٣٠٠.

(٣) المنتخب ١٠٥، ٦٦٨، الوحوش ٩٤، اللسان والتاج / أوس، مقاييس اللغة ١/١٥٦، نظام الغريب ٢١٣، نهاية الأرب ٩/٢٧٠، حياة الحيوان ١/٣٥٩، الفصول والغايات ٤١٢، وفيه [فى حجرها] بدلا من [فى حضنها]، أدب الكاتب ٧٠، ٧١

(٤) اللسان والتاج.

(٥) المصادر السابقة.

(٦) ديوانه ٢٢٤.

وقال الشاعر الهذلى: (١)

يـا ليـت شـعرى عـنك والأمْرُ أَمَم ... مـا فَعَـلَ الْـيَوْمَ أُوَيْـسٌ بالغـنم

- الـبَخَّاق (٢)، والبَخَق: العَوَر، وقال ابن منظور: هو أقبح ما يكون من العَوَر وأكثره غَمصًا.

- البُلْبَال (٣)، وهى الذئاب الممعطة.

- البُلَع (٤)، وهو الكثير الأكل، قيل: سمى بذلك لأنه يبلع الطعام دون مضغ.

- تينان (٥) قال الأخطل:

يَعْتَفُـنَهُ عِـنْدَ تِيـنَانٍ يِدِمِّنَـتِه ... بَـادِى العُـوَاءِ ضَئِيلِ الشَّخْص مكتسب

طَـاوٍ كـأنَّ دُخَـانَ الرِّمْـثِ خَالَطَـه ... بَـادِى السُّـغاب طَوِيـلِ الفَقْـرِ مُكْتَئِب

قـال السكرى: التينان ههنا الذئب. قال: وجاء الأخطل بحرفين لم يجئ بهما أحد غيره: التينان والعَيْثُوم، وهو الفيل الأنثى فى قوله:

ومُلَحَّـب خَضِـلِ الثّـيَابِ كَأَنَّمَـا ... وَطِئَـتْ عَلَـيْهِ بِخُفِّهَـا العَيْـثُوم

- التِّيْن (٦)، وهو مثل التينان.

---

(١) حياة الحيوان ٣٥٩/١.

(٢) اللسان / بخق، وأسامى الذئب وكناه ١/ب.

(٣) التاج: بلل.

(٤) اللسان / هلع، أسامى الذئب وكناه ١/ب.

(٥) اللسـان / تين، أسامى الذئب وكناه ١/ب. التنبيه على حدوث التصحيف ٤٢٦. ديوان الأخطل صنعة السـكرى - تحقـيق د./ فخـر الديـن قباوة ٢٤٩/١ - دار الأصمعى - حلب. وشرح ديوانه / إيليا الحاوى ٢٨٦.

(٦) أسامى الذئب وكناه ١/ب.

- **ثِلْـب** [1]، ورجـل ثِلْـب: منتهى الهرم، والثلب: الشيخ، وقال ابن الأعرابى، هو المسنّ ويبدو أن الكميت انفرد به حين قال:

لقيـنا بهـا ثلـبا ضـريرا كأنـه ... إلـى كُـلِّ مَـنْ لاقَى من النّاسِ مُذْنبُ

وقد ذكر كراع الثلب ضمن أسماء الإبل فقال: فإذا انكَسَرَتْ أسنانه فهو ثلب، والأنثى ثلبة.

- **جُـرْمُوز** [2]، وهوخاص بولد الذئب. قال الزبيدى: الجرموز الذكر من أولاد الذئب، نقله الصاغانى هكذا.

- **جَعْـدة** [3]، وهو خاص بأنثى الذئب، وأشهر منه الكنية (أبو جعدة) قـال ابن منظور والزبيدى: إنه ليس للذئب بنت تسمى " جعدة "، وإنما كنى بذلك وبأبى جعادة، وليس على الحقيقة، قال الكميت يصفه:

ومُسْـتَطْعِمٍ يُكْـنَى بغَـيْرِ بَـنَاتِه ... جَعَلْـتُ لَـهُ حَظًّـا مـن الـزّاد أوْفَرَا

قـال الزبيدى: وإنما كنى بذلك من البخل، لقولهم: فلان جعد اليدين إذا كان بخيلا. وقال ابن سيده: للؤمه،لأن الجعد اللئيم.

- **جَهِيزَة** [4]، وهو خاص بأنثاه أيضا، يقال: أحمق من جهيزة، وذلك إذ تدع ولدها وترضع ولد الضبع.

- **جوّاب الفلاة** [5]، قال الأخطل:

---

(١) اللسـان / ثلب. ديوان الكميت / الجزء الأول – القسم الأول ق ٨٦/١ جمع وتقديم د./ داود سلوم – مكتبة الأندلس – بغداد – ١٩٦٩.

(٢) التاج / جرمز، نهاية الأرب ٢٧١/٩.

(٣) اللسان والصحاح والتاج / جعد، نهاية الأرب ٢٧١/٩.

(٤) المنتخب ١٢٦، التاج / جهز، الحيوان ١٩٧/١، نهاية الأرب ٢١٧/٩.

(٥) شرح ديوان الأخطل ١٣١.

إذا مُعْجَــلٌ غادَرْتَــهُ عــنْدَ مَــنْزِلٍ أُتِــيحَ لجــوّابِ الفَــلاةِ كَسُــوبِ

- **الجانى** [١].

- **الحطِل** [٢]، وجمعه أحطال.

- **خُـرْت** [٣]، قــال كراع وابن منظور: وذئب خُرْت: سريع. وقال كراع: يقال انخرت الكلب والذئب انخراتاً: مشى مسرعا.

- **الخليع** [٤] لأنه يُشْبهه، كما قال امرؤ القيس:

.... بــه الذئــبُ يَعْــوى كالخلــيع المعَيَّل

وقال أبو العلاء البغدادى: الخليع من أسماء الغول.

- **خِمْــع** [٥]، وجمعــه أخماع، ومنه قيل للص: خمع. وذو الإخماع: الذئب، وربما سمى بذلك لأنه يتراءى أن به عَرَجًا.

وقال الشاعر: [٦]

سَـوفَ تَـرى القُصُـورَ وهـى بَلْقَعُ وكُـلُّ رَبْـعٍ فـيه سِـمْعٌ يَخْمَـعُ

قــال الصــغانى: والسمع: ولد الذئب من الضبع. وخمع فى مشيته أى ظلع.

- **خَوْعَل** [٧].

---

(١) اللسان: جنى.

(٢) اللسان والتاج / حطل.

(٣) المنتخب ٢٢٦، ٢٢٧، ٥٨٢.

(٤) التاج واللسان / خلع، الفصوص ٣/١٦٤.

(٥) المنتخب ١٠٥، اللسان والتاج / خمع، المخصص ٨/٦٦، ٦٧.

(٦) المرتجل فى شرح القلادة السمطية ١٩٧.

(٧) اللسان / خعل.

– **خَوْلَع** [1]، والخولعة: الاختباء من ريبة. والخَوْلَع: الهبيد حين يُهْبَد حتى يخرج دسمه، والهبيد: الحنظل. والخولع: فرع يبقى فى الفؤاد، يكاد يعترى منه الوسواس.

– **خَيْتَعُور** [2]، سمى بذلك لخبثه، والخيتعور: كل ما لا يدوم على حالة واحدة، ويتلون، ولا عهد له ولا وفاء.

– **خَيْعَل** [3].

– **خَيْلَع** [4]، قال ابن منظور: والخيلع من الثياب والذئاب لغة فى الخيعل.

– **خاطف** [5]، لأنه يخطف، والذئب الخاطف الذى يختطف الفريسة، وفى الحديث: أن النبى ﷺ نهى عن المجثمة والخطفى، وهى ما اختطف الذئب من أعضاء الشاة وهى حية. قال الشريف الرضى يصف ذئبا: [6]

لَـهُ خطفـةٌ حَـذَّاءُ مـن كُـلِّ ثُلَّـةٍ   كَنَشْـطَةِ أَقْـنى يَـنْفُضُ الطَّـلَّ وَاقِـعِ

– **خَيْهَفْعَى** [7]، وهو ابن الكلب من الذئبة، حكى الأزهرى عن أبى تراب قال: سمعت أعرابيا من بنى تميم يكنى " أبا الخَيْهَفْعَى "، وسألته عن

---

(1) نفسه / خلع، المخصص ٣/١٦٥.

(2) المنتخب ١٠٥، اللسان / ختعر، المخصص ٨/٦٧، حماسة أبى تمام / التبريزى ٢/١٧٣. نهاية الأرب ٩/٢٧٠.

(3) المنتخب ١٠٥، اللسان / خعل، نهاية الأرب ٩/٢٧٠.

(4) اللسان / خلع، ونهاية الأرب ٩/٢٧٠.

(5) اللسان / خطف، نهاية الأرب ٩/٢٧١، حياة الحيوان ١/٣٥٩.

(6) من القصيدة التى حللناها.

(7) اللسان / خهفع.

تفســـير كنْيَته فقال: يقال: إذا وقع الذئب على الكلبة جاءت بالسِّمع، وإذا وقع الكلب على الذئبة جاءت بالخَيْهَفْعَى.

– **دُؤَال، ودَألان، ودُؤَالَة** [1]، ودأل الذئب يَدْأل ويَدْأل، أى يعجل فى عَدْوه ويخف، قال الطرماح: [2]

تأوّبَـنى فـيهَا عَلَـى غَـيْرِ مَوْعِـدِ أخُـو قَفْـرَةٍ يَضْـحَى بهـا ويَجُـوعُ
فَقُلْــتُ: تَعَلَّــمْ يــا دُؤالُ ولا تَخُــنْ وَلاَ تَتَخَــنعْ بالليـلِ وَهْــوَ خَــنُوعُ

– **دَرْص** [3]، وهو ولد الكلبة والذئبة والهرة والجرو واليربوع والقنفد ونحوها.

– **دَرْوان** [4]، ولد الضبعان من الذئبة.

– **دَعْلَــج** [5]، والدَّعْلَجَــةُ: الــتَّردُّد فى الذهاب والمجئ، والأكل بَنهَمٍ أيضاً، والدلعجة: ضرب من المشى.

– **دَلْهم** [6]، وهو الأسود.

– **دَوْبَــل** [7]، وهو الذئب الهرم، قال كراع: وممن لقب من الشعراء الأخطل، كان يلقب بدَوْبل، وهو اسم للذئب، وفيه يقول جرير: [8]

---

(١) اللسان / دأل، أساس البلاغة / دأل، أسامى الذئب وكناه ١/ب.

(٢) ديوانه ٣٠٧.

(٣) اللسان / درص، وأدب الكاتب ١٥٥. ورفع الحجب المستورة ٢/١٥٣

(٤) اللسان / درى، والتاج / درو، المنتخب ١٣٣ .

(٥) اللسان والتاج / دعلج.

(٦) أسامى الذئب وكناه ١/ب.

(٧) اللسان والتاج / دبل، المنتخب ١٠٥، الحيوان ٦/٣٢٢.

(٨) ديوانـــه ٣٤٣ ط دار الكتـــب العلمـــية بـــيروت – شرح مهدى محمد ناصر الدين ط ثانية ١٩٩٢، والمنتخب ٧٥٤.

بكَـــى دَوْبَـــلٌ لاَ يُـــرقِىءُ اللهُ دَمْعَـــه   ألاَ إنمــا يَـــبكى مـــن الـــذُلِّ دَوْبَـــلُ

- **دُوَيْل** [1]، الذئب الهرم، وقيل: الخبيث الشرير.

- **دَيْسَـــم** [2]، وهو ولد الذئب من الكلبة، وقال كراع: الدَّيْسَم ولدٌ يقع بين الثعلب أو الذئب والكلبة،قال بشار فى ديسم العنزى: [3]

أدَيْسَـمُ يـا ابْنَ الذِّئْبِ مِنْ نَسْلِ زَارِعٍ   أتَـرْوِى هِجَـائى سَـادِراً غَيْرَ مُقْصِرِ

فــزارع: اسم الكلب. وقيل: ديسم ولد الكلبة من الذئب. والدُسْمَة غُبرة تضرب إلى ظلمة. وقال ابن قتيبة: الدَّيْسَمُ ولد الدّب.

- **ذئـــب وذيب** [4]، وهما أشهر الأسماء، وقد تحدثنا عنهما. ويجمع على ذئاب، أما قول الشاعر:

أمْسَـوْا كَمَذْعـورة الأرْوَى إذْ فَزَعَها   عُـرْجُ الضِّـبَاع تُـبَارِى الأُسْدَ والذِّئَبَا

فقد قال أبوزيد [5]: جمع ذيباً على ذِئَب، قال أبوالحسن: فِعَل وفِعَل يقل جــداً فـــى الكلام، ولا أعلمه محفوظا، وهو عندى جمع ذئبة، كقولك قِطْعة وقِطَع، وسِدْرَة وسِدَر، وهذا مطرد معروف.

- **ذَألاَن، وذَألاَنـــة، وذُؤالـــة، وذؤال** - وهو ترخيم ذؤالة - [6]: وسمى بذلك لأنه يذال فى مشيته، وهى المشية الخفيفة، قال امرؤ القيس:[7]

---

(1) المنتخب ١٠٥، التاج / دبل، الدرة الفاخرة ٢٢٧/١.

(2) المنتخب ١٣٣، اللسان / دسم، الدرة الفاخرة ٢٢٧/١، الحيوان ١٨٣/١، أدب الكاتب ١٥٥.

(3) ديوانه / ملحقات الديوان ٥٢/٤.

(4) راجع مبحث اللغة والذئب.

(5) النوادر ١٨٤.

(6) اللســان والــتاج / ذأب، نظـــام الغريب ٢١٣، نهاية الأرب ٢٧٠/٩، حياة الحيوان ٣٥٩/١. وأدب الكاتب ٧١ .

(7) ديوانه ٣٠٣، الوحوش للأصمعى ٩٤، ديوان الهذليين ٩٦/٣، حماسة التبريزى ١٧٣/٢.

أهوَيْتُ سَوطى له لمّا بَرزْتُ به فخَرَّ فَوقَ أتِىِّ الحَوضِ يضطرب
فى نَفْنَفٍ طَامِسِ الأعْلامِ لَيْس به إلاّ ذُؤالةُ طَاوٍ كَشْحُهُ جُنُبُ

وقال أسماء بن خارجة: (١)

لى كل يوم من ذُؤَالَة ضِغْثٌ يزيدُ على أبالة

وقال رؤبة: (٢)

فارطنى ذَألانُه وسَمْسَمُه

قال الزمخشرى: وفى أمثالهم " خَشَّ ذُؤَالَةُ بالحِبَالَة " هو علم للذئب، من ذأل ذألانا، إذا عدا.

– **الذِّيخ** (٣)، – بكسر الذال – وهو الجرئ، فى لسان خولان.

– **رئبال، وريبال** (٤)، وهما من أسماء الأسد والذئب، ومعناهما الخبيث. والرَّأبَلَةُ: أن يمشى الرجل متكفئاً فى جَنْبَيْه كأنه يتوخى.

– **سِبْد، وسِبْدَاوة** (٥)، وهى أنثاه، قال المعذَّل بن عبدالله:

من الشحِّ جَوّالاً كأنَّ غُلاَمَهُ يُصَرِّفُ سِبْداً فى العِنَان عمرَّدا

(ويروى: سيدا)

– **سَبَنْتَى** (٦)، قال الأخطل يصف جريرا: (٧)

(١) اللسان / ذأل، ونسب البيت ضمن ثلاثة أبيات للكميت / ديوانه / الجزء الثالث / القسم الثانى ص٣٤ برقم ٧١٩.

(٢) ديوانه ٥٠، المذكر والمؤنث ٨٦، الوحوش للأصمعى ٩٥.

(٣) التاج / ذيخ، أسامى الذئب وكناه ١/أ.

(٤) اللسان / رأبل، التاج، ربل، نهاية الأرب ٩/٢٧٠.

(٥) المنتخب ١٠٥، القاموس والتاج / سبد، أسامى الذئب وكناه ١/ب.

(٦) التاج / سبد، نظام الغريب ٢١٣.

(٧) شرح ديوان الأخطل ٦٧٠.

عَبُوسٌ إلى شمط الرِّجال، وإنَّهُ ... إلى كُلِّ صَفْرَاءِ البَنَانِ طليق
سبنتى يَظَلُّ الكلب يَمْضُغُ ثوبَه ... له فى مَعَانِ الغانيات طريق

يقول: هو كالذئب فى الاقتحام على النساء، ولكنه لشدة ملازمته لهن فإن كلاب بيوتهن تدنو منه وتكاد أن تمضغ طرف ثوبه، فهو لا يزال يطرق مخادع الريبة.

على أن هذا الاسم فى الأسد أشهر، قالت الخنساء ترثى صخرا:

مَشْيَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجَاءَ مُعْضِلَةٍ ... لَهُ سِلاَحَانِ: أنْيَابٌ وأظْفَارُ

ويطلق كذلك على النمر.

- **سِرْحَال** [1]، وهو لغة فى السِّرحان، قال يعقوب: هو على البدل، وأنشد:

تَرى رَذَايا الكُوم فَوقَ الخَالِ
عيداً لِكُلِّ شَنِيهِم طِمْلالِ
والأعْوَرِ العَيْنِ مع السِّرحال

- **سِرْحَان** [2] قال ابن فارس: السين والراء والحاء أصل مطرد، وهو يدل على الانطلاق، ومن الباب السِّرحان: الذئب، سمى به لأنه ينسرح فى مطالبه. قال ابن منظور: والسِّرحان: الذئب، والجمع سَرَاح، وسراحين، وسراحى.

والسِّرحان: الأسد فى لغة هذيل، ولكنه فى الذئب أشهر، وقد ورد فى الشعر كثيراً، قال أبوالمثلم يرثى صخر الغى:

---

(١) اللسان والتاج، سرح.

(٢) المنتخب ١٠٥، اللسان والتاج ومقاييس اللغة / سرح، المخصص ٦٦/٨ نهاية الأرب ٢٧٠/٩، حماسة أبى تمام / التبريزى ١٧٣/٢، حياة الحيوان ٣٥٩/١، نظام الغريب ١٣.

هَـبّاطُ أوْدِيَـةٍ، حَمَّـالُ ألْوِيَـةٍ شَـهَّادُ أنْدِيَـةٍ، سِـرْحَانُ فِتْـيَانِ

وقال امرؤ القيس يصف فرسه فى المعلقة:[1]

لَـهُ أيْطَـلاَ ظَـبْيٍ، وَسَـاقَا نَعامَـةٍ وإرخَـاءُ سِـرْحَانٍ وتَقْرِيـبُ تَـتْفُلِ

وقال عمرو بن معد يكرب: [2]

فَكَـمْ مِـن غَـائطٍ مِـنْ دون سَـلْمى قَلِـيلِ الأُنْـسِ لَـيْسَ بِـه كَتِـيعُ

بِـه السِّـرْحَانُ مفْتَرِشًـا يَدَيْـه كَـأنَّ بَـيَاضَ لَبـتِهِ الصَّـدِيعُ

وقال المتنحل الهذلى: [3]

ومَـاءٍ قَـدْ وَرَدْتُ أُمَـيْمَ طَـامٍ عَلَـى أرْجَائِـهِ زَجَـلُ القَطَـاطِ

فَبِـتُّ أُنَهْـنِهُ السِّـرحانَ عَـنْه كِلاَنَـا وَارِدٌ حَـرَّانُ قَـاطِى

- سُغْسُـغ [4]، هـو الكبير الهرم، والمسنّ المضطرب، حكاه يعقوب وأنشد:

والسُّغْسُـغُ الأطْلَـسُ فـى حَلْقِـه عِكْرِشَـةٌ تَنْـشِقُ فـى اللَّهْـزِمِ

وأراد (تنعق) فأبدل.

- سَلْعَم وسَلْعَام [5]، وهو الذئب دقيق الخطم طويله.

- سَـلَّغْد، أو سِلَّغْدّ [6] ورجل سِلَغْد: لئيم، والسَّلَّغْد: الأحمق، ويقال: الذئب، قال الكميت يهجو بعض الولاة:

---

(1) الديوان ٢١ / تحقيق أبى الفضل - دار المعارف - الثالثة.

(2) شعر عمرو بن معديكرب ١٣٣ تحقيق مطاع الطرابيشى - دمشق ١٩٧٤ م. الغائط: المطمئن من الأرض الواسع. كتيع: أحد. الصديع: الصبح.

(3) جمهرة أشعار العرب ٢٣٢.

(4) اللسان والتاج / سغغ.

(5) المثنى فى الكنى ٢٣٧، أسامى الذئب وكناه ١/ب.

(6) أسامى الذئب وكناه ١/أ، اللسان / سلغد، الصحاح.

ولايـــةُ ســـلْغد ألَـــفُ كأنّـــهُ ... مـــن الـــرَّهَق المَخْلُـــوط بالـــنُّوق أثْوَلُ

يقول: كأنه من حمقه وما يتناوله من الخمر تيس مجنون. [1]

- سلْق [2]، والأنثى سلْقة، والجمع سِلَقٌ وسِلْقَان، قال رؤبة: [3]:

سِـــلْقٌ خلـــيل ســـلْقة طـــلاَّس

لا يَسْنـــأمُ العِـــرْسُ مـــن الإفْـــلاس

وقال أبوكبير: [4]

أخْرَجْـــتُ مـــنْهَا سِـــلْقَةً مَهْـــزُولَةً ... عَجْفَـــاءَ يَـــبْرُقُ نَابُهـــا كـــالمِغْوَل

فَزَجَـــرْتَها فَتَلَفَّتَـــتْ إذْ رُعْـــتُها ... كَتَلَفُّـــتِ الغَضْـــبَانِ سُـــبَّ الأَقْـــبَل

وقال آخر – وهو دكين – [5]

فصـــبحته سِـــلَقٌ تُـــبَرْبِسُ ... تهـــتك خـــل الحلـــق الملســـلس

فسِـلَقٌ جمـــع سِلْقَة وهى الذئبة، ويقال إذا مرّ مرًّا خفيفا: مرّ يَتَبَرْبَسُ. والخلّ: الطريق فى الرمل. والحلق: حلق من الرمل تعقد. وأراد بالملسلس: المسلسل. فقلب.

- **سلْقمة، وسلقامة** [6]، وهى الذئبة الطويلة الخطم.

---

(١) اللسان / سلغد.

(٢) المنتخب ١٢٦، الوحوش ٩٤، ٩٥، المخصص ٨/٦٦، نظام الغريب ٢١٣، حياة الحيوان ١/٣٥٩، وأدب الكاتب ١٠٤ مؤسسة الرسالة.

(٣) ديوان رؤبة ١٩٠.

(٤) شـــرح أشـــعار الهذليين ٣/١٠٧٧، نظام الغريب ٢١٣، وفيه (كالمغول) قال: وهى السكين تكون فى جوف السوط.

(٥) نهاية الأرب ١/٢٧٠.

(٦) اللسان / سلقم، أسامى الذئب وكناه ١/ب.

– سلَمَّع [1]، ويوصف به الخبيث من الذئاب والكلاب، قال الزبيدى: وهو مقلوب سملّع.

– سَمْسَم وسمْسَام وسمسمة [2]، قال أبوسعيد: يقال ذئب سمسام، وهو الخفيف اللطيف، ومن ذا قيل: ابن سمسمانى، قال رؤبة:

فَارَطَـــنى ذَألاَنُـــهُ وَسَمْسَـــمُهْ

وقـيل: السمسم الذئب الصغير الجسم، وقيل: الصغير الرأس، وقال أبو العـلاء الـبغدادى نقلا عن الأصمعى: السُّمْسُمَانىُّ: الخفيف السريع وكذلك السمسام والأنثى سَمْسَامة.

– سِمْع [3]، وهو ولد يقع بين الذئب والضبع، فيجمع خبث الذئب وقوة الضبع، قال ابن منظور: وسِمْع أزل، من الضبع والذئب، قال تأبط شرا: [4]

مُسْـــبِلٌ بـــالحىِّ أَحْـــوَى رِفَـــلٌ ... وإذا يَغْـــــدُو فَسِـــــمْعٌ أَزَلٌّ

وإنما قال " أزل " وجعله عادياً، ووصفه بذلك لأنه ابن ذئب.

---

(١) اللسان والتاج / سلمع، الحماسة ١٧٤٩ تحقيق هارون وأحمد أمين.

(٢) اللسان / سمم، سمسم، الفصول والغايات ٤١٤، حياة الحيوان ٣٥٩/١، الفصوص ٣٣٠/١.

(٣) المنتخـب ١٣٣، اللسـان والتاج / سمع، زلل، فقه اللغة ٩٥، الحيوان ١٨١/١، المرتجل فى شرح القلادة السمطية ١٩٧. أدب الكاتب ١٥٥

(٤) ديوانـه ٢٤٩ جمع وتحقيق على ذو الفقار شاكر (المختلط النسبة مما ليس من شعره ونسب إليه)، وهـو فى الحماسة لتأبط شرا – التبريزى ١٦٢/٢ – ط عالم الكتب – بيروت. والقصيدة أثبت نسبتها إلـى تـأبط شـرا العلامة محمود شاكر فى كتابه: نمط صعب ونمط مخيف – ط دار المدنى – جدة – ١٩٩٦.

و(يعـدو) هـنا ليسـت مـن العَدْو، وهو الجرى، كما يسرع ذلك إلى أوهامـنا، بـل هى من قولهم (عدا على الشىء) اختلسه واختطفه فسادا فى الأرض وظلما (١)

وقال آخر:

تَلْقَـى بهَـا السِّـمْع الأزَلَّ الأطْلَسَـا

والسمع أسرع من الريح والطير، قال سهم بن حنظلة، واصفاً فرسه:(٢)

فـاغضِ العَوَاذِلَ وارْمِ اللَّيْلَ فى عُرُضٍ   بـذى شَـبيبٍ يُقَاسِـى لَـيْلَه خَبَـبا
كالسِّـمع لـم يَنْقُـبِ البَـيْطَارُ سُرَّتَه   ولَـمْ يَدِجْـه ولـم يَغْمِـزْ له عَصَـبَا

- سَمَعْمَع (٣)، وهو الخفيف السريع، والأنثى سمعمعة.
- سَمَلَّع (٤)، وهو الذئب الخفيف، ومثله الهَمَلَّع.
- سُمَيْدع (٥)، وذلك لسرعته ويطلق على الأسد أيضا.
- سِـنْدَأْوَة (٦)، وهى الذئبة الجريئة، وقد يطلق على النمرة، والرجل السِّنْدَأْو: عظيم الرأس. ورجل سِنْدَأْوٌ: خفيف.
- سِنْدان (٧)، وهو العظيم الشديد من الذئاب.
- سِـنط (٨). والسِّناط والسُّناط والسُّنُوط: الذى لا لحية له، وقيل: هو الذى لا شعر فى وجهه ألبتة.

---

(١) السابق ١٦٣
(٢) الأصمعيات ٥٤، فقه اللغة ٩٥، الحيوان ١٨١/١، ١٨٢.
(٣) اللسان والتاج / سمع.
(٤) اللسان والتاج / سملع، حماسة أبى تمام / التبريزى ١٧٣/٢.
(٥) التاج / سميدع، أسامى الذئب وكناه ١/ب.
(٦) المنتحب ١٢٦، ١٨٨، ٢١٥، ٦٩٥، اللسان والتاج / سندأ، المخصص ٧٨/٢.
(٧) التاج / سند.
(٨) اللسان / سنط.

- **سِيد** (١)، قـال ابن دريد: هو المسنّ، والجمع سيدان، والأنثى سيدة، وقيل: سيدانة. وبعضهم يطلق سيدانة على الذكر والأنثى.

قال طرفة: (٢)

وكـرّى إذَا نَـادَى المُضَـافُ مُحَنَّـبًا كسِـيدِ الغَضَـا - نَبَّهْـتَه - المـتَوَرِّدِ

وقال الشنفرى: (٣)

ولـى دُونَكُـمْ أهْلُـونَ: سِـيدٌ عَمَلَّسٌ وَأرْقَـطُ زُهْلُـولٌ وعَـرْفَاءُ جَـيْأَلُ

وقال خُفَاف بن نُدْبَة يصف فرسه: (٤)

عَـبْلُ الذِّرَاعَيْـن سَـلِيمُ الشَّـظَا كالسِّـيدِ تَحْـتَ القُـرَّةِ الصَّـارِدِ

والسيد فى لغة هذيل الأسد، قال شاعرهم حذيفة بن أنس: (٥)

بَـنُو الحَـرْبِ أرْضَـعْنَا بهـا مُقمطرة فَمَـنْ يُلْـقَ مِـنَّا يُلْـقَ سِـيدٌ مدرَّبُ

وقال مالك بن خالد الهذلى: (٦)

أتـى مـالكٌ يَمْشـى إلـيْه كَمَا مَشَى إلـى خِيسِـه سـيدٌ بخَفَّـان قاطـب

والخيس: الأجمة. قاطب: زوى ما بين عينيه.

- **شَـقِذ، شُقُذان، شَقَذان، شقيذ** (٧)، وهو الذى لا يكاد ينام، وإنه لشَقِذُ العين، إذا كان لا يقهره النعاس، والشُّقُذان: الذئب عن ثعلب.

---

(١) المنتخب ١٠٥، اللسان / سيد، المخصص ٧٦/٨، نظام الغريب ٢١٣، نهاية الأرب ٢٧٠/٩، حياة الحيوان ٣٥٩/١.

(٢) ديوانه ص ٥١ تحقيق د./ على الجندى. والبيت من المعلقة.

(٣) من لاميته / ونشيد الصحراء ٥٢.

(٤) الأصمعيات ١٩ تحقيق شاكر وهارون، شعر خفاف ص ٤٤، الصارد: من الصرد وهو البرد.

(٥) شـرح أشعار الهذليين ٥٦١، قمطرت الناقة إذا لقحت، يقول: أرضعنا بها وقد تهيأت للشر. المدرّب: الضارى.

(٦) نفسه ٤٦٩/١.

(٧) المنتخب ١٠٥، ٢٦٥، ٥٧٨ ، اللسان والتاج / شقذ.

- **شَمِيط** [1]، وهو ما فيه سواد وبياض.

- **شِيذُمان، شَيْمُذَان** [2] سمى بذلك لشموذه بذنبه، قال الطرماح: [3]

عَلَى حُولاَءِ يَطْفُو السُّخْدُ فِيها ... فَراها الشِّيذُمانُ عن الجنين

- **شَنُون** [4]، قيل: هو الجائع، وقيل هو الذى ذهب بعض سمنه، واستَشَنَّ كما تستَشِنُّ القربة، قال الطرماح:

يَظَلُّ غُرَابُها ضَرِمًا شَذَاهُ ... شَجٍ بخُصُومةِ الذِّئبِ الشَّنُون

وتوصف به الإبل كذلك، بل خص الجوهرى الإبل به.

- **شَيْع** [5] وهو ولد الأسد والذئب والنمر. وقال كراع: المشَيَّع مثل الباسل: الشجاع الكريه المنظر.

- **صَبِير** [6]، لشدة صبره.

- **صُنْتُع** [7]، فى لغة أهل اليمن، وهو القوى الشديد الخلق النشيط. والصنتع: الصلب الرأس.

---

(1) التاج / شمط، أسامى الذئب وكناه 1/أ.

(2) المنتخب 596، اللسان والتاج /شمذ، نهاية الأرب 270/9،حماسة أبى تمام / التبريزى 173/2، الإبل فى الشعر الجاهلى 81/1.

(3) ديوانه / القصيدة 35، المعانى الكبير 240/1.

(4) اللسان / شنن، المخصص 76/8.

(5) المنتخب 169، نظام الغريب 214، نهاية الأرب 270/9.

(6) أسامى الذئب وكناه 1/أ.

(7) المنتخب 105، اللسان والتاج / صنتع.

- **ضابئ** [1]، ضبأ بالأرض يضبأ ضَبْأً وضُبُوءًا: لطئ واختبأ. والموضع: مَضْبَأ، وكذلك الذئب إذا لصق بالأرض أو بشجرة، أو استتر بالخَمر ليختل بالصيد، ومنه سمى الرجل ضابئا، وهو ضابئ بن الحرث البرجمى، وقال الشاعر فى الضابئ المختبئ الصياد:

إلاَّ كُمَيْتًا كالقَنَاةِ وضَابِئًا ... بالفَرْجِ بَيْنَ لَبَانِه ويَدِه

يصف الصياد بأنه ضبأ فى فروج ما بين يدى فرسه ليختل به الوحش.

والضابئ - أيضا - الرماد، فربما سمى الذئب بذلك من جهة اللون.

- **طبِس** [2]، وهو الشره الحريص.

- **طِلْس، وطَلاّس** [3]. [راجع من أسمائه أطلس].

- **طِلْق** [4]، [قال محقق كتاب المنتخب: ولعلها: السلق].

- **طِلْو** [5]، وهو اللطيف الجسم.

- **طَمِل، طِمْل، طِمِل، طِمْلّ، طِمْلال، طَيْمَل** [6]، وهو الأطلس خفى الشخص، ومنه قيل للص: طمل، قال الطرماح: [7]

أطَافَ بِهَا طِمْلٌ حَرِيصٌ فَلَم يَجِدْ ... بِهَا غَيْرَ مُلْقَى الوَاسِطِ المُتَبَايِنِ

قال كراع: ورجل طِمْلال: أُغَيبر، قَشِف، قبيح الهيئة.

---

(1) المنتخب ١٠٥، اللسان / ضبأ.

(2) اللسان والتاج / طبس.

(3) التاج / طلس، أسامى الذئب وكناه ١/ب.

(4) المنتخب ١٠٥.

(5) اللسان / طلى.

(6) المنتخب ١٠٥، اللسان / طمل، نظام الغريب ٢١٤، أسامى الذئب وكناه ١/ب، نهاية الأرب ٩/ ٢٧٠

(7) ديوانه ٤٩٣، المعانى الكبير ١/ ٢٠١، أطاف بها: أى بالصحراء. طمل: ذئب. الواسط: العمود الذى يكون فى وسط البيت. المتباين: المنكسر.

وقال: الطمل سير عنيف.

عَجَرَّد (١)، وهو الخفيف السريع. قال الراجز:

يـــا رُبَّ شـــيْخٍ مـــن بـــنى مِـــلاص
عجَـــرَّدٍ كالذئـــب ذى الخُصـــاص
يرضـــع تحـــتَ القمـــر الوبّـــاص

قال السكرى: عجرَّد، أطلس، شبهه بالذئب.

- **عجوز** (٢).

- **عســـبار، عسبور** (٣) والجمع عسابر، وهو ولد الضبع من الذئب، قال ابن كناسة يصف فرسا:

كالعُقَـــابِ الطَّلـــوب يَضـــرِبُها الطَّـــلُّ   وقَـــدْ صَـــوَّبَتْ علـــى عِسْـــبَار

والأنثى عسبارة، قال الكميت يذكر أرضا: (٤)

بنائـــية المَـــنَاهلِ ذَاتِ غُـــولٍ   لسِـــرْحَانِ الفَـــلاَةِ بهـــا خَبيـــبُ
يـــراثى فـــى الطعـــام له صـــديقًا   وشَـــادِنَةَ العَسَـــابرِ رَعْبَلِيـــبُ
إذا اشْـــتَكَيَا إلـــىَّ رَأَيْـــتُ حَقًّـــا   لمحرومَيْـــنِ شَـــفُّهُمَا السُّـــغوبُ

قـــال ابن منظور: (٥): وعسبور وعسبورة ولد الكلب من الذئبة، وقيل: العســـبار بيـــن الكلـــب والضبع. وقال كراع (٦): ويقال بل هو ولد يقع بين الضبعان والذئبة.

---

(١) شرح أشعار الهذليين ٢/٦٢٣.

(٢) التاج / عجز.

(٣) المنتخـــب ١٣٣، ٥٢٣، اللسان والتاج / عسبر، الدرة الفاخرة ١/٢٢٧، فقه اللغة ٩٥، الحيوان ١/ ١٨١، ٦/١٥٠.

(٤) ديوانه ١/٨٧، العسابر واحدها عسبارة. الشادنة: ما شدن. رعبليب: ملاطفة. شفهما: هزلهما.

(٥) اللسان / عسبر.

(٦) المنتخب ١٣٣.

- **عاســـر**، وجمعــه عواسر [١]، وهى الذئاب التى تعسر فى عدوها وتكسر أذنابها من النشاط، قال الشاعر:

إلا عَوَاسِـــرَ كالمِـــرَاطِ مُعِـــيدةٍ   باللَّـــيلِ مَـــورِدَ أيّـــمٍ مُتَغَضّـــفِ

- **عَــسّ، عَسَّــاس، عَسُــوس، عَسِيس** [٢]، وهو الذئب الكثير الحركة، والذئب العسوس: الطالب للصيد.

وقــال ابــن فارس: [٣] عسّ، العين والسين أصلان متقاربان، أحدهما: الدنو من الشئ وطلبه، والثانى: خفة فى الشئ، فالأول العسّ بالليل، كأن فيه بعــض الطلب، والعساس: الذئب وذلك أنه يعسّ بالليل. وتعسعس الذئب: إذا دنا من الشئ يشمه، وأنشد:

كمَـــنخُرِ الذئـــب إذا تَعَسعَسَـــا

- **عَسَّال وعَاسِل** [٤]، وهو من الإسراع فى العدو، قال الفرزدق: [٥]

ولَطَلّــسَ عَسَّــالٍ ومَــا كَــانَ صَاحِبًا   دَعَــوتُ لِــنَارِى مَوْهِــنًا فَأتَــانِى

وقال لبيد – ويروى للنابغة الجعدى – : [٦]

عَسَــلانَ الذّئــب أمســى قاربًــا   بَــرَدَ اللّــيلُ علــيه فَنَسَــلْ

---

(١) التاج / عسر.

(٢) اللسان والتاج / عس، أسامى الذئب وكناه ١/ب، نهاية الأرب ٩/ ٢٧٠.

(٣) مقاييس اللغة ٤/ ٤٢.

(٤) اللسان والتاج / عسل، مقاييس اللغة ٤/ ٣١٤، حماسة أبى تمام / التبريزى ٢/ ١٧٣.

(٥) ديوانه ٢/ ٣٢٩ دار صادر.

(٦) نظام الغريب ٢١٤.

- **عســعس** (١)، لأنه يعس بالليل ويطلب، وأصل العَسّ: نَفْض الليل عن أهل الريبة. وكل سبع معتسٌ مُعَسْعِسٌ. والذئب يعوس بالليل: أى يطلب ما يأكل، قال ابن أحمر وذكر بقرة وولدها: (٢)

ظَلَّتْ تُمَاحِلُ عنه عَسْعَسًا لحما ... يغشى الضَّراء خَفِيًّا دُونَه النَّظر

- **عَسْعَاس** (٣)، أى طلوب للصيد بالليل، أنشد ابن الأعرابى:

مقلقلة للمستنيح العسعاس

يعنى الذئب يستنيح الذئاب، أى يستعويها. والعسُّ: الطواف بالليل، أو طلب الشئ ليلا وقصده. قال الخليل: والعسعاس من أسماء الذئب، ويقع على كل سبع إذا تعسعس وطلب الصيد بالليل.

- **عَسْلَق، عَسَلَّق** (٤)، هو كل سبع جرئ على الصيد. وقيل: الخفيف. وقيل: الطويل العنق، قال الأعشى:

بحيث يَصِيدُ الآبِدات العَسَلَّق

وقال كراع: والعَسَلَّق الخفيف من الظلمان، ويقال: الطويل العنق.

قال: وهو مشتق من العَسَلان. وقد عسل يعسل، زيدت القاف فى هذا كله وليست من الزوائد.

- **عَسُول** (٥)، عسل الذئب والثعلب يعسل عسلا وعَسَلانًا: مضى مسرعا، واضطرب فى عدوه وهز رأسه، قال:

(١) المنتخب ١٠٥، الاشتقاق ٣٧٩، اللسان والتاج / عسس، المخصص ٧٦/٨.

(٢) المعانى الكبير ١٨٧/١.

(٣) العين ٧٤/١، اللسان / عسس، المخصص ٧٦/٨، مقاييس اللغة ٣٥٩/٤.

(٤) المنتخب ١٠٥، ٢١٦، ٥٦٨، ٧٠١، نظام الغريب ٢١٤، اللسان / عسلق، المخصص ٧٦/٨، حماسة أبى تمام / التبريزى ١٧٣/٢.

(٥) اللسان والتاج / عسل، المخصص ٧٦/٨، نهاية الأرب ٢٧١/٩.

والله لَــولاَ وَجَــعٌ فـــى العُــرقُوبِ   لكُنْـــتَ أبْقَـــى عَسَـــلاً مـــن الذِّيـــب

استعاره للإنسان. وقال لبيد: [1]

عَسَـــلانَ الذِّئْـــبِ أمْسَـــى قارِبًـــا   بَـــرَدَ اللَّـــيلُ علـــيه فنَسَـــلْ

- عَطَلَّس [2]، وهو الطويل.

- العُفُق [3]، قال ابن منظور: عافَقَ الذئب الغنم: إذا عاث فيها ذاهبًا وجائيا، وعافقه معافقة وعفاقا: عالجه وخادعه، قال قرط يصف الذئب:

عَلَـــيْكَ الشـــاءَ شَـــاءَ بَـــنى تَمِـــيمٍ   فَعَافِقْـــــهُ فـــــإنَّكَ ذو عِفَـــــاقِ

والعُفُق: الذئاب التى لا تنام ولا تنيم، من الفساد.

- العَقُوق [4]، ولعله سمى بذلك بسبب انقلابه على الذئب المدمّى.

- عِلَّوْش، عَلَوَّش [5]، وهو الخفيف الحريص. قال كراع: وهو فى لغة حمير يعنى الذئب.

- عِلَّوْص [6].

- عِلَّوْض [7]، انفرد به كراع النمل.

---

(١) نظام الغريب ٢١٤.

(٢) أسامى الذئب وكناه ١/ب.

(٣) اللسان / عفق.

(٤) أسامى الذئب وكناه ١/ب.

(٥) المنتخب ١٠٥، اللسان والتاج / علش، مقاييس اللغة ٤/١٢٤، المخصص ٨/٦٦، نهاية الأرب ٩/ ٢٧٠.

(٦) اللسان والتاج / علص.

(٧) المنتخب ٥٧٩.

- عَمَــرَّد، عُمَرُود [1]، وهو الطويل، ويطلق كذلك على الطويل من الناس. وقيل: هو لولد الذئب. قال جرير يصف فرسا: [2]

علــى ســابحٍ نَهْــدٍ يُشَــبَّهُ بالضُّــحَى إذا عَــادَ فــيه الــرَّكْضُ ســيدًا عَمَرَّدا

والأنثى عَمَرَّدة.

- عَمَرَّط [3]، وهو الشديد الجسور وكذا الطويل. والأنثى عَمَرَّطة.

- عَمَلَّس [4]، من العملسة وهى السرعة، قال الشنفرى: [5]

ولــى دُونَكُــمْ أهْلُــونَ: سِــيدٌ عَمَلَّسٌ وَأرْقَــطُ زُهْلُــولٌ وعَــرْفَاءُ جَــيْألُ

قــال ابــن منظور وابن فارس: والعملس الذئب الخبيث، يقال: عملس دلجات، قال الطرماح:

يــودّع فــى الأمــراس كُــلّ عملّــس مــن المطْعمــات الصّيْد ذات الشواحن

وقال كراع: والعملّس القوى على السفر.

- عَنْز [6]، هى الذئبة الدقيقة الخطم لطيفته.

- عَنْبس [7]، هو العبوس.

(1) المنتخب ١٦٠، ٥٦٨، اللسان والتاج / عمرد، أسامى الذئب وكناه ١/ب، المخصص ٨/٦٦، نهاية الأرب ٩/٢٧١.

(2) ديوانه ١٤٦ دار صادر ودار بيروت.

(3) المنتخب ١٧٢، ٥٦٨، أسامى الذئب وكناه ١/ب.

(4) المنتخب ١٠٥، ١٧٣، الاشتقاق ٣٧٩، مقاييس اللغة ٤/٣٦٦، اللسان والتاج / عملس، المخصص ٨/٧٩، نهاية الأرب ٩/٢٧٠، الحماسة / التبريزى ٢/١٧٣، حياة الحيوان ١/٣٥٩.

(5) اللامية.

(6) أسامى الذئب وكناه ١/ب.

(7) نفسه ١/ب.

- **عَوْف** [1]، من التعوف وهو التماس الفريسة بالليل، وهو من أسماء الذئب والأسد، وفى المثل (**تركت عَوْفًا فى مغانى الأصرم**).

- **عَوْلق** [2]، وهو الحريص.

- **عَوِىّ، عَاوِى** [3]، وهو الذى يطوى خطمه ثم يمدّ صوته.

- **عَــيِّل وعَــيَّال** [4]، وأعال الذئب والأسد والنمر إعالة، إذا التمس شــيئا، والعــيل منهــن: الملتمس الباحث، وعَيَّال: متبختر فى مشيته، قال كثير: [5]

وَصَــادَفْتُ عَــيَّالاً كَــأنَّ عُــوَاءَه ... بُكــا مجــرَدٍ يَــبغى المَبِيــتَ خَلِــيع

- **عادى** [6]، وإذا قيل (العادى) كان مرادًا به الذئب الخبيث، أو السبع الضــارى. وفى كتاب على - رضى الله عنه - لبعض عماله: "اختطفتُ ما قــدرتُ عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم، اختطاف الذئب الأزل دامية المِعْزَى الكسيرة".

فهــذه صفة الذئب حين يعدو، ثم استعمل بهذا المعنى فى الناس أيضا، فقــيل: "كانت لهذا اللص عَدْوة" أى هجمة على الناس، كفعل الذئب الخبيث، والناس غافلون، فانتهب أو قتل أو عاث فى أموالهم.

---

(1) المنتخب ١٠٤، اللسان والتاج / عوف، مجمع الأمثال ١٤٧/١ برقم ٧٥٠ .

(2) التاج / علق.

(3) اللسان / عوا.

(4) اللسان والتاج / عيل.

(5) المعانى الكبير ١٩٨/١، ١٩٩.

(6) نمط صعب ونمط مخيف ١٦٣

- **غُبَيْس** (١) ، يقال: لا آتيك ما غبَا غُبَيْس، من معانيه، لا آتيك ما دام الذئب يأتى غنمك غبا.

- **غَمَلَّس** (٢)، وهو الخبيث الجرئ.

- **فُرْعُل، أو: فُرْغُل** (٣). قال الربيعى: الفرعل ولد الذئبة من السِّمع، وقيل: ولد الضبع، قال جريبة بن الأشيم الفقعسى:

فــلا يَأكلَــنّى الذِّئــبُ فــيمَا نقْتَتَــنى ... ولاَ فُــرْغُلٌ مــثلُ الصَّــريمة خَــاربُ

أزَلُّ، هَلِيــبٌ، لا يَــزَالُ مآبطَــا ... إذا نربَــتْ أنْــيَابُه والمخَالِــبُ

- **فُصْعِل** (٤)، وهو ولد الذئبة، وولد العقرب أيضا.

- **فَلْحَس** (٥)، وهو الحريص، الملح على فريسته، وفَلْحَس: رجل من شيبان، كان حريصاً رغيباً وملحفًا ملحًا، ويضرب به المثل، فيقال: (أسأل من فَلْحَس)، وقال ابن منظور: الفلحس: الذئب المسنّ.

- **قُطْرُب** (٦) وهو الذئب الأمعط، قال امرؤ القيس:

كالقُطْــرُب الــباغى أغَــمُّ أغْــبَرُ

- **القَفْخَــة** (٧) ، وهــو خــاص بالأنــثى، وأقفخت البقرة والذئبة إذا استحرمت، وذلك إذا أرادت السفاد.

---

(١) اللسان / غبس، الفصول والغايات ٣٥٢.

(٢) اللسان / غملس.

(٣) اللسان / فرعل، نظام الغريب ٢١٤، مقاييس اللغة ٤/٥١٥، الحيوان ٦/٤٥٢.

(٤) المنتخب ١٣٤.

(٥) المنتخب ١٩٣، اللسان / فلحس، الحيوان ١/٢٥٧.

(٦) التاج / قطرب، زهر الأكم ٢/٥٧، ديوان امرئ القيس ٣١٦ تحقيق أبى الفضل.

(٧) اللسان والتاج / قفخ، المخصص ٨/٦٥، الحيوان فى الأدب العربى ٢/١٢٣.

- قَفْر [1]، وهو الذئب المنسوب إلى القفر.

- قِلْب، قِلَّوْب، قِلِّيب، قَلَّوب، قُلُوب [2]، ولذلك لكثرة تقلبه وخفته، وقلاب - عند بعض اليمنيين - قال الشاعر:

أيَا جَحْمَتَا بكّى على أمّ واهب ... أكِيلة قِلَّوْبٍ ببعض المذانب

والقُلاب: داء يأخذ فى القلب، وقيل: يأخذ البعير فى قلبه. ورجلٌ قُلَّبٌ: يتقلب كيف يشاء. وهو حُوَّلٌ قُلَّبٌ: أى محتال، بصير بتقليب الأمور، ويقولون: ما به قَلَبَةٌ، قال الفراء: أصله من القُلاب، وهو داء يصيب الإبل، وزاد الأصمعى: يشتكى البعير منه قلبه فيموت من يومه، فقيل ذلك لكل سالم ليست به علة يقلّب لها فيُنظر إليه.. [3]

- قَوَّاع [4]، وهو الذئب الصيَّاح.

- قانب [5] وهو الذئب العوّاء الصيّاح.

- كُتَع [6]، وهو بلغة اليمن.

- كَسَاب، كسَّاب، كَسُوب، كُسَيْب [7]، قال الكميت: [8]

مضيعا إذا أثرى، كسوباً إذا غدا ... لساعته ما يستفيد ويكسب

---

(1) التاج / قفر

(2) المنتخب ١٠٥، ٢١٦، ٢١٧، ٥٤٩، ٥٧٩، اللسان والتاج / قلب، المخصص ٨/٧٦، أسامى الذئب وكناه ١/ب، حماسة أبى تمام / التبريزى ٢/١٧٣.

(3) أدب الكاتب ٥١

(4) اللسان / قوع.

(5) اللسان والتاج / قنب.

(6) اللسان والتاج / كتع.

(7) اللسان والتاج / كسب، نهاية الأرب ٩/٢٧٠.

(8) ديوانه ١/٨٦ - جمع وتقديم د. داود سلوم - مكتبة الأندلس - بغداد ١٩٦٩.

وتطلق " كساب " أيضا على الكلبة، قال لبيد فى معلقته: (1)

فَتَقَصَّدَتْ منها كَسَابِ فَضُرِّجَتْ ... بِدَمٍ، وغُودِرَ فى المكرِّ سخامُها

وكساب هى الكلبة التى اعتادت النصر. وقال لبيد أيضا فيها:

لمعفَّرٍ قَهْدٍ تنازَعَ شِلْوَه ... غُبْسٌ كواسبُ ما يُمَنُّ طعامُها

- لَذْلاَذ (2).

- لَطَأ (3). من لطئ يلطأ بالأرض لطأً إذا لصق بها، يقال: رأيت الذئب لاطئا للسرقة. ويوصف به الصياد كذلك.

- لَعْلَع (4)، قال كراع: يتلعلع: يتضوّر. قال ابن عبّاد: ولعلع هو الذئب، وهو قول ابن الأعرابى، وأنشد:

والللعلعُ المُهْتَبِلُ العَسُوس

قيل: سمى به لضجره من كل شئ.

- لَعْو (5)، ويقال للرجل الشره الحريص: لعو، وكذا يطلق على الكلاب والذئاب. والأنثى لَعْوة، وهى تقاتل على ما يؤكل.

- لَعْوَس (6)، بالمهملة، سمى به من اللعس بمعنى العض. وقال كراع: لعوس هو الأكول الحريص.

(1) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنبارى ص ٥٧٠ تحقيق هارون – ط دار المعارف – الرابعة ١٩٨٠ والبيت الثانى كذلك فى الفصوص ٣/٤٤.

(2) أسامى الذئب وكناه ١/أ.

(3) اللسان والتاج / لطأ.

(4) اللسان والتاج / لعع، المنتخب ٢٦٧.

(5) اللسان/ لعا. الدرة الفاخرة ١/١١٨.

(6) المنتخب ٢٠٨، اللسان والتاج / لعس، نظام الغريب ٢١٤.

– **لَعين** [1]، ذكره القرطبى، قال: وأصل اللَّعن فى كلام العرب الطرد، ويقال للذئب لعين، وللرجل الطريد لعين، قال الشماخ:

ذَعَرْتُ بِهِ القَطَا ونَفَيْتُ عنه مَقَامَ الذئبِ كالرجلِ اللَّعِينِ

قال: ووجه الكلام: مقام الذئب اللعين كالرجل.

– **لَغْوس** [2]، بالمعجمة، وهى بفتح وكسر فى اللام، ومعناه: الشره الحريص، ويوصف به الإنسان الخفيف فى الأكل وغيره، قال ذو الرمة:[3]

وماءٍ هَتَكْتُ الدِّمْنَ عنه ولم تَرِدْ رَوَايَا الفراخِ والذِّئَابِ اللَّغَاوس

وقال ربيعة بن الجحدر: [4]

وقِرنٍ كَمِيٍّ قد تَركْتُ مُجَدَّلاً تطُوفُ عَلَيْه الخامعاتُ اللُّغَاوس

– **لَوْشب** [5]

– **المَذْيَخَة** [6]، وهى الذئاب بلسان خولان. والذِّيخ: الذكر من الضباع، الكثير الشعر.

– **المُرْق** [7]، وهى الذئاب، وربما سميت بذلك لسرعتها.

– **مستحرمة** [8] وهى أنثى الذئب.

(١) تفسير القرطبى ٢/٢٥ دار إحياء التراث العربى – بيروت. تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [٨٨ / البقرة]

(٢) المنتخب ١٠٥، ٢١٥، اللسان والتاج / لغس.

(٣) ديوانه ١١٣٢ بتحقيق الدكتور أبو صالح. الدِّمْن: البَعر، أى نَحَّيْتُ البعر عن ذلك الماء ولم ترد روايا الفراخ: يريد القطا التى تحمل الماء لفراخها فى حواصلها: يقصد: أنه سبق هذه وتلك.

(٤) شرح أشعار الهذليين ٦٤٦.

(٥) التاج / لشب، أسامى الذئب وكناه ١/أ.

(٦) اللسان والتاج / ذيخ.

(٧) التاج / مرق.

(٨) الحيوان فى الأدب العربى ٢/١٢٣.

- **مَشُوع** [1].

- **مِشَان** [2]، وهى الذئاب العَادِيَة.

- **مُصَدَّر** [3] وتطلق على الأسد والذئب، لشدتهما وقوة صدرهما.

- **مطرَّد** [4].

- **مُعَيِّل** [5]، ويطلق على الأسد والنمر والذئب.

- **مقانب** [6]، الذئاب الضارية.

- **مَلاَّذ** [7]، وهو الذئب السريع، قال ابن منظور: الملاذ الخفى الخفيف. وأصل الملْذ: السرعة فى المجئ والذهاب.

- **مُلاَزِم** [8].

- **مَيَّاس** [9]، لأنه يميس فى مشيته أى يتبختر.

- **نسُول** [10]، من النَّسلان وهو الإسراع، قيل: وأصل النَّسلان للذئب، ثم استعمل فى غير ذلك.

---

(١) التاج / مشع.

(٢) أسامى الذئب وكناه ١/أ.

(٣) اللسان والتاج / صدر، أسامى الذئب وكناه ١/أ، نهاية الأرب ٩/٢٧١.

(٤) أسامى الذئب وكناه ١/أ.

(٥) التاج / عيل.

(٦) التاج / قنب.

(٧) اللسان والتاج / ملذ، المخصص ٨/٦٧.

(٨) أسامى الذئب وكناه ١/أ.

(٩) التاج / ميس.

(١٠) اللسان / نسل، نهاية الأرب ٩/٢٧١.

- نُشْبَة [1]، لأنه حين ينشب فى الفريسة لا يفارقها.

- نَهْسَر [2]، من النهس، والراء فيه زائدة، والنهس بين الذئب والكلب، وقيل بين الذئب والضبع. قال الجعدى وذكر جؤذرا: [3]

رأى حيث أمسى أطلسَ اللَّوْن شاحبا   شحيحا تسمّيه الشّياطينُ نَهْسَرَا

وقال الكميت:

ونحن تركنا جَنْدَلاً يومَ جَنْدَل   يحوم عليه المَضْرَحِيُّ المُنَهْسَرُ

وقال الفيروزابادى: نَهْسَر كجعفر: الذئب أو ولده من الضبع.

- نَهَّاس [4]

- نَهْشَل [5]، وربما سمى بذلك من النهش، وقيل: النهشل: المسن المضطرب من الكبر.

- نَهْصَر [6]، من الانعطاف والميل.

---

(١) اللسان / نشب، نهاية الأرب ٩/٢٧٠، حماسة أبى تمام / التبريزى ٢/١٧٣.

(٢) المنتخب ١٠٥، ١٣٣، اللسان والتاج / نهسر، فقه اللغة ٩٥، الكنز المدفون ١٥٤، حماسة أبى تمام التبريزى ٢/١٧٣.

(٣) شعر النابغة الجعدى ٦٢ ط المكتب الإسلامى – دمشق ١٩٦٤: ورواية البيت فيه:

فأمسى عليه أطلس اللون شاحبا   شحيحا يسميه النبطيّ نهسرا

والرواية التى أثبتناها من المعانى الكبير ١/١٨٤.

(٤) التاج / نهس، أسامى الذئب وكناه ١/أ.

(٥) أسامى الذئب وكناه ١/أ، أدب الكاتب ٧١ مؤسسة الرسالة، نهاية الأرب ٩/٢٧٠، حماسة أبى تمام / التبريزى ٢/١٧٣.

(٦) التاج / نهس، المخصص ٨/٦٨، فقه اللغة ٩٥، حماسة أبى تمام ٢/١٧٣.

- **هَبِل** [1]، وهو المحتال، قال كراع: والهابل والهبّال: المكتسب المحتال، من قولهم: فلان يهتبل لأهله.

- **هُبْهُب، هَبْهَب** [2]، وهو السريع الخفيف، والهبهاب: الصيّاح. قال الأخطل يصف ناقة: [3]

عَلَى أنها تَهْدى المطىَّ إذا عَوَى ... مِن الليل مَمْشُوق الذِّرَاعَيْن هَبْهَبُ

أراد به الخفيف من الذئاب.

- **هَبُوع** [4]، قال كثير:

فَصَوَّتَ إذْ نادى بباقٍ على الطوى ... محنّب أطراف العظام هبوع

قال ابن منظور: هَبَع يَهْبَعُ هُبُوعًا وهَبَعَانًا: مد عنقه. وهبع بعنقه: استعجل واستعان بعنقه. والهُبَع: الفصيل الذى ينتج فى الصيف. وقيل غير ذلك.

- **هابس** [5].

- **هذلول** [6]، وهو السريع الخفيف، قال كراع: والهذلول السريع من كل شئ. قال ابن مقبل وذكر بقرة:

حَتَّى اخْتَوَى بِكْرَها بالجزْع مُطَّرِدٌ ... هَمَلَّعٌ كهِلاَل الشَّهْر هُذْلُول

---

(١) المنتخب ٣٣٨، أسامى الذئب وكناه ١/ب. مجمع الأمثال ٢/٢٩٤.

(٢) اللسان والتاج / هبب، أسامى الذئب وكناه ١/ب.

(٣) ديوانه ق ٤٧ ص٤٢٦ صنعة السكرى – تحقيق د./ فخر الدين قباوة – دار الأصمعى – حلب. وشرح الديوان / الحاوى ٥٩٤.

(٤) المعانى الكبير ١/١٩٨، ١٩٩ واللسان / هبع.

(٥) أسامى الذئب وكناه ١/ب.

(٦) المنتخب ٢٣٠، اللسان /هذل، المخصص ٨/٦٧، كتاب اللصوص ١/١١٤ المعانى الكبير ١/١٨١، حماسة أبى تمام ٢/١٧٣.

- هُرَيْع (١)، وهو الخفيف.

- هِزْلاَج (٢)، وهو السريع الخفيف، قال جندل بن المثنى الحارثى:

يتركـنَ بالأمـالس السَّمَارِجِ للطير واللُّفاوسِ الهزالجِ

وأنشد الأصمعى لِهِمْيَان:

تَخْرجُ من أفْواهِهَا هزالجَا

قال: والهزالج: السِّرَاع من الذئاب، وقال الحسين بن مُطَيْر:

هدلُ المَشَافِرِ، أيديها مُوَثَّقَةٌ نُفُقٌ، وأرجُلُها زُجٌّ هَزَالِيجُ

فسرها ابن الأعرابى فقال: سريعة خفيفة.

وقيل: الهِزْلاَج السريع، مشتق من الهَزَج، واللام زائدة، قال ابن منظور: وهذا قول لا يلتفت إليه.

- هِزْلاَع (٣)، وهو السِّمع الأزل، والهَزْلَعة: الانسلال فى المضى.

- هَضْنَهَض (٤)، من الإسراع، والهَضْنَهَضة: الفحل الذى يدق أعناق الفحول.

- هِطْل (٥)، قال ابن منظور: الهِطْل - عن ابن الأعرابى - الذئب، والهِطل: اللص، والهطل: الرجل الأحمق.

- هَقَلِّس (٦)، وهو الذئب فى ضمر، قال الكميت:

(١) اللسان والتاج /هرع.
(٢) اللسان والتاج / هزلج.
(٣) التاج / هزلع، المخصص ٦٨/٨، أسامى الذئب وكناه ١/ب.
(٤) اللسان / هضض.
(٥) اللسان/ هطل.
(٦) اللسان / هقلس، أسامى الذئب وكناه ١/ب.

وتسمع أصوات الفراعل حوله … يعاوين أولاد الذئاب الهقالسا

- **هَلَبِع وهُلاَبِع** [1]، وهو الذئب الحريص. قال الزبيدى: وقد اختصر من هَلَع بَلَع: هَلَبع. وأصل الهُلاَبع: الرجل الحريص على الأكل. قال ابن منظور: وذئب هَلَعٌ بَلَعٌ: الهلع من الحرص أى الحريص على الشئ، والبَلع من الابتلاع. قال كراع: والهُلابع: اللئيم.

- **هِلَطَوْس** [2]، وهو خفى الشخص من الذئاب.

- **هَلَع** [3]، وهو الحريص. والهلع: الخوف، والضجر، ولعله سمى بذلك لأنه باعث الخوف والهلع، وليس لوقوع الهلع به.

- **هُلاَمِع** [4].

- **هَمَلَّع** [5]، وهو الذئب الخفيف السريع، قال الشاعر:

لا تأمرينى ببنات أسفغ … فالشاةُ لا تَمْشى مع الهَمَلَّع

قيل: لا تمشى أى لا تَكْثُر، أى مع أكل الذئب لها وعدوانه الدائم عليها. والأسفع: فحل من الغنم، وقال ابن مقبل وذكر بقرة: [6]

حتى اختَوَى بكرها بالجزْع مطَّرد … هَمَلَّعٌ كهلالِ الشَّهر هُتْلُول

---

(1) المنتخب ٢٠٩، اللسان / هلع، التاج / هلبع.

(2) التاج / الهلطوس.

(3) التاج / هلع، أسامى الذئب وكناه ١/ب، المنتخب ٢٦٧، ٣٧٣.

(4) أسامى الذئب وكناه ١/ب

(5) المنتخب ١٠٥، ٢١٤، ٥٦٨، اللسان / هملع، المخصص ٦٧/٨، الحماسة ١٧٣/٢، المعانى الكبير ١٩٨/١.

(6) سبق.

والهَمَلَّـــع: الخفيف. كهلال الشهر أى فى دقته وضمره. وقال كراع: والهملع الرجل المتخطرف الذى يوقع وطأه توقيعا شديدا من خفة وطئه.

– **ورقــــاء** [1]، وهى الذئبة فى لونها وُرقة، والورقة سواد فى غبرة، قال رؤبة:

فَـــلاَ تكُونـــى يـــا ابـــنَةَ الأَشَـــمّ ‏ ‏ ‏ ‏ وَرْقَـــاءَ دَمَّـــى ذِئْــــبَها المُدَمَّـــى

وقال أبو زيد: الذى يضرب لونه إلى الخضرة.

قال رجل لزوجه:

إنّـــى رأيـــتُكِ كالوَرْقَـــاء يُوحِشُـــها ‏ ‏ ‏ ‏ قُـــرْبُ الأَلـــيف وتَغْشَـــاه إذَا نُحِـــرا

– **وَعْـــوَع** [2]، مـــن الوعوعة، وهى صوت الذئب. ويقال لابن آوى أيضاً: الوعوع والوعواع.

– **الولاس** [3]، من الولس بمعنى السرعة أو الخديعة، أو لأنه يلس فى الدمـــاء أى يلغ فيها. والولْس: الخيانة، ومنه قوله: لا يُوالس ولا يدالس.. أو لا يدالـــس ولا يؤالـــس، فيُدَالسُ من الدَّلَس وهو الظلمة، أى لا يخادعك ولا يخفـــى عـــنك الشيء، فكأنه يأتيك به فى الظلام . ويؤالس من الأَلْس وهو الخيانة. قال ابن منظور: ويقال للذئب ولاّس.

* * * *

---

(١) اللسان / ورق، اللصوص ١/١٧٥ ، والبيت لرؤبة / ديوانه ١٤٣ ق ٥٣.

(٢) اللسان / وعع، الكنز المدفون ١٥٤.

(٣) اللسان والتاج / ولس، أدب الكاتب ٤٨

أسماء وكنى أخرى للذئب

*** ما صُدر بابن:**

- ابن الأرض.(١)
- ابن دألان. (٢)
- ابن الفجاج. (٣)

*** ما صدر بأب:**

- أبـــو ثمامـــة (٤)، والثمامة واحدة الثمام، وهو شجر.. وقيل: نبت ضعيف.
- أبـــو جَعْـــدة، وأبو جُعادة، وأبو جاعد (٥)، وذلـــك للؤمه، لأن الجعد: اللئيم.. ومن أمثال العرب: (الذئب يُكنى أبا جعدة)، قال الأخطل: (٦)

أبــو جَعْــدَةَ الذئــبُ الخبيــثُ طَعَامُه وعَــوْفُ بــنُ كَعْــبٍ كَــانَ أكْــرَمَ أوَّلا

(*) بعضـــها يصدر بابن، وبعضها يصدر بأب - وغير ذلك، وقد جعل صاحب كتاب النحو الوافى مثل ذلك من باب (علم الجنس). راجع جـ١ / ٢٩٠ - ٢٩١

(١) المنى فى الكنى ٢٣٤.

(٢) نفسه ٢٣٧.

(٣) نفسه ٢٤٠.

(٤) اللسان / ثمم، المنى فى الكنى ٢٣٤، حياة الحيوان ١/٣٥٩، دائرة معارف القرن العشرين ٤/١١٧

(٥) المخصص ٨/٦٨، اللسان والتاج / جعد، المنتخب ١٠٥، ٣٦٨، الكنز المدفون ٣٦٢، حياة الحيوان ١/٣٥٩، حماســة أبــى تمــام / التبريزى ٢/١٧٣، نهاية الأرب ٩/٢٧٠، وزهر الأكم ٣/٨. وثمار القلوب ٢٥٢.

(٦) ديوانه ق ٩١ ص٥٤٥ صنعة السكرى - تحقيق د./ فخر الدين قباوة.

فاســتعار كنية الذئب للنابغة، وذلك أن جَعْدَةَ أحد جدوده، وإليه ينسب. وأنشدوا: (١)

أخشـــى أبـــا الجَعْـــد وأمّ العَمِـــرْ

وقيل: الجعدة الشاة، وقيل: نبات طيب الريح، قال عبيد بن الأبرص:(٢)

وقــالوا هــى الخمــر تكنّى بها الطّلا كمـــا الذئــب يكــنى أبـــا جعـــدة.

وربما كُنى بذلك لأنه إذا مرض أكل حشيشة تسمى جعدة، فيزول حينئذ مرضه.

وقيل: أبو جاعد الكثير الشعر.

- **أبــو جـــاهد** (٣)، وربمـــا جاءت هذه الكنية من قرم الذئب الدائم، فالجـــاهد فى اللغة: الشهوان. وربما جاءت من الشاة التى يخلفها الجهد عن الغنم فيفرسها الذئب.

- **أبو حدقة** (٤).

- **أبو رِعْلة** (٥)، يقال هو أخبث من أبى رعلة.

---

(١) زهر الأكم ٨/٣.

(٢) ديوانه ص٦٢ تحقيق الدكتور حسين نصار – ط الحلبى، عجائب المخلوقات ٤٢٥، ورواية الديوان:

هـــى الخمـــر بالـــهزل تكـــنى الطـــلا ....

وانظر / حياة الحيوان الكبرى ٣٥٩/١.

(٣) دائرة معارف القرن العشرين ١١٧/٤.

(٤) الكنز المدفون ٣٦٢.

(٥) اللســان / رعــل، المــنى فى الكنى ٢٣٧، حياة الحيوان ٣٥٩/١، دائرة معارف القرن العشرين ٤/ ١١٧.

- أبـــو سبْلَة [1]، والسبلة: الجلدة الرقيقة تحت النحر، أو الشعيرات تحت اللحى.

- أبو سلعامة [2]، والسلعام طويل الأنف، قال الطرماح يصف كلابا:

مرغـــثات لأخلـــج الشـــرق ســـلعا م ممــــــر مفـــــتولة عضـــــده

- أبو صبْحة [3].

- أبو عِسْلَة [4].

- أبو العَطّاس [5].

- أبو العَطَّلس [6].

- أبو العَمَلَّس [7].

- أبو كاسب [8].

- أبو مذقة [9] لأن لونه كذلك، قال الشاعر:

حَـــتّى إذَا جَـــنَّ الظّـــلامُ وَاخْـــتَلَطْ جَـــاءُوا بِمَـــذْقٍ هَـــلْ رَأَيْـــتَ الذِّئْبَ قَطْ

---

(1) حياة الحيوان 1/359، دائرة معارف القرن العشرين 4/117.

(2) اللسان والتاج، سلعم، حياة الحيوان 1/359.

(3) المنى فى الكنى 238.

(4) اللسان / عسل، رعل.

(5) دائرة معارف القرن العشرين 4/177

(6) الكنز المدفون 362، حياة الحيوان 1/359.

(7) المنى فى الكنى 238.

(8) التاج: كسب، المنى فى الكنى 140، دائرة معارف القرن العشرين 4/117، حياة الحيوان 1/359.

(9) اللسان / مذق، حياة الحيوان 1/359، دائرة معارف القرن العشرين 4/117.

ويروى:

جَـاءُوا بضَـيْح هـل رَأيْتَ الذِّئْبَ قَطْ؟

– أبـــو مُعْطَة [1]، وذلك لتمعط شعره، قال الفيروزابادى: علم معرفة وإن لم يخص الواحد من جنسه...

ما صدر بأخ:

– أخو قفرة [2]، قال الأخطل [2]:

يشُـقُّ سَـمَاحِيقَ السَّـلاَ عَـنْ جَنِينها   أخُـو قَفْـرَة بَـادِى السَّـغَابَةِ أطْحَـلُ

ما صدر بذو:

ذو الإخمـــاع [3]. ومن أسمائه (خِمع)، قالوا: وربما سمى بذلك لأنه يتراءى أن به عرجا.

* * * *

(١) المخصـص ٨/٨٦، الصـحاح واللسـان والتاج / معط، المنى فى الكنى ٢٤٠ – ٢٤١، حماسة أبى تمام / التبريزى ٢/١٧٣.

(٢) ديوانه – تحقيق فخر الدين قباوة ق١ ص٢٤ البيت ٣٤. وبشرح إيليا الحاوى ص٢٦٧.

(٣) حماسة أبى تمام / التبريزى ٢/١٧٣.

الفصل الثانى

أوصافه وأنواعه

أوصافه وأنواعه

- **ذئب أحَلّ** [1]، وهو البيّن الحلل، والأحل أن يكون منهوس المؤخر فى رجله استرخاء.

- **الذئب الأزل** [2]، وهو الذى لا لحم على فخذيه ولا وركيه، وذلك أسرع له فى المشى، وفى أمثالهم: " أخل إليك ذئب أزل "، وتقديره: الزم شأنك فهذا ذئب أزل.

- **ذئب أشهل** [3]، وهو الأغبر فى بياض.

- **ذئب أطحل** [4]، والأطحل الأكدر اللون.

- **ذئب أطلس** [5]، والطُّلسة الغبرة إلى سواد، وقيل: الأطلس الخبيث من الذئاب.

- **ذئب أعبس** [6]، والذئاب العوابس هى العاقدة أذنابها، قال الهذلى:

ولَقَدْ شَهِدتُ الماءَ لَمْ يَشْرَبْ به ... زَمَنَ الرَّبيعِ إلى شُهُورِ الصَّيِّف
إلا عَوَابِسَ كالمِرَاطِ مُعِيدةٍ ... باللَّيلِ مَوْرِدَ أَيِّمٍ مُتَغَضِّف

وقال العجاج [7]:

ومن أسود وذئاب غُبْس

---

(1) اللسان / حلل.
(2) مجمع الأمثال ٤٣٢/١.
(3) التاج / شهل، أسامى الذئب وكناه ١/أ، ب.
(4) اللسان / طحل.
(5) راجع من أسمائه: أطلس.
(6) اللسان /عبس، والوحوش للأصمعى ٩٦.
(7) ديوانه ٤٤٧.

- **الذئب الأعقد** [1]، وهو الذى يعقد طرف ذنبه.

- **الذئـــب الأغبس** [2]، وأنثاه غبساء، والغبسة شبيهة بالطلسة، وهى لون أغبر يضرب إلى السواد. وقيل الأغبس هو الخفيف الحريص، قال لبيد [3]:

لمعَفَّــرٍ قَهْــدٍ تَــنَازَعَ شِــلْوَه ... غُــبْسٌ كَوَاسِــبُ لاَ يُمَــنُّ طَعَامُهـا

- **الذئـــب الأغـــبش** [4]، وهو ذو اللون الرمادى، روى الإمام أحمد وأبـــو يعلـــى الموصلى وغيرهما أن الأعشى المازنى الحرمازى - واسمه عـــبدالله بن الأعور - كانت عنده امرأة يقال لها " معاذة "، فخرج فى شهر رجـــب يمير أهله من هجر، فهربت امرأته ناشزة عليه، فعاذت برجل منهم يقال له مطرف بن بهصل بن كعب بن قميع... فجعلها خلف ظهره، فلما قدم لم يجدها فى بيته، فأخبر بخبرها، فطلبها منه فلم يدفعها إليه، وكان مطرف أعزّ منه فى قومه، فأتى النبى ﷺ فعاذ به، وأنشأ يقول:

يــا سَــيِّدَ الــنَّاسِ وَدَيَّــانَ العَــرَبْ ... أَشْــكُو إِلَــيكَ ذِرْبَــةً مِــنَ الــذِّرَبْ

كالذِّئْــبَةِ الغَبْشَــاءِ فِــى ظِــلِّ السَّرَبْ ... خَرَجْــتُ أَبغِــيها الطعــامَ فِــى رجَــبْ

فَخَالَفَتْــــنِى بِــــنِزَاعٍ وَهَــــرَبْ ... وقَذَفَتْــنِى بيــن عِــيصٍ ومؤتشِــبْ [5]

أَخْلَفَــتِ العَهْــدَ ولطَّــتْ بِالذَّنَــبْ ... وهُــنَّ شَــرُّ غالــبٍ لِمَــنْ غَلَــبْ [6]

---

(١) المخصص ٦٦/٨.

(٢) راجع من أسمائه (أغبس).

(٣) البيت من معلقته وهو رقم ٣٨.

(٤) حياة الحيوان ٣٥٩/١.

(٥) العيص: أصل الشجر. والمؤتشب: الملتف.

(٦) لطــت بالذنـــب: أى منعته بضعها، وقيل: أراد توارت وأخفت شخصها عنه، كما تخفى الناقة فرجها بذنبها.

فقال النبى ﷺ عند ذلك: " وهن شر غالب لمن غلب " كنى عن فسادها وخيانتها بالذربة، وأصله: من ذرب المعدة، وهو فسادها. وقيل: أراد سلاطة لسانها وفساد منطقها، مأخوذ من قولهم " ذرب لسانه " إذا كان حاد اللسان لا يبالى بما يقول.

- **ذئب أكلس** [1]، والكُلْسة لون كالظلمة.

- **ذئب أمرط** [2]، وهو الذى أسنّ فتمرط شعره، أى سقط، وهو أخبث ما يكون.

- **ذئب أمعط** [3]، وهو الذى قد تساقط شعره، فالأمعط كالأمرط.

- **جَوَّاب الفَلاَة**، قال الأخطل: [4]

إذا مُعْجَلٌ غادرنه عند منزل ... أتيح لجوّاب الفلاة كسوب

والجواب: الذئب يطوف بالفلاة ويخترقها.

- **ذئب خُرْت** [5]، أى سريع، ويقال ذلك للكلب أيضا.

- **ذئب الخمر** [6]، والخمر شجرة يختفى فيها الذئب، والخمر: هو ما واراك من شجر أو حجر أو جرف واد، وإنما يضاف الذئب إلى الخمر للزومه إياه، وهذا الذئب كذئب الغضا فى الخبث، ولذا قيل: " أخبث من ذئب الخمر".

---

(١) التاج / كلس.

(٢) المخصص ٦٨/٨.

(٣) التاج / معط.

(٤) ديوانه ق٨ ص ٢٦٢.

(٥) اللسان / خرت.

(٦) اللسان / خمر، ومجمع الأمثال ٢٧٧/١ وأطلقه مثلا برقم ١٤٥٨.

قــال حمــزة: العرب تسمى ضروبا من البهائم بضروب من المراعى تنســبها إليها، قال: وذلك على قدر طباع الأمكنة والأغذية العاملة فى طباع الحيوان.

وحين أراد الجاحظ أن يبين القوة التى تعترى الذئب حين يشم ريح الدم قال [1]: " والذئب القوى من ذئاب الخمر يكون مع الذئب الضعيف من ذئاب البرارى، فيصيب القوى خدش يسير، فحين يشم ذلك الذئب الضعيف رائحة الــدم وثب عليه، فيعترى ذلك القوى عند ذلك من الضعف بمقدار ما يعترى الضعيف من القوة، حتى يأكله كيف يشاء ".

- **ذئب شَنُون** [2]، أى جائع، قال الطرماح

يَظَــلُّ غُــرَابُها ضَــرِمًا شَــذَاهُ ... شَــجٍ بخُصُــومةِ الذِّئــبِ الشَّــنُونِ

- **ذئب عَدَوان** [3]، إذا كان يعدو على الناس والشاء.

- **ذئب عمرّد** [4]، وهو الخبيث، قال جرير يصف فرسا:

علــى سـابِحٍ نَهْــدٍ يُشَــبَّهُ بالضُّــحَى ... إذا عَــادَ فــيه الـرَّكْضُ سـيدًا عَمَرَّدا

- **ذئــب الغضــا** [5]، ويقــال: ذئب غضًا. والغضا شجر يأوى إليه الذئب، وأطلقت على بنى كعب بن مالك بن حنظلة من بنى تميم، سمُّوا بذلك

(١) الحيوان ٧/١٤٣.

(٢) اللســان / شــنن، والبيت فى ديوان الكميت برقم ٧٢٦ جـ٣ القسم الثانى ص٣٨. (الشعر المختلف فى نسبته).

(٣) اللسان /عدا.

(٤) اللسان / عمرد.

(٥) اللسان / غضا، وثمار القلوب ٣٨٨

لخبثهم، لأن ذئب الغضا أخبث الذئاب. وأهل الغضا أهل نجد، لكثرته هنالك، أنشد أبو بكر الخوارزمي: (1)

ولَقَـــدْ بُلِيـــتُ بِشَـــاعِرٍ مُتَهَـــتِّكٍ   لاَ، بَـلْ بُلِيـت بِـنَاب ذِئْـبٍ غَـاضِ

فقـــال له بديع الزمان الهمذاني: ما معنى قولك: "ذئب غاض"؟ فقال أبو بكر: الذي يأكل الغضا، فقال البديع: استَنْوَقَ الذئب، صار الذئب جملا يأكل الغضا.

وقال آخر: (2)

وزيـدٌ إذا مـا سـيمَ خَسْـفًا رأيـتَه   كسِـيدِ الغَضَـا أربَـى لَـكَ المُـتَظَالِع

أربى لك: أى أشرف لك. والمتظالع: الذى يظلع من البغى.

وقد ضربت العرب المثل بذئب الغضا فى الخبث لأنه يختفى فيه، فإذا دنـت فريسته باغتها فلا تتأهب لدفاع عن النفس ولا تستطيع فرارا.(3) جاء فى أسجاع ابنة الخُسّ: (4)

" أخبث الذئب ذئب الغضى "

وقال امرؤ القيس يصف فرسه: (5)

أقَـبُّ كسِـرْحَانِ الغَضَـا مُـتَمَطِّرٌ   تَـرَى المَـاءَ مِـنْ أعْطافِـه قَدْ تَحَدَّرَا

إذا زعـته مـن جَانِبَـيه كِلَـيهما   مشـى الهـيدبى فـى دفّـه ثُمّ فَرْفَرَا

---

(1) نظـرية اللغـة فـى النقد العربى د./ عبدالحكيم راضى ٣٨٦، ٣٨٧ – ط الخانجى، نقلا عن معجم الأدباء ١/١٠٤ ط بيروت.

(2) المعانى الكبير ١/١٩٤.

(3) مجمع الأمثال ١/٢٥٩، جمهرة الأمثال ١/٤١٨.

(4) الغضـا والأرطـى فى اللغة والشعر العربى القديم / بحث للدكتور / محمد السليمان السديس – مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود – المجلد التاسع ١٩٨٢ ص ٦٣ – ٨١.

(5) ديوانه – تحقيق أبى الفضل ص ٦٧، مختار الشعر الجاهلى ١٤٤.

وقال: (١)

بَعْثَنَا رَبِيئَنَا قَبْلَ ذَلِكَ مُخْمِلاً كَذِئْبِ الغَضَا يَمْشِي الضَّرَاءَ ويَتَّقِي

وقال تميم بن أبى مقبل يصف فرسه: (٢)

أَقَبُّ كَسِرْحَانِ الغَضَا رَاحَ مؤصلا إذا خَافَ إدْرَاكَ الطَّوَالِبِ شَمَّرَا

وقال الأسعر الجعفى الجاهلى واصفا جواده: (٣)

وإذا هُوَ اسْتَعْرَضْتَهُ مُتَمَطِّرًا فَتَقُولُ هَذَا مِثْلُ سِرْحَانِ الغَضَا

وقال أبو دؤاد الإيادى يصف حصانا: (٤)

رَفِيعُ القَذَالِ كَسِيدِ الغَضَا وَتَمُّ الضُّلُوعِ بِجَوْفٍ رَحِبْ

" وقد شارك طرفة أبا دؤاد فى هذه الإشارة المجازية التكريمية للذئب لما قال فى معلقته: (٥)

وكَرِّى إذَا نَادَى المُضَافُ مُحَنَّبًا كَسِيدِ الغَضَا نَبَّهْتَهُ المُتَوَرِّدِ

ويشارك ذئب الغضا فيما مضى.

- **ذئب القصيمة**، والقصيمة ما سهل من الأرض وكثر شجره، ينبت الغضا والأرطى والسَّلَم. قال بشر بن أبى خازم يصف صيادًا: (٦)

ويباكره عند الشروق مكلِّبٌ أزل كسرحان القصيمة أغبر

---

(١) ديوانه ١٧٢.

(٢) ديوان ابن مقبل - تحقيق د./ عزة حسن - دمشق ١٩٦٢ ص ٢٨٥.

(٣) الأصمعيات ١٤٢.

(٤) ديوان حميد بن ثور - صنعة الميمنى ص ٤٢ القاهرة ١٩٥١ وقد رجح المحقق نسبة البيت إلى أبى دؤاد.

(٥) الديوان ص ٥١ والبيت من معلقته وقد سبق.

(٦) ديوانه ص٨ تحقيق د./ عزة حسن - ط ثانية - منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٧٢.

– ذئب لعوس [١]، واللعس: العض. واللّعوس: الأكول الحريص، قال ذو الرمة: [٢]

وماءٍ هَتَكْتُ اللّيلَ عَنهُ ولَمْ يَرِدْ رَوَايَا الفراخِ والذِّئابُ اللّعَاوس

– ذئب لغوس [٣]، وهو الشره الحريص، واللغوسه: سرعة الأكل.

– ذئب مجلّح [٤]، وهو الجرئ، وسلقمة مجلحة، قال امرؤ القيس:[٥]

عَصَافيرٌ وذبّانٌ ودُودٌ وأجْرأُ مِنْ مُجَلّحةِ الذِّئابِ

وأصل التجليح: الإقدام على الشئ والجد فيه. وجلّح الذئب: جرؤ. وقيل: الجلح ذهاب الشعر من مقدم الرأس.

– ذئب ملاّذ [٦]، وهو سريع المجئ والذهاب، والملْذ والملَذان: السرعة.

– ذئب ممْعد [٧]، وهو الذى يجذب العدو جذباً، أو هو مختلس، يخطف الفريسة خطفا، قال ذو الرمة يذكر صائدا شبهه فى سرعته بالذئب[٨]:

---

(١) اللسان / لعس، وراجع: أسماء الذئب.

(٢) ديوانه ٣١٨ تصحيح كارليل هنرى هيس ١٩١٩ وروايته (اللغاوس) بالمعجمة.

(٣) اللسان / لغوس

(٤) اللسان / جلح.

(٥) ديوانه – بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ص ٩٧ ق١١ ط ثالثة – دار المعارف.

(٦) اللسان / ملذ.

(٧) اللسان / معد.

(٨) ديوانه ٣٠٧

كَأنَّمَا أطْفَارُه إذا عَدَا ... جُلِّلْن سِرْحَانَ فَلاةٍ ممعَدا

- **ذئب ماعد** [1]، قال ابن منظور: ذئب ماعد وممعد إذا كان يجذب العدو جذبا.

- **سرحان الصريمة**، قال الأخطل يصف فرسه: [2]

أشق كسرحان الصريمة لاحه ... طراد الهوادى فهو أشعث شاسب

يشبه الفرس بالذئب القائم فى منقطع الرمل، ويقول: إنه دأب على اللحاق بالطرائد محدقاً بما تقدم وسبق منها، فلذلك بدا ضامرا متشعثا.

- **سرحان الفلاة**، قال الأخطل يصف صيادًا: [3]

طَاوٍ أزَلُّ كسِرْحَانِ الفَلاةِ إذا ... لم تؤنس الوحشُ منه نَبْأةً خَتَلا

وقال الراجز: [4]

مَا راعَنى إلا جَنَاحٌ هَابِطَا ... عَلَى البُيُوت قَوْطَهُ العُلاَبِطَا

ذاتَ فُضُولٍ تَلْغَطُ الملاَعِطَا ... فيها ترى العُفَّر والعوائطا

تَخَالُ سِرْحَان الفَلاةِ النَّاشِطا ... إذا اسْتَمَى أنبوتها الغُلامِطَا

يَقْلُ بين فَيْكَتَيْها وابِطا

(١) اللسان / معد.

(٢) شرح ديوانه / إيليا الحاوى ٥٨٩.

(٣) نفسه ص ٣٤٥.

(٤) النوادر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى ص ١٧٣ دار الكتاب العربى بيروت ط ثانية ١٩٦٧.

وجناح: اسم رجل، وفى اللسان (خيال) بدلا من (جناح) . والعُلابط: واحدها عُلبطة وهى الخمسون والمائة إلى ما بلغت العدة. أنبيها: وسطها، وروى بالراء بدلا من الدال والوابط: الذى تكثر عليه فلا يدرى أيتها أخذ. والملاعط: ما حول البيوت فهى ترعى حولها. والعائط: التى تلقح أسنانها وتحول هى، فهى عائط حتى تلقح. والاستماء: الاختيار. الناشط: الخارج من أرض إلى أرض.

- **عـــارى الأشـــاجع،** [1] والأشــاجع: رءوس الأصابع التى تتصل بعصــب ظاهــر الكف، وقيل: هى العروق والأعصاب المتصلة بالأصابع وأصولها. وإنما كان عارى الأشاجع لشدة هزاله، قال كعب: [2]

أخْشَـى عَلَـيها كَسُـوبًا غَـيْرَ مُدَّخِرٍ ... عـارى الأشـاجعِ لا يُشوى إذا ضَغَما

وقد شبّهوا الكلاّب بالذئب فأطلقوا عليه هذا اللقب. قال النابغة:

.... عـارى الأشـاجع مـن قُـنَّاص أنمار

- **عارى الذراعين** [3]، أنشد الأصمعى:

وَبَهْمـاء إملـيس إذا بـتُّ لـيلةً ... بهـا عـادنى عـارى الذراعيـن مارد

عـوى عـند رحلـى يستغيث أليفه ... بمـنزلة لا تَعْتَفِـيها الولائـد

- **عارى الشَّوى:** وهو ذئب لا لحم على قوائمه مثل الدخان الأورق فى لونه، قال الشريف الرضى يذكر عارى الأشاجع وعارى الشوى: [4]

وعـارِى الشَّوَى والمَنْكِبَيْنِ من الطَّوَى ... أُتِـيحَ لَـهُ باللَّـيلِ عـارِى الأشَـاجِعِ

وقال أبو النجم يذكر جنيناً ألقته الناقة: [5]

يشـق عـنه كَفَنـنًا لَـمْ يُخْلَـقِ ... عـارِى الشَّـوى مـثل الدُّخَانِ الأوْرَقِ

* * * *

(1) سبق.
(2) سبق.
(3) الفصوص ٥/٤٧.
(4) سبق.
(5) ديوانه ص ١٦٧.

الباب الثانى

الذئب فى أمثال العرب

الذئب فى أمثال العرب

- **أَبَرُّ مِنَ الذِّئبة** (١)، وذلك لأنها حين تلد لا تفارق أولادها حتى تتم تربيتها، وقريب منه:

- **أَبَرُّ من الذئب بولده** (٢)، فالذئاب - إذاً - من أبر الآباء والأمهات بأبنائها... على أن هناك من أمثال العرب ما يناقض ذلك ويتنافى معه، كما سيأتى.

- **أَبَرُّ من العَمَلَّس** (٣)، قال الزمخشرى: والعَمَلَّس رجل بلغ من بره أمــه أنــه حمل إليها غبوقاً من لبن فى عس، فصادفها نائمة، فكره إنباهها والانصــراف عنها، فأقام مكانه قائماً يتوقع انتباهها، والعس على يده حتى أصــبح. [واضح أنه قريب جدا من الثلاثة الذين وردوا فى الحديث، حين انسدّ عليهم باب الغار..]

وقيل: هو الذئب، من العملسة وهى السرعة، وقد ذكرناه فى أسمائه.

- **أَبْشِــر بغَــزْوٍ كَوَلْــغ الذئب** (٤)، أى بغزو متدارك، وذلك لقوته وشدته، يضرب فى البشارة بخير متصل.

- **أبقَى عَدْوًا من الذئب** (٥)، أى أن عداوته باقية لا تزول.

- **أبك أم بالذئب** (٦)، يقال ذلك للشئ ترتاب به فى ظلمه ولا تتبينه.

---

(١) جمهرة الأمثال ٢٤٣/١، الدرة الفاخرة ٨١/١، معجم الأمثال العربية ١٥٥/٢.

(٢) المستقصى ١٧/١، الدرة الفاخرة ٨١/١.

(٣) المستقصى ١٦/١، ١٧ برقم ٤٦، ومجمع الأمثال ١١٤/١ برقم ٥٧٣.

(٤) نفسه ١٨/١ برقم ٥٠.

(٥) نفسه ٢٦/١ برقم ٧٧، ومعجم الأمثال العربية ١٥٨/٢.

(٦) جمهرة الأمثال ١٦٨/١، وهو وارد فى المثل (أخوك أم الذئب) برقم ١٧٨.

- أجْرأ مِنْ ذئب [1].

- أجْرأ من مُجلّحة الذئاب [2]، قال امرؤ القيس:[3]

أرانا موضعين لأمرِ غيبٍ وأجرأ من مُجلّحة الذئاب

- أجْسَرُ من ذئب.[4]

- أجْوَعُ من ذئب [5]، لأنه دهره جائع، وإنما يجوع لأنه لا يأكل إلا ما يصيد، ولا يعاود الأكل من فريسته، ولا يدخر منها شيئا، ولذا قال امرؤ القيس:[6]

كلانا إذا ما نال شيئا أفاته ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل

وفى أدعيتهم على أعدائهم: رماه الله بداء الذئب، أى بالجوع.

- أجْوَع من لعوة [7]،وهى الكلبة والذئبة.

- أجْوَل من ذئب.[8]

- أحَدُّ ضرساً من ذئب [9]، وسيأتى حديث عن ذلك فى (فم الذئب).

---

(١) حياة الحيوان ٣٦٣/١.

(٢) الحيوان ٢٢٩/٥.

(٣) ديوانه ٩٧.

(٤) الدرة الفاخرة ٦٣/١، حياة الحيوان ٣٦٣/١.

(٥) مجمع الأمثال ١٨٦/١، جمهرة الأمثال ٣٣٢/١، الدرة الفاخرة ٦٣/١، المستقصى ٥٧/١ برقم ٢٠١، زهر الأكم ٥٦/٢، اللسان والتاج / ذأب.

(٦) ديوانه – وقد سبق ضمن التحليل.

(٧) الدرة الفاخرة ٦٣/١.

(٨) حياة الحيوان ٣٦٣/١.

(٩) الدرة الفاخرة ٦٣/١.

- **أَحذَرُ من ذئب** [1]، لأنه بلغ به حذره أنه ينام بإحدى عينيه ويترك الأخرى مفتوحة كما قال حميد بن ثور:[2]

يَنَامُ بِإحدَى مُقلَتَيهِ ويَتَّقِي ... بِأُخرَى الأَعَادِي فَهوَ يَقظَانُ هَاجِعُ

- **أَحرَصُ من ذئب** [3]، لأنه يُلِحُّ على ما يريد، ويصيد ما قدر عليه، ويأكل النبت، ويستنشق النسيم إذا أعياه القوت.

- **أحمقُ من جَهِيزَةَ** [4]، وهي أنثاه، وإنما وصفت بالحمق، لأنها ترضع ولد الضبع وتترك ولدها، وهو معنى قول ابن جذل الطعان:

لعمري لقد سَحَّتْ دموعك عبرةً ... تُبكِّي على قَتلَى سُلَيم وَأَشجَعَا

أَتَنسَى شُتَيرًا والشَّرِيدَ ومَالِكًا ... وتذكر من أمسى سليمًا بضلفعا

كمُرضِعَةٍ أولادَ أخرى وضَيَّعَتْ ... بَنِيهَا، فَلَمْ تَرقَعْ بذلك مَرقَعَا

وذكروا أن الضبع إذا صيدت، أو قُتلت فإن الذئب يأتي أولادها باللحم[5]، قال الكميت.

كَمَا خَامَرَتْ في حِضنِهَا أُمُّ عامرٍ ... لدى الحبل حتى عَالَ أَوْسٌ عِيَالَهَا

- **أَحْوَلُ من ذئب** [6]، وأحول من الحيلة، ويقال: تحوّل الرجل، إذا طلب الحيلة، والذئب مشهور باحتياله للفريسة.

---

(١) مجمع الأمثال ٢٢٧/١ برقم ١٢٠٤، الدرة الفاخرة ١٥٦/١، المستقصى ٦١/١ برقم ٢٢١.

(٢) سبق ضمن التحليل.

(٣) المستقصى ٦٤/١ برقم ٢٣٨، جمهرة الأمثال ٤٠٢/١.

(٤) المستقصى ٧٧/١ برقم ٣٠٢، مجمع الأمثال ٢١٨/١ برقم ١١٧٢، زهر الأكم ١٣٢/٢، ثمار القلوب ٣٩١، الحيوان ١٩٧/١.

(٥) المستقصى ٧٧/١، الحيوان ١٩٨/١.

(٦) المستقصى ٩٠/١ برقم ٣٤١، مجمع الأمثال ٤٠٤/١ برقم ١٢١٦، جمهرة الأمثال ٤٠١/١.

- أخَبُّ من الذئب [1].

- أخبث من أبى سلعامة [2].

- أخبث من أبى عسلة [3].

- أخْبَثُ من أبى معطة [4].

- أخبث من الذئب [5].

- أخبث من ذئب الخمر [6]، قال الجاحظ: وهو على قول الراجز:

أما أتاك عنى الحديث إذ أنا بالغائط أستغيث

والذئب وسط أعنزى يعيث وصحت بالغائط: يا خبيث

والغائط: المتسع من الأرض فى طمانينة. والخمر: شجر، أو وهدة يختفى فيها الذئب، وإنما يفعل ذلك خبثا واغتيالا.

- أخبث من ذئب الغضا [7].

- أختل من الذئب [8]، قال أبو العلاء المعرى: [9]

ولاَ تَكُنْ عادِيًا كالذِّئْبِ شِيمتُه خَتلٌ، فَلاَ خَيرَ مَصرُوفٌ إلى الختل

(١) جمهرة الأمثال ٤٣٩/١.

(٢) التاج / عسل.

(٣) نفسه.

(٤) التاج / معط.

(٥) جمهرة الأمثال ٤٣٩/١، الحيوان ٤١٠/٦، حياة الحيوان ٣٦٣.

(٦) المستقصى ٩٢/١ برقم ٣٥٥، مجمع الأمثال ٤٥٦/١ برقم ١٣٦٧، الحيوان ٢٢٠/١، ٤١٠/٦.

(٧) المستقصى ٩٤/١ برقم ٣٥٦، مجمع الأمثال ٢٥٩/١، المخصص ٩/٨.

(٨) المستقصى ٩٤/١ برقم ٣٦٢، ثمار القلوب ٣٩١، حياة الحيوان ٣٦٣.

(٩) اللزوميات ١٠٢.

ومن مخاتلته: أنه إذا خفى عليه موضع الغنم، عوى ليؤذنهم بمكانه، ويعلمهم بقربه، فإذا حضرت الكلاب إلى الناحية التى هو فيها، راغ عنها إلى جهة الغنم التى ليس معها كلب.

- **أخف رأسا من ذئب، أو من الذئب** (١)، لشدة حذره، فهو لاينام، ومن شقائه بالسهر لا يكاد يخطئه من رماه.

- **أخْلُ إليكَ ذئبٌ أزَلُّ** (٢)، وتقدير المثل: الزم شأنك، فهذا ذئب أزل، ويضرب فى التحذير للرجل، والأزل: الذى لا لحم على فخذيه ولا وركيه، وذلك أسرع له فى المشى. ويروى: أخْلِ إليك، أى: كن خاليا.

- **أخوك أم الذئب** (٣)، أى هذا الذى تراه أخوك أم الذئب؟! يعنى أن أخاك الذى تختاره مثل الذئب، فلا تأمنه. يضرب فى موضع التمارى والشك. وللمثل قصة ذكرها العسكرى، وقال: المثل لتأبط شرا.

- **أخوَن من ذئب** (٤)، كما قال الشاعر:

أخْوَنُ من ذئب بصحراء هَجَر

- **إذا ذكَرْتَ الذئب فأعدّ له العصا** (٥).

---

(١) المستقصى ١/١٠٣ برقم ٤٠٢، مجمع الأمثال ١/٤٤٨ برقم ١٣٥٠، زهر الأكم ٢/١٩٤، التمثيل والمحاضرة ٣٥٢، نهاية الأرب ٩/٢٧١، حياة الحيوان ١/٣٦٣.

(٢) مجمع الأمثال ١/٤٣٢.

(٣) نفسه ١/٨٣، جمهرة الأمثال ١/١٦٨، حياة الحيوان ١/٣٦٣.

(٤) المستقصى ١/١١٢، مجمع الأمثال ١/٢٦٠ برقم ١٣٦٨، جمهرة الأمثال ١/٤٣٩، حياة الحيوان ١/٣٦٣.

(٥) مجمع الأمثال ١/٨٨ (المولدون)، التمثيل والمحاضرة ٣٥٢.

- إذا ذكرْتَ الذئبَ فالتَفِتْ [1].

- أسأَلُ من فَلْحَس [2]، وفلحس: رجل من شيبان... وقيل: الذئب.

- أسرَعُ غَدْرَةً من الذئب، وقيل: أسرع غدرًا [3]، قال الفرزدق:[4]

وأنت امرؤٌ يا ذِئْبُ والغدر كنتما أُخَيَّيْن كانا أُرْضِعَا بلبان

- أسرَعُ من سِمْع [5]، والسِّمْع: هو ولد الذئبة من الضبعان، وبإزائه العسبار.

- أسلَطُ من ذئب مُتَنمِّر [6].

- أسلط من سِلْقَة [7]، من السلاطة، وهى شدة الصخب، وطول اللسان، والسلقة: الذئبة.

- أسمَعَ من سِمْع [8]، ويروى:

- أسمَعَ من السِّمْع الأزَلِّ [9]، ورواه ابن منظور: هو أسمع من الذئب الأزل. قال الشاعر:

تَـراهُ حَديـدَ الطَّـرْفِ، أبْلَجَ، واضِحاً أغَـرَّ، طويـلَ الباع، أسمَعَ من سِمْع

---

(١) مجمع الأمثال ٨٨/١ (المولدون).

(٢) المستقصى ١٥٢/١ برقم ٦٠٠، مجمع الأمثال ٣٤٧/١ برقم ١٨٦٨ واللسان / فلحس.

(٣) المستقصى ٦٠/١ برقم ٦٣٤، مجمع الأمثال ٣٤٩/١ برقم ١٨٧٦.

(٤) ديوانه ٣٢٩/٢ دار صادر.

(٥) زهر الأكم ١٧٤/٣، الحيوان ١٠/٧.

(٦) زهر الأكم ١٨٣/٣.

(٧) المستقصى ١٧٠/١ برقم ٦٩٨، مجمع الأمثال ٣٥٣/١ برقم ١٨٩١.

(٨) المستقصى ١٧٢/١، مجمع الأمثال ٣٥٢/١ برقم ١٨٨٥، زهر الأكم ١٧٤/٣، الأساس / سمع.

(٩) مجمع الأمثال ٣٥٢/١، زهر الأكم ١٧٤/٣، التاج / سمع.

- **أَشَمُّ من ذئب** [1]، لأنه يشم ويستروح من ميل وأكثر من ميل.

- **أَصَحُّ من الذئب** [2]، لأنه لا تصيبه الأسقام.

- **أظْلَمُ من ذئب** [3].

- **أَعْبَثُ من ذئب** [4]، بالموحدة من تحت.

- **أعتَى من الذئب** [5].

- **أَعْدَى من الذئب** [6]، وهو من العداء، والعَدَاوة، والعَدْو.

- **أعَــقُّ من ذئب، ومن ذئبة** [7]، وذلك لأنها إذا دمى الذئب عَدَتْ عليه فأكلته، وتركت فريستها، قال الشاعر:[8]

فَــتًى لــيس لابن العَمّ كالذِّئب إن رأى ... بصــــاحبه يومًـــا دمًـــا فهـــو آكلـــه

وقال رؤبة:[9]

فَـــلاَ تكونـــي يـــا ابـــنَةَ الأَشَـــمّ ... وَرْقَـــاءَ دَمَّـــى ذئـــبهَا المُدَمَّـــى

- **أعوَى من الذئب** [10].

---

(1) المستقصى ١/١٩٧ برقم ٧٩٨، الدرة الفاخرة ١/٢٥٣.

(2) المستقصى ١/٢٠٥، مجمع الأمثال ١/٤١٧ برقم ٢١٩٧.

(3) مجمع الأمثال ١/٤٤٦ برقم ٢٣٧١، الحيوان ٤/١٥٠، حياة الحيوان ١/٣٦٣.

(4) الدرة الفاخرة ١/٦٣.

(5) نفسه ١/٦٣، حياة الحيوان ١/٣٦٣، معجم الأمثال العربية ٢/١٥٥.

(6) مجمع الأمثال ٢/٤٥، ٢٩٣، الدرة الفاخرة ١/٣٠٢.

(7) المستقصى ١/٢٥٠ برقم ١٠٦٢، ومجمع الأمثال ٢/٤٩ برقم ٢٦١٧، حياة الحيوان ١/٣٦٣.

(8) هو العجير السلولي، انظر الأمالي ١/٢٧٥، ونسب إلى غيره، راجع / مجمع الأمثال ٢/٣٩٨.

(9) ديوانه ١٤٢.

(10) الدرة الفاخرة ١/٦٣، حياة الحيوان ١/٣٦٣.

- **أعْيَث من ذئب** [1]، بالمثناة من تحت، وروى:

عَـاثَ فيهم عَيْثَ الذئب يَلْتَبِسْنَ بالغَنَم

علـى أن الضـبع فـوق الذئب فى ذلك، ولإفراط الضبع فى الفساد استعاروا اسمها للأزمة، فقالوا: أكلتنا الضبع [2]. قال العلامة محمود شاكر: والذئـب يخـتلف فـى هذا عن الأسد، فالأسد - وهو ملك السباع وسيدها، وأكـرمها خلقا - لا يعيث فى الأرض، ولا يثب على حيوان ولا إنسان إلا للمطعـم، ثم يكف لعفته ونبله، وإنما يوصف بالفجور والخبث الذئب وغيره من لئام السباع، مما يدبّ ويختل ويعيث فى الأرض فسادًا وليس كذلك يفعل الأسد[3]

- **أغْـدَرُ مـن الذئـب** [4]، قـال الجاحظ: وهو أغدر من الخنزير والخِنَّوْص، وهما بهيمتان.

- **أكسَبُ من ذئب** [5]، كما قال القائل:

أكْسَـبُ للخَـيْرِ مـن الذئـب الأزل

والخـير عنده فى هذا الموضع ما يعيش ويقوت [راجـع من لسانه: كسب، كسوب].

- **أكَلَهُم الضبع والذئب** [6]، أى السنة.

---

(1) الدرة الفاخرة ٦٣/١.

(2)المستقصى ٢٧١/١.

(3) نمط صعب ونمط مخيف ١٩٥

(4) المستقصى ٢٥٨/١ برقم ١٠٩٠، مجمع الأمثال ٦٧/٢ برقم ٢٧٢١، الحيوان ٢١٣/١، ٤٨/٤، ٤١٠/٦.

(5) المستقصى ٢٩٤/١ برقم ١٢٦٤، مجمع الأمثال ١٦٨/٢، الحيوان ٤١٠/٦، حياة الحيوان ٣٦٣/١

(6).تاج العروس ١٤٨/١.

- **ألأمُ من ذئب** (١)، لأنه لا يتجافى عن التعرض لما يتعرض له وقتًا من أوقاته، وربما عَرَض للإنسان اثنان فتساندا، وأقبلا عليه إقبالاً واحدًا، فإذا دمى أحدهما وثب عليه الآخر فأكله، وترك الإنسان. [راجع: اغدر من ذئب]

- **أنشَطُ من ذئب** (٢)، وهو والنملة والفأرة مشتركة فى ذلك.. [راجع: كساب]

- **أوقح من ذئب**(٣). وهو فى ذلك بخلاف الأسد، قال المتنبى: (٤)

وليس حَياءُ الوَجْه فى الذِّئب شيمةً ولكنّه من شيمة الأسَدِ الوَرْدِ

- **أيقَظُ من ذئب** (٥).

- **بما كنت لا أخشى الذئب** (٦)، وأصله: أنه قيل لشيخ من العرب: انطلق من هذا الموضع، فإنا نخشى عليك الذئب، فقال: "بما كنت لا أخشى الذئب"، أى: أدّانى حال الشباب إلى هذه الحالة، قال الأعشى:

عَلَى أنّها إذا رأتنى أقادُ قالتْ: بما قد أراه بصيرا

وكانت العرب تستحيى أن تفرّ من الذئب ونحوه من السباع، قال الربيع بن ضبيع الفزارى حين كبر وعجز:

---

(١) المستقصى ١/٢٩٩ برقم ١٢٨٩، مجمع الأمثال ٢/٤٨، ٢٥٦، الحيوان ٦/٤١٠، حياة الحيوان ١/ ٣٦٣.

(٢) مجمع الأمثال ٢/٣٥٧ برقم ٤٣٣٤، الدرة الفاخرة ١/٦٣، حياة الحيوان ١/٣٦٣.

(٣) المستقصى ١/٤٣٨ برقم ١٨٤٩، مجمع الأمثال ٢/٣٨٢ برقم ٤٤٥٦.

(٤) ديوانه ٢/١٦٣ بشرح البرقوقى.

(٥) المستقصى ١/٤٤٩ برقم ١٩٠٧، مجمع الأمثال ٢/٤٤٧ برقم ٤٧٦٣، حياة الحيوان ١/٣٦٣.

(٦) المستقصى ٢٢٥، مجمع الأمثال ٢/١٨٠، جمهرة الأمثال للعسكرى ١/٢٣٧ برقم ٣٠٤، التمثيل والمحاضرة ٣٥٢، المعمرون والوصايا ص٨، معجم الأمثال العربية ٢/٢٥٦.

أصبحتُ لا أحملُ السلاحَ ولا أملكُ رأسَ البعيرِ إن نفرا
والذئبَ أخشاهُ إن مررتُ به وحدى، وأخشى الرياحَ والمطرا

- **تَحْتَ جلد الضَّأنِ قَلْبُ الأَذْؤُب** (١)، يضرب لمن ينافق ويخادع الناس

- **تركتُ عَوْفًا فى مَغَانى الأصرم** (٢)، أى تركته فى منازل لا أنيس بها، ولا يسكنها إلا الذئب والغراب. يضرب لمن يخذل صاحبه فى حادث ألم به.

- **جاء بأمّ الرُّبَيْق على أُرَيْق** (٣)، أى بالأفعى مع الذئب، أى جاء بالداهية،قال أبو عبيد: وأصله من الحيات. وقال الأصمعى: تزعم العرب أنه من قول رجل رأى الغول على جمل أورق. وقال الزمخشرى: أم الربيق كنية الغول.

- **خَشِّ ذُؤَالة بالحِبَالة** (٤)، ويروى: خُش... بالحِبَالة.

خش: فعل أمر من خَشيتُه، أى خوفته، ومعناه: قعقع ترهب، وفى الحديث: مرّ بجارية سوداء، وهى ترقص صبيًا لها وتقول: ذؤال يا ابن القوم يا ذؤالة، فقال ﷺ: لا تقولى ذؤال، فإنه شر السباع.

---

(١) مجمع الأمثال ١٤٦/١ برقم ٧٤٦.

(٢) نفسه ١٤٧/١ برقم ٧٥٠

(٣) المستقصى ٤١/٢ برقم ١٥١، اللسان / ارق، زهر الأكم ٦١/٢.

(٤) المستقصى ٧٤/٢ برقم ٢٦٩، مجمع الأمثال ٢٣٢/١ برقم ١٢٤٨، زهر الأكم ١٩١/٢، التمثيل والمحاضرة ٣٥٢، اللسان / ذأل.

والحـــبالة – بالموحدة – التى يُصاد بها، والحِبَالة – بالمثناة –: أى من حوالـــيه. يُضرب لمن لا يبالى تهدده، أى: توعّد غيرى، فإنى أعرفك. وقال أبو عبيدة: إنما يقول هذا من يأمر بالتبريق والإيعاد.

– **اسْـتَذْأَبَ الـنَّقَد** [1]، أى صـــار كالذئب، والنَّقَد: نوع من الغنم. ويضرب مثلاً للذُّلاّن إذا علَوُا الأعزة. ونظائره كثيرة فى أمثال العرب.

– **الذئبُ أَدْغَم** [2]، قـــال ابن دريد: تفسير ذلك أن الذئاب دُغْمٌ، ولَغَتْ أو لم تَلَغْ، فربما قيل: قد ولغ وهو جائع. يُضرب لمن يُغْبَط بما لم يَنَلْه.

والدُّغْمـــة السواد. والدُّغمان من الرجال: الأسْود. وقيل: الذئب الأدغم هـــو الـــذى يخالف لون وجهه سائر جسده، ولا يكون إلا سواداً. وقال أبو العـــلاء: الأدغم الذى رأسه أشدّ سوادًا من سائر جسده، والمعنى أنه يُظن قد ولَغ فى دم فهو أسود لذلك، وهو جائع ليس فى بطنه إلا جَعْره أى رجيعه.

– **ذئب الخَمَر** [3]، سمى بذلك لملازمته إياه.

– **الذئـــبُ خالـــيًا أسَدٌ** [4]، يضرب لكل متوحّد برأيه، أو بدينه، أو بسفره. ويروى:

---

(١) التاج / ذأب. وتظاهر هذا المثل كثيرة منها: إن الغراب بأرضنا يستنسر، استأسد العنز.. إلخ.

(٢) المستقصى ٣١٨/١ برقم ١٣٦٩، مجمع الأمثال ٢٧٩/١ برقم ١٤٦٤، اللسان / دغم، الفصول والغايات ٤١٢.

(٣) مجمع الأمثال ٢٧٧/١ برقم ١٤٥٨.

(٤) المستقصى ٣١٩/١ برقم ١٣٧٠، مجمع الأمثال ٢٧٨/١ برقم ١٤٦١، التمثيل والمحاضرة ٣٥١، معجم الأمثال العربية ١٥٥/٢.

- **الذئبُ خاليًا أشَدُّ** (١)، أى إذا وجدك خاليًا وحدك كان أجرأ عليك، قال الميداني:

وأجود من هذا أن يقال: الذئب إذا خلا من أعوان جنسه كان أسداً، لأنه يتّكل على ما فى نفسه وطبعه من الصرامة والقوة، فيثب وثبة لا بقيا معها. وهـذا أقـرب إلـى الصواب، لأن " خاليًا " حال من الذئب، لا من غيره. والتقدير: الذئب يشبه الأسد إذا كان خاليًا، قال أبوعبيد: أى إذا قدر عليك فى هـذه الحال فهو أقوى وأجرأ بالظلم. ويضرب فى التحذير من الانفراد بمن يخاف غائلته.

- **ذئب استنعج** (٢).

- **ذئب غضا** (٣).

- **ذئب فى مسك سخلة** (٤).

- **نيـبة قـف مـا لها غميس** (٥)، والقُفّ: ما غلظ من الأرض، والغمـيس: الـوادى فيه شجر ملتف. يضرب لمن جاهر بالعداوة، وأظهر المناوأة.

- **الذئب للضبع** (٦)، أى هو قرنه، ويضرب فى قريني السوء.

---

(١) نفس المصادر

(٢) مجمع الأمثال ١/٢٨٦ (المولدون).

(٣) نفسه ١/٢٧٧.

(٤) مجمع الأمثال ١/٢٨٦.

(٥) نفسه ١/٢٨٢ برقم ١٤٩٢.

(٦) نفسه ١/٢٨٢ برقم ١٤٨٦.

- **ذيـــبة معْزَى وظليم فى الخُبْر** [1]، والخُبْر: الاختبار، أى هو فى الخبث كالذئب وقع فى المعزى.

- **الذئــب مَغْبُوطٌ بذى بَطْنِه، ويُروى [بِطْنَةٍ]** [2]، قـــال أبوعبيد: وذلـــك لأنـــه ليس يُظَنُّ به أبداً الجوع، إنما يُظن به البطنة، لأنه يعدو على الناس والماشية، قال الشاعر:

ومَــنْ يَسْــكُنِ البَحْرَيْــنِ يَعْظُم طِحَالُه ... ويُغْــبَطُ مــا فــى بَطْــنِه وَهْــوَ جَائِعُ

وقـــال غـــيره: إنمـــا قـــال ذلك لأنه عظيم الجفرة أبدًا، لا يبين عليه الضمور، وإن جهده الجوع، قال الشاعر:

لكالذِّئــب مَغْــبُوط الحَشَــا وهْو جائع

وقال الأخطل يذكر عدوًا: [3]

ولَـــوْ لُوَاجِهُـــه مـــنِّى بِقَارِعَـــةٍ ... مـــا كَـــانَ كالذئـــب مغْـــبوطًا بما أكلا

أى: لو أصبته بقارعة لم يسلم كما يسلم الذئب.

- **الذئـــبُ يَـــأدو للغـــزال لـــيأكله** [4]، أى يختله ويخدعه ليوقعه. ويضـــرب مـــثلاً للرجل يخدع صاحبه. يقال: أَدَوْتُ له آدو أَدْوًا، إذا ختلته وقلبوها فقالوا: (دَأى) بدلا من (أدى) ودأى يَدْأَى دَأْيًا ودأْوًا، إذا ختل، قال:

كالذئب يَدْأَى للغزال يختله

---

(١) نفسه ٢٨٢/١ برقم ١٤٩٥، وتاج العروس ٢٤٨/١.

(٢) المستقصى ٣٩/١ برقم ١٣٧١، مجمع الأمثال ٢٧٨/١ برقم ١٤٦٣، المعانى الكبير ١٩٢/١، خزانة الأدب ٣٩٣/٤.

(٣) ديوانه ق ١٥٦/١٣، المعانى الكبير ١٩٢/١.

(٤) المستقصى ٣٢٠/١ برقم ١٣٧٢، مجمع الأمثال ٢٧٧/١ برقم ١٤٥٧، جمهرة الأمثال ٤٢٤/١، التمثيل والمحاضرة ٣٥٢. ورفع الحجب المستورة ٥٠٥/٢، ٦٩٦.

- **الذئبُ يُغْبَطُ بذى بَطْنِه، أو بِطْنَةٍ** [1]، يضـــرب مثلا للرجل يُظن به الغنى وهو فقير، والشبع وهو جائع.

قــيل: معـــناه أنـــه لظلمه وجد أنه لا يظن به إلا الشبع، وهو فى أكثر أحواله جائع. [راجع: الذئب مغبوط بذى بطنه]

- **الذئـــب يُكَنَّى أبا جَعْدَة** [2]، الجَعْدَة: نَبْت طيب الرائحة، ينبت فى الربيع ويجف سريعا، فكذلك الذئب، إن شَرُف بالكنية فإنه يغدر سريعا، ولا يبقى على حالة واحدة.

وقيل: يعنى أن الذئب وإن كانت كنيته حسنة، فإن فعله قبيح.

وقيل: إنه لعبيد بن الأبرص، ونصه:

هِـــيَ الخَمْـــرُ تكْـــنَى الطـــلا ... كَمَـــا الذئـــبُ يُكْـــنَى أبَـــا جَعْـــدَة

وروى:

هِـيَ الخَمْـرُ صِـرْفًا وتكْـنَى الطـلا

قالـــه عبيد حين أراد النعمان بن المنذر - أو المنذر بن ماء السماء - قتله. ويضرب لمن يبرك بلسانه، ويريد بك الغوائل.

وسئل ابن الزبير عن المتعة فقال: " الذئب يكنى أبا جعدة "، يعنى: أنها كنية حسنة للذئب الخبيث، فكذلك المتعة، حسنة الاسم، قبيحة المعنى.

وقـــيل: كنى الذئب بأبى جعدة وأبى جعادة لبخله، من قولهم: فلان جعد اليدين، إذا كان بخيلا.

---

(1) مجمع الأمثال ٢٧٨/١ برقم ١٤٦٣، جمهرة الأمثال ٤٦١/١، زهر الأكم ٧/٣، التمثيل والمحاضرة ٣٥٢، الفصول والغايات ٤١٢.

(2) المستقصى ٣١٦/١ برقم ١٣٥٨، مجمع الأمثال ٢٧٧/١ برقم ١٤٥٩، زهر الأكم ٨/٣، التاج / ذأب، وأدب الكاتب ١٦٦.

- **ذئب يوسف** (١)، يضرب به المثل لمن يُرمى بذنب غيره.

- **ذيــاب فــى ثياب** (٢)، أى أن الناس كالذئاب، مكرًا وخداعًا، وإن كانوا فى الصورة خلافها.

وروى: أنـــه لما وُلد عبدالله بن الزبير - رضى الله عنهما - نظر إليه النــبى ﷺ فقال: هو هو، فلما سمعت أمه أسماء - رضى الله عنها - بذلك، أمســكت عن إرضاعه، فقال لها النبى ﷺ: أرضعيه ولو بماء عينيك، كبش بين ذئاب، وذئاب عليها ثياب، ليَمْنَعَنّ البيت، أو ليُقْتَلَنّ دونه.

- **رمــاه الله بداء الذئب** (٣)، أى الجوع، وقيل: داء الذئب الموت، لأنه لا يعتل إلا علة الموت، ولذا قيل: أصحّ من الذئب.

- **سِرْحان القصيم**(٤)، يضرب للخبيث، والقصيم: رملة تنبت الغضا.

- **سَغْىٌ كَسَغْى الذئب** (٥).

-**سَــقَط العَشَاء به على سرحان** (٦)، يضــرب مثلا للحاجة تؤدى بصاحبها إلى التلف، قال ابن عنمة:(٧)

---

(١) تاج العروس ١/٢٤٨، ٢٤٩. ثمار القلوب ٤٦

(٢) زهر الأكم ٣/٧، ٨.

(٣) المستقصى ٢/١٠٢ برقم ٣٦٤، مجمع الأمثال ١/٢٨٧ برقم ١٥٢٣، زهر الأكم ٢/٥٦، ٣/٦١، تاج العروس / ذأب، حياة الحيوان ١/٣٦٣.

(٤) مجمع الأمثال ١/٣٣٣ برقم ١٧٨٦، المخصص ٨/٦٦.

(٥) الدرة الفاخرة ١/٦٢.

(٦) المستقصى ٢/١١٩ برقم ٤١٣ وفيه [أبلغ نصيحة...]، مجمع الأمثال ١/٣٢٨ برقم ١٧٦٤، زهر الأكم ٣/١٦٩، جمهرة الأمثال ١/٥١٤، التمثيل والمحاضرة ٣٥٢، النوادر ٢٤٧، اللسان / قمر.

(٧) هو: عبدالله بن عنمة بن حرثان بن ذؤيب، شاعر مخضرم، من ضبة، شهد القادسية - راجع شعر ضبة وأخبارها فى الجاهلية والإسلام - صنعة د./ حسن بن عيسى أبو ياسين ص ١٨٠ رقم ١١٠ ط جامعة الملك سعود.

أبْلِــغْ عُثَــيمَةَ أنَّ راعــى إبْلِـــهِ سَــقَطَ العشَــاءُ بِــهِ علــى سِــرْحَان
سَــقَطَ العشَــاءُ بِــهِ علــى مُــتَقَمِّرٍ حَــامِى الذِّمَــار، مُعَــاوِدِ الأَقْــرَانِ

قال ابن منظور: قال ابن برى: هذا مثل لمن طلب خيرًا فوقع فى شر، وأصـــله أن يكون الرجل فى مفازة، فيعوى لتجيبه الكلاب بنباحها، فيعلم إذا نبحـــته الكـــلاب أنه فى موضع الحمى فيستضيفهم، فيسمع الأسد أو الذئب عواءه، فيقصد إليه فيأكله.

وقـــيل: إن (سرحان) ههنا اسم رجل، كان مغيراً، فخرج بعض العرب بإبله ليعشيها، فهجم عليه (سرحان) فاستاقها.

- **طعمة الأسد تخمة الذئب** (١)، أى أنه قليل الأكل، قنوع.

- **عليْه العفَاء والذئب العَوَّاء** (٢)، والعفَاء: التراب. والعَوَّاء: الكثير العواء.

- **عَاثَ فيهم عَيْثَ الذئب يلْتَبِسْنَ بالغنم** (٣)، يضـــرب لمن يجاوز الحدّ فى الفساد بين القوم.

- **غُبَارُ الغَنَم كُحلُ عَيْن الذئب** (٤).

- **غَزْوٌ كَوَلْغ الذئب** (٥)، [راجع: أبشر بغزو كولغ الذئب].

- **فلان أسألُ من فَلْحَس** (٦)، [راجع: أسأل من فلحس].

---

(١) معجم الأمثال العربية ١٥٦.

(٢) مجمع الأمثال ٣٩/٢ برقم ٢٥٧٢.

(٣) مجمع الأمثال ٣٩/٢ برقم ٢٥٦٨.

(٤) التمثيل والمحاضرة ٣٥٢، الحيوان فى الأدب العربى ١٦٢/٢.

(٥) مجمع الأمثال ٥٦/٢ برقم ٢٦٦٦.

(٦) الحيوان ٢٥٧/١ وانظر مراجع (أسأل من فلحس).

- **فلان كالذئب، إذا طُلِب هَرَب، وإن تمكَّنَ وثب** [1].

- **قــد كُنْتُ وما أخشى بالذِّئب** [2]، يقوله الضعيف وقد كان قويا، ويروى:

- **قــد لا أُخْشَى - أو أُخَشَّى - بالذئب** [3]، وذلك: أن الرجل كان يطــول عمــره حتى يخرف، فيصير إلى أن يخوّف بالذئب، قال شريح بن هانئ، وقيل: الربيع بن ضبيع الفزارى:

أصبَحْتُ لا أحمِلُ السّلاحَ...

(سبق البيتان فى: بما كنت لا أخشى الذئب).

- **كالغُرَاب والذئب** [4]، يضرب للرجلين بينهما موافقة ولا يختلفان، لأن الذئب إذا أغار على الغنم تبعه الغراب، ليأكل ما فضل منه. قال الميدانى: وبينهما مخالفة من وجه، وهو أن الغراب لا يواسى الذئب فيما يصيد، كما قال الشاعر:

يُوَاسِى الغُرَابَ الذئبُ فيما يَصِيدُه ... وما صادَهُ الغربانُ فى سعف النَّخْل

أى بعيد عن متناول الذئاب.

- **كافأه مكافأة الذئب** [5].

---

(1) مجمع الأمثال ٢/١٧٢، التمثيل والمحاضرة ٣٥٢.

(2) راجع [بما كنت لا أخشى الذئب] ومراجعه هناك.

(3) نفسه.

(4) مجمع الأمثال ٢/١٦٠ برقم ٣١٤٠.

(5) مجمع الأمثال ١/٤٤٦، الدرة الفاخرة ١/٢٩٤.

- **لَقَــدْ كُنْتُ وما أخشّى بالذئب، فاليوم قيل: الذئبَ الذئبَ** (1)، [راجع: بما كنت لا أخشى، وقد كنت وما أخشى...].

- **اللَّهُمَّ ضَبُعًا وذِئبًا** (2)، يُدْعى به على غنم الرجل، وقيل: بل يدعى به لها، لأن أحدهما يمنع صاحبه، فحينئذ تسلم الغنم.

- **لا آتيك ما غَبَا غُبَيْس** (3)، ويروى:

- **لا أفعَل ذلك ما غَبَا غُبَيْس** (4)، أى ما غبر الدهر، وقيل: أى ما بقى الدهر. وغُبَيْس تصغير أغبس، على الترخيم، وهو الذى لونه كلون الرماد، والدهر يوصف به تشبيهًا له بالذئب، لعدوه على الناس، وإضراره بهم. وغبا: أى خفى، والمعنى: لا آتيك ما دام الذئب يأتى الغنم غِبًا. قال الراجز:

وفى بنى أمّ الزُّبَيْر كَيْسُ ... عَلَى المتَاع ما غَبَا غُبَيْسُ

ورواها أبو العلاء [... على الطعام].

وقال: الغبس الظلمة، وغُبَيْس من أسماء الليل معرفة، وقولهم: لا أفعل ذلك ما غبا غُبَيْس، معناه: ما أظلم الليل...

وقال قوم: يجوز أن يكون قولهم:... ما غبا غُبَيْس، يراد به الذئب، لأن الذئب يوصف بالغبس.

---

(1) المستقصى ١٩٢/٢ برقم ٦٤٩، مجمع الأمثال ١٨٠/٢ برقم ٣٢٥٨، والمراجع المذكورة سابقاً.

(2) المستقصى ٣٤٢/١ برقم ١٤٦٩، مجمع الأمثال ٨٤/٢، اللسان / ضبع.

(3) اللسان / غبس، المستقصى ٢٥٠/٢ برقم ٨٥٦، مجمع الأمثال ٢٣٩/٢ برقم ٣٦٥٠، الفصول والغايات ٣٥٢.

(4) المصادر السابقة.

- **لا تجمع بين السَّخْل والذئب** [1].

- **لا يَلْبثُ الغَوِيَّانِ الصِّرْمة** [2]، والغَوِيُّ: الذئب. والمعنى إذا كان ذئبان أسرعا فى تمزيق الصِّرْمة، وهى: القطعة من الغنم أو الإبل القليلة. والتقدير: لا يلبث ولا يمهل الذئبان الغويّان القطعة القليلة أن يفرقاها ويهلكاها.

يضرب لمن يفسد ماله وهو قليل.

- **متى أمكَنْتَ منك الذئب خائنا** [3].

- **مرَّ بنا كأنه ظل ذئب** [4]، ويروى: مرّ بنا كأنه ذئب، أى فى سرعته.

- **مستودع الذئب أظلم** [5].

- **من خشى الذئب أعدّ كلبا** [6]، يضرب عند الحث على الاستعداد للأعداء.

- **من استرعى الذئب ظلم، أو (فقد ظلم)** [7].

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٣٥٢.

(٢) مجمع الأمثال ٢/٢٣٨، ٢٣٩ برقم ٣٦٤٨.

(٣) جمهرة الأمثال ١/٤٦٤.

(٤) ثمار القلوب ٢٩، التاج / ظلل.

(٥) مجمع الأمثال ٢/٤٣٢، الدرة الفاخرة ١/٢٩٤، الحيوان ٦/٤١٠.

(٦) مجمع الأمثال ٢/٣١٦، معجم الأمثال العربية ٢/١٥٩.

(٧) المستقصى ٢/٣٥٢ برقم ١٢٨٩، مجمع الأمثال ١/٢٦٠، ٢/٣٠٢ برقم ٤٠٢٨، جمهرة الأمثال ٢/ ٢٦٥، التمثيل والمحاضرة ٣٥٢، تاج العروس / ذأب، الحيوان ٤/١٥٠.

قـالوا: إن أول من قاله عمر بن الخطاب ﷺ، يوم قال على المنبر: يا سارية بن حصن، الجبل الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم. ويضرب مـثلا لمن يضع الأمانة فى غير موضعها. و" ظلم " أى ظلم الغنم، أو ظلم الذئب، لأنه كلّفه ما ليس فى طبعه.

وقال الدميرى: أول من قال ذلك أكثم بن صيفى...

- **من لم يكُنْ ذئبًا أكلَتْه الذئاب** (1).

- **هذا أوس عاديا** (2).

- **هو أبقى عدوا من الذئب** (3).

- **هو أخبث من أبى رعلة** (4)، أى الذئب.

- **هـو ذئـب فى ثلة** (5)، أى يفعل فى جماعته ما يفعله الذئب فى جماعة الغنم.

- **هـو يـدبّ له الضَّراء** (6)، أى يختله. والضَّراء: ما يوارى من الشجر، وقيل: الضراء الشجر الملتف فى الوادى، وفلان يمشى الضَّراء: إذا مشى مستخفيًا فيما يوارى من الشجر.

وأصـله: أن الذئـب يرى الضب، فيستتر له فى الشجر، حتى يغتاله. ويروى:

---

(1) بهجة المجالس 1/363، معجم الأمثال العربية 2/158، التمثيل والمحاضرة 352.

(2) اللسان / أوس.

(3) ثمار القلوب 390

(4) اللسان / رعل، عسل.

(5) التاج 1/248.

(6) المستقصى 2/400 برقم 1490، مجمع الأمثال 2/314، 417 برقم 4677، واللسان/ضرا.

- **هو يمشى له الضراء** [1]. قال الكميت:

إنّى على حُبيِّهم وتطلُّعى إلى نصرهم أمشى الضَّراءَ وأختل

وقال امرؤ القيس:[2]

بعثنا ربيئا قبل ذلك مُخمِلاً كذئب الغضا يمشى الضَّرَاءَ ويتّقى

- **هو يمشى له الخمر** [3]، يضرب فى الختل.

- **وَشِيعةٌ فيها ذئَابٌ ونَقَد** [4]، والوشيعة: مثل الحظيرة، تبنى من فروع الشجر للشاء. والنَّقَد: صغار الغنم.

يضرب لمكان فيه الظُّلْمَة والضَّعَفَة، ولا مجير، ولا مغيث.

- **وقع الكلب على الذئب** [5]، أى وقع الكلب على الذئب ليأخذ منه مثلما أخذ، يضرب فى الانتصار من الظالم.

* * * *

---

(1) المستقصى ٢/٤٠٠، ٤٠١ برقم ١٤٩٠.

(2) ديوانه ١٧٢ والمستقصى

(3) المستقصى ٢/٤٠١ برقم ١٤٩٥، مجمع الأمثال ٢/٣١٤، ٤١٧.

(4) مجمع الأمثال ٢/٣٧٣ برقم ٤٤٢٣.

(5) نفسه ٢/٣٧٣ برقم ٤٤٣١.

الأمثال المنظومة

* خَلَّفُونى خِلاَفَةَ الذِّئبِ فى الشَّاءِ   وكَانُوا فى جَهْلِ حَقِّى شَاءَ [1]

* * * *

* وَرَاعِى الشَّاةَ يَحْمِى الذِّئبَ عَنْها   فكَيفَ إِذَا الرُّعَاةُ لهَا ذِئَابُ؟ [2]

* * * *

* ومَا تُجْدِى عَلَيكَ لُيُوثُ غَابٍ   بِنُصْرَتِها إِذَا دَمَّاكَ ذِيبُ؟ [3]

* * * *

* الذئب لا يُؤْمَنُ لكنَّه   عليه فى يوسف مكذوب [4]

* * * *

* وإِذَا الذِّئَابُ اسْتَنْعَجَتْ لَكَ مرَّةً   فحذار منها أَنْ تَعُودَ ذئَابَا
الذِّئْبُ أَخْبَثُ مَا يَكُونُ إذا بَدَا   مُتَلَبِّسًا بَيْنَ النِّعَاجِ إِهَابَا [5]

* * * *

روى الثعالبى البيت الثانى كالتالى:

.... اكتسى   من جلد أولاد النعاج ثيابا

* * * *

* ولَسْتَ كَمَنْ يَرْضَى بما دُونَهُ الرِّضَى   ويَمْسَحُ وَجْهَ الذِّئْبِ والذِّئْبُ آكلُه [6]

يعنى إذا مال عليه فغلبه.

---

(١) ديوان ابن الرومى ٨٧/١.

(٢) حياة الحيوان ٣٦٣/١.

(٣) ديوان ابن الرومى ١٧٦/١، التمثيل والمحاضرة ٣٥٢.

(٤) جمهرة الأمثال ٢٦٥/٢.

(٥) معجم الأبيات الشهيرة ٢٣، التمثيل والمحاضرة ٣٥٢، الشوارد جـ ١ /٥٤ للشاعر عبدالله بن خميس وهى لأبى القاسم الداودى.

(٦) التمثيل والمحاضرة ٣٥٢.

* وقـــال حريز بن نشبة العدوى لبنى جعفر بن كلاب، وضرب جَوْرَ الذئب في الحكم مثلا:[1]

كـــأنّى حيـــن أخـــبُو جَعْفَـــرًا مدحـــى أسـقيهُمُ طـرق مَـاءٍ غـير مشروب
ولَـــوْ أخَاصِــمُ أفعـــى نَابُهـــا لَـــثِقٌ أو الأسَـــاود مِـــنْ صـــمّ الأهَاضِــيب
لَكُنْـــتُمْ مَعَهـــا إلْـــبًا، وكـــان لهـــا نـــابٌ بأسْـــفَل ســـاق أو بعُـــرقوب
ولَـــوْ أخَاصِـــمَ ذئـــبًا فـــى أكِيلَـــتِه لجَـــاءَ فـــى جَمْعِكُـــم يَسْعَى مَعَ الذِّيب

* * * *

* هِـــىَ الخمـــرُ تكْـــنَى الطِّــلا كمـــا الذئـــب يكـــنى أبـــا جعـــدة

أى الفعل قبيح وإن حسنت الكنية.

قال ابن دريد: هكذا روى البيت ناقصا، ورواه بعضهم:

هــى الخمــر صــرفا وتكْــنَى الطِّــلا كمـــا الذئـــب يكـــنى أبـــا جعـــدة [2]

قـــال الدمـــيرى: قالـــه عبيد بن الأبرص للمنذر بن ماء السماء، ملك الحـــيرة، حيـــن أراد قتله... ضربه مثلا، أى تظهر لى الإكرام، وأنت تريد قتلى، كما أن الخمرة وإن سميت طلاء، وحسن اسمها، فإن فعلها قبيح، كذلك وإن حسنت كنيته فإن فعله قبيح.

* * * *

* تَغـدُو الذئـابُ عَلَى مَنْ لاَ كلابَ لَهُ وتَـــتَّقى مَرْبِضَ المُسْتَأسِدِ الضَّارِى [3]

---

(1) الحيوان ٤/١٥١، ١٥٢، والأكيلة: شاة تنصب ليُصاد بها الذئب ونحوه.

(2) المستقصى ١/٣١٦، حياة الحيوان ١/٢٥٩

(3) البيت للزبرقان بن بدر / انظر: شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ص٥٢ تحقيق د./ سعود محمود عبدالجابر – مؤسسة الرسالة، وحماسة البحترى ٤٦٤، ونسب البيت للنابغة، وربما تمثل به الزبرقان... وله روايات أخرى. وانظر: التمثيل والمحاضرة ٣٥٢.

روى ابن خلكان فى تاريخه فى ترجمة عمر بن أبى ربيعة قال: بينما عمــر بن أبى ربيعة يطوف بالبيت، إذ رأى امرأة تطوف بالبيت، فأعجبته، فسأل عنها، فإذا هى من البصرة، فكلمها مرارًا، فلم تلتفت إليه، وقالت: إليك عنى، فإنك فى حرم الله، وفى موضع عظيم الحرمة، فلما ألحَّ عليها ومنعها مــن الطــواف أتت محرمًا لها فقالت له: تعال معى أرنى المناسك، فحضر معهـــا، فلما رآها عمر بن أبى ربيعة عدل عنها، فتمثلت بشعر الزبرقان بن بدر السعدى... البيت.[1]

* ومَــنْ يَسْــكُنِ البَحْرَيْنِ يَعْظُم طِحَالُه ... ويُغْــبَطُ مــا فــى بَطْــنِه وَهُوَ جَائِعُ[2]

وقد ورد فى سياق المثل [الذئب مغبوط بذى بطنه].

* ولَــوْ أُوَاجِهُــه مــنّى بِقَارِعــةٍ ... مــا كَــانَ كالذئْبِ مَغْبُوطاً بما أكَلاَ [3]

* * * *

* ألا رُبَّ ذئــبٍ مَــرَّ بــالقَوْمِ خَاوِيــاً ... فَقَــالوا: عَــلاَهُ البُهْرُ من كَثْرَةِ الأَكْلِ[4]

* * * *

* وأَنْــتَ كَجَــرْوِ الذِّئْــبِ ليس بآلفٍ ... أَبَــى الذِّئْــبُ إلاَّ أَنْ يخُــونَ وَيَظْلِما[5]

* * * *

* وكُنْــتَ كذئــبِ السُّوءِ لمَّا رَأَى دَمًا ... بِصَــاحِبِه يَوْمًــا أَحَــالَ عَلَــى الدَّمِ[6]

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ١/٣٦٠.

(٢) المستقصى ١/٣٢٠ ، زهر الأكم ٣/٧.

(٣) البيت للأخطل – ديوانه – صنعة السكرى ص١٥٦ تحقيق د./ قباوة، والمستقصى ١/٣١٩.

(٤)أنوار الربيع ٢/١٤٥، الحيوان فى الأدب العربى ٢/١٢٦، التمثيل والمحاضرة ٣٥٢.

(٥) مجمع الأمثال ١/٤٤٦، زهر الأكم ٣/٧.

(٦) التمثيل والمحاضرة ٣٥٢، حماسة أبى تمام / التبريزى ١/١٢٠، مجمع الأمثال ٢/٤٨، زهر الأكم ٢/٥٦، اللصوص ١/١٧٥ وهو للفرزدق، وقد سبق.

أحـــال أى أقبل. وهذه الأمثال وما فى معناها فى غدر الذئب، يضادها أشعار أخرى مثل:

* ولـيس الذئـب يـأكل لحـم ذئـب ... ويـــأكل بعضـــنا بعضـــا عـــيانا

* أصاح متى رأيت الذئب مأموناً على الغنم؟ [1]

* وَأَنْـتَ كَذِئْـبِ السُـوءِ إذ قَالَ مَرَّةً ... لَعَمْرُوسَـةٍ وَالذِّئْـبُ غَـرثَان مُـرْمِلُ

أَأَنْـتِ الـتى مِـنْ غَيْرِ ذَنْبٍ شَتَمْتِنى ... فَقَالَـتْ: مَـتى ذا؟ قَـالَ ذَا عَـامُ أَوَّلِ

فقالـت: وُلِدتُ العامَ، بَلْ رُمْتَ غَدْرَةً ... فَدُونَـك كُلْـنى لا هَـنَا لَـكَ مَـأْكَلُ [2]

* وقال أحد الرجاز: [3]

بِتْـــنَا بِحسَّـــان ومعـــزاه يَـــئِطْ ... مَازِلْـــتُ أَسْـــعَى بَيْـــنَهُم وأَلْتَـــبِطْ

حَـــتَّى إذا كَـــادَ الظَّـــلاَمَ يَخْـــتَلِطْ ... جَـــاءُوا بِمَـــذْقٍ هَـــلْ رَأَيْـــتَ الذِّئبَ قَطْ

* * * *

قال الدينورى: نزل هذا الشاعر بقوم فقَرَوه ضياحًا، وهو اللبن الذى قد أكثر عليه من الماء.

* * * *

* وقال شُعْبة بن قُمَيْر: [4]

فـــأبلغْ مالكـــاً عـــنِّى رَسُـــولاً ... ومـــا يُغْـــنى الرَّسُـــولُ إِلَـــيكَ مَـــالِ

يُخَادِعُـــنَا ويُوعِدُنَـــا رُوَيْـــداً ... كَـــدَأْبِ الذِّئْـــبِ يَـــأْدُو للغَـــزَالِ

* * * *

---

(1) جمهرة الأمثال ٢/٢٦٥.

(2) مجمع الأمثال ١/٤٤٦.

(3) الخزانة ٢/١١٠ - تحقيق هارون ط الخانجى الشاهد رقم ٩٦. يئط: مضارع أطّ أى صوت جوفه من الجوع. ألتبط: أعدو. المذق: اللبن الممزوج بالماء وهو يشبه لون الذئب، لأن فيه غبرة وكدورة.

(4) النوادر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى ١٤١.

* وقال الآخر:[1]

عَيْـــنٌ بـــذَاتِ الحَـــبِقَاتِ تَدْمَـــعُ ... واردهَـــا الذِّئْـــبُ وكَلْـــبٌ أبْقَـــع

يضرب لمن له غنى، وخيره قليل، ولا ينتفع به إلا الأخساء.

* وقال الشاعر:[2]

كمُرْضِـــعَةٍ أولادَ أخـــرى وضَـــيَّعَتْ ... بَنِـــيهَا، فَلَـــمْ تَـــرْقَعْ بذلـــك مَـــرْقَعَا

ورُوِى:[3]

كمُرْضِـــعَةٍ أولادَ أخـــرى وضَـــيَّعَتْ ... بَـــنى بَطْـــنِها، هَـــذَا الضَّلاَلُ عَلَى قَصْدِ

* * * *

* لا تَمْدَحَـــنَّ امْـــرَءًا حَـــتَّى تُجَـــرِّبَه ... ولا تَذُمَّـــنَّهُ مِـــنْ غَـــيْرِ تَجْرِيـــب

فَـــرُبَّ خِـــدْنٍ وإنْ أبْـــدَى بشاشته ... يُضحى على خِدْنه أعدى من الذِّيب[4]

* * * *

* هِـــىَ الخَمْـــرُ يُكَـــنُّونَها بـــالطِّلا ... كَمَـــا الذِّئْـــبُ يُكْـــنَى أبَـــا جَعْـــدَة[5]

* * * *

* وكُنْـــتَ شَـــرِيكَ الذِّئْبِ فى كلِّ شَأْنِه ... وإذَا وَثَبَ الرَّاعِى وَثَبْتَ مَعَ الراعى[6]

* * * *

---

(١) مجمع الأمثال ٤١/٢ برقم ٢٥٨. والعين: عين الماء، والحبق: بقل من بُقول السهل والحزن. وتدمع كناية عن قلة الماء فيها.

(٢) سبق مع المثل [أحمق من جهيزة].

(٣) زهر الأكم ١٣٢/٢.

(٤) نفسه ٢٤٥/١.

(٥) نفسه ١٠/٣، وقد سبق بروايات أخرى.

(٦) التمثيل والمحاضرة ٣٥٢.

الذئب فى القصص القديم

* روى البيهقى [1] فى الشعب عن الأصمعى، قال: دخلت البادية فإذا بعجوز بين يديها شاة مقتولة، وجرو ذئب مُقْعٍ، فنظرتُ إليها فقالت: أتدرى ما هذا؟ قلت: لا. قالت: جرو ذئب أخذناه وأدخلناه بيتنا، فلما كبر قتل شاتنا، وقد قلت فى ذلك شعرًا، قلت لها: ما هو؟ فأنشدته:

بَقَرْتَ شُوَيْهَتى وفَجَعْتَ قَلْبى ... وأنْتَ لشَاتنَا ولَدٌ رَبيبُ
غُذِيتَ بدرِّها، ورُبيتَ فينَا ... فَمَنْ أنْبَاكَ أنْ أبَاك ذيب؟
إذَا كانَ الطِّبَاعُ طِبَاعَ سُوءٍ ... فَلَيْسَ بنَافعٍ فيها الأديب

ورواها ابن الأعرابى هكذا: [2]

فَرَسْتَ شُوَيْهَتى وفَجَعْتَ طِفْلاً ... ونسْوَانًا وأنْتَ لهم ربيب
نَشَأتَ مع السِّخَالِ وأنْت طفلٌ ... فَمَنْ أدراك أن أباك ذيب؟
إذا كانَ الطباعُ طِبَاعَ سوء ... فليس بمصلحٍ طبعا أديب

* وقف جَدْى على سطح فمر به ذئب، فأخذ الجدى يشتمه، فقال الذئب: لست تشتمنى، وإنما يشتمنى المكان الذى تحصَّنْتَ به.[3]

* * * *

(١) نقله الدميرى فى حياة الحيوان الكبرى ١/٣٦١، وذكره الحسن اليوسى فى زهر الأكم ١/٢٤٥.
(٢) مجمع الأمثال ١/٤٤٦.
(٣) محاضرات الأدباء ٢/٧٠٨، الحيوان فى الأدب العربى ٢/١٢٧.

الباب الثالث

الذئب خَلْقاً

الذئب خَلقاً

صفة الذئب:

الذئب حيوان مفترس من فصيلة الكلب، وهو يشبه أحد كلاب الألزاس، وكلب الرعى الألمانى.

وأهم ما يمتاز به الذئب عن الكلب ذيل كث الشعر، وأذنان مستقيمتان، إلا أن الأنثى أقل شعرا وأدق فمًا من الذكر.

يــبلغ طول الذئب ١,٦٥ مترا، وطول ذنبه ٥٠ سنتيمترا، وارتفاعه ما بين ٨٠ سنتيمترًا إلى متر عند الكتفين.

ويــبلغ وزن الذئــب فى المتوسط من ٧٠-٨٠ رطلاً، غير أن هذا قد يصل فى الذئب الكبير الحجم إلى ضعف هذا الوزن. والأنثى أقل حجما من الذكــر. وفــراء الذئــب خشنة الملمس، ذات لون رمادى مشرب بحمرة أو صفرة خفيفة.

ويعيش الذئب ما بين ١٦-٢٠ سنة.

ورأس الذئب ذو مقدمة مدببة وآذان صغيرة نسبيا، وله عينان تعكسان الضــوء الصادر من المصباح أو نار فى الظلام، وهو يشبه فى هذا القطط والكلاب التى لها أيضا حدقة عين مائلة.

وتتميز الرقبة والفكوك بقوة خارجة، إذ يستطيع الذئب أن يرفع خروفا ويحمله إلى مسافة بعيدة.[١]

* * * *

(١) مجلة المعرفة / المجلد ١٤ / ٢٠٠٨ وما بعدها.

الحمل والولادة:

حيــنما يــذوب الجليد فى بداية الربيع تبحث أنثى الذئب عن كهف أو عريــن، كمــا تقوم – غالبا – بتوسيع جحر قديم لثعلب أو غرير، وتبطنه بالحــزازيات والأوراق وحــتى بجــزء مــن شعر فرائها لتهيئ سكنا لها ولصغارها المنتظر ولادتهم. ويولد هنا من ٤-٩ أشبال، تبقى كفيفة وعديمة الحيلة لمدة عشرة أيام.

وتقــوم الأم على حراسة ورعاية أولادها وتغذيهم، فإذا أحست بخطر يــتهددهم قامــت بنقلهم إلى مكان آخر أكثر أمانا. وتترك الأم أشبالها إذا ما أصبحت قادرة على رعاية نفسها.[١]

ويقول الجاحظ:[٢]

" وإذا وضعت الذئبة جروها فإنه يكون حينئذ ملتزق الأعضاء، أمعط، كأنــه قطعــة لحــم، وتعلم الذئبة أن الذر يطالبه، فلا تزال رافعة له بيديها، ومحولة له من مكان إلى مكان حتى تفرج الأعضاء ويشتد اللحم ".

وذكروا أن الذئاب تتسافد وبعض الحيوانات الأخرى:

- فالسِّمع ولد الذئب من الضبع، قال الجاحظ:[٣]

وزعموا أن السِّمع ولد الذئب من الضبع.

- والعسبار ولد الضبع من الذئب.[٤]

(١) نفسه، دائرة معارف القرن العشرين ١١٦/٤.

(٢) الحيوان ٦٤/٧.

(٣) الحيوان ١٨٢/١.

(٤) راجع: أسماء الذئب.

– والديسم ولد الذئب من الكلبة، قال الجاحظ: (١)

وزعموا أن ولد الذئب من الكلبة الديسم، ورووا لبشار فى ديسم العنزى أنه قال:

أَدَيْسَمُ يا ابنَ الذِّئبِ مِنْ نَسْلِ زَارِعٍ   أَتَروِى هِجَائِى سَادِرًا غَيْرَ مُقْصِرِ

* * * *

(١) الحيوان ١/١٨٣.

وجه الذئب:

وجه الذئب وقح، وقد ضرب به المثل فقيل: أوقح من ذئب.(١)

قال المتنبى: (٢)

ولـيس حَـيَاءُ الوَجْه فى الذِّئبِ شيمةً ... ولكـنّه مـن شـيمة الأسَـدِ الـورْدِ

ومـن أروع ما وصف به وجهه قول الشنفرى عن الذئاب وهى تجيب الذئب حين عوى:

مهلّلـةٌ شِـيبُ الوُجـوه كأنّهـا ... قِـداحٌ بكفّـىْ ياسـرٍ تَـتَقَلْقَلُ

وقوله فيها، أو فى النحل (راجع تحليل القصيدة):

مُهَـرّتَةٌ فُـوهُ كـأنّ شُـدُوقَهَا ... شُـقُوقُ العِصِـىّ كالحـاتٌ وبُسّـلُ

* * * *

(١) مجمع الأمثال ٣/٥٤٤، المستقصى ١/٤٣٨.

(٢) سبق.

فم الذئب: [فكاه، لسانه، أسنانه].

قال الجاحظ:(١)

ذوات الخراطيم من كل شئ أقوى عضًا ونابًا وفكًا، كالذئب والخنزير والكلب.

وقال:(٢)

" وأصناف الحيوان المشقوقة الأفواه موصوفات بشدة المماضع والفك والخراطيم كالكلب والخنزير والذئب ".

وقال:(٣)

" فأما عضته ومصته فليس يقع على شئ عظما كان أو غيره إلا كان له بالعًا بلا معاناة من شدة فكيه ".

وقال:(٤)

" فأما الذئب فإنه لا يروم بفكيه شيئا إلا ابتلعه بغير معاناة، عظما كان أو غيره، مصمتا كان أو أجوف ".

قال كعب:(٥)

إذا تَوَلَّى بلحم الشّاةِ نَبَّذَهَا   أشلاءَ بُرْدٍ ولم يَجْعَل لها وَضَمَا

ويقال: إنه ليس فى الأرض سبع يعض على عظم إلا ولكسرته صوت بين لحييه إلا الذئب، فإن أسنانه توصف بأنها تبرى العظم برى السيف

(١) الحيوان ٣١٦/٣.
(٢) نفسه ٢١٣/٢.
(٣) نفسه ٤٣٦/٦.
(٤) نفسه ١٤٧/١.
(٥) سبق وروايته (تبرها) بدل (نبذها) وانظر المعانى الكبير ١٩٧/١.

المنعوت بأن ضربته من شدة مرورها فى العظم، ومن قلة ثبات العظم له لا يكون له صوت.

وكـــذا لســـان الذئب، ففيه قوة وحدة، قال الجاحظ [1]: وأما قوله – أى بشر –:

ولَطْعَـــةُ الذِّئْــبِ عَلَــى حَسْــوه ‍ ‍ ‍ ‍ وصــــنعة الســـرفة والدبـــر

قال فإن الذئب يأتى الجمل الميت فيفضى بغمغمته، فيعتمد على حجاج عيـــنه فيلحس عينه لحسًا بلسانه، فكأنما قوّرت عينه تقويراً، لما أعطى من قوة الرَّدَّة.

ورَدَّة لسانه أشد مرًّا فى اللحم والعصب من لسان البقر فى الخلَى.

وقال الدميرى:[2]

ويقطع العظم بلسانه، ويبريه برى السيف ولا يُسْمَع له صوت.

وأنشد أبوزيد:[3]

أنْعَـــتُ ذئــبًا مـــن ذِئَـــابِ فَعْرَيْـــن ‍ ‍ ‍ ‍ مُـــنْهَرِتَ الشـــدْقِ حديـــدَ النَّابَيْـــن
تـــبرى له طلْسَـــاء ذات جَرْوَيْـــن ‍ ‍ ‍ ‍ مألولـــة الأُذُنَيْـــن كحـــلاء العَيْـــن
وَمِنْخَرَيْـــــنِ خُلِقَـــا مُسْـــوَدَّيْن ‍ ‍ ‍ ‍ لكـــلِّ ريـــح نفخـــت معدَّيْـــن
تَعْدُو العراضات بشَوْطَيْن اثنَيْنِ

* * * *

---

(1) الحيوان ٤٣٦/٦.

(2) حياة الحيوان ٣٦١/١.

(3) المعانى الكبير ١٩٧/١.

أصوات الذئب:

صوت الذئب من أقبح الأصوات، قال الجاحظ:(1)

"... وأما سماجة الصوت فالبغل أسمج صوتًا منه، كذلك الطاووس، على أنهم يتشاءمون به. وليس الصوت الحسن إلا لأصناف الحمام من القمارى والدباسى، وأصناف الشفانين والوارشين. فأما الأسد والذئب وابن آوى والخنزير وجميع الطير والسباع والبهائم فكذلك ".

ومما أطلق العرب على أصوات الذئب:

* **الاستهلال**: وقد ذكره العلامة محمود شاكر (2) عند شرح بيت تأبط شرا:

25) تَضْحكُ الضَّبْعُ لقَتْلى هُذَيْلٍ   وتَرَى الذئبَ لها يَسْتَهِلُّ

قال: (ويستهل) يصيح ويستعوى الذئاب، واستعواؤها: أن يعوى الذئب فتستدل الذئاب بعوائه، فتأتيه وهى تعوى كالمجيبة له.

ويستهل من قولهم: استهل الرجل: إذا فرح فصاح .

قال: ولم أجدهم ذكروا (الاستهلال) فى أصوات الذئاب، ولا وصفوه، وإنما اقتصروا على (عوى الذئب، وضغا، ووعوع) (3) ، فينبغى أن يزاد فى أصوات الذئاب (الاستهلال) .

وتفسيره: أن يعوى عواءً يشبه أن تكون فيه رنَّة فَرَح واستبشار، إذا هو رأى جيفة، فتسمعه الذئاب فتتجمع إليه مستجيبة لعوائه.

---

(1) الحيوان 1/288.

(2) نمط صعب ونمط مخيف 268/ محمود محمد شاكر - دار المدنى بجدة - مطبعة المدنى بمصر - الطبعة الأولى 1996م.

(3) لم يقتصروا على هذه الثلاثة وإنما هناك غيرها وقد أوردناه هنا.

* **التضوّر**، وهو صوته عند جوعه [1]. قال الكميت بن زيد:[2]

تَضَــوَّرَ يَشْــكُو مــا به من خَصَاصَةٍ   وكــاد مــن الإفصَــاح بالشــكو يُعرِبُ

* **التطريب**، وقد أخذناه من قول النجاشى:

فَطَــرَّبَ يَسْــتَعْوِى ذئابًــا كثــيرةً   وعَدَّيْــتُ، كُــلٌّ مِــنْ هَــواه على شُغُلِ

والتطريب [3] : صوت فيه جذل وابتهاج، وهو ترجيع الصوت بالغناء وتحسينه وتزيينه، وهو من الطرب، وهى الخفة التى تعترى المرء عند شدة الفرح. فهو – فى ذلك – مثل استهلال الذئب.

* **التلعلع**، وهو – أيضا – صوته عند جوعه. [4]

* **الضغو والضُّغَاء**، ضغا الذئب ضَغْواً وضُغَاءً: تَضَوَّر جوعا.[5]

* **الضغيب والضغاب**.[6] قال الفيروزابادى: والضغيب صوت الأرنب والذئب.

* **وطنب الذئب**، إذا عوى.[7]

* **العقر** [8]، استعقر الذئب: رفع صوته بالتطريب.

---

(1) فقه اللغة ٢٠٠، أدب الكاتب ١٦١.

(2) ديوانه / الجزء الأول – القسم الأول ٨٦، المعانى الكبير ١/٢٠٥.

(3) نمط صعب ونمط مخيف ٢٦٩

(4) فقه اللغة ٢٢٠.

(5) المخصص ٦٨/٨، المنتخب ٣٠٢، الفَرق لأبى حاتم السجستانى – ص ٢٢٣. تحقيق د./ حاتم صالح الضامن، ضمن (نصوص محققة فى اللغة والنحو) ط ١٩٩١ جامعة بغداد.

(6) المخصص ٦٦/٨. القاموس / ضغب.

(7) اللسان: طنب.

(8) التاج / عقر.

* العواء [1]، وهو أشهر ما أطلق على صوته، يقال: عَوَى الذئب عوةً وعويةً، أى صاح، ومدّ صوته كأنه يتضرع. وقد ورد فى الشعر كثيرا، تارة مشبها، وأخرى مشبهًا به، قال مغلّس بن لقيط:[2]

عَـوَى مِـنْهُمُ ذئـبٌ فَطَـرَّبَ عاديـاً ... عَلَـى فطـيات مُمْـتَّار سـخيمها
إذا هُـنَّ لـمْ يلحَسْـنَ مـن ذى قَرَابةٍ ... دمًـا هَلِسَـتْ أجْسـادُها ولحومهـا

وقال امرؤ القيس:[3]

ووادٍ كجَـوف العَـيْرِ قَفْـرٍ قَطَعْـتُه ... بـه الذئـبُ يَعْـوى كالخلـيع المُعَيَّل

وقال كثير:[4]

وصَـانَفْتُ عَـيَّالاً كـأن عُـواءَه ... بُكَـا مُجْـرَذٍ يَـبغى المبيتَ خَلـيعُ

وقال ذو الرمة:[5]

بـه الذئـبُ مَحْـزُونًا كـأنَّ عُـوَاءَه ... عُـوَاءُ فَصـيلٍ آخـرَ اللّـيلِ مُحْـثَلِ
أقَـلَّ وأَقْـوَى، فَهْـوَ طَـاوٍ كَأنّمـا ... يُجَـاوِبُ أعْلَـى صَـوتِه صَوْتُ مُغْولِ

أى يجاوبه الصّدى حين يصيح فى الخلاء.

والعُواء يكون للذئب، والكلب، والفصيل.

وقـال كراع النمل: [6] والذئب يعوى، ولا يقال ذلك حتى يعوّج عنقه، من قولهم: عَوَيْتُ الشئ عيًّا: عطفتُه.

---

(١) المخصص ٦٦/٨، فقه اللغة ٢٢٠، اللسان / عوى، أدب الكاتب ١٦١.

(٢) الحيوان ٣٧٨/١، ومعجم الشعراء ٣٩١.

(٣) البيت من المعلقة وقد سبق.

(٤) المعانى الكبير ١٩٨/١، أى صوته مثل صوت رجل فقد كل ماله.

(٥) نفسه ١٩١/١.

(٦) المنتخب ٣٠٢.

* **العاعاء.**[١]

* **النياحة** [٢]، استنتاح الذئب: عوى فأدنت له الذئاب.

* **الوعوعة، والوعواع..** وعوع الذئب وعوعة، قال الشاعر:[٣]

كـأنَّ خَضِيعَةَ بَطْنِ الجَوَا ... دِ وَعْوَعَةُ الذِّئْبِ فى فدْفَدِ

* ويقال للذئب إذا زجر: يَعَاطِ [٤]، قال الراجز:[٥]

صُبَّ على شَاءِ أبى رِيَاط ... ذُؤَالَة كَالأَقْدُحِ المِرَاطِ

يَدْنُو إِذَا قِيلَ لَه: يَعَاطِ

ولصوت الذئب وقع فى نفس الإنسان، فهو مخيف ومرعب، ولذا عبر الشعراء عن ذلك فى معرض الحديث عن الفزع والرعب، قال الأعشى:[٦]

وعَيْنٍ وحشِيَّةٍ أغْفَتْ فأرّقَهَا ... صَوْتُ الذِّئَابِ فأوْفَتْ نَحْوَه دأبَا

وقال الشاعر:[٧]

لا يَسْتَوِى الصَّوْتَان حِينَ تَجَاوَبَا ... صَوْتُ الكَرِيبِ وصَوْتُ ذِئْبٍ مُقْفِرِ

قال أبو العلاء البغدادى:

أراد صوت المزمار، والكرّاب: الحرّاث.

* * * *

(١) اللسان / عاعا.

(٢) اللسان / نوح.

(٣) المنتخب ٣٠٢، المخصص ٦٨/٨، فقه اللغة ٢٠٢، الفرق للسجستانى ٢٢٣، والبيت لامرئ القيس، ديوانه ٤٥٩.

(٤) المنتخب ٣٠٢.

(٥) نظام الغريب ٢١٤.

(٦) ديوان الأعشى ٣٦١ ق ٧٩، وانظر / الطبيعة فى الشعر الجاهلى ١٦٧.

(٧) اللسان ٧١٤/١، الفصوص ١٨٤/٤.

طعام الذئب:

الذئب من الذئبيات اللاحمة التى لا تعرف إلا اللحم، وأفضل اللحم بالنسبة للذئب لحم الضأن، فإن عجز عن الحصول عليها أكل أى لحم، حتى إنه – كما يقول الجاحظ – " يقع على البقر والحمير والثعالب " (١)

وغذاؤه الأساسى هو الحيوانات الصغيرة كالأرانب البرية، وحتى الجرذان والضفادع والطيور الصغيرة.(٢)

ويأكل الحيَّات أيضا، قال الجاحظ:(٣)

قلت لحيان بن عتبى: لم قال موسى بن جابر الحنفى:

طَرَدَ الأَرْوَى فما تَقْرَبُه ونَفَى الحيَّات عَنْ بَيْض الحجل

قال: لأن الذئاب تأكل الحيات.

قلت: فلِمَ قَالَ خلف الأحمر:

ولا تَسرِى بِعَقْوتِه الذِّئابُ

قال: لأن الذئاب تأكل الحيات.

قال الجاحظ: فظننت أنه حدَس ولم يقل بعلم.

فإن أصاب الذئب العجزُ فى الهرم تعرض للإنسان، قال الجاحظ:(٤)

" الأسْد والنمور والببور لا تعرض للإنسان إلا بعد أن تهرم فتعجز عن صيد الوحش، وإن لم يكن بها جوع شديد فمرّ بها إنسان لم تعرضْ له، وليس الذئب كذلك، لأن الذئب أشد مطالبة، فإن خاف العجز عوى عواء استغاثة، فتسامعت الذئاب وأقبلت، فليس دون أكل ذلك الإنسان شئ ".

* * * *

---

(١) الحيوان ٢/٥١.

(٢) مجلة المعرفة ٢٥٥٨.

(٣)الحيوان ٤/٢٨٠.

(٤)الحيوان ٤٠٨.

شرب الذئب :

ويسمى الولْغ (1). وولْغ الذئب لا يفصل بينه فترة كعد الحاسب، قال الشاعر:

بغزو كولغ الذئب غاد ورائح وسير كنصل السيف لا يتعوج

وفى الأمثال: " أبشر بغزو كولْغ الذئب ".

وقال الثعالبى: ولَغَ السَّبُع. أى فهو عام لسائر السباع.

وطريقة شرب الذئب قبيحة منفرة، قال الجاحظ:(2)

" ومتى رأى إنسان عطشان الديك والدجاجة يشربان، ورأى ذئبا وكلبا يلطعان الماء لطعا ذهب عطشه من قبْح حسْو الديك نغبة نغبة، ومن لطْع الكلب ".

والذئب حين يصيبه العطش يكون أشد فتكا، يقول طرفة:

وكرِّى إذا نَادَى المُضَافُ مُحَنَّبًا كسِيد الغضَا – نَبَّهْتَه – المتَوَرِّدِ

ويقول المتنخل الهذلى:

وماءٍ قَدْ وَرَدْتُ، أُمَيْمَ، طامٍ عَلَى أرْجَائِهِ زَجَلُ القَطَاطِ

فَبِتُّ أُنَهْنِهُ السِّرحَانَ عنه كِلانَا وَارِدٌ حَرَّانُ قَاطِى

وفى رواية (حران ساطى) ، والساطى: ذو السطوة إذا حمل.

* * * *

(1) اللسان / ولغ. وفقه اللغة ١٨٤.

(2) الحيوان ١٤٨/٣.

جوعه:

والأســد والذئــب يختلفان فى الجوع والصبر، لأن الأسد شديد النهم، رغيب، حريص، شره، وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياما لا يأكل شيئا.

والذئب وإن كان أقفر منزلا، وأقل خصبا، وأكثر كدًّا وإخفاقا، فلابد له من شئ يلقيه فى جوفه، فإذا لم يجد شيئا استعار النسيم.

وهــو يفتح فاه للنسيم ليبرد جوفه من اللهب الذى يعترى السباع، ولأن ذلك يمد قوته، ويقطع عنه ببرودته ولطافته الريق، قال القائل:

كَسِيدِ الغَضَا العَادِى أضَلَّ جِرَاءَهُ ... على شرفٍ مستقبل الريح يَلْحَبُ

وقال الراجز:

يَسْتَخْبِرُ الريحَ إذَا لَمْ يَسْمَع ... بمثْلِ مِقْرَاع الصَّفَا الموقَع [1]

وقال حميد بن ثور فى وصفه إياه:

إذَا مَا بَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَيَايةً ... مِنَ الطَّيْر يَنْظُرْنَ الذى هُوَ صَانِعُ

قال الجاحظ: [2] لأنه لا محالة حين يسعى وهو جائع سوف يقع على سبع أضعف منه، أو على بهيمة ليس دونها مانع.

والذئب دائما جائع، حتى ضرب به المثل فقيل: (أجوع من ذئب)، قال امرؤ القيس يبين سبب جوعه:

كِلانَا إذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ ... وَمَنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِى وحَرْثَكَ يهْزَلِ

وقال حميد بن ثور يصف جوعه:

طَوِىَ البَطْنِ إلا مِن مَصِيرٍ يَبُلُّهُ ... دَمُ الجَوْفِ أوْ سُؤْرٌ من الحَوْضِ ناقع

---

(١) الحيوان ١٣١/٤ وما بعدها، وحياة الحيوان ٣٦٠/١، مجمع الأمثال ١٨٦/١.

(٢) الحيوان ٣٢٤/٦.

وقال البحترى:

طَواهُ الطَّوى حَتَّى استَمَرَّ مَريرُه فما فيه إلاَّ العَظْمُ والرُّوحُ والجِلْدُ

وقال كعب:

كَسُوبٌ لَدُنْ أن شَبَّ من كَسْبِ واحدٍ مُحَالِفُه الإقْتارُ لاَ يَتَمَوَّلُ

وقال الكميت:

مُضيعًا إذا أثْرَى، كَسُوباً إذا عَدَا لِسَاعَتِه ما يَستَفِيدُ ويَكْسِبُ

من هنا ضرب به المثل فى الكسب والنشاط، فقالوا: أنشط من ذئب، وأكسب من ذئب، ويدخل ضمن أكسب الحيوانات (النملة، الفأرة، الذئب).

وقد " اقترن وصف الذئب بالجوع فى الشعر العربى، ومن هنا كان المحور الذى انبثقت عنه كل الصفات والنعوت.. وقد ألحوا على ذكر الجوع وأكدوه فى مختلف ما أبرزوا من صور... ".(١)

وقد أشار الشنفرى إلى أن الذئب لا يأكل كمًّا كبيرا من الطعام، حين قال:

وأغدُو على القُوتِ الزَّهيد كَمَا غَدَا أزَلُّ تَهَادَاه التَّنَائِفُ أطْحَلُ

وربما أراد المشابهة فى العدو فقط.

والذئب يتحمل الطوى، قال المتنبى:

وأمشى كما يمشى السِّنَّان لطيَّتى وأطْوى كَمَا تطوى المجلِّحَةُ العقد

وفى أمثالهم (الذئب مغبوط بذى بطنة) ويروى (الذئب يُغْبَط بغير بطنه). وذو بطنة: أى ما فى بطنه، ويقال: ذو البطن اسم للغائط، يقال ألقى بطنه: إذا أحدث.

---

(١) شعر الطرد عند العرب ٢٦١.

قال أبو عبيد: وذلك أنه ليس يظن به أبدا الجوع، وإنما يظن به البطنة، لأنه يعدو على الناس والماشية، قال الشاعر:

ومَــنْ يَسْــكُنِ البَحْرَيْــنِ يَعْظُم طِحَالُه ... ويُغْــبَطُ مــا فــى بَطْــنِه وَهْــوَ جَائِعُ

وقــال غــيره: إنمــا قــيل ذلك، لأنه عظيم الجفرة أبدا، لا يبين عليه الضمور، وإن جهده الجوع، كما قال الشاعر:

.... لكالذِّئــب مَغْــبُوطُ الحَشَا وهُو جَائِع [1]

ومــن أســباب جوعه: أنه لا يأكل من كسب غيره، ولا يقع على بقايا طعــام، ولا يعاود الأكل من الفريسة، ولا يقع على الجيف، ولذا نعجب من قول الفرزدق حين يفخر بخاله " عاصم الضبى " الذى قتل " بسطام بن قيس بن مسعود " يوم النقا، وجعله كالجزور مأكلا للثعالب والذئاب:[2]

وخــالى بالــنَّقَا تَــركَ ابْــنَ لَــيْلَى ... أبَــا الصَّــهْبَاء محــتقرا لهابــا

كَفَــاه التَّــبلَ تَــبلَ بَــنى تمــيمٍ ... وأجْــزَرَهُ الثَّعَالِــبَ والذِّئَابَــا

* * * *

(١) مجمع الأمثال ٢/٨.

(٢) ديوانه ١/١٠٥ ط دار صادر. التبل: الحقد والعداوة. أجزره: أى جعله كالجزور.

حاسة الشم لدى الذئب:

قال الدميرى والنويرى:(١)

" وفـيه من قوة حاسة الشم أنه يدرك المشموم من فرسخ "، وهو أحد أسلحته الفاتكة.

قال الجاحظ:(٢)

"... وإن الفأر ليشم، وإن الذرّ والنمل ليشم، وإن السنانير لتشم، وكذلك الكلب، وله فى ذلك فضيلة، ولا يبلغ ما يبلغ الذئب، وقال أعرابى:

كَانَ أَبُو الصُّحَيْمِ مِنْ أَرْبَابِهَا ... صَبَّ عَلَيْهِ اللهُ مِنْ ذِئَابِهَا

أَطْلَسَ لاَ يَنْحَاشُ مِن كِلاَبِهَا ... يَلْتَهِمُ الطَّائِرَ فِى ذِهَابِهَا

فِى الجَرْيَةِ الأُولى فَلاَ مَشَى بِهَا

ألا تراه يجتهد فى الدعاء عليها بذئب لا ينحاش من الكلاب ! "

فـإذا لم تهده عيناه أو أذناه إلى الفريسة، فإن أنفه تقوم بهذا الدور، قال الراجز وذكر ذئباً:

يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعِ ... بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا الموَقَّعِ (٣)

أى يستروح إذا لم يسمع صوتًا بخرطوم مثل مقراع الصفا، وهو الفأس التى يُكسر بها الصخر، وجعل تشممه استخبارا. وقال الطرماح:(٤)

عَمَلَّسُ دَلَجَاتٍ كَأَنَّ مَسَافَهُ ... قَرَا حُنْظُبٍ أَخْلَى لَهُ الجَوّ مُقْمِحُ

و(مسافه) خطمه، لأنه يسوف به، أى يشم، وقال الآخر:(٥)

---

(١) حياة الحيوان ٣٦١/١، نهاية الأرب ٢٧١/٩.

(٢) الحيوان ١٦٥/٢، ١٦٦.

(٣) نفسه ١٤/٧، المعانى الكبير ١٨٣/١.

(٤) ديوانه / القصيدة رقم ٧، وقد سبق ضمن قصيدة محللة، المعانى الكبير ٨٩/١.

(٥) النصوص ٢٥/٥.

وأطْلَسَ يَهْدِيه إلى الزَّادِ أنْفُهُ   أطَالَ بنا والليلُ مُرْخِي العَسَاكِرِ

ولأنف الذئب وظيفة أخرى - غير ما سبق -، وهى التبريد، قال الجاحظ:(١)

" والذئب - وإن كان عندهم مما لا يجتزئ بالنسيم - فإنه من الحيوان الذى يفتح فاه للنسيم ليبرد جوفه من اللهيب الذى يعترى السباع، ولأن ذلك يمد قوته... ".

والحية مثله، فإنها " إذا لم تجد طعامًا عاشت بالنسيم، وتعيش عليه زماناً طويلا، وتجهد من الجوع ".(٢)

ومن أسمائه - كما أسلفنا - عسّاس، قالوا: ومن معانى التعسس: الشم، أو طلب الصيد بالليل.(٣)

* * * *

(١) الحيوان ٤/١٣١.

(٢) المستطرف ٢/١١٢، والحية فى التراث العربى ٤٠ د/ أحمد إسماعيل أبو يحيى - المكتبة العصرية - بيروت - ط أولى ١٩٩٧م.

(٣) اللسان / عسس، وراجع أسامى الذئب.

نوم الذئب:

إذا كان الفهد يضرب به المثل فى كثرة النوم فيقال (أنوم من فهد)، فإن الذئب يضرب به المثل فى يقظته وهو نائم، فيقال (أيقظ من ذئب) (١)، (أخف رأسا من الذئب).(٢)

قال الجاحظ:(٣)

" وتزعم الأعراب أن الذئب ينام بإحدى عينيه، ويزعمون أن ذلك من حاقّ الحذر، قال حميد بن ثور الهلالى:

يَنَامُ بِإحدَى مُقْلَتَيه ويتّقى الـ ... ـمنايا بأُخرى فَهوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ

وأنا أظن هذا الحديث فى معنى ما مدح به تأبط شرا:

إذا خَاطَ عَيْنَيه كَرَى النّومِ لم يَزَلْ ... لـه كالـئٌ مـن قَلْبِ شَيْحَان فاتك

ويَجْعَـلُ عَيْنَيه رَبِيئةَ قَلْبِه ... إلـى سَلّةٍ مـن حَدّ أخْضَر باتك

فهو لشدة احتراسه يراوح بين عينيه، فتكون واحدة مطبقة نائمة، وتكون الأخرى مفتوحة حارسة (٤)، فإذا اكتفت النائمة وأخذت حقها من النوم فتحها ونام بالأخرى، فهذا دأبه فى نومه.

فشدة حذره هى التى اضطرته لذلك، ومن شقائه بالسهر لا يكاد يخطئه من رماه، رغم أنه فاتح إحدى عينيه، قال الشاعر:

ونِمتَ كنَوْمِ الذئب عن ذى حَفِيظةٍ ... أكلْتَ طَعَامًا دُونَهُ وهو هَاجِعُ

تَرَى طَرْفَيه يَعْسِلانِ كلاهُمَا ... كما اهتزّ عُودُ النبعة المتَتَابِعُ

قالوا: ولقلة نومه سمي: شقذان.(٥)

---

(١) مجمع الأمثال ٣/٥٤٤.

(٢) نفسه ١/٤٤٨.

(٣) الحيوان ٦/٤٦٧، حياة الحيوان ١/٣٦١.

(٤) الحيوان ٣/٤٠٦.

(٥) راجع أسماء الذئب.

مشى الذئب:

تعدو الذئاب دون كلل أو ملل، ويمكن للذئب، أو قطيع الذئاب أن يقطع مسافة من ٤٨-٦٤ كم فى الليلة الواحدة، ويُعدّ هذا سبب ظهورها أحيانا - خاصة إذا كان الشتاء قاسيا - فى أماكن لم يشاهدها أحد فيها لسنين طويلة.

ويمكنها جَلَدها وصبرها من التغلب على حيوان مثل الغزال يجرى بسرعة أكبر، ولكن لمسافات قصيرة.[1]

وقد ورد مشى الذئب وأنواعه فى الشعر القديم، بل إن العرب سمّوا الذئب أسماء مأخوذة من أنواع مشيه كما سلف، وشبه الشعراء رواحلهم فى سيرها بالذئب.

ومن أنواع مشيه:

* **الإرخاء، قال الثعالبى** [2]- فى معرض ذكره ضروب جَرْى الفرس وعَدْوه -: والإرخاء أشد من الإحضار. قال امرؤ القيس:

لَهُ أيْطَلا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعامَةٍ وإرخَاءُ سِرْحَانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

* **التَّعَيُّل**، وهو التبختر والتمايل والاختيال، قال كثير:[3]

وصَادَفْتُ عَيَّالاً كَأن عُوَاءَه بُكَا مُجْرِزٍ يَبْغى المبيتَ خَلِيعِ

* **الخَبَب، قال كعب:**[4]

قَطَعْتُ بِماشٍ بِهَا مُتَضَائِلٌ مِن الطِّلْسِ أحْيَانًا يَخُبُّ ويَعْسِلُ

---

(١) مجلة المعرفة ٢٥٥٩.

(٢) فقه اللغة ٢٠١.

(٣) سبق.

(٤) سبق.

* **الخمع**، قال الصغانى فى شرح البيت: [١]

سوف ترى القصور وهى بلقع ... وكل ربع فيه سِمْعٌ يخمع

وخَمَعَ فى مشيته: أى ظلع.

* **الدألان**، وهى مشية النشيط، وبها سمى الذئب (دؤال، دألان، دؤالة)، ودأل يدأل: أى يعجل فى عدوه ويخف، قال الطرماح: [٢]

فَقُلْتُ: تَعَلَّمْ يا دُؤالُ ولا تَخُنْ ... وَلاَ تَتَخَنَّعْ باللَّيْلِ وَهْوَ خَنُوعُ

* **الذألان** [٣]، وهو كالدألان. قال ابن منظور: والذَّألان مشى الذئب، وهو عَدْوٌ متقارب. قال ابن سيده: الذألان السرعة، والذؤال من النشاط. والذألان: مشى خفيف فى مَيسٍ وسرعة، وبه سمى الذئب ذؤالة، قال الشاعر:

ذو ذَألان كذآليل الذِّئْب

ومن أسمائه (ذَألان، ذَألانة، ذؤالة) قال امرؤ القيس: [٤]

فى نَفْنَفٍ طَامِسِ الأعلامِ لَيْسَ به ... إلاَّ ذُؤالةُ طَاوٍ كَشْحُهُ جُنُبُ

* **العجرمة**، عَجْرَم الذئب عجرمةً: أسرع فى مقاربة خطو. [٥]

* **العَسَلان** [٦]، وهو الإسراع، وهزّ الرأس، والاضطراب فى العدو، وهو خاص بالذئب. قال الباهلى: ولاضطراب الرمح سمى العسّال.

---

(١) المرتجل فى شرح القلادة السمطية ١٩٧.

(٢) سبق.

(٣) اللسان / ذأل.

(٤) سبق.

(٥) اللسان / عجرم.

(٦) فقه اللغة ٢٠٠.

قال الأخطل:[1]

تَصَاحُبُ ضَيقَىْ قَفْرَةٍ يَعْرِفَانها غُرَابٍ وذئبٍ دائم العَسَلان

ومنه سمى (عسال، عاسل...).

وقال آخر:[2]

والله لَوْلاَ وَجَعٌ فى العُرْقُوبْ لكُنْتَ أبْقَى عَسَلاً من الذِّيب

والعسلان: الاضطراب. قال ساعدة بن جؤية:[3]

لَدنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُه فيه كما عَسَلَ الطريق الثعلب

* العملسة، وهى السرعة. وبها سمى (عَمَلَّس)، قال الشنفرى:[4]

ولى دُونَكُمْ أهْلُونَ: سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأرْقَطُ زُهْلُولٌ وعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

* القَزَل، وهو أسوأ العرج وأشده، والأقزل: الأعرج دقيق الساقين، ولا يكون أقزل حتى يجمع بين هاتين الصفتين. قال الثعالبى [5]: والقزل مشى الأعرج.

وقال الجاحظ [6]: والذئب أقزل، شنج النسا، وإن أحث إلى المشى فكأنه يتوجى.

وقال ابن قتيبة [7]: ومن الحيوان ضروب توصف بـ " شنج النسا " وهى لا تسمح بالمشى، قال: ومنها الذئب، وهو أقزل، وإذا طرد فكأنه يتوجى.

---

(١) سبق.

(٢) النوادر لأبى زيد ١٤.

(٣) نفسه ١٥.

(٤) سبق.

(٥) فقه اللغة ١٩٨، ونوادر أبى زيد ١٦٧.

(٦) الحيوان ٥/٢١٣.

(٧) أدب الكاتب ١١٦، ١١٧.

* الــنَّألان. قــال كــراع [1]: والدَّألان، والذَّألان، والنَّألان: مشى خفيف.

(١) المنتخب ٢١٦.

جلسة الذئب:

ولها عندهم أسماء، منها:

* **الافتراش** (1)، وذلك إذا افترش ذراعيه وربض عليهما وحدهما.

* **الإقعـــاء** (2)، قال ابن منظور: أقعى الذئب إذا جلس. قال ابن عنقاء الفزارى:

.... صَـأى ثـم أقْعـى والبلادُ بلاقعُ

* **الـتأبُّض** (3)، وتأبَّض الذئب أى جلس منكبًا. وكان العرب يهجون بها، قال ساعدة بن جؤية يهجو امرأة من بنى الديل بن بكر: (4)

إذا جلَسَتْ فـى الـدَّارِ يومًا تأبَّضَتْ تـأبُّضَ ذِئْـبِ التَّلْعَـةِ المُتَصَـوِّبِ

* * * *

(1) اللسان / فرش.

(2) نفسه / قعى.

(3) نفسه / أبض.

(4) شرح أشعار الهذليين ١١٥٠/٣.

الباب الرابع

الذئب خُلُقاً

الفصل الأول

أخـــلاقــــه

١ـ أخلاقه:

*** خبث الذئب واحتياله وختله وخداعه:**

قال القزوينى (١): الذئب حيوان كثير الخبث، ذو غارات وخصومات ومكابرة وحيل شديدة.

قال بشر بن المعتمر: (٢)

فشرهم أكثرهم حيلة كالذئب والثعلب والذر

وفى أمثالهم: " الذئب يأدو للغزال " ويضرب فى الخديعة والمكر، قال أبو العلاء المعرى: (٣)

ولا تكن عاديا كالذئب شيمته ختل فلا خير مصروف إلى الختل

وفى تحليلنا للقصائد والمقطوعات أوردنا الكثير من هذا.

*** غَدْرُه وعُقوقه وخيانته وظلمه:**

والعقوق بإناثه ألصق، فقد قالوا فى الأمثال "أعق من ذئبة"، وإنما قالوا ذلك، لأنها تكون مع ذئبها فيدمى، فتشد عليه فتأكله، قال رؤبة: (٤)

فَلاَ تكُونى يا ابنَةَ الأشَمِّ وَرْقَاءَ دَمَّى ذِئْبَها المُدَمِّى

وقيل: إن هذه الصفة عامة فى الذكور والإناث، فقد قال الفرزدق: (٥)

وكُنْتَ كذئبِ السُّوءِ لمَّا رَأى دَمًا بِصَاحِبِه يَوْمًا أحَالَ عَلَى الدَّمِ

فهو يعاتب صديقًا له أعان عليه فى مصيبة نزلت به.

---

(١) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ٤٢٤.

(٢) الحيوان ٦/٤٠٦.

(٣) اللزوميات ١٠٢، ومجمع الأمثال ٢/١٣٥.

(٤) ديوانه ١٤٢، الحيوان ٦/٢٩٨، ثمار القلوب ٣٩٨، المعانى الكبير ١/١٨٥.

(٥) الحيوان ٦/٩٧، نهاية الأرب ٩/٢٧٢، والمعانى الكبير ١/١٨٥.

وقال آخر:[1]

فَـتًى لَـيْس لابْنِ العَمِّ كالذِّئْب إن رأى ... بصـاحبه نَمًـا يَوْمًـا أعَانَ عَلَى الدم

وواضـــح أنه قريب من بيت الفرزدق. وربما كان ذلك من باب (القتل الرحيم) كما يسميه الفرنجة.

قـــال الجـــاحظ [2]: " والذئـــب أغـــدر من الخنزير والخِنَّوْص، وهما بهيمتان"

وقال آخر:

وأنْـتَ كَجَـرْوِ الذِّئْـبِ لـيس بـآلفٍ ... أبَـى الذِّئْـبُ إلاَّ أنْ يخُـونَ وَيَظْلِمـا

وفيه إشارة إلى أن (الطبع غالب)، و(يغلب التطبع).

حكـــى أن أعرابـــية ربـــت بالـــبادية ذئبا، فلما شب افترس سخلة لها فقالت:[3]

فرسـت شُـوَيْهَتى وَفَجَعْـتَ قَلْـبى ... وأنْـتَ لشَـاتنَا وَلَـدٌ رَبِيـبُ

غُذيـتَ بدرِّهـا، ورُبيـتَ فِيـنَا ... فَمَـنْ أنْـبَاكَ أنْ أبَـاكَ ذيـبُ؟

إذَا كَـانَ الطِّـبَاعُ طِـبَاع سُـوءٍ ... فَلَـيْسَ بِـنَافِعٍ فِـيها الأديـبُ

ومـن المعلوم أن الذئب لا يروَّض، فقد روِّض الأسد والنمر والفهد... وغيرها، ولم نسمع أن ذئبا روِّض.

وتكثر أحاديث العرب عن ظلم الذئب، ومن أشهرها:

---

(1) مجمع الأمثال ٣٩٨/٢، والبيت للعجير السلولى كما فى الأمالى ٢٧٥/١.

(2) الحيوان ٤٨/٤.

(3) حياة الحيوان ٣٦١/١، وهناك رواية أخرى:

فَرَسْـتَ شُـوَيْهَتى وَفَجَعْـتَ طفـلاً ... ونِسْـوَانًا وأنْـتَ لهـم ربيـب

نَشَـأْتَ مـع السِّـخَالِ وأنـت طفـلٌ ... فَمَـنْ أدراك أن أبـاك ذيـب؟

إذَا كَـانَ الطِّـبَاعُ طِـبَاعَ سـوءٍ ... فلـيس بمصـلحٍ طـبعًا أديـب

من استرعى الذئب ظلم، مستودع الذئب أظلم، أظلم من ذئب..إلخ[1]

وفى تبييت النية للغدر مع البهتان والظلم، جاءت الأبيات الرائعة:[2]

وَكُنْتَ كَذئْبِ السُّوءِ إذ قَالَ مَرَّةً ... لِعَمْرُوسَةٍ وَالذِّئْبُ غَرْثَانُ مُرْمِلُ
أأنْتِ التى مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ شَتَمْتِنى ... فَقَالَتْ: متى ذا؟ قَالَ ذَاكَ عَامُ أوَّلُ
فَقَالَتْ: وُلِدتُ العَامَ، بَلْ رُمْتَ غَدْرَةً ... فَدُونَكَ كُلْنى لا هَنَا لَكَ مَأْكَلُ

أرأيت كيف ادعى الذئب كذبا وزورا أن العمروسة شتمته؟ ومتى شتمته؟ يقول: ذاك عام أول.. وذاك يدل على غبائه، فهى صغيرة لم تكمل عامها الأول.. ومن هنا أدركتْ أنه عازم على افتراسها، ويحاول تبرير ذلك.. مع أنه يمكن أن يأكلها دونما تبرير. فما كان منها إلا أن دَعَتْ عليه.. وهذا رد فعل المظلوم العاجز.

فلله در ذلك الشاعر، الذى يصور عالم الإنس، عالم الغابة...

وما أروع قول الفرزدق فى غدر الذئب:

وأنْتَ امرؤٌ يَا ذِئْبُ وَالغَدْرُ كنتُمَا ... أخَيَّيْنِ كَانَا أُرْضِعَا بِلَبَانِ

ولا يزال الشعراء يركزون على غدر الأنثى، فيقول أحدهم:[3]

إنّى رأيتُكِ كالوَرْقَاءِ يُوحِشُها ... قُرْبُ الأَلِيفِ وتَغْشَاهُ إذَا نُحِرا

يعنى ذئبة، تنفر من الذئب وهو صحيح، فإذا رأت به دمًا غشيته لتأكله.

ومن هنا جاء فى أمثالهم: أسرع غَدْرةً من ذئبة...

(1) راجع الأمثال المذكورة فى ذلك.
(2) مجمع الأمثال ٢/١٣٥.
(3) المعانى الكبير مجلد ١/١٨٥.

*** حرصه وإلحاحه وجرأته:**

الذئب أحرص السباع على المطالبة، فإذا عجز استغاث عاويا، فتتجمع الذئاب لعوائه، وتهاجم الإنسان وتأكله، وهو ينفرد بهذه.

روى كشاجم فى ذلك بيتين لم يسم قائلهما:[1]

لم تـك كالليث اكتفى مُفْـرَدًا ... بنَفْسه لما أرَاع القُـرَى
بل كُنْتَ كالذِّئْبِ رأى عَجْـزَه ... فاسْتَنْجَدَ الذُّؤْبَانَ واستَنْفَرا

ويتحدث الشعر عن تصميم الذئب وجرأته على الافتراس، فنجد امرأ القيس يقول:[2]

أرَانَا مُوضَعِينَ لأمْرِ غَيْبِ ... ونُسْحَرُ بالطَّعَامِ وبالشَّرَابِ
عَصَافِيرٌ وذبَّانٌ ودُودٌ ... وأجْرأُ مِنْ مُجَلِّحَةِ الذِّئَابِ

*   *   *   *

(١) عيون الأخبار ١٠٩، ١١٠، الصيد والطرد فى الشعر العربى ١٢٤.

(٢) سبق تخريجهما.

الفصل الثانى

علاقته بغيره

علاقته بغيره

١- الذئب والذئاب الأخرى:

إذا عوى الذئب فهو يستغيث، فتأتيه الذئاب مغيثة، ومن العجيب أنه إذا ما أدمى الإنسان ذئبا، وثَبَتْ بقيةُ الذئاب عليه فمزقوه وتركوا الإنسان. وهو ما قاله أحد الشعراء يخاطب صديقا له، وكان قد أعان عليه فى أمر نزل به:

وكُنْتَ كذئب السُّوءِ لمَّا رأى دَمًا ... بِصَاحِبِه يَوْمًا أحَالَ عَلَى الدَّمِ [1]

وقال بشر بن المعتمر:[2]

النَّاسَ دَأْبًا فى طِلاَب الغِنَى ... وكُلُّهُمْ من شأنه الخَتَرُ

كأذْؤُبٍ تَنْهَشُها أذؤبٌ ... لَهَا عُوَاءٌ ولها زَفَرُ

تَرَاهُمُ فَوْضَى وَأَيْدِى سَبَا ... كُلٌّ له فى نَفْسِهِ سحَرُ

قال الجاحظ: [3]

وأما قوله: كأذؤب تنهشها... إلخ.

فإنها قد تتهارش على الفريسة، ولا تبلغ القتل، فإذا أدمى بعضها بعضا وثَبَتْ عليه فمزقته وأكلته، قال الراجز:

فَلاَ تكُونِى يا ابْنَةَ الأَشَمِّ ... وَرْقَاءَ دَمَّى ذِئْبَهَا المُدَمَّى

... نعم، حتى ربما أقبلا على الإنسان إقبالا واحدا، وهما سواء على عداوته والجزم على أكله، فإذا أدمى أحدهما وثب على صاحبه المدمّى فمزقه وأكله، وترك الإنسان، وإن كان أحدهما قد أدماه.

---

(١) حياة الحيوان ٣٦١/١.

(٢) الحيوان ٢٨٤/٦.

(٣) نفسه ٢٩٧/٦-٢٩٩.

ولا أعلــم فى الأرض خلقاً ألأم من هذا الخلق، ولا شرًا منه، ويحدث عند رؤيته الدم له فى صاحبه الطمع، ويحدث له فى ذلك الطمع فضل قوة، ويحدث للمدمَّى جبن وخوف، ويحدث عنهما ضعف واستخذاء، فإذا تهيأ ذلك مــنهما لم يكن دون أكله شئ. والله أعلم حيث لم يعط الذئب قوة الأسد، ولم يعط الأسد جبن الذئب الهارب بما يرى فى أثر الدم من الضعف ".

* * * *

٢ - الذئب والإنسان:

إذا دمى الإنسان وشمّ الذئب منه ريح الدم، فما أقل من ينجو منه، وإن كان أشد الناس بدناً وقلباً، وأتمهم سلاحاً، وأثقفهم ثقافةً.(١)

" والذئــب ليس كالسباع القوية الشريفة ذات الرياسة: الأسود والنمور والببور لا تعرض للناس إلا بعد أن تهرم فتعجز عن صيد الوحش. وإن لم يكن بها جوع شديد فمر بها إنسان لم تعرض له.

" ولــيس الذئب كذلك، لأن الذئب أشد مطالبةً، فإن خاف العجز عوى عواء استغاثة فتسامعت الذئاب وأقبلت، فليس دون أكل ذلك الإنسان شئ"(٢)

" وإنمــا يكون الإنسان من مصايد الذئب إذا لقيه والأرض ثلجاء، فإنه عند ذلك يحفش وجه الأرض ويجمعه، ويضرب وجه الرجل فارساً كان أو راجلاً. قال:

ودُقــاق الــثلج وغــباره إذا صك وجه الفارس سَدِرَ واسترخى وتَحَيَّر بَصَرُه، فإذا رأى ما قد حلّ به فربما بَعَج بطن الدابة، وربما عضّها، فيقبض على الفارس فيصرعه ولا حراك به، فيأكله كيف يشاء إلا أن يكون الفارس مجــرّبا ماهــرا، فيشــدّ عليه عند ذلك بالسلاح، وهو في ذلك يسير ويقطع المفازة، ولا يدعه حينئذ يتمكن من النفر عليه " (٣)

(١) الحيوان ٦٤/٧. وعجائب المخلوقات للقزويني ص٤٢٥.
(٢) نفسه ٤٠٨/٦، ونهاية الأرب ٣٢٩/٩.
(٣) نفسه ٢٥٢/٧.

والذئـــب أشد السباع طلبا للإنسان، قال بليناس: إن وقعت عين الإنسان علـــى الذيب أولا استرخى الذئب، وإن وقعت عين الذئب على الإنسان أولا استرخى الإنسان. وإذا رأى مع الرجل عصا يفزع منه. (١)

وتصـــف مجلـــة المعـــرفة معركة وقعت بين عدد من الجند وعدد من الذئاب قائلة:(٢)

هاجم قطيع كبير من الذئاب فى شتاء عام ١٨١٢ فرقة فرنسية قوامها ٨٠ جنديا أثناء مكافحتهم الجليد للوصول إلى مخيمهم فى مقاطعة نورماندى، كان الرجال مسلحين وحاربوا الوحوش بكعوب البنادق وحرابها ليقتلوا ذئبا وراء الآخـــر. ودارت المعركة لساعات طويلة، ورغما عن شجاعة الجنود الفائقة، فقد تساقطوا واحد تلوا الآخر يعلو كلاً منهم ثلاثة أو أربعة ذئاب.

وحينما وصلت جماعة البحث عن هذه الفرقة كانت المعركة قد انتهت، وعثرت الجماعة على جثث ٣٠٠ ذئب بيد أنه لم يكن هناك أحد من الجنود على قيد الحياة.

* * * *

(١) عجائب المخلوقات للقزوينى ص٤٢٥.

(٢) ص ٢٥٥٨.

٣- الذئب والغنم:

فى حديث الرسول ﷺ: "... إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ".

وقال القائل:

وَرَاعِى الشَّاةَ يَحْمِى الذِّئْبَ عَنْهَا فكَيْفَ إِذَا الذِّئَابُ لهَا رُعَاةُ؟

وقد أوردت كتب الحيوان فى عداوة الذئب للغنم أشياء عجيبة، كما أوردت حقائق، ومما جاء فى هذه العلاقة:

- إنه إذا اجتمع جلده مع جلد شاة تمعّط جلد الشاة.(١)

- وإن اتُّخذ من جلده طبل وضرب به بين طبول تشققت الطبول كلها.(٢)

- الشاة من الذئب أشد فرقا منها من الأسد، وإن كانت تعلم أن الأسد يأكلها.(٣)

- وإذا أخذ الأسد الشاة ولم تتابعه ولم تعنه على نفسها، فربما اضطر الأسد إلى أن يجرها إلى عرينه. وإذا أخذها الذئب عَدَت معه حتى لا يكون عليه فيها مؤونة، وهو إنما يريد أن ينحّيها عن الراعى والكلب.(٤)

- إذا دفن رأس الذئب فى (زريبة) تمرض غنمها وتموت. (٥)

- وأكثر ما يعرض الذئب للغنم مع الصبح، وإنما رقب فترة الكلب وكلاله، لأنه بات ليلته دائبا يحرس، فاستسلم للنوم بعد سهر ليل طويل.

---

(١) الحيوان، ونهاية الأرب ٩/٢٧٢، وحياة الحيوان ١/٣٦١.

(٢) نفسه.

(٣) الحيوان ٢/٥٤.

(٤) الحيوان ٦/٣٧٥، ٣٧٦.

(٥) عجائب المخلوقات / القزوينى ص٤٢٥.

قـال أعـرابى وكسر ذئبٌ شاةً له مع الصبح، وكان يسمى هذه الشاة وردة، وكنيتها أم الورد.

أودى بـوردة أم الـورد ذو عسـل ... مـن الذئـاب إذا مـا راح أو بكـرا
لـولا ابـنها وسـليلات لهـا غـرر ... مـا انفكـت العيـن تذرى دمعها دررا
كأنمـا الذئـب إذ يعـدو علـى غنمى ... فـى الصـبح طالـب وتـر كان فاتأرا
اعـتامها، اعـتامه شـثن براثـنه ... مـن الضـوارى اللواتى تقصم القَصَرا

قال: فى هذا الشعر دليل أن الذئب إنما يعدو عليها مع الصبح عند فتور الكلـب عن النباح، لأنه بات ليلته دائبا يقظان يحرس، فلما جاء الصبح جاء وقـت نوم الكلاب، وما يعتريها من النعاس، ثم لم يَدْعُ الله على الذئب بأن يأكله الأسد حتى يختاره ويعتامه إلا والأسد يأكل الذئاب ويختار ذلك. وإنما استطاب لحم الذئب بفضل شهوته للحم الكلب.(١)

– وإذا جُمع بين وتر عُمل من أمعاء ذئب وبين أوتار عُمِلت من أمعاء الغنم وضرب بها لا يسمع لها صوت.(٢)

وليس فى الحيوان ما هو أردأ حيلة وأقل قدرة فى الدفاع عن النفس من الغنم، ذلك لأن الله جعلها لكفاية الناس ووصلها بحاجتهم (٣)

قال الجاحظ فى خوف الشاة من الذئب:

" والـنعجة ترى الفيل والزَّندبيل، والجاموس والبعير، فلا يهزها ذلك، وتـرى السـبع – وهـى لم تره قبل ذلك – وعضو من أعضاء تلك البهائم

(١) الحيوان ٢/٢٠٣، ٢٧٦، ٢٧٧.
(٢) نهاية الأرب ٩/٢٧١، ٢٧٢.
(٣) المصايد والمطرد ٤٥.

أعظـــم، وهـــى أهول فى العين وأشنع. ثم ترى الأسد فتخافه، وكذلك الببر والنمر.

" فـــإن رأت الذئـــب وحده اعتراها منه وحده مثل ما اعتراها من تلك الأجـــناس لو كانت مجموعة فى مكان واحد وليس ذلك عن تجربة، ولا لأن منظره أشنع وأعظم وليس فى ذلك علة إلا ما طبعت عليه من تمييز الحيوان عندها " (١)

" وإذا عض الذئب شاة فأفلتت منه بضرب من الضروب فإن عادة الغنم إذا وجـــدت ريح الدم أن تشم موضع أنياب الذئب، وليس عندها عند ذلك إلا أن ينضم بعضها إلى بعض.(٢)

* * * *

(١) الحيوان ١٨٧/٣.

(٢) الحيوان ٦٣/٧.

٤- الذئب والكلب:

ذكـــروا أن الذئـــاب والكلاب تتسافد، وأن ولد الذئب من الكلبة يسمى "الديسم " وهذا - مع ذكر من العداوة بينهما - غريب.

وفـــى رسائل إخوان الصفا رسالة تحكى قصة الإنسان والحيوان أمام محكمة الجن، ومنها: أن الحيوانات قد جمعت زعماءها وخطباءها، وذهبت إلـــى براســـت الحكيم ملك الجن، تشكو إليه ظلم الإنسان لها، وينيب الملك قاضيا ليسمع دعواهم..

وتنتخب الحيوانات خطيبها المحامى الذى يواجه زعماء بنى آدم ويقرع حججهم، ويدحض مزاعمهم. وهذا الخطيب الحيوان من بنات آوى.

وأول مـــا يُعـــرض مـــن ذلك: إنكار السباع على الكلب إلفه لبنى آدم ومجاورتـــه. وهنا يتدخل الذئب فى الحديث فيصب جام غضبه على الكلب قائلا:

إنمـــا دعـــا الكـــلاب إلى مجاورة بنى آدم ومداخلتهم، مشاكلة الطباع ومجانســـة الأخـــلاق، ومـــا وُجدت عندهم من المرغوبات والملذات، ومن المـــأكولات والمشـــروبات، ومـــا فـــى طباعها من الحرص والشره واللؤم والـــبخل، ومـــا فى جبلتها من الأخلاق المذمومة الموجودة فى بنى آدم مما الســـباع عـــنه بمعزل، وذلك أن الكلاب تأكل اللحمان ميتا وجيفا ومذبوحا، وحامضـــا وجبـــنا وســـمنا ودسما، ودبسا وشيرجا، وناطفا وعسلا، وسويقا وكامخـــا، ومـــا شاكلها من أصناف مأكولات بنى آدم التى أكثر السباع لا يأكلها ولا يعرفها ".[1]

ويمضـــى الذئـــب الخطيب - الذى لا شك قد قاسى كثيرا من مطاردة الكـــلاب له إذا مـــا هـــمّ بمهاجمة قرية ما ليلا أو نهارا - فيصف الكلاب

(١) رسائل إخوان الصفا ٢/٢٠٦.

بالأنانية لأنها تمنع بقية السباع من دخول القرية خشية أن تنازعها فى الخير الذى ترفل فيه، بل إنها – أى الكلاب – تقف حائلا بين بنات آوى وبين دخول القرى لتسرق ديكا أو دجاجة أو لتجر جيفة مطروحة أو كسرة أو ثمرة، وتخرجه من القرية جائعا خائب الأمل.

ويمعن الذئب فى الحملة على الكلاب وبنى الإنسان، ويربط بينهما برباط من الخسة، ويقرن بينهما لتجانس طباعهما وفساد أخلاقهما، الأمر الذى دعا الكلاب إلى أن تخرج على السباع وتستأنس إلى الإنس، وتصبح لهم عونا على أبناء جنسها من السباع.(١)

وقد ذكر الجاحظ فى الحيوان مقارنة بين الكلب والذئب فقال:(٢)

وزعمتم أن الكلاب أمة من الجن مسخت، والذئب أحق بأن يكون شيطانا من الكلب، لأنه وحشى وصاحب قفار، وبه يضرب المثل فى التعدى. والكلب ألوف وصاحب ديار، وبه يضرب المثل. والذئب ختور غدار، والكلب وفى ناصح. والذئب مضرة كله، والكلب منافعه فاضلة على مضاره.

• • • •

---

(١) راجع الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية / كتاب النثر ٦٨٨ – ٦٨٩.

(٢) الحيوان ١/٢٩٧، ٢٩٨.

٥- الذئب والضبع:

وذكروا أن الضبع إذا هلكت قام بشأن جرائها الذئب، قال الكميت:

كَمَـا خَامَـرَتْ فـى حِضْنِهَا أمُّ عامرٍ   لـدى الحـبل حـتى غَالَ أوْسٌ عِيَالها

وأنشد أبو عبيدة فى ذلك شعرا فسر به المعنى، وهو قوله:

والذئـب يَغْـذُو بَـنَاتِ الذِّيـخِ نافلـةً   بـلْ يحسـب الذئـبُ أن الـنَّجْلَ للذِّيب

يقـول لكـثرة ما بين الذئاب والضباع من التسافد يظن الذئب أن أولاد الضبع أولاده.(١)

وليس معنى ذلك أن هناك مودة وسلاما بينهما دائما، بل إن الذئب ينافر الضبع. قال الشاعر:

وكـان لهـا جَـارَانِ لاَ يَخْفـرانها   أبُـو جَعْـدَة العَـادِى وعَـرْقَاء جَيْأَل

أى إذا اجتمع الذئب والضبع فى غنم منع كل واحد منهما صاحبه، فهما لا يتفقان. وقالت العرب: اللهم ضبعا وذئبا، أى اجمعهما فى الغنم "(٢)

فبأسهما يكون بينهما شاغلا لهما عن أن يعيثا فى الغنم.

• • • •

---

(١) الحيوان ٦/٣٩٧، ٣٩٨.

(٢) مجمع الأمثال ٢/٨٤.

٦- الذئب والنعام:

قــال الجــاحظ [١]: وضحك أبو كلدة حين أُنشد شعر ابن النطاح وهو قوله:

وَالذِئبُ يَلْعَبُ بِالنَّعامِ الشَّارِدِ

فقال: وكيف يلعب بالنعام، والذئب لا يعرض لبيض النعام وفراخه حين لا يكونـــان حاضرين، أو يكون أحدهما، لأنهما متى ناهضاه ركضه الذكر فــرماه إلـــى الأنـــثى وأعجلته الأنثى فركضته ركضة تلقيه إلى الذكر، فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه، أو يعجزهما هربا، وإذا حاول ذلك منه أحدهما لم يقو عليه، قال: فكيف يقول:

وَالذِئبُ يَلْعَبُ بِالنَّعامِ الشَّارِدِ

وهذه حاله مع النعام؟!

وزعم أن نعامتين اعتورتا ذئبا فهزمتاه، وصعِدَ شجرةً، فجالدهما، فنقره أحدهما، فتناول الذئب رأسه فقطعه، ثم نزل إلى الآخر، فساوره، فهزمه ".

• • • •

(١) الحيوان ٤/٣٣٢ وما بعدها، ٤٦١.

٧- الذئب والغراب:

قرن كل من كعب بن زهير والأخطل والطرماح فى أشعارهم بين الذئب والغراب، وفى الجمع بينهما شؤم وشر وتوحش وهلع وذعر. ولكن الطرماح حين يمزج بينهما يتحدث عن الخصومة، وذلك أن الغراب إذا رأى الذئب قد طرده عن شئ صاح وصفق بجناحيه، وتلك خصومته للذئب. (١)

قال الطرماح:

بِمُنْخَرِقٍ تَحِنُّ الرِّيحُ فيه حَنِينَ الجُلْبِ فى البَلَدِ السَّنِين
يَظَلُّ غُرَابُها ضَرِمًا شَذَاهُ شَجٍ بخُصُومةِ الذِّئبِ الشَّنُون

ويقال للذئب والغراب " أصرمان "، قال المرار:

على صَرْمَاء فيها أصْرَمَاها وخِرِّيتُ الفَلاَةِ بها مليل

والصرماء: المفازة، والأصرمان: الذئب والغراب.

* * * *

(١) المعانى الكبير - المجلد الأول - دار الكتب العلمية - بيروت ص ٢٠٣.
شذاه: حده والمراد هنا صوته. ضرم: كثير الصياح. أو إن شدة الجوع صارت تلهبه مثل النار. شج: حزين.

٨- الذئب والطيور الجارحة:

لا حــول ولا قوة للذئب حين تهاجمه الطيور الجارحة، إذ تنقض على ظهره بمخالبها فتشق جلده شقا، وهو لا يستطيع أن يفعل شيئا لأن قوته فى فمه.

وأشد هذه الطيور الجارحة انقضاضا العقاب، قال الجاحظ:

" ولــو أن عقابــا أرادت أن تخــرق جلد الجاموس اما انخرق لها إلا بالتكلف الشديد، والعقاب هى التى تنحدر على الذئب الأطلس، فتَقُدّ بدابرتها ما بين صَلاَه إلى موضع الكاهل " [١]

وقال:[٢]

ويــزعم أصــحاب القنص أن العقاب لا تكاد تراوغ الصيد، ولا تعانى ذلك... ولكنها إذا جاعت فلم تجد كافيا، لم يمتنع عليها الذئب فما دونه، وقد قال الشاعر:

مهــبلٌ نئــبها يومــاً إذا قَلَبــتْ إلــيه مِــنْ مُســتَكَفِّ الجَــوِّ حِملاَقــا

وقال آخر:

كأنّهــا حيــنَ فَــاضَ المــاءُ واحتَمَلَتْ صَــقْعَاءُ لاَحَ لَهَــا بالقَفْــرة الذّيــبُ

صُــبّتْ عَلَــيه ولــم تنصــبْ من أَمَمٍ إنّ الشّــقَاء علــى الأشــقَيْنَ مَصْبُوبُ

* * * *

(١) الحيوان ٥/٥٥٠.

(٢) نفسه ٦/٤٠٧.

المصادر والمراجع

أولا : المصادر

أ- دواوين الأفراد :

١-بلوغ الأرب فى شرح لامية العرب للزمخشرى، المبرد، العكبرى، ابن زاكور، ابن عطاء الله المصرى- جمع وتحقيق محمد عبد الحكيم القاضى ومحمد عبد الرازق العريان - ط دار الحديث القاهرة - د.ت.

٢-ديوان أبى دؤاد الإيادى [شعره ضمن دراسات فى الأدب العربى - جمعه غوستاف فون غرنباوم - ترجمة ومراجعة د./ إحسان عباس - دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٥٩م .

٣-ديوان ابن شهيد الأندلسى ورسائله - جمعه وحققه وشرحه: الدكتور محى الدين ديب - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ط أولى ١٩٩٧م.

٤-ديوان أبى النجم - جمع وتحقيق وشرح د./ سجيع جميل الجبيلى - دار صادر - بيروت - ط أولى ١٩٩٨م .

٥-ديوان أبى نواس - دار صادر - بيروت - د. ت.

٦-ديوان الأخطل :

أ) صنعة السكرى - روايته عن أبى جعفر محمد بن حبيب - تحقيق د./ فخر الدين قباوة - دار الأصمعى - حلب - سورية - د.ت.

ب) (شرح) الديوان - إيليا الحاوى - دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٨م.

٧-ديوان الأعشى الكبير - تحقيق د./ محمد محمد حسين - مطبعة الآداب - مصر .

٨-ديــوان البحترى - تحقيق حسن كامل الصيرفى - سلسلة ذخائر العرب ٣٤ - دار المعارف - مصر - ط ثانية .
٩-ديوان بشر بن أبى خازم الأسدى - تحقيق د./ عزة حسن - ط ثانية - منشورات وزارة الثقافة - دمشق - سورية ١٩٧٢ م.
١٠- ديــوان بشــار - تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠م .
١١- ديون تأبط شرا :
أ) ديوان تأبط شرا وأخباره - جمع وتحقيق على ذو الفقار شاكر - دار الغرب الإسلامى - بيروت - ط أولى ١٩٨٤م .
ب) (شــعر) تأبط شرا - دراسة وتحقيق سليمان داود القره غولى ، وجبار تعبان الجاسم - العراق .
١٢- ديوان جرير :
أ) تحقيق كرم البستانى - دار صادر - بيروت ١٩٦٤ .
ب) شرح مهدى محمد ناصر الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ثانية - ١٩٩٢ .
١٣- ديــوان حميد بن ثور الهلالى - صنعة عبدالعزيز الميمنى - مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥١ م.
١٤- ديوان ابن خفاجة الأندلسى :
أ) شرح يوسف شكرى فرحات - دار الجيل - بيروت .
ب) دار بيروت - دار صادر .

١٥- (شـــعر) خفاف بن ندبة السلمى - جمع وتحقيق د./ نورى القيسى - ط العراق .
١٦- ديوان الخنساء - دار صادر - بيروت - لبنان ١٩٦٣ .
١٧- ديوان ذى الرمة :
أ) رواية ثعلب - شرح الباهلى - تحقيق د./ عبدالقدوس أبو صالح - ط مجمع اللغة العربية - دمشق ١٩٧٤ .
ب) ط المكتب الإسلامى - ط ثانية ١٩٦٤ .
١٨- ديـــوان ابن الرومى - تحقيق الدكتور حسين نصار - مركز تحقيق التراث - مصر د.ت.
١٩- ديوان الراعى النميرى :
أ) جمـــع وتحقـــيق رايـــنهرت فاييرت - المعهد الألمانى للأبحاث الشرقية - بيروت - لبنان -١٩٨٠م .
ب) شـــعر الراعى النميرى وأخباره - جمع ناصر الحانى - مراجعة عز الدين التنوخى- المجمع العلمى - دمشق - ١٩٦٤ .
٢٠- ديـــوان رؤبة [ضمن مجموع أشعار العرب] عنى بتصحيحه وترتيبه ولـــيم بـــن الورد - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط أولى ١٩٧٩ .
٢١- (شـــعر) الزبـــرقان بـــن بدر وعمرو بن الأهتم، دراسة وتحقيق د./ سعود محمود عبدالجبار - مؤسسة الرسالة .
٢٢- ديوان الشريف الرضى - دار صادر - دار بيروت - ١٩٦١.

٢٣- ديـــوان الشـــريف المرتضـــى - تحقيق رشيد الصفار - ط الحلبى ١٩٥٨.

٢٤- ديوان الشنفرى (ضمن الطرائف الأدبية) تحقيق عبدالعزيز الميمنى - دار الكتب العلمية - بيروت .

٢٥- (شـــرح) ديوان صريع الغوانى مسلم بن الوليد - تحقيق د./ سامى الدهان - دار المعارف - مصر .

٢٦- ديـــوان طـــرفة بن العبد - تحقيق ودراسة لشعره وشخصيته - د./ على الجندى - دار الفكر العربى .د.ت .

٢٧- ديـــوان الطرماح - تحقيق د./ عزة حسن - وزارة الثقافة - دمشق ١٩٦٨م .

٢٨- ديوان الطفيل الغنوى - ط لندن - ١٩٢٧ م.

٢٩- ديوان عبيد بن الأبرص :

أ) تحقـــيق وشـــرح د./ حسين نصار . ط الحلبى - الأولى ١٩٥٧م.

ب) دار صادر - بيروت .

٣٠- (شـــعر) عمـــرو بـــن معديكـــرب الزبـــيدى - جمع وتحقيق مطاع الطرابيشى - مجمع اللغة العربية - دمشق ١٩٧٤م .

٣١- ديوان عنترة - تحقيق وشرح كرم البستانى - دار صادر - بيروت د.ت.

٣٢- ديوان الفرزدق :

أ) تحقيق كرم البستانى - دار صادر - بيروت ١٩٦٦م .

ب) دار بيروت للطباعة والنشر .
٣٣- ديوان كعب بن زهير :
أ) شرح السكرى - نسخة مصورة عن دار الكتب ١٩٥٠ - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة .
ب) قرأه وقدم له د./ محمد يوسف نجم - دار صادر - بيروت - ط أولى ١٩٩٥م .
٣٤- (شعر) الكميت بن زيد الأسدى - جمع وتقديم د./ داود سلوم مكتبة الأندلس - بغداد ١٩٦٩م .
٣٥- ديوان المتنبى - شرح البرقوقى - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان ١٩٨٦.
٣٦- ديوان امرئ القيس - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - ط ثالثة .
٣٧- ديوان المرقشين - المرقش الأكبر والمرقش الأصغر - تحقيق كارين صادر - دار صادر - بيروت - ط أولى ١٩٩٨ .
٣٨- ديوان ابن مقبل - تحقيق د./ عزة حسن - دمشق - ١٩٦٢ .
٣٩- ديوان مالك بن الريب - تحقيق د. نورى القيسى - مجلة معهد المخطوطات العربية - مجلد ١٥ جـ ١ /١٩٦٩ م.
٤٠- (شعر) النابغة الجعدى - ط المكتب الإسلامى - دمشق - سورية - ط أولى ١٩٦٤م .
٤١- ديوان النابغة الذبيانى - صنعة ابن السكيت - تحقيق د./ شكرى فيصل - دار الفكر - بيروت ١٩٦٨م .

٤٢- لامية العرب للشنفرى .
أ) لامية العرب / نشيد الصحراء - لشاعر الأزد الشنفرى - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان ١٩٧٤ م.
ب) تحقـيق د./ عبدالله الغزالى - ط الكويت - حوليات كلية الآداب .
٤٣- نهايـة الأرب فـى شـرح لامية العرب - ابن عطاء الله المصرى الأزهـرى - تحقيق الدكتور عبدالله الغزالى - حوليات كلية الآداب - الكويت .

ب) المجموعات الشعرية

٤٤- الأصـــمعيات - لأبـــى سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعى - تحقيق وشـــرح أحمد محمد شاكر ، وعبدالسلام محمد هارون - ط بيروت - لبنان ط خامسة .

٤٥- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى :

أ) ط دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان .

ب) ط دار الكتب - مصر .

ت) ط ساسى .

٤٦- أمالى المرتضى - غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى على بن الحسين الموسوى العلوى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى .

٤٧- جمهـــرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام - لأبى زيد محمد بن الخطاب القرشى :

أ) المطبعة الرحمانية - مصر ١٩٢٦ .

ب) بتحقـــيق د./ محمـــد على الهاشمى - مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤٠١ / ١٩٨١ .

٤٨- حماسة أبى تمام - شرح التبريزى :

أ) ط عالم الكتب - بيروت .

ب) نشر أحمد أمين وعبدالسلام هارون .

٤٩- حماســة البحـــترى - ضـــبط وتعلــيق كمال مصطفى - المطبعة الرحمانية - مصر - ط أولى - ١٩٢٢.

٥٠- حماسة ابن الشجرى - تحقيق عبدالمعين الملوحى ، وأسماء الحمصى ، وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٧٠م .
٥١- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - لأبى الحسن على بن بسام الشنتريني - تحقيق الدكتور/ إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - لبنان - ١٩٧٩.
٥٢- شرح أشعار الهذليين / السكرى - تحقيق عبدالستار فراج - القاهرة - مطبعة المدنى ١٩٦٥ م.
٥٣- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات / لابن الأنبارى - تحقيق عبدالسلام هارون - ط دار المعارف - الرابعة ١٩٨٠ م.
٥٤- شعر ضبة وأخبارها فى الجاهلية والإسلام - صنعة د/ حسن بن عيسى أبو ياسين - ط جامعة الملك سعود .
٥٥- الشعر والشعراء لابن قتيبة :
أ) تحقيق أحمد شاكر - دار المعارف ١٩٦٦م.
ب) تحقيق وضبط د./ مفيد محمد قميحة - دار الباز للطباعة والنشر - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط أولى ١٩٨١م.
٥٦- شعراء النصرانية - لويس شيخو - ط بيروت - ١٩٠٠ .
٥٧- طبقات فحول الشعراء / محمد بن سلام الجمحى - قرأه وشرحه محمود محمد شاكر - مطبعة المدنى - القاهرة - مصر د.ت.
٥٨- الطرائف الأدبية - تحقيق عبدالعزيز الميمنى - مط لجنة التأليف والترجمة - القاهرة - ١٩٤٧.

٥٩- مختار الشعر الجاهلى - مصطفى السقا - دار العلم للجميع - ط ثالثة ١٩٦٩م.

٦٠- مختارات ابن الشجرى - تحقيق محمود حسن زناتى - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ثانية -١٩٨٠ م.

٦١- المعانى الكبير فى أبيات المعانى - لابن قتيبة الدينورى - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

٦٢- المفضليات جمع المفضل الضبى - شرح ابن الأنبارى - عناية كارلوس يعقوب لايل - مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت - ١٩٢٠م.

٦٣- منتهى الطلب من أشعار العرب - محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون - تحقيق وشرح د./ محمد نبيل طريفى - ط دار صادر - بيروت - ط أولى ١٩٩٩ م

٦٤- نهاية الأرب فى فنون الأدب - شهاب الدين النويرى - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب - سلسلة تراثنا - وزارة الثقافة والإرشاد القومى .

٦٥- يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، لأبى منصور عبدالملك الثعالبى النيسابورى - شرح د. مفيد محمد قميحة - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط أولى ١٩٨٣م.

ثانيا : كتب التفسير والحديث

أ) التفسير :

٦٦- التحرير والتنوير - للشيخ محمد الطاهر بن عاشور - الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤م .
٦٧- التفسير الكبير - للفخر الرازى - دار الكتب العلمية - بيروت .
٦٨- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان - للبروسوى - اختصار الصابونى - ط دار القلم .
٦٩- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى/ ط/ دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان ١٩٦٦ .
٧٠- لطائف الإشارات - للقشيرى - تحقيق د./ إبراهيم بسيونى - ط هيئة الكتاب .

ب) الحديث :

٧١- الترغيب والترهيب للمنذرى .
٧٢- سنن الترمذى .
٧٣- شرح وبيان لحديث ما ذئبان جائعان - لابن رجب الحنبلى - تحقيق محمد حلاق .
٧٤- صحيح البخارى .
٧٥- صحيح مسلم .
٧٦- المستدرك للحاكم .
٧٧- مسند أحمد .

ثالثا : كتب الأمثال :

٧٨- التمثيل والمحاضرة - لأبى منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى - تحقيق عبدالفتاح الحلو - دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبى - القاهرة ١٩٦١م .

٧٩- جمهــرة الأمثال - لأبى هلال العسكرى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهــيم ، وعبدالمجيد قطامش - المؤسسة العربية الحديثة - مصر - ١٩٦٤ م.

٨٠- الدرة الفاخرة/ حمزة الأصبهانى - تحقيق عبدالمجيد قطامش - دار المعارف - القاهرة .

٨١- زهر الأكم فى الأمثال والحكم - للحسن اليوسى - تحقيق د./ محمد حجــى ، د./ محمــد الأخضر - معهد الأبحاث والدراسات للتعريب - نشر دار الثقافة - الدار البيضاء - المغرب - ط أولى ١٩٨١م.

٨٢- مجمع الأمثال للميدانى - مطبعة السعادة - بتحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ١٩٥٩ .

٨٣- المستقصــى فــى أمــثال العــرب - الزمخشرى - تصحيح محمد عبدالرحمــن خان - ط مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الدكن - الهند ١٣٨١هـ ١٩٦٢م.

٨٤- معجم الأمثال العربية - رياض عبدالحميد مراد - ط ١٤٠٧هـ .

٨٥- المنى فى الكنى للسيوطى ط برلين ١٨٩٥ .

رابعا : المعاجم .

٨٦- أساس البلاغة - للزمخشرى - ط دار الشعب - مصر .

٨٧- الاشتقاق - لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد - تحقيق وشرح عبدالسلام هارون - نشر الخانجى - القاهرة - ط ثالثة .

٨٨- تاج العروس للزبيدى :

أ) تحقيق على هلال - ط الكويت .

ب) تحقيق إبراهيم الترزى - دار إحياء التراث العربى - بيروت .

٨٩- الصحاح للجوهرى - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين .

٩٠- القاموس المحيط للفيروزبادى

أ) ط الحلبى - القاهرة - ط ثانية ١٩٥٢ .

ب) ط دار الفكر - بيروت .

٩١- لسان العرب - لابن منظور (طبعات مختلفة) .

٩٢- المخصص لابن سيدة - تحقيق لجنة إحياء التراث العربى - دار الآفاق الجديدة - بيروت .

٩٣- معجم الأدباء / ياقوت الحموى - ط بيروت .

٩٤- معجم البلدان - ياقوت الحموى :

أ) مطبعة السعادة - مصر ١٩٠٦ .

ب) ط دار المأمون - القاهرة ١٣٥٥ .

ت) دار صادر - بيروت د.ت .

٩٥- معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين د./ عفيف عبدالرحمن - دار العلوم - الرياض - ١٩٩٣ .

٩٦- معجم الشعراء / المرزباني - تحقيق عبدالستار فراج - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ١٩٦٠ .

٩٧- معجـــم مقاييس اللغة - لابن فارس - تحقيق عبدالسلام هارون - ط دار الكتب العلمية - إيران .

٩٨- معجـــم مـــا استعجم للبكرى - تحقيق مصطفى السقا - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧ .

٩٩- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - القاهرة ١٩٦٠ .

خامسا : كتب التراجم والموسوعات ودوائر المعارف والأمالى واللغة :

١٠٠-أدب الكاتب - لابن قتيبة - تحقيق محمد الدالى - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط أولى ١٩٨٢ .

١٠١-الاستيعاب فى معرفة الأصحاب - لابن عبدالبر - بهامش الإصابة لابن حجر - ط دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان .

١٠٢-أسد الغابة فى معرفة الصحابة - عز الدين بن الأثير :

أ) ط دار الشعب - تحقيق محمد إبراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ، محمود عبدالوهاب فايد .

ب) ط المكتبة الإسلامية - لصاحبها رياض الشيخ .

١٠٣-الإصابة فى تمييز الصحابة - لابن حجر العسقلانى - تحقيق د./ طه محمد الزينى - ط أولى ١٩٧٦ - مكتبة الكليات الأزهرية .

١٠٤-الأعلام - للزركلى - ط القاهرة - ١٩٥٦م.

١٠٥-الأمالى - لأبى على القالى .

١٠٦-أنوار الربيع فى أنواع البديع - السيد على صدر الدين بن معصوم المدنى - تحقيق شاكر هادى شكر مطبعة النعمان - النجف الأشرف - ط أولى ١٩٦٨ م.

١٠٧-البيان والتبيين للجاحظ - تحقيق وشرح عبدالسلام هارون - مؤسسة الخانجى - القاهرة - ط ثالثة

١٠٨-ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للثعالبى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - سلسلة ذخائر العرب ٥٧ - دار المعارف - مصر - د.ت.

١٠٩-جمهرة أنساب العرب / ابن حزم . ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط أولى ١٩٨٣ .
١١٠-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - البغدادى - تحيقيق عبدالسلام هارون :
أ) ط الخانجى - الثانية ١٩٨١م.
ب) ط دار الكاتب العربى - القاهرة .
١١١-دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدى - دار المعرفة - بيروت - ط ثالثة .
١١٢-ذيل الأمالى والنوادر - لأبى على القالى - دار الكتب المصرية - ط ثانية - ١٩٢٦.
١١٣-رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء - دار صادر ، دار بيروت ١٩٥٧م.
١١٤-رسالة الصاهل والشاحج لأبى العلاء المعرى - تحقيق د./ عائشة عبدالرحمن - دار المعارف - القاهرة ١٩٧٥ .
١١٥-رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة - لأبى القاسم محمد الشريف السبتى - تحقيق وشرح / محمد الحجوى - ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - المغرب - ط أولى ١٩٩٧ م.
١١٦-سمط اللآلى فى شرح أمالى القالى - تحقيق عبدالعزيز الميمنى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦م.

١١٧-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - ابن رشيق القيروانى - تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد - دار الجيل - بيروت - ط خامسة ١٩٨١م.

١١٨-عيون الأخبار لابن قتيبة - نسخة مصورة عن دار الكتب - وزارة الثقافة والإرشاد القومى - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر د. ت.

١١٩-الفَرق لأبى حاتم السجستانى - تحقيق د./ حاتم صالح الضامن (ضمن نصوص محققة فى اللغة والنحو) - جامعة بغداد ١٩٩١.

١٢٠-الفصول والغايات فى تمجيد الله والمواعظ - لأبى العلاء المعرى - تحقيق محمود حسن زناتى - المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .

١٢١-فقه اللغة وسر العربية - للثعالبى :

أ) بتحقيق مصطفى السقا وآخرين - ط الحلبى ١٩٧٢ ، ط دار الفكر ١٩٦٨ .

ب) بتحقيق د./ ديزيره سقال - دار الفكر العربى - بيروت - ط أولى ١٩٩٩ .

ت) ضبط وتعليق د./ ياسين الأيوبى - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ط أولى ١٩٩٩ .

١٢٢-كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر - لأبى هلال العسكرى - تحقيق على محمد البجاوى ، محمد أبوالفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى - مصر - ط أولى ١٩٥٢ .

١٢٣-كتاب الفصوص - لأبى العلاء صاعد بن الحسن البغدادى - تحقيق عبدالوهاب التازى - المملكة المغربية - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ١٩٩٥ .
١٢٤-الكنز المدفون - للسيوطى - ط الحلبى ١٩٣٩م.
١٢٥-المؤتلف والمختلف للآمدى - تحقيق عبدالستار فراج - ط عيسى الحلبى ١٩٦١ .
١٢٦-المصايد والمطارد - كشاجم - تحقيق د./ محمد أسعد أطلس - بغداد ١٩٤٥ .
١٢٧-المعمرون والوصايا - لأبى حاتم السجستانى - تحقيق عبدالمنعم عامر - دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبى ١٩٦١ .
١٢٨-مقدمة ابن خلدون - ط مكتبة ودار المدينة المنورة للنشر والتوزيع ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ١٩٨٤ .
١٢٩-المنتخب من غريب كلام العرب - لأبى الحسن على بن الحسن الهنائى المعروف بكراع النمل - تحقيق د./ محمد أحمد العمرى - جامعة أم القرى - مركز إحياء التراث - ط أولى ١٩٨٩ .
١٣٠-موسوعة شعراء العرب د./ يحيى شامى - دار الفكر العربى - بيروت - ط أولى ١٩٩٦ م.
١٣١-نظام الغريب فى اللغة - عيسى إبراهيم الحميرى - تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالى - دار المأمون للتراث - دمشق وبيروت - ط أولى ١٩٨٠م.
١٣٢-النوادر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى - دار الكتاب العربى - بيروت لبنان - ط ثانية ١٩٦٧م.

سادساً : كتب الحيوان :

١٣٣-الحيوان - للجاحظ - تحقيق عبدالسلام هارون - ط الحلبى - الثانية.

١٣٤-الحيوان فى الأدب العربى - شاكر هادى شكر - عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية - ط أولى ١٩٨٥م.

١٣٥-حياة الحيوان الكبرى للدميرى - المكتبة التجارية - مصر .

١٣٦-عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - زكريا القزوينى - تقديم وتحقيق فاروق سعد - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط رابعة ١٩٨١م.

١٣٧-الوحوش - للأصمعى - تحقيق أيمن ميدان - النادى الأدبى الثقافى- جدة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠م.

سابعاً : المراجع :

١٣٨-الإبل فى الشعر القديم - د./ أنور أبو سويلم - دار العلوم - الرياض - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
١٣٩-اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى - د./ محمد مصطفى هدارة - ط المكتب الإسلامى .
١٤٠-أثر الصحراء فى الشعر الجاهلى د./ سعدى ضناوى - دار الفكر اللبنانى - ط أولى ١٩٩٣ .
١٤١-الأخطل فى سيرته ونفسيته وشعره - إيليا الحاوى - دار الثقافة - بيروت - لبنان - ط ثانية ١٩٨١م.
١٤٢-الأدب الأندلسى - د./ جودت الركابى - دار المعارف - مصر - ط رابعة ١٩٧٥.
١٤٣-الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة - د./ أحمد هيكل - دار المعارف - ط سابعة - ١٩٧٩ م.
١٤٤-أدب التسمية فى البيان النبوى - د./ السعيد عبادة - دار مصر للطباعة - ط أولى ١٩٨٣م.
١٤٥-الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية - د./ مصطفى الشكعة - كتاب النثر - دار الكتاب اللبنانى - بيروت - ط ثانية .
١٤٦-الآداب العربية فى العصر العباسى الثانى د./ محمد عبدالمنعم خفاجى - مكتبة الكليات الأزهرية .
١٤٧-الأصول الفنية للشعر الجاهلى - د./ سعد شلبى - مكتبة غريب - ١٩٧٧ .

١٤٨-أعلام الشعراء العباسيين - د. سلمان هادى الطعمة .
١٤٩-الاغـــتراب فى حياة وشعر الشريف الرضى - عزيز السيد جاسم - دار الأندلس - ط أولى ١٩٨٦م.
١٥٠-أمـــراء الشـــعر العربى فى العصر العباسى - أنيس المقدسى - دار العلم للملايين - بيروت - ط عاشرة .
١٥١-البحترى بين نقاد عصره - صالح حسن اليظى - دار الأندلس .
١٥٢-الــبعد الآخر فى الإبداع الشعرى - قراءة نصية - د./ محمد أحمد العزب - مطبعة رفاعى - ١٩٨٤ م.
١٥٣-بنـــية القصـــيدة الجاهلـــية - الصورة الشعرية لدى امرئ القيس - د./ ريتا عوض - دار الآداب - بيروت - ط أولى - ١٩٩٢ .
١٥٤-تجليات الطبيعة والحيوان فى الشعر الأموى - د./ ثناء أنس الوجود - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - ١٩٩٨.
١٥٥-تحلـــيل الخطاب الشعرى (استراتيجية التناص) د./ محمد مفتاح - المركز الثقافى العربى - الدار البيضاء - المغرب - ط ثانية ١٩٨٦.
١٥٦-تـــاريخ الأدب الأندلســـى - د./ محمد رضوان الداية - ط ثانية - مؤسسة الرسالة - ١٩٨١ .
١٥٧-تاريخ الأدب العربى - عمر فروخ - دار العلم للملايين - ط رابعة.
١٥٨-تـــاريخ آداب العرب - الرافعى - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان ط رابعة ١٩٧٤ .

١٥٩-حجـــاب العادة (أركيولوجيا الكرم من التجربة إلى الخطاب) - سعيد السريحى - المركز الثقافى العربى - بيروت - لبنان ، الدار البيضاء - المغرب - ط أولى ١٩٩٦م.

١٦٠-حمـــيد بن ثور الهلالى - دراسة فى شعر المخضرمين - د./ أحمد عبدالواحد - مطبوعات نادى مكة الثقافى - ط أولى - ١٩٩٠ .

١٦١-الحـــوار فى القصيدة العربية إلى نهاية العصر الأموى - د./ السيد أحمد عمارة - دار التركى - طنطا - ط أولى .

١٦٢-حـــياة وآثـــار الشـــاعر الأندلسى ابن خفاجة - حمدان حجاجى - الشركة الوطنية للنشر - دار التوزيع - الجزائر - ١٩٧٤م.

١٦٣-الحـــية فى التراث العربى - د./ أحمد إسماعيل أبو يحيى - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ط أولى - ١٩٩٧م.

١٦٤-ابـــن خفاجـــة الأندلسى - عبدالرحمن جبير - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط ثانية ١٩٨١م.

١٦٥-الخيال الشعرى فى شعر الوصف عند البحترى - د./ طه أبو كريشة - توزيع مكتبة الملك فيصل الإسلامية - ط أولى - ١٩٨٣ .

١٦٦-دراسات فنية فى الأدب العربى - عبدالكريم اليافى - ط أولى .

١٦٧-دراسات فى الشعر الجاهلى - د./ أحمد موسى الجاسم - دار لينة - دمنهور - مصر - ١٩٩٧ .

١٦٨-دراســـات فى الشعر الجاهلى د./ أنور أبوسويلم - دار الجيل ، دار عمار - الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

١٦٩-دراسات فى النص الشعرى - عصر صدر الإسلام وبنى أمية - د./ عبده بدوى - دار قباء - مصر - ٢٠٠٠م.
١٧٠-دراسات فى النص الشعرى - العصر العباسى - د./ عبده بدوى - دار الرفاعى - الرياض .
١٧١-الذئب فى آداب الشعوب - د. مصطفى طلاس - دار طلاس - سورية - ط أولى ١٩٩٧.
١٧٢-ذو الرمة شاعر الحب والصحراء - د./ يوسف خليف - مكتبة غريب .
١٧٣-الرؤية الإنسانية فى حركة اللغة - د./ عالى سرحان القرشى - كتاب الرياض - عدد ٣١ / يوليو ١٩٩٦ .
١٧٤-الرؤى المقنعة (نحو منهج بنيوى فى دراسة الشعر الجاهلى) - كمال أبوديب - هيئة الكتاب .
١٧٥-الرائد فى الأدب العربى - نعيم الحمصى .
١٧٦-الراعى النميرى - عبيد بن حصين - شاعر بنى نمير - عصره ، حياته ، شعره - د./ محمد نبيه حجاب - مكتبة نهضة مصر - ١٩٦٣.
١٧٧-الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر - د./ محمد فتوح .
١٧٨-رحلة الذات فى فضاء النص الشعرى القديم - د./ عالى القرشى - مطبوعات نادى المدينة المنورة الأدبى - برقم ١٤٧ لسنة ١٤٢١هـ .
١٧٩-الزمان والمكان وأثرهما فى حياة الشاعر الجاهلى وشعره - د/صلاح عبدالحافظ - دار المعارف - ط أولى - ١٩٨٢ .

١٨٠-الشريف الرضى - د./ محمد إبراهيم المطرودى - النادى الأدبى - الرياض - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
١٨١-الشريف المرتضى - د./ محمد إبراهيم المطرودى - النادى الأدبى - الرياض - ١٤٠٠هـ .
١٨٢-الشعر الجاهلى - منهج فى دراسته وتقويمه د./ محمد النويهى - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة د.ت.
١٨٣-شعر الصعاليك - منهجه وخصائصه - د./ عبدالحليم حفنى .
١٨٤-شعر الطبيعة فى الأدب العربى - د./ سيد نوفل - دار المعارف - مصر .
١٨٥-شعر الطرد عند العرب - عبدالقادر حسن أمين - مطبعة النعمان - النجف الأشرف - ١٩٧٢.
١٨٦-الشعر العربى المعاصر - د./ عز الدين إسماعيل - دار الكاتب العربى - ١٩٦٧ .
١٨٧-شعر الهذليين فى العصرين الجاهلى والإسلامى د./ أحمد كمال زكى - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٩ .
١٨٨-الشعراء السود وخصائصهم فى الشعر العربى - د./ عبده بدوى - هيئة الكتاب ١٩٧٣.
١٨٩-الشعراء الصعاليك فى العصر الإسلامى - د./ حسين عطوان - دار الجيل - بيروت .
١٩٠-الشعراء الصعاليك فى العصر الأموى - د./ حسين عطوان - سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية ٥٦ - دار المعارف - مصر .

١٩١-الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى - د./ يوسف خليف - دار المعارف - مكتبة الدراسات الأدبية (٨) - القاهرة ١٩٥٩ .
١٩٢-شعراء من الماضى - كامل العبد الله - منشورات دار ومكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٢ .
١٩٣-الشنفرى شاعر الصحراء الأبى - د./ محمود حسن أبو ناجى - مؤسسة علوم القرآن - دمشق - بيروت ط ثانية ١٩٨٣ .
١٩٤-الشنفرى الصعلوك - د./ عبدالحليم حفنى - هيئة الكتاب - ١٩٨٩ .
١٩٥-الصعاليك فى العصر الأموى - د./ محمد رضا مروة - دار الكتب العلمية - بيروت - ط أولى ١٩٩٠ .
١٩٦-صوت الشاعر القديم - د./ مصطفى ناصف - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٢م.
١٩٧-الصورة الفنية فى الشعر الجاهلى على ضوء النقد الحديث - د./نصرت عبدالرحمن - عمان - الأردن - مكتبة الأقصى - ١٩٧٦م.
١٩٨-الصيد والطرد فى الشعر العربى حتى نهاية القرن الثانى الهجرى - د./ عباس الصالحى - بيروت - ط أولى - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .
١٩٩-الطبيعة فى الشعر الجاهلى - د./ نورى القيسى - عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية - الطبعة الثانية ١٩٨٤م.
٢٠٠-الطبيعة فى شعر العصر العباسى الأول - د./ أنور أبو سويلم - دار العلوم للطباعة والنشر - ١٩٨٣م.
٢٠١-طيف الخيال للشريف الرضى - تحقيق د./ محمود حسن أبو ناجى .

٢٠٢-ظاهـرة الـتعالق النصى فى الشعر السعودى الحديث - د./ علوى الهاشمى - كتاب الرياض - العدد ٥٢ ، ٥٣ - إبريل مايو ١٩٩٨.
٢٠٣-عبقرية العربية فى رؤية الإنسان والحيوان والسماء والكواكب - د./ لطفى عبدالبديع - النادى الأدبى - جدة ١٩٨٦ ط ثانية.
٢٠٤-عصر الدول والإمارات د./ شوقى ضيف - دار المعارف .
٢٠٥-العصر العباسى الأول د./ شوقى ضيف - دار المعارف .
٢٠٦-العصر العباسى الثانى د./ شوقى ضيف - دار المعارف .
٢٠٧-فن الوصف فى مدرسة عبيد الشاعر - د/ محمد بن لطفى الصباغ - المكتب الإسلامى.
٢٠٨-فـن الوصـف وتطوره عبر العصور - إيليا الحاوى - دار الكتاب اللبنانى .
٢٠٩-الفن ومذاهبه فى الشعر العربى - د./ شوقى ضيف - دار المعارف - الطبعة الحادية عشرة .
٢١٠-فـى ريـاض الشعر العربى د./ عمر فاروق الطباع - دار القلم - بيروت - لبنان ط أولى ١٩٩٢م .
٢١١-فـى الشـعر الإسلامى والأموى د./ عبدالقادر القط - دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٧ .
٢١٢-فـى الـنقد والأدب - إيلـيا الحاوى - الجزء الأول - دار الكتاب اللبنانى - بيروت .
٢١٣-قـراءة جديـدة لشعرنا القديم - صلاح عبدالصبور - دار العودة - بيروت ط ثالثة .

٢١٤-القيم الفنية المستحدثة فى الشعر العباسى من بشار إلى ابن المعتز - د./ توفيق الفيل - ذات السلاسل - الكويت ١٩٨٤ .

٢١٥-الكتابة من موقع العدم د./ عبدالملك مرتاض - كتاب الرياض - العدد ٦١ -٦٢ يناير - فبراير ١٩٩٩م .

٢١٦-متعة تذوق الشعر - دراسات فى النص الشعرى وقضاياه . د./ أحمد درويش - دار غريب - القاهرة .

٢١٧-المرتجل فى شرح القلادة السمطية - فى توشيح الدريدية - الحسن بن محمد الصغانى - تحقيق د./ أحمد خان ط مركز إحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٩٨٦م .

٢١٨-المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها د./ عبدالله الطيب - ط دار الفكر .

٢١٩-مصرع فارس فى بلاد الغربة - د/ زكريا عبد المجيد - مكتبة الآداب - ط أولى ٢٠٠٢.

٢٢٠-المطر فى الشعر الجاهلى د./ أنور أبو سويلم - دار عمار ودار الجيل - ط أولى - ١٩٨٧ .

٢٢١-مقدمة للشعر العربى - أدونيس - دار العودة - بيروت .

٢٢٢-مقالات فى الشعر الجاهلى - يوسف اليوسف - دار الحقائق - ط ثالثة ١٩٨٣ .

٢٢٣-النص الشعرى وآليات القراءة د./ فوزى عيسى - منشأة المعارف - إسكندرية - ١٩٩٧.

٢٢٤-الـــنص والخطاب والإجراء . روبرت دى بوجراند - ترجمة - د./ تمام حسان - عالم الكتب - القاهرة - ط أولى ١٩٩٨م.
٢٢٥-النقد الأدبى الحديث د./ محمد غنيمى هلال - دار العودة - بيروت - ط أولى ١٩٨٢ .
٢٢٦-نمط صعب ونمط مخيف / محمود محمد شاكر - دار المدنى بجدة - مطبعة المدنى بمصر - ط أولى ١٩٩٦.
٢٢٧-وصـــف الخـــيل فى الشعر الجاهلى د./ كامل سلامة الدقس - دار الكتب الثقافية - الكويت - ١٩٧٥ .
٢٢٨-وصف الطبيعة فى الشعر الأموى د./ إسماعيل أحمد شحادة العالم - مؤسسة الرسالة ، دار عمار ، ط أولى ١٩٨٧ .

ثامناً : الدوريات :

٢٢٩-مجلــة الرســالة - العــدد ١٥ - سنة ١٩٣٣ . (الذئب فى الأدبين العربى والفرنسى) د./ سامى الدهان .

٢٣٠-مجلة فصول - المجلد الرابع - العدد الثانى .

أ) الغزل العذرى واضطراب الواقع) د./ على البطل .

ب) (معلقة امرئ القيس - الرؤية الشبقية) د./ كمال أبو ديب .

٢٣١-مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود - المجلد التاسع ١٩٨٢ (الغضا والأرطى فى اللغة والشعر العربى القديم) د./ محمد سليمان السديس .

٢٣٢-مجلة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - العدد ١٨ ١٩٩٥ (العلاقة بين الإنسان والذئب فى الشعر العربى القديم) د./ عالى سرحان القرشى.

٢٣٣-مجلــة الكاتب - العدد الثانى - مايو ١٩٦١ (المعادل الموضوعى) د./ رشاد رشدى .

٢٣٤-مجلة المعرفة العلمية - نشر شركة ترادكسيم - جنيف - سويسرا - المجلد الرابع عشر ١٩٨٧ (الذئب ...)

٢٣٥-مجلة المورد العراقية - المجلد الثامن - العدد الأول ١٩٧٩ (قراءة عصرية فى أدب الذئب عند العرب) د./ عناد غزوان إسماعيل .

٢٣٦-مجلــة الموقف الأدبى - العدد ٢٠١ (فى نظرية النص الأدبى) د./ عبدالملك مرتاض .

تاسعا : المخطوطات

٢٣٧-أســامى الذئب وكناه - الحسن بن محمد الصاغانى - مخطوط بدار الكتب المصرية - القاهرة - رقم ١٨٥٠ (أدب) .

• • • •

الفهرست

فهرست الكتاب

تم بحمد الله

كتب للمؤلف

١- تمرد طرفة... أسبابه وأصداؤه فى شعره. مطبعة الحسين الإسلامية

٢- عدى بن الرقاع العاملى.. حياته وشعره مطبعة الحسين الإسلامية

٣- ميمية المتنبى.. اغتراب مرير، وفارس أسير،
وحلم ضائع مطبعة الحسين الإسلامية

٤- مصرع فارس فى بلاد الغربة:
قراءة تحليلية موازنة ليائيتى عبد يغوث ومالك بن الريب مكتبة الآداب

٥- من الأدب الجاهلى.. دراسة وتحليل ونقد مطبعة الحسين الإسلامية

٦- الأدب الأموى.. تاريخه وقضاياه مطبعة الحسين الإسلامية

٧- الذئب فى الأدب القديم إيتراك

٨- العلامة الدكتور يوسف القرضاوى شاعرا
(دراسات فى الأدب الإسلامى) إيتراك

٩- ثور الوحش بين النابغة وذى الرمة إيتراك

تحت الطبع

١٠- فبما كسبت أيديكم

١١- سينية البحترى.. شاعرية المكان، المعادل الموضوعى، الرسم بالكلمات.

١٢- فلسفة القوة بين أبى تمام والمتنبى.

طبع بمطابع الدار الهندسية
تليفون/فاكس : ٥٤٠٢٥٩٨